

الذخیر

١٢١



الْوَسْعُ الْمَرْعُومُ

فِي حَلَّ الْمَنْظُومِ

ضياء الدين بن الأثير
أبو الفتح نصر الله بن محمد الشيباني الجوزي

تحقيق
يعقوب العظيم

تقديم

دكتور عقبة الحكيم راضي





الْوَسْعُ الْمَرْوُحُ

في حل المظوم

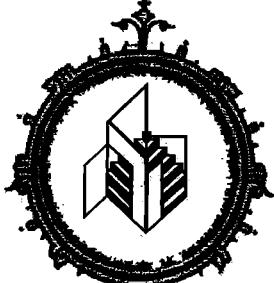
ضياء الدين بن الأثير

أبوالفتح ناصر الله بن محمد الشيباني البخاري

تحقيق
يعقوب العظيم

تقديم

دكتور عبد الحكيم راضي



النخاير (١٢١)

نصف شهرية



مكتبة لسان العرب

طلب (النخاير) وطبعات الهيئة من :

- منفذ توزيع الأخبار
- منفذ توزيع الهيئة المصرية العامة للكتاب
- منفذ البيع الرئيسي بالهيئة العامة لقصور الثقافة
- مركز النشر الجامعي بجامعة القاهرة

إصدار

٢٠٠٤

الوش المرقوم في حل المنظوم

تأليف

ضياء الدين بن الأثير

تحقيق

يحيى عبد العظيم

تقديم

أ.د عبد الحكيم راضي

تصميم الغلاف

محمد بغدادي

رقم الإيداع : ٢٠٠٤/١٥٥٠٩

التنفيذ والطباعة :

شركة الأمل للطباعة والنشر

ت : ٣٩٠٤٠٩٦

الراسلات باسم مدير التحرير على العنوان التالي : أ.ش أمين سامي قصر العين - القاهرة

رقم بريدي (١٥٦)

الشِّنَائِرُ

رئيس مجلس الادارة

أ.د. مصطفى علوى

أمين عام النشر

محمد السيد عبد

مدير عام النشر

فکری الّة اش

رئيس التحرير

أ.د عبد الحكيم راضي

مدى التحدى

جمال العسكري

الشرف الضي

غريفن دا

الدراسات باسم مدير التحرير على العنوان التالي
١٦ أش أمين سامي - قصر العيني - القاهرة
رقم بريدي ١٢٥٦١

مستشارو التحرير

أ.د. إبراهيم عبد الرحمن

أ.د. السباعي محمد السباعي

أ.د. حسين محمد ربيع

أ.د. حسن نصر الله

آد و معلم حج و ایل ایل



تقديم

أ. د. عبد الحكيم راضى

- ١ -

عزيزي القارئ.. يمثل الكتاب الذى بين يديك، أقصد: إصداره عن سلسلة (الذخائر)، تجربة جديدة بالنسبة للسلسلة التى دأبت على إعادة الإصدار لكتب سبقت طباعتها بعد التأكد من قيمتها ودقة تحقيقها وجودة طباعتها.

فى هذه المرة نقدم لك - عزيزي القارئ - كتاباً بكرًا لم يسبق صدوره فى مصر فى طبعة محققة كاملة. هذا الكتاب - كما ترى - هو كتاب (الوَشْنِيُّ الْمَرْقُومُ فِي حَلَّ الْمُنْظَوْمِ) لضياء الدين بن الأثير، أحد كتاب القرنين السادس والسابع الهجريين ونقادهما.

قام بتحقيق الكتاب تحقيقاً علمياً أحد المحققين الشبان من خريجي دار العلوم بجامعة القاهرة، الذى تعاون مع هيئة تحرير السلسلة فى سبيل خروج الكتاب على الصورة التى تراها بين يديك.

- ٢ -

لهذا الكتاب أهمية مزدوجة تُستمدُّ من طبيعة موضوعه من ناحية، ومن شخصية مؤلفه من ناحية أخرى.

ضياء الدين بن الأثير كاتب وناقد ذو شخصية قوية متميزة، وحضور واضح فى كل ما يكتب، إنه يذكرك بأولئك النقاد والعلماء من أصحاب الموقف الثابتة والإراء المعروفة، كأبى بكر الصولى ت ٣٣٥ هـ صاحب (أخبار أبى قام) و(أخبار البخترى)

و(الأوراق) وغيرها، وبأبى سعيد السيرافي ت ٣٦٨ هـ بطل المناظرة الشهيرة بينه وبين مسٹى بن يونس القنائى ت ٣٢٨ هـ، كما يذكرك بأبى على الحاتمى ت ٣٨٨ هـ صاحب المناظرة الشهيرة مع أبى الطيب المتنبى ت ٣٥٤ هـ، وصاحب (حلبة المحاضرة فى صناعة الشعر) وغيرها.

ابن الأثير يشبه الصُولى فى حماسه المفرط للمحدثين، ويشبه السيرافي فى رفضه الادعاء بحاجة الفكر العربى إلى الفلسفة اليونانية والمنطق اليونانى، ويلتقى مع الحاتمى فى مجال التأليف فى البلاغة والنقد، ويشارك الثلاثة فى حدة المزاج والميل إلى المجادلة والإسراع إلى منازلة المخالفين فى الرأى.

- ٣ -

وكاتب وناقد واسع الأفق يؤمن ابن الأثير باحتمالية الجدل وضرورته بين اللاحق والسابق، هذا الجدل يقوم على ركيزتين، أولاهما: معرفة اللاحق بآثار السابق، والثانية: معرفة كيفية التعامل مع هذه الآثار بما يضمن حُسن الإفاده منها، دون أن يُغَمِّطُ السابُقُ حقَّ رياضته ولا اللاحُقُ حقَّ اجتِهاده وإضافته.

الركيزة الأولى دفعت إلى الحديث فى ثقافة الأديب، والركيزة الثانية دفعت إلى الحديث فى كيفية تعامل اللاحق مع آثار السابق، هذه الآثار التى تشكل الجزء الأهم من ثقافة اللاحق.

ثقافة الأديب بعضها معرفيّ عام، مثل معرفة الأحكام السلطانية والإمامية والإماراة والقضاء والحسابه والفقه والتاريخ وغير ذلك، وقد يكون من هذا القبيل معرفة اللغة ومعرفة العربية من النحو والتصريف.. إلخ. والبعض الآخر من ثقافة الأديب يمكن وصفه بأنه فنٌ تخصصيٌّ، ويشمل الاطلاع على تأليفات المتقدمين من أرباب النظم والنشر وحفظ الكثير منها، وكذلك حفظ القرآن الكريم والتدريب باستعماله وكذاك الأخبار النبوية، والسلوك بها نفس المسلك فى الإفاده من القرآن الكريم . [المثل السائر ٩/١٠]

أما كيفية تعامل اللاحق مع آثار السابق فقد قادت، منذ ما قبل عصر ابن الأثير، إلى مبحث عام جليل تفرّع إلى مباحث فرعية تقوم على ضبط حركة اللاحق في تناول آثار السابق، بهدف ضمان حق الأول فيما أبدع، وضمان حق الأخير في إثبات ذاته بأن يتصرف وأن يخترع، مع تعريفه - في الوقت نفسه - بما يمكن أن يأخذ وما ينبغي أن يَدَعْ. وقد أطلقوا على هذا المبحث في عمومه أسماء مثل : السرقات، الأخذ، الاتباع. ثم خصُّوا ما كان مستوفياً للشروط المطلوبة باسم حسن الاتباع، أو الأخذ الحسن، أو السرقة المدوحة.

- ٤ -

هذا المبحث انتهى إلى نتيجتين محدّدين هما :

الأولى : إقرار حق اللاحق من الأدباء في أخذ (معانٍ) سابقيه.

الثانية : ضرورة إخراج المعنى المأخذ في كُسوة لفظية جديدة.

هاتان النتيجتان - في الواقع - متربّتان على أصلين أساسيين في النظرية

الأدبية العربية، هذان الأصلان هما :

* إن المعانى متاحة، وهى مباحة للجميع، يستوون فى معرفتها والعلم بها، واستخدامها.

* إن مدار عمل الأديب - إبداعه وبراعته - هو في الكُسوة اللفظية، أو الصياغة.

ويبدو الترابط بين النتيجتين الأولىين والأصلين اللاحقين منطقياً، فالمعنى - وهو الصفة (الجمال - الدمامنة) أو القيمة إيجاباً (الكرم - الشجاعة) أو سلباً (البخل والجبن) - معطى اجتماعى لا دخل للأديب فيه، بمعنى أنه ليس إبداعاً من الأديب، الذى نشأ فى كنف مجتمع يمدح الكرم ويذمّ البخل، يحبّ الجمال على نحو معين وصفات معينة ويكره الدمامنة فى صور معينة.. وقلّ مثل هذا فى صفات - أو قيم - الشجاعة والوفاء والعفة وحماية الجار والإيثار.. وأضدادها من الجبن والغدر

والفحور وإسلام الجار... إلخ، وهذه مجرد أمثلة ..
وإذا كان المعنى كما سبق القول - معطى اجتماعياً لا دخل للأديب في إبداعه،
فإنه يخرج - وبالتالي - من نطاق عبقرية الأديب ، وما به يُمدح الأدب أو يُذم،
ليتوجه بعد ذلك السؤال: فيم - إذا - يكون عمل الأديب وفيما تتجلّى عبقريته وإبداعه؟
والحواب - انطلاقاً من الأصل الثاني - : في طريقة التعبير عن المعنى الذي
يقصد الأديب إلى التعبير عنه.. ففي طريقة التعبير هذه، أو في طريقة الصياغة، أو
الكسوة اللغوية يكون عمل الأديب، ومحور إبداعه وتفرّده .

هذا الأصلان قررهما المحافظ في تصريحه الشهير حين قال عن المعانى: إنها
«مطروحة في الطريق، يعرفها العجمى والعربى والبدوى والقروى» ثم حين قال عن
الصياغة: «إنما الشأن في إقامة الوزن وتخيير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء...
وجودة السبك، إنما الشعر صناعة [في إحدى الروايات: صياغة] وضرب من النسج
و الجنس من التصوير» [الحيوان: ١٣١/٣، ١٣٢]

ودون أدنى قدر من المجازفة في الحكم.. لم يختلف أحدٌ من النقاد العرب مع
المحافظ في هذين الأصلين، أعني : عموم المعانى وسهولة إيجادها وشيوخ ملكيتها،
(والمقصود بالطبع ما سميناه بالمعانى الاجتماعية) واعتبار الصياغة اللغوية الفنية
هي محور المزية ومناط أدبية الأدب وشعرية الشعر. وإذا كانت المعانى (الاجتماعية)
عند المحافظ معروفة للعجمى والعربى والبدوى والقروى، فقد زاد أبو هلال ت ٣٩٥
هـ إلى هؤلاء: السوقى والنبطى والزنجى [الصناعتين ٢٠٢] ومن قبل قرر السيرافى أن
المعانى «لا تكون يونانية ولا هندية كما لا تكون فارسية ولا عربية ولا تركية»
[الإرشاد لياقوت ٢٠٥/٨].

وهذا يعني - بعبارة الآمدى ت ٣٧١ هـ - أنها موجودة. «في كلّ أمة وفي كلّ
لغة» [الموازنة ٤٢٣/١] أو هي - بعبارة ابن رشيق ت ٤٥٦ هـ - «موجودة في طباع
الناس... جارية في عاداتهم ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم» [العدة ١٢٧/١،
٢٨١/٢] أو هي «موجودة عند كل واحد، وفي طوع كلّ فكر منها ما يشاء ويرضى»

كما ذهب ابن خلدون ت ٨٠٨ هـ [المقدمة ص ٥٧٧].

أما اعتبار الصياغة اللفظية الخاصة هي محور المزية ومناط الأدبية والشعرية فحسبنا تأكيداً لما أعلنه المحافظ كلماتُ الأمدِي وأبي هلال وابن رشيق: أما الأمدِي فيطالعنا بأن الشعر عند أهل العلم به ليس «إلا حُسن التائَّتِي وقرب المأخذ واختيار الكلام ووضع الألفاظ في مواضعها» [الوازنَة ٤٢٣/١] وأن البلاغة «إنما هي إصابة المعنى وإدراك الفرض بألفاظ سهلة عنده مستعملة» [الوازنَة ٤٢٤/١] وأن «حُسن التأليف وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بها وحسناً ورونقًا حتى كأنه أحدث فيه غرابة لم تكنْ وزياً لم تعهد» [الوازنَة ٤٢٥/١].

وأما العسكري فقد صرَّح بـ«أن أعظم مدار البلاغة على تحسين اللفظ» [الصناعتين ٢٠١]. ويقول : «ومن الدليل على أن مدار البلاغة على تحسين اللفظ أن الخطب الرائعة والأشعار الرائقة ما عملت لإفهام المعانى فقط لأن الردىء من الألفاظ يقوم مقام الجيد منها فى الإفهام، وإنما يدل حسنُ الكلام وإحكام صنته ورونق ألفاظه وجودة مطالعه وحسن مقاطعه وبديع مباديه وغريب مبانيه على فضل قائله وفهم من شئه، وأكثر هذه الأوصاف ترجع إلى اللفظ دون المعانى» [الصناعتين ص ٦٤].

وجاء في العمدة أن «أكثر الناس على تفضيل اللفظ على المعنى» وينقل ابن رشيق عن بعض العلماء قوله: «اللفظ أغلى من المعنى ثمناً وأعظم قيمة وأعز مطلبًا» كما ينقل عن عبد الكريم النهشلي قوله: «الكلام الجزل أغنى عن المعانى اللطيفة من المعانى اللطيفة عن الكلام الجزل» [العمدة ١٢٧/١].

هكذا ينحصر محور المزية في الصياغة اللفظية الخاصة، بها يتميز الأدب عن غير الأدب، وبها يتميز أدب عن أدب وأديب عن أديب، وهي نتيجة ترتبت عليها خروج عنصر المعنى من ساحة القيمة ومن النقاش حوله، لا باعتباره مكوناً أدبياً وإنما باعتباره معطى اجتماعياً لا دور للأديب في إيجاده، ولا فضل للنص من حيث هو أدب في الاشتغال عليه، أو على قبيلٍ منه دون آخر.

هذه النظرة إلى المعنى ألغته من الخضوع لسلطة الناقد، أو - على الأقل -

أعفته من الخضوع لسلطته الفنية، انطلاقاً من النظر إليه - بمعايير الصناعة - على أنه المادة التي يُجري فيها الأديب عمله، ويحدث فيها صورة المصنوع، ولما كان الحكم على عمل الصانع في مادته وما أحدث فيها من شكل وصورة خارجاً عن الحكم على المادة ذاتها، كانت المعانى كذلك خارجةً عن نطاق النظر الفنى للناقد، فهو إما أن يتتجاوز عن الوقوف عليها، أو يقف عليها من منظور اجتماعى خارج عن مجال الفن. [انظر: نقد الشعر لقدامة ١٩ - ٢٢].

وانطلاقاً من هذا المبدأ أعفى المعنى من أن يُسأل عن جوهره أو مادته - كمحتوى - أي أعفى من النظر الأخلاقي ، وصرح قدامة ت ٣٣٧ هـ فيما يشبه القانون بأن «فاحشة المعنى في نفسه [ليست] مما يزيل جودة الشعر فيه» وأن «على الشاعر إذا شرع في أي معنى كان من الرفعة والضمة ، والرقة والتزاهة، والبذخ والقناعة ، والمدح ، وغير ذلك من المعانى الحميدة أو النميمة .. أن يتلوخى الملوغ من التجويد في ذلك إلى الغاية المطلوبة» [نقد الشعر ٤ ، ٥].

كذلك أعفى المعنى من الحكم عليه بالنظر إلى تاريخه : أي من حيث هو جديد مبتكر أو قديم مبتذل، وتم الفصل بين الجدة والمحودة، فلا ينبغي وصف معنى بالمحودة لمجرد أنه جديد، ولا بالرّاءة لمجرد أنه مُعاد ، ذلك ما يوضحه قدامة: «لأن المعنى المستجاد إنما يكون مستجاداً إذا كان في ذاته حيداً، فاما أن يقال له حيد إذا كان قاله شاعر من غير أن يكون تقدمه من قال مثله فهذا غير مستقيم... والذى عُندى في هذا السَّابِقُ أن الوصف فيه لاحق بالشاعر المتدرج بالمعنى الذي لم يُسبق إليه لا إلى الشعر، إذ كانت المعانى مما لا يجعل القبيح منها حسناً سبقُ السابق إلى استخارتها، كما لا يجعل الحسن قبيحاً الغفلة عن الابتداء بها، وأحسب أنه اختلط على كثير من الناس وصف الشعر بوصف الشاعر، فلم يكادوا يفرقون بينهما» [نقد الشعر ١٤٩] وصرح أبو هلال بأن: «ابتكار المعنى والسبق إليه ليس هو فضيلة ترجع إلى المعنى، وإنما هو فضيلة ترجع إلى الذي ابتكره وسبق إليه، فالمعنى الجيد جيد وإن كان مسبوقاً إليه، والوسط وسط والرديء رديء وإن لم يكونا مسبوقاً إليهما» [الصناعتين ٢٠٣].

بهذه النتيجة - أعني الفصل بين جدة المعنى وجودته، أو - في المقابل - بين تكراره ورداً عنه، ثم جعل المدار على جودة الصياغة وإبراز المعنى المأخذ في كسوة أفضل.. تجبيء فرصة الأديب لينتفع بمعانٍ سابقٍ طالما كان ملتزماً بإخراج هذه المعانٍ في كسوة جديدة، وتجبيء - في نفس الوقت - فرصة الناقد لكي يصنف حالات الارتفاع بمعانٍ السابقين وطرائق التفنن في إخراجها في صور جديدة تستهدف المباعدة بينها وبين الصور التي كانت عليها.

لقد تحدث النقاد عن صور عديدة من إعادة إخراج المعانٍ القديمة تهدف جميعها إلى ما أطلقوا عليه (إخفاء الأخذ) وهو مرتبة تتحقق كلما أحسن الشاعر - أو الأديب عموماً - التأثرى للمعنى المأخذ، متوصلاً إلى ذلك بإحدى الطرائق التي تُبَعِّدُهُ من صورته القديمة، وتثبت في الوقت نفسه أحقيَّةَ الأخذ به لقاءً ما تعب في إعادة صوغه وتحسين معرضه.

في هذا السياق تحدث النقاد عن العديد من صور التصرف في المعنى المأخذ، منها إبرازه في كسوة أحسن من كسوته الأولى، ومنها قلب المعنى أو عكسه، ومنها إيراده في لفظ أوْجِزَ ما كان، أو أطول وأكثر تفصيلاً ما كان، ومنها تبيين المعنى وكشفه إن كان غامضاً، وتوليد معنى من معنى، ونقل المعنى من غرض إلى غرض آخر، ومنها ما أطلقوا عليه اسم (الالتقاط والتلفيق)، وهو عبارة عن تركيب البيت الواحد من أجزاء متعددة مأخوذة من عدة أبيات سابقة.. وهكذا^(*).

(*) من الصعب إيراد مواضع الحديث في هذه الصور، ولكنها واردة في إطار حديثهم عن السرقات في الكتب التي عنيت بها مثل: (عيار الشعر) لابن طباطبا و (حلية المحاضرة) للحاتمي و (الوساطة) للقاضي الجرجاني و (الصناعتين) للعسكري و (النصف) لابن وكيع و (العمدة) لابن رشيق وغيرها.

- ٦ -

غير أن اللافت في حديثهم عن الوسائل المختلفة التي يتم بها أخذ معانى السابقين، هو علو تقديرهم لها كلما ازداد تباعد الصورة الجديدة عن الصورة القديمة التي كان عليها المعنى من قبل. من هنا كان احتفاؤهم على نحو واضح بهذه الوسيلة التي يضطلع كتابُ (الوشى المرقوم) ببحث أحد شطريها ، وأعني عملية الانتقال بالمعنى بين قالب فنى وآخر، أو - بعبارة أوضح - بين الشعر وخلاف الشعر من فنون النثر، وهو ما أطلقوا عليه العديد من الأسماء مثل: نشر النظم، حل العقد، حل المنظوم، نقض الشعر، حل الشعر.. إلخ، وقد فعلوا الشىء نفسه مع الصورة المقابلة، فقالوا: نظم النثر، نظم المحلول وعقد المحلول.. إلخ.

وقد اتّخذ البحث في هذه الوسيلة مسارين مختلفين، وإن بقيت الرؤية الكامنة خلفهما واحدة.

المسار الأول جاء في ثنايا المؤلفات العامة في النقد والبلاغة من خلال الحديث في ظاهرة السرقات.

المسار الثاني جاء عبر الكتب المتخصصة التي تحضرت بكمالها للحديث في هذه الوسيلة.

- ٧ -

أما عن المسار الأول، وهو تناول الظاهرة من خلال كتب البلاغة والنقد، فيبدو أنه المسار الأقدم، فيصادفنا ما يروى عن العتّابي، الشاعر العباسى واسمه كثيرون بن عمرو ت ٢٢٢ هـ من أنه سُئل: «بِمَ قَدِرْتَ عَلَى الْبَلَاغَةِ؟ فَقَالَ: بِحَلِّ مَعْقُودِ الْكَلَامِ» [عيار الشعر ٧٨].

ويظهر أن هذه الصورة كانت محل قبول منذ وقت مبكر بدليل تصريح العتّابي، ويدليل ما ذكره ابن الجراح عن الشاعر أبي عبد الرحمن المعروف بالفقير من أنه «كان يأخذ شعره من الأخبار التي يرويها» [الورقة ١٤، ١٥] وما نقله بعضهم عن «رُزْنِ العروضي من أنه أخذ معنى له في بعض شعره من كلام منتشر» [الورقة ٣٩].

ولا يلتبث ابن طباطبا أن يعقد الصلة بين أخذ المعنى من النشر والسرقة الحسنة، فالأخذ لمعانى سابقيه «إن وجد المعنى اللطيف فى المنشور من الكلام أو فى الخطب والرسائل فتناوله وجعله شعراً كان أخفى وأحسن» وقد شبّه هذا العمل بعمل الصائغ الذى يذيب الذهب والفضة المصوّجين فيبعد صياغتهما بأحسن مما كانا عليه، ثم قال : إن «الشعر رسائل معقودة، والرسائل شعر محلول» [عيار الشعر ٧٨].

ويفتح الحاتمى - ضمن فصله فى السرقات - بابا فى (نظم المنشور) ويقول إن : «من الشعراً المطبوعين طائفة تخفى السُّرُق وتلبسه اعتماداً على منشور الكلام دون منظمه، واستراقاً للألفاظ الموجزة والفقر الشريفة والمواعظ الواقعية، والخطب البارعة» [حلية المحاضرة ٩٢/٢].

وصرح العسكري بأن «أحد أسباب إخفاء السُّرُق أن يأخذ الأديب معنى من نظم فيورده في نشر، أو من نشر فيورده في نظم» [الصناعتين ٤٢٠] ورأى أن هذه العملية - أي الانتقال بين النثر والنظم - أصعب من الانتقال بين فن نشري وآخر، كالانتقال بين الرسائل والخطب، «فالرسالة تُحمل خطبة، والخطبة تُحمل رسالة في أيسر كلفة، ولا يتهمأ مثل ذلك في الشعر من سرعة قلبه وإحالته إلى الرسائل إلا بكلفة، وكذلك الرسالة والخطبة لا يُحملان شعراً إلا بمثقة» [الصناعتين ٤١٤].

ذلك نفسه ما ذهب إليه القاضى المجرجاني ت ٣٩٢ هـ ، وعنه أن «الشاعر الحاذق إذا علق المعنى المختلس عدل به عن نوعه وصنفه ، وعن وزنه ونظمه وعن روئه وقافيته» [الوسطة ٤٢٠].

ويبدو أن حديثه هنا منصب على الانتقال فى إطار الشعر بين الأوزان والقوافى المختلفة ، ولكنه يلتفت فى بعض الموضع إلى عملية أخذ المعانى من النشر وصوغها شعراً ، وإن كان أوضح الأمثلة عنده هي الأخذ من القرآن والحديث والحكم المؤثرة [الوسطة ٣٦٤، ٣٤٧، ٣١٠، ٣٧٨].

أما ابن وكيع التنسى ت ٣٩٣ هـ فيكاد - فى بعض تصريحاته - يحصر فضيلة المتأخرین وميدان تفوقهم فى نظم المنشور، هذا على الرغم من قبوله لعشرة

أوجه أخرى من الأخذ المحمود «فأخذق شعرائنا من تخطى المنظوم إلى المنشور... وقد أبقى قائل الحكم المنشورة لسارقها من فضيلة النظم ما يزيد في رونق مائها وبهجة روائتها» [المصنف ص ٧].

وأكَد ابن رشيق في (العمدة) أن «أجل السرقات نظم النثر وحل الشعر»، وقال إن ما جرى هذا المجرى لم يكن على سارقه جناح عند الحذاق [العمدة ٢٩٣/٢ . ٢٩٤] . من هنا كان تصريحه في (القراضة) بأن «السرقة المغتفرة نظم المنشور» [قرابة الذهب ٤٧].

ويفتح أَسامة بن منقذ ت ٥٨٤ ه باباً خاصاً للحل والعقد، ويقول : «إن الحل والعقد... مما يتفضل فيه الشعرا والكتاب ، وهو أن يأخذ لفظاً منشوراً فينظمه ، أو شعراً فينشره» [البديع في نقد الشعر ٢٥٩].

ويشارك ابن الأثير في هذا المسار - مسار تناول الظاهرة من خلال كتب البلاغة والنقد - بحديثه عنها في أشهر كتبه وهو (المثل السائر) وحديثه فيه يتنادي مع حديثه في (الوشى المرقوم) ، يقول: «لقد مارست الكتابة فما وجدت أعنون الأشياء عليها إلا حل آيات القرآن الكريم والأخبار النبوية وحل الآيات الشعرية» [المثل السائر ١/٧٧].

أما القاضي التنوخي (ق ٧) فقد أدخل حل المنظوم ونظم المنشور ضمن (السلخ) أحد أقسام السرقات عنده، وقد وصف بعض صوره بأنها « من باب البيان والقدرة على التأليف» [الأقصى القريب ١٠٨].

ولا شك أن فتح أَسامة - ضمن (بديعه) - باباً للحل والعقد كان إيذاناً بانتقال هذا المبحث إلى علم البديع عند المؤلفين اللاحقين، وهذا ما حدث فعلاً، مع استقلال كلّ منها بباب خاص عند البعض كابن أبي الإصبع [تحرير التحبير ٤٣٩، ٤٤١] ، والخطيب القزويني [الإيضاح ٤٢٣، ٤٢٥] وبنائهم ضمن باب واحد عند البعض كما هو الحال عند الطبيبي في (التبیان) الذي يسلك باب (العقد والحل) ضمن المحسنات البديعية الراجعة إلى اللفظ والمعنى.

وقد وصل الاعتزاز بالتحول بين شكل النظم والنشر إلى حدّ حديث بعض

البعيدين المتأخرین عما يسمی (العقد بعد الحلّ) [طراز الحلّ ١٥٦] وهو عقد المحلول من المنظوم، وهى صورة من التکلف موازية لما كان يجرى في بقية فنون التأليف، خاصة فن البديع.

وكما نرى يتفاوت اهتمام أولئك البلاغيين بين الحديث عن التحويل من غير الشعر إلى الشعر، والعكس.

- ٨ -

أما المسار الآخر الذي اتخذه النظر في الظاهرة، فهو الذي نجده في الكتب المتخصصة التي تحضّت بكمالها للحديث عنها.

وتحدثنا كتب الترافق عن كتاب (النشر الموصول بالنظم) وقد نسبه صاحب (الفهرست) إلى كل من أبي الحسن على بن وصيف، وإلى ابنه أحمد بن على بن وصيف [الفهرست ١٥٤، ١٥٥] بينما نسبه ياقوت إلى ابنه، أبي الحسين أحمد بن على بن وصيف ت ٣٧٠ هـ [معجم الأدباء].

وبالمثل ذكر كل من النديم وباقوت كتاب (نشر المنظوم) ونسبه كلاهما للأمدي ت ٣٧١ هـ [الفهرست ١٧٢، ومعجم الأدباء ٢/٨٥١] كما ذكر النديم (كتاب الحلّ والعقد) ونسبه إلى الإخميسي عثمان بن سويد، من إخمي، قرية من قرى مصر [الفهرست ٤٢٤].

لكن أيا من هذه الكتب ليس بين أيدينا، وبالتالي لا نستطيع القطع بمحفوبياتها، اللهم إلا اعتماداً على عناوينها، وبينما يلف الغموض عنوان الكتاب الأول (النشر الموصول بالنظم) يدل عنوان كتاب الأمدي على اتجاهه، وهو وجود عملية من تحويل المنظوم إلى منثور، وإن بقيت طبيعة المنظوم غامضة. أما كتاب (الحلّ والعقد) المنسوب إلى الإخميسي فربما اشتمل على عمليات من التحويل في الاتجاهين من التحرير إلى النظم، والعكس من النظم إلى التحرير. ومع ذلك يظل ما قلناه ضريراً من المغامرة التي لا سند لها سوى عناوين هذه الكتب.

من الناحية العملية ليس لدينا سوى كتابين، أولهما (نشر النظم وحلّ العقد)

للشعالبي ت ٤٢٩ هـ ، والأخر هو (الوشى المرقوم فى حل المنظوم) لضياء الدين بن الأثير ت ٦٣٧ هـ. كلا الكتابين يدلّ - بعنوانه ومادته - على الجهة التي يجري التحويل إليها ، وهي جهة النشر - أو ما ليس بشعر - يدل على هذا ، في كتاب الشعالبي ، كلمتا (نشر) و(حل) ، وكذلك كلمة (حل) في عنوان كتاب ابن الأثير ، لن نتوسيع في الحديث عن كتاب الشعالبي ، حسبنا القول : إن (النظم) أو (العقد) عنده - وهو معنى (المنظوم) و(المعقود) - يتجهان من واقع مادة الكتاب - إلى الشعر ، وأن عملية النشر أو الحلّ عنده تجري على النصوص الشعرية لا غير.

- ٩ -

أما كتاب ابن الأثير فإن المتصفح لمادته يجدها موزعة على ثلاثة أقسام هي: حلّ الشعر ، وحلّ آيات القرآن الكريم ، وحل الحديث النبوى الشريف.

و هنا ينطلق السؤال عن معنى (المنظوم) ، أو - إذا شئنا الدقة - عن معنى (النظم) وما إذا كان يمكن أن يكون مشتملا على كلّ من القرآن والحديث ، على الأقل في مفهوم ابن الأثير ، خاصة أنه تحدث في (المثل السائر) - بعقب أنواع الثقافة التي أوجب على الكاتب أن يحصلها مطلقا عليها اسم (أدوات الاجتهد) - ذاكراً أن رأس هذه الأدوات «وعمودها وذروة سهامها ثلاثة أشياء هي: حفظ القرآن الكريم ، والإكثار من حفظ الأخبار النبوية ، والأشعار» [المثل السائر ٧٨/١ - وقارن ما جاء في مقدمة (الوشى)]. لقد أعقب ذلك حديثه عن (حل الأبيات الشعرية) [المثل ٧٨/١] أو (نشر الشعر وكيفية نشره) [المثل ٨٤/١] ثم (حل آيات القرآن العزيز) [المثل ١١٥/١] و(الأخبار النبوية) التي هي «كالقرآن العزيز في حلّ معانيها» [المثل ١٢٧/١]. المادة التي تقبل (الحل) - إذا - عند ابن الأثير ثلاثة أنواع: الشعر ، القرآن ، الحديث. وهذا - كماسبق القول - من شأنه إبراد السؤال عن معنى (المنظوم) ، أو (النظم) عنده ، وهو سؤال تكشف إجابته - في رأينا - لا عن معنى مصطلح (النظم) عنده فحسب ، بل أيضا عن سبب اختياره له ، ثم عن سبب تجاوزه كلمة (النشر) وإشاره إليها كلمة (الحل).

يتكون عنوان كتاب ابن الأثير من فاصلتين سجعيتين، أولاهما (الوشى المقوم) وهى فاصلة لا دور لها على الحقيقة سوى تحقيق السجع مع الفاصلة الأخرى التى هي محور العنوان (في حلّ المنظوم)، هذه الفاصلة الأخيرة التى تحتوى على مركب إضافى، المضاف فيه هو الكلمة (حل)، أما الكلمة الأخرى (المنظوم) فهي المضاف إليه المحول عن المفعول.. إذ المعنى: الحل الذى يجرى على المنظوم، أو يحدث للمنظوم فيحوله عن حالة (النظم) إلى حالة أخرى يطلق عليها أكثر من اسم، ففى البداية أطلقوا عليها اسم (الكلام) وجعلوا منه مقابلاً للشعر، ثم جاء وقت أطلقوا عليه اسم نوعه: الخطبة، الرسالة، أو الخطب والرسائل... وعندما عادوا إلى مصطلح موحد، ولتحولات معينة، أطلقوا عليه غالباً اسم (النثر) ليصبح المقابل الغالب له هو (النظم).

تحولات كثيرة عبر طرق متشعبة ومعقدة، ولكن دعنا الآن ننظر في مصطلح ابن الأثير (حلّ المنظوم)، وهو كما قلنا يتكون من كلمتين، أولاهما اسم للعملية التي يجريها الأديب ، وبفعلها يتم (تخليق) نوع أدبي. من النوع المقابل الذي تعبّر عنه الكلمة الأخرى (المنظوم). فالحلّ، ومعناه في اللغة : النقض، والإذابة، [وحل العقدة نقضها فانحلّت، وكل جامدٍ أذيب فقد حلّ (القاموس)] أما في الاصطلاح فالحلّ هو: نثر المنظوم، والعقد هو نظم المنشور [الكلمات لأبي البقاء ٦٤١].

هذا هو التعريف المتوارد على الذهن والمتواتر في استعمال البلاغيين والقاد، ولكن نؤثر الابتعاد - ولو مؤقتا - عن كلمة النشر، لقول: إن (الحل) هو العملية التي تجري في (المنظوم) ليصير محلولاً، أو - بعبارة متحفظة - يصير غير منظوم. إذا تبعنا المصطلح المستعمل قبل ابن الأثير - وحتى عصره - تتبعاً على وجه التقرير وجدنا الصورة على النحو الآتى (مع أدنى تصرف في صوغ المصطلح):

<u>المصطلح المستخدم</u>	<u>اسم الأديب أو الناقد</u>
حلُّ (العقد)*	العتابي (الشاعر كلثوم بن عمرو العتابي) ت ٢٢٢ هـ
حلُّ (الشعر)	إبراهيم بن العباس الصولي ت ٢٤٣ هـ
(حلُّ) الشعر	ابن طباطبا ت ٣٢٢ هـ
حلُّ النظم	أبو هلال العسكري ت ٣٩٥ هـ
الشعر نقض وروى :	
نشر النظم	الطالبي ت ٤٢٩ هـ
حلُّ العقد	
حلُّ الشعر	ابن رشيق ت ٤٥٦ هـ
حلُّ العقد	أسامة بن منقذ ت ٥٨٤ هـ
نشر الشعر	
حلُّ الشعر	ابن أبي الإصبع ٦٥٤ هـ

وكما نرى فإنه من بين أحد عشر زوجاً من المصطلحات الدالة على التحويل من الشعر إلى غيره لم يرد المصطلح الذي استخدمه ابن الأثير في هيئته التركيبية (حلُّ النظم) سوى مرة واحدة عند العسكري، أما عن اللفظين اللذين يتكونُ منهما المصطلح المركب، أقصد الكلمة المعَبَّرة عن عملية التحويل (حلُّ) والكلمة المعَبَّرة عن المادة التي يجري فيها التحويل (النظم)، فإن نسبة تواترهما كالتالي :

<u>عدد مرات ورودها</u>	<u>الكلمة المعَبَّرة عن عملية التحويل</u>
وردت ثمانى مرات	الحلُّ
وردت مرتين	النشر
وردت مرة واحدة	النقض

(*) الكلمات التي بين قوسين هي التي تصرف في صيغتها وليس في مادتها.

<u>الكلمة المعّبرة عن النوع الذي يجرى فيه التحويل</u>	<u>عدد مرات ورودها</u>
---	------------------------

وردت ست مرات	الشعر
وردت ثلاث مرات	العقد
وردت مرة واحدة	النظم
وردت مرة واحدة *	المنظوم

حاصل هذه العملية أنه بالنسبة للكلمة الأولى الدالة على عملية التحويل.. استعمل ابن الأثير أكثر الكلمات وروداً وهي كلمة (الخل)، أما بالنسبة للكلمة الثانية الدالة على النوع الذي يجري فيه التحويل فقد استعمل أقل الكلمات وروداً وهي (المنظوم) التي جاءت بهذه الصيغة مرة واحدة، وجاءت بصيغة المصدر (النظم) مرة واحدة أيضاً. وحتى في حالة اعتبارهما مادة واحدة وردت مررتين فسوف تظل نسبة ورودهما هي الأقل بالنسبة لبقية الكلمات.

من السهل أن نفهم عزوف ابن الأثير في الكلمة الدالة على عملية التحويل عن مصطلح (النقض)، فالنقض من معانيه الإفساد. بعد الإحكام، ونقض البناء هدمه، ونقض الحبل أو الغزل: حل طاقاته، ونقض ما أبرمه فلان بطله؛ الإفساد والإبطال هما المعنيان المسيطران في مادة (نقض) ولا دلالة على الإبقاء عند النقض على صور مقبولة من أي نوع.

لكن المثير إلى حد كبير هو تجاوزه عن مصطلح (النثر) وهو المصطلح الذي يتواجد دائماً مع مصطلح النظم أو المنظوم عندما تذكر عملية التحويل من أحدهما إلى الآخر.

هذا عن الكلمة المعّبرة عن عملية التحويل، حيث تجاوز ابن الأثير كلاً من الكلمة (النقض) وكلمة (النثر)، أما بالنسبة للكلمة الدالة على النوع الذي يجري عليه التحويل، فإن استخدامه لكلمة المنظوم لا يشير - في ذاته - إلى قدر من التساؤل،
 (*) يمكن عد (النظم) و(المنظوم) مادة واحدة وردت مررتين.

طالما أن الحديث عن عملية من (الحل)، و(الحل) لا يجري إلا في عقد أو معقود، أو شعر أو نظم أو منظوم.

لكن الموقف يختلف بمجرد النظر في الكتاب الذي يحمل عنوانه على الاعتقاد بأن عملية الحل فيه متوجهة إلى الشعر ومقصورة عليه، خاصة بالنظر إلى مفهوم المصطلح عند العسكري (حل المنظوم) والذي نرجح تأثير ابن الأثير به، وكذلك عند الشعالي في كتابه الذي يحمل عنواناً مزدوجاً (نشر النظم وحل العقد) والذي يُعد السلف المهم لكتاب ابن الأثير، والذي ينصب على حل الشعر دون غيره. إذ لا نلبي أن ندرك أن المادة التي يجري فيها (الحل) في كتاب ابن الأثير متعددة ومتعددة، إذ تشمل - كما سبق القول - كلا من القرآن والحديث النبوى والشعر .

- ١١ -

هنا نعود إلى السؤال عن اختيار ابن الأثير لمصطلح (المنظوم) من بين مصطلحات ثلاثة هي - بترتيب تواترها - الشعر، العقد، النظم، ومع ذلك فقد اختار (النظم) الذي هو أقلها استعمالاً في مجال التحويل بين نوعي الأدب الكبيرين: الشعر وما ليس بشعر.

وفي تصورى أن اختياره لهذا المصطلح واستبعاد كل من مصطلحى الشعر والعقد يكشف فى ضوء مادة كتابه عن خبرة عميقه وثقافة واسعة، وفك منطقى سديد.. ذلك أن مفهوم (الشعر) فى اصطلاح النقاد العرب هو الكلام الموزون المقفى، والوزن والقافية فاصلتان أساسيتان تباعدان منه ما ليس موزونا ولا مقفى، وبالتالي فإن استخدام مصطلح الشعر - لو حدث - كان من شأنه إخراج كل من القرآن والحديث النبوى من المادة التي يجري عليها الحل.

أما مصطلح (العقد) فقد ارتبط هو الآخر بهاتين الفاصلتين - الوزن والقافية، ففضلاً على استعماله كمرادف للشعر في مجموعة المصطلحات المشار إليها ، نجد ارتباطه - أعني (العقد) - منذ وقت مبكر بخاصتي الوزن والقافية، فنجد ارتباطه بالقافية عند ابن سلام ت ٢٣١ هـ في حديثه عن الشعر الموضوع الغث الذي رواه محمد بن إسحاق في السيرة النبوية، يقول ابن سلام: « وليس بشعر، إنما هو كلام

مؤلف معقود بقوافٍ» [الطبقات ٨/١] كما نجد ارتباطه بكل من الوزن والقافية معًا على لسان يحيى بن على المنجم ت ٣٠٠ هـ الذي قال «ليس كل من عقد وزنا بقافية فقد قال شعراً» [الموشح ٥٤٧] وحوالى عصر ابن الأثير عرفه ابن أبي الإصبع ت ٦٥٤ هـ بأنه «ضد الحال، لأن عقد النثر شعراً» [تحرير التعبير ٤٤١]، العقد هو الآخر مثل الشعر لا بد فيه من الوزن والقافية، (بصرف النظر عن مستوى الشعرية في الكلام المعقود) وبالتالي لم يكن لينطبق على المادة التي جعلها ابن الأثير موضوعاً للتحلّ.

- ١٢ -

هكذا يُستبعد (الشعر) و(العقد) فلم يكن بمقدور صاحب (الوشى المرقوم) أن يجعله في (حل الشعر) أو (فى حل العقد) أو المعقود، ولو فعل لزالت الاتساق بين العنوان ومادة الكتاب التي تشتمل على القرآن والحديث، وهذا ما لا يستطيع أحد تصنيفهما تحت الشعر أو تحت المعقود من الكلام..

لم يبق إذاً إلا النظم، وإلا اسم المفعول من فعله (المنظوم). وإذا كنا قد فهمنا السبب وراء استبعاده كلاً من مصطلحى (الشعر) و(العقد) فإن علينا أن نتبين السبب في اختيار مصطلح (المنظوم).

و قبل الدخول إلى استعراض مفهوم (النظم) - أو مفاهيمه - علينا أن نتذكر أن هذا المصطلح، مع عدد من مصطلحات الشعر الأخرى - كالقافية والوزن - تعاورها في البدايات أكثر من معنى، لقد أطلقنا (القافية) على فواصل السجع، كما أطلق (الوزن) على تساوى الجمل في غير الشعر، هذا ما يصادفنا في حديث أورده الجاحظ لعبد الصمد بن الفضل الرقاشى، وقد وصفه الجاحظ بأنه «المخطيب القاصِ السجَّاع» [البيان ١١٩/١].

لقد سئل : «لِمَ تؤثِّر السجعَ على المنشور؟ وتُلزِّم نفسك القوافي وإقامته الوزن؟ قال: إن كلامي لو كنت لا آمل فيه إلا سماع الشاهد.. لقل خلافى عليك، ولكنى

أريد الغائب والماضي والراهن والغابر، فالحفظ إليه أسرع، والأذان لسماعه أنشط؛ وهو أحق بالتقدير وبقلة التفلت، وما تكلمت به العرب من جيد المنشور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يُحفظ من المنشور عشرة ولا ضاع من الموزون عشرة» وتكشف بقية حديث الرقاشي عن أن مراده بالوزن إنما هو تساوى فقرات السجع، وبالقولى : المحافظة على ماثل فواصله [البيان ٢٨٧/١].

وجاء في (الإمتناع والمؤانسة) على لسان أبي سليمان المنطقى ت ٣٧٢ هـ أن «العبارة تترکب بين وزن هو النظم للشعر، وبين وزن هو سياقة الحديث» [الإمتناع والمؤانسة للتوجيى ١٣٨/٢].

هذا التعدد في مدلولات المصطلح الواحد مما لاحظنا وقوعه بالنسبة لـ (القافية) وبالنسبة لـ (الوزن) نجده على نحو أوسع في مصطلح (النظم) ولا شك في أن أشهر معانيه هو استعماله مرادفا للشعر، والسياقات التي ورد فيها بهذا المعنى أكثر من أن تحصى وأشهر من أن يمثل لها، خاصة ما يجيء فيها مقابلًا لمصطلح النثر الذي يدل حينئذ على كل ما ليس بشعر من أنواع الأدب.

وهناك معنى ثان للنظم تطلق فيه الكلمة ويراد بها الكلام المشتمل على الوزن والقافية مع خلو العبارة من خصائص اللغة الشعرية من التصوير والتخييل وغير ذلك. نجد هذا عند الأصمى ت ٢١٣ هـ في تصريحه بأن «الشعر ما قلل لفظه وسهل ذوقه معناه ولطفه، والذي إذا سمعته ظنت أنك تناوله، فإذا حاولت وجده بعيداً، وما عدا ذلك فهو كلام منظوم» [نضرة الإغريض ص ١٠].

وحكى أبو زكريا التبريزى ت ٥٠٢ هـ قال : «كنت أسأل المعرى [ت ٤٤٩ هـ] عن شعر أقرؤه عليه فيقول لي : هذا نظم ، فإذا مرّ به بيت جيد قال: يا أبو زكريا هذا هو الشعر» [نضرة الإغريض ص ١١، ١٢].

أما ابن خلدون ت ٨٠٨ هـ فيشترط في تعريفه للشعر جريانه على الأساليب المخصوصة به، ويقول إن هذا «فصل له عما لم يجر منه على أساليب العرب المعروفة، فإنه حينئذ لا يكون شعراً، وإنما هو كلام منظوم» [مقدمة ابن خلدون ٥٠٧].

النظم بهذا المعنى يأخذ من الشعر إطاره الشكلي من الوزن والقافية، ولكنه يفقد حلاوة العبارة وروعتها وجمال التصوير وجاذبية التخييل.

أما المعنى الثالث للنظم ، أو للكلام المنظوم فهو ما يمكن استخراجه من كلام الراغب الأصفهانى ت ٥٠٢ هـ في حديثه عن مراتب تأليف الكلام، وهي عنده خمس مراتب : «الأولى : ضم الحروف المبسوطة بعضها إلى بعض لتحصل الكلمات الثلاث: الاسم والفعل والحرف.

والثانية : تأليف هذه الكلمات بعضها إلى بعض لتحصل الجمل المفيدة، وهو النوع الذى يتداوله الناس جمِيعاً فى مخاطباتهم وقضاء حوائجهم، ويقال له: المنشور من الكلام..

والثالثة : ضم بعض ذلك إلى بعض ضمماً له مبادٍ ومقاطع ومداخل ومخارج، ويقال له: المنظوم.

والرابعة : أن يجعل له فى أواخر الكلام مع ذلك تسجع ويقال له : المسجع.

والخامسة : أن يجعل له مع ذلك وزن مخصوص، ويقال له: الشعر.

والمنظوم إما محاورة ويقال له: خطابة، وإما مكاتبة ويقال له : الرسالة، فأنواع الكلام لا تخرج عن هذه الأقسام، ولكل من ذلك نظم مخصوص » [نقل عن الإتقان للسيوطى ١١/٤].

- ١٣ -

فلنسجل الآن أن الراغب يجعل كل مستوى من هذه المستويات الأربع الأخيرة - على الأقل - قسمًا: المنشور والمنظوم والمسجع والشعر، ويقول: إن لكل منها نظاماً مخصوصاً. لكن أحد هذه الأقسام يحمل اسم (المنظوم)، وهو قابل لأن يدخله السجع فيقال له (المسجع)، وقابل لأن يضاف إليه قيد الوزن فيستحق اسم الشعر. النظم - إذا - قد يكون في غير الشعر كما قد يكون في الشعر. ومن قبل جمَع الماجistr في الحديث عن الشعر بين (النظم) و(الوزن) فقال في معرض الحديث عن

صعوبة ترجمة الشعر: إن الشعر - متى ترجم «قطع نظمه وبطل وزنه» [الحيوان ٧٥/١] ومر بنا قول القاضي الجرجاني «إن الشاعر الحاذق إذا علق المعنى المختلس
عدلَ به عن نوعه وصنفه وعن وزنه ونظمه» [الوساطة ٢٠٤] أما أبو هلال فقد تحدث
عن (أصناف المنظومات) وقال في معرض تفضيل الشعر: «وليس شيء من أصناف
المنظومات يبلغ في قوة اللفظ منزلة الشعر» [الصناعتين ١٤٣] ثم صرَّح بعد ذلك
بـ(أجناس المنظوم) فقال إنها «ثلاثة: الرسائل والخطب والشعر» [الصناعتين ١٦٧].

صفة النظم - مرة أخرى - موجودة في الكلام مع وزن الشعر ويدون وزن الشعر،
بدليل أحاديثهم عن أصناف المنظومات وأجناس المنظوم، وبالتالي فالمنظم شعرٌ وغير
شعر، والمعروف أن المباحث قد تحدث عن نظم القرآن وجعل هذا النظم المخصوص
إحدى جهات إعجازه [مقالة العثمانية - ضمن رسائل المباحث ٤/٣١] وقد تابعه
على ذلك كثيرون منهم البارلاني وعبد القاهر، وقد توسيع الأخير في توضيح معالم
النظم وتعريفه وبيان كونه الجهة التي كان منها القرآن معجزاً..

مرة أخرى النظم يطلق على الشعر وعلى غير الشعر من الكلام البلية، وبالتالي
فالمنظم قد يكون شعرًا وقد يكون كلامًا بلغًا غير الشعر.. وهذا - في تقديرنا -
هو المعنى الذي تحمله الكلمة (المنظم) في عنوان كتاب ابن الأثير.. نعم لقد أستبعد
- كما قلنا - استعمال مصطلح (الشعر) واستعمال مصطلح (العقد) أو (المعقود)
لانحصر المصطلحين في الشعر بتفاصيليه الشهيرتين: الوزن والقافية، وفضل
مصطلح (المنظم) بدلاته التي تشمل كلا من الشعر وغير الشعر من الكلام البلية،
ليتاح له إدخال نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف ضمن ما تجري عليه عملية
الحل. وبذلك يختلف معنى (المنظم) عند ابن الأثير عنه عند العسكري وعند
الشاعري اللذين اتجهوا بالمصطلح إلى معنى الشعر لا غير.

وهنا - بالتوافق - يتتأكد توفيق ابن الأثير في اختيار مصطلح (الحل) دون
(النشر) اسمًا للعملية التي تجري في النص المنظم، إذ لم يكن من الصواب أن
يسمى كتابه (الوشى المرقوم في [نشر] المنظم) وذلك في ضوء ما عرفناه من أن من

المنظوم عنده ما ليس شرعاً مما قد يطلق عليه البعض اسم (النشر)، وبالتالي فإن جعل الكتاب في (نشر المنظوم) يعني في جزء معناه: نشر المنشور، وهو يدخل في عداد الإحالة.

بذلك تتأكد لنا دقة ابن الأثير وثقوب فكره حين اختار لشطرى العنوان في كتابه كلمة (الحل) أسماء للعملية التي يجريها الأخذ، وكلمة (المنظوم) أسماء للمادة التي يجري فيها الأخذ والحل.

- ١٤ -

ذلك هو كتاب (الوشى المرقوم فى حلّ المنظوم) الذى خطه قلم جمع صاحبه بين موهبة الإنشاء وعقلية المنظر، فاستطاع أن يؤيد الفكرة النظرية بالمثال التطبيقي، فجاء الكتاب من هذه الجهة كتاباً تعليمياً ذا طابع عملى، أما على المستوى النظري فإن الكتاب قد خوطب في عباب مبحث السرقات، وبالذات ما عرف بالسرقات الحسنة أو الأخذ المحمود، متقطعاً مع نظرية الأدب، لقد سمح المتحدثون في السرقات بأن يأخذوا اللاحق معانى السابق، وقرر أصحاب النظرية الأدبية أن الخاصة النوعية الفارقة للأدب لاما سواه هي خاصة الصياغة الفنية، والتقت الفكريتان على تمكين اللاحق من إثبات موهبته واختبار قدرته على الإبداع والإضافة من خلال الصياغة الجديدة المفارقة للصياغة التي كان عليها المعنى من قبل، وجاء حلّ المنظوم ونظم المحلول أكثر طرق المباعدة بين الصورة القديمة والصورة الجديدة للمعنى المأخذ، فكان اهتمام أصحاب البحث في السرقات بهذه الطريقة، وكان تخصيص كتب كاملة للحديث عنها.

وعند هذه النقطة يقع كتاب ابن الأثير، الذي تصدى - كما يقول عنوانه - لـ (حلّ المنظوم) لكنه - كما سبق أن ذكرنا - وسع في معنى المنظوم ليشمل - إلى جانب الشعر كلًا من نصوص القرآن ونصوص الحديث النبوى، ولم يصدر ذلك منه على نحو عشوائى، وإنما جاء ذلك بالتوافق مع عناصر الثقافة الأدبية التي أشار

على الأديب بتحصيلها، وهي حفظ الشعر والقرآن الكريم والحديث النبوى الشريف، فكان عليه - تتمةً للفائدة، ووفاء بدوره - أن يرسم كيفية التعامل معها والإفادة منها، مفيداً في الوقت ذاته من بعض سابقيه الذين نعتقد أن من بينهم الشعالي، كما نقطع بأن منهم أبا هلال العسكري الذى يلوح أثراً عند ابن الأثير فى التصاعد بقيمة المحلول من الشعر بقدر الابتعاد عن الأصل الذى جرت فيه عملية التحويل . وليس من خطة هذا التقديم عرض فصول الكتاب ولا استعراض أمثلة لسلك مؤلفه فيه، فإن الكتاب كفيل - من هذه الناحية - بتقديم نفسه، حسبى أن أقول للقارئ: إنه أمام كتاب مؤلف جدير بالثقة، فى طبعة محققة قريبة من الكمال، تصدر لأول مرة فى مصر من خلال سلسلة (الذخائر).

عبد الحكيم راضى

محقق الكتاب

- * يحيى عبد العظيم حسانين .
- * ولد في ٢٧/٧/١٩٦٦ بمحافظة القليوبية.
- * تخرج في كلية دار العلوم - جامعة القاهرة ١٩٨٩ .
- * اجتاز السنة التمهيدية للماجستير ١٩٩٩ .
- * حصل على درجة الماجستير في الآداب من نفس الكلية ٢٠٠٣ .
- * عضو جمعية العقاد الأدبية.
- * عضو رابطة الأدب الحديث.
- * عضو نقابة الصحفيين.
- * عمل في عدد من الصحف المصرية، وأشرف في بعضها على الصفحة الثقافية.
- * حالياً يعمل بمؤسسة أخبار اليوم.
- * نُشر له بالصحف المصرية والعربية عدد من القصائد والدراسات.

* له تحت الطبع :

- ديوان زفرات.

- ديوان قبلة.

- كتاب : الشعر العربي .. الفن والقضية.

شكر وتقدير

أتقدم بجزيل شكري وعميق تقديرى إلى أستاذى الأجل الشاعر الكبير الدكتور عبد اللطيف عبد الحليم « أبو همام » ، على عظيم رعايته وإشرافه على فى هذه الرسالة ، ولعلنى أكون عند حسن ظنه بي ، وثقته فى .

كذلك أتوجه بخالص مودتى إلى أستاذى الأجل العالم البحر الفهامة الدكتور محمد أبو الأنوار على تشجيعه المستمر ، وحسن استقباله تلاميذه ، ونصحه الدائم لنا جميعاً وتعريتنا بأهمية البحث العلمى .

وأقدم خالص شكري وعظيم امتنانى إلى الأستاذ الدكتور جودة أمين الأستاذ بدار العلوم والأستاذ الدكتور عبد الرحمن الوصيفى اللذين تحملوا مشقة قراءة هذا الكتاب وهو فى طور رسالة الماجستير ، وإلى العالم العلامة الأستاذ الدكتور حسين نصار ، والأستاذ الدكتور إبراهيم الدسوقي جاد الرب لما وجدته لديهما من حرص على خروج هذا الكتاب على الوجه الأكمل خلوا من العيوب والنقص .
كماأشكر جميع أساتذتى فى دار العلوم ؛ فمن علمتني حرفاً صرت له عبداً .

بمحى عبد العظيم

إهداء

إلى زمن الشعر الجميل
 إلى أبوئ الكريمين متعهما الله بالصحة والعافية
 والمتغانية في حبها ؛ شمعتى المضيئه زوجتى الغالية
 وقرة عينى ، أبنائى العالمين بمستقبل مشرق :
 ابنتى : جهاد وريم ، ولدئ : بدر الدين وشمس الدين

مجدى عبد العظيم
 « أبو جهاد »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدَّمةٌ

﴿ إِنَّ الْأَمْرَ مِنْ قَبْلِنَا وَمِنْ بَعْدِنَا وَيَوْمَئِذٍ يَقْرَأُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [الروم / ٤]

صدق الله العظيم

هذا الكتاب الذي بين أيديكم لم يكن في حسباني أنه سيكون موضوعاً أثار به درجة الماجستير ؟ فقد سبقه عناء البحث عن موضوعات آخر ، وذلك بعنابة ورعاية شيخي وأستاذى الشاعر الدكتور العالم الأجل عبد اللطيف عبد الحليم « أبو همام ». لقد بدأت طريقي في البحث عن مخطوط يكون موضوعاً لرسالتي ، أمندني صديقى العزيز محمد عبد السميم الصحفى بالأخبار بنسخة من فهرس المخطوطات المصورة الموجودة بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية ، والعديد من الكتب من مكتبة الزاخرة . وبعد الاطلاع على ما فيه ، وانتقاء بعض الموضوعات التي صادفت هوى لدى ؟ وجدت بين يدي موضوعات كثيرة ، قام أستاذى الأجل بحر المعرفة الدكتور الطاهر أحمد مكي بتقسيمها إلى موضوعات تم بالفعل تحقيقها ، وأخرى لم تتحقق بعد فله مني جزيل الشكر .

رجوت الدكتور مكي أن يرتتها لي حسب أهميتها ، الأهم فالمهم . وقد كان ترتيب « الوشى المرقوم » متاخراً . وقمت بالبحث عن أحد هذه الموضوعات كما رتبها لي الدكتور مكي ، ولكن - لأمر أراده الله ، ولا راد لقضائه - لم يحاللفنى التوفيق في العثور على أيٍ من المخطوطات الأولى التي بحثت عنها سواء في دار الكتب والوثائق المصرية ، أو في معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية . وبعد عناء البحث تذكرت أنه لم يتبق بين يدي سوى مخطوطة لكتاب « الوشى

المرقوم في حل المنظوم «لضياء الدين بن الأثير»، وتذكرت أن الدكتور الطاهر قال عباره مفادها : إن أبناء الأثير كلهم يستحقون ، معقبا بكلمته التي لا تخرج إلا من القلب : « يا ولدى » .

عدت أدراجى ثانية إلى دار الكتب والوثائق المصرية باحثا عن هذه المخطوطة ، وقد وجدت منها عدة نسخ . يأتي في مقدمتها النسخة المخطوطة الموجودة بالمكتبة التيمورية رحم الله صاحبها على ما قدمه خدمة للعلم والعلماء . كذلك فقد وجدت نسخة أخرى في مكتبة مصطفى فاضل ، وأخرى مطبوعة على الحجر سنة ١٨٨٠م . وقد أشارت فهارس معهد المخطوطات إلى وجود نسختين آخريتين به ، وهما نسخة مصورة من مكتبة نور عثمانية بتركيا ، والأخرى مصورة من مكتبة كتبخانه ملي طهران الإيرانية .

لقد قيس الله هذا الكتاب لى ؛ كى أقوم بتحقيقه . وكان هذا من فضل الله على ؛ إذ وجدت بالنشرة الأولى ١٨٨٠م - رغم ما بذله ناشرها من عناء ، ويكفيه أن له قصب السبق في نشرها - ألوانا من التصحيف والتحريف بالإضافة إلى الكثير من الخروج التي كشفها تعدد النسخ المخطوطة عندي . وزاد الأمر سوءا ما وجدته من أخطاء في نشرة المترجم الدكتور جميل سعيد - على قرب عهدها وعهد صاحبها بنا - رغم وجود المخطوطات الكفيلة بإعادة الأمور إلى نصابها الصحيح بين يديه . وللحقيقة آدنى هذا الأمر أيما أود ، فقد قمت بعقد المقابلات بين النسخ المخطوطة الموجودة عندي ، ثم عقدت مقابلات آخر بين هذه النسخ ، ونشرة الدكتور جميل سعيد . وتلا ذلك أمر في غاية الصعوبة ، وهو البحث عن أخطاء هذه النشرة وحصرها دون أن أتجنى على صاحبها ، أو أبخسه حقه . وقبل ذلك عانيت أشد المعاناة في الوصول لنسخة مطبوعة من هذه النشرة ؛ حسبما أشار بذلك الدكتور عبد اللطيف حتى أقرر إن كنت سأستمر في تحقيق هذا الكتاب أولا

ولاقيت صعوبات أخر في الترجمة لابن الأثير ، وذلك حينما وجدت الكثير من الأخطاء فيها بدءا بما وجدته في ترجمة ابن حلكان له في وفياته ، وانتهاء بترجمة الدكتور عرفة حلمي عباس في أطروحته للدكتوراه التي تقدم بها إلى كلية الآداب جامعة القاهرة والموجودة بمكتبتها المركزية . وقد استدعى هذا الأمر ، توثيق أخبار

ابن الأثير وتصححها ؛ وأن أعيد قراءة كتب التاريخ بوعى ، وقد ألجمتني هذا إلى استبطان واستقراء النصوص التاريخية خاصة الفترة الزمنية الممتدة بين عام ٥٧٩ هـ وعام ٥٨٧ هـ وهى الفترة التي حدث فيها الخطأ الفادح ، لمعرفة متى اتصل ضياء الدين بن الأثير بالسلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب .

وقد كان لنشرة الدكتور سعيد الفضل فى تعريفى أن نسخة مخطوطة أخرى تقع فى مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام ، وقد وافاني بمصورة منها الأستاذ الفاضل مرزوق على إبراهيم ، فله منى جزيل الشكر .

وفى مرحلة أخرى أجهدتني مناقشة الخلط الذى وقع فى أمر هروبه من دمشق سنة ٥٩٢ هـ وسرقة أموالها ، وخروجه من مصر مع الأفضل أو خلفه - ومن خلال كتب التاريخ أيضا - ؛ والوصول إلى نتيجة أخرى ، وهى أن الملك العادل اتخذ كتابا من كتابه ، ولخوفه من بطيشه آثر أن يلحق بالأفضل على أن يظل بمصر هاتنا بنعيمها .

وقد بنيت هذا العمل - بعد المقدمة والتمهيد - على قسمين : دراسة وتحقيق كالتالى :

القسم الأول : الدراسة

- الفصل الأول : حياة ابن الأثير :

- فى جزيرة ابن عمر من سنة ٥٥٨ إلى ٥٧٩ هـ .
- فى الموصل من ٥٧٩ إلى ٥٨٢ هـ .
- فى دمشق من ٥٨٢ إلى ٥٩٢ هـ .
- فى الموصل من ٥٩٢ إلى ٥٩٥ هـ .
- بين دمشق ومصر من ٥٩٥ إلى ٥٩٧ هـ .
- فى البلاد الشرقية (الرقة وحران وسميساط) من ٥٩٧ إلى ٦٠٨ هـ .
- العودة إلى الموصل من ٦٠٨ هـ .
- تلاميذه .
- وفاته .

- الفصل الثاني : ابن الأثير والوشى المرقوم :
- مقاييس ابن الأثير النقدية من الوشى المرقوم .
- الشر والنظم .
- موروث ابن الأثير القافى من خلال الوشى المرقوم .
- الاعتداد بالذات .
- أهمية الكتاب .
- الفصل الثالث : نسخ الكتاب
الوشى المرقوم مخطوطا
- وصف النسخ المخطوطة .
- نشرة المرحوم الدكتور جميل سعيد .
- توثيق الكتاب .
- منهج التحقيق .

القسم الثاني : كتاب الوشى المرقوم

وقد حملت أمانة هذا العمل ابتغاء مرضاعة الله ، فإن كان قد حالفنى التوفيق
بفضل من الله وممئنه ، وإن جانبني الصواب فمن نفسي .

﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ عَنِ الْأَمْرِ﴾ [الشورى / ٥٣]
صدق الله العظيم

مُهِمَّةٌ

أدب الكاتب

الأدب لغة « الذي يتأدب به الأديب من الناس ؛ سمي أديباً لأنه يأدب الناس إلى المحاميد ، وينهاهم عن المقايب . وأصل الأدب الدعاء » ، ولم يتوقف ابن منظور عند حدود هذا التعريف ؟ إنما تعداده إلى القول : إن كلمة الأدب يأتى من بين معانيها : « أدب النفس والدرس . والأدب : الظرف وحسن التأويل . و أدب ، بالضم ، فهو أديب ، من قوم أدباء . و أدبه فتاوٍ : علمه »^(١)

وقد اتخذت هذه الكلمة معنى « الخلق المهذب ، والطبع القوي ، والمعاملة الكريمة للناس »^(٢) . لكنها اتخذت معنى آخر على عهد رسول الله ﷺ ، وهو معنى التقييف^(٣) ، واستمر هذا المعنى سائدا ؛ إضافة إلى تطور آخر ، وهو التأديب ، حتى اشتقت من هذه اللفظة كلمة « المؤدب » ، وهي تعنى أولئك القائمين « بأمور التعليم على النحو المعروف أيام بنى أمية ، وهو التعليم بطريق الرواية للشعر والأخبار وما يتصل بالعصر الجاهلي ، وصارت كلمة « الأدب تدل منذ العصر الأموي على هذا النوع من الثقافة »^(٤)

ومع اتساع معنى الكلمة الأدب ليشمل الشعر والأنساب والأخبار وأيام الناس وعلوم اللغة ؛ أخذ كل واحد من هذه العلوم طريقه للاستقلال ، ليصبح علما قائما بذاته ؛ إلى أن « شهد القرن الثالث الهجري تحديداً لمعنى الأدب »^(٥) ، حتى صار

(١) لسان العرب في (أدب) .

(٢) أنسى النقد الأدبي عند العرب / ١٣ ، د. أحمد أحمد بدوى ، ط ١ ، سنة ١٩٥٨ ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة .

(٣) السابق الصفحة نفسها .

(٤) السابق الصفحة نفسها .

(٥) السابق / ١٤

من البداهة معرفة أن الأدب هو كلام العرب من « منظوم ومتور »^(١) . وأضحت علم الأدب « عند أهل اللسان ثمرة وهى الإجادة فى فن المنظوم والمتور على أساليب العرب ومناheim »^(٢) . مع الأخذ فى الاعتبار ؛ الخلط بين الأدب والتأدب الذى وقع فيه ابن خلدون ؛ حيث إن الإجادة فى فن المنظوم والمتور ليست ثمرة الأدب ، ولكنها ثمرة التأدب ودراسة الأدب^(٣)

ولأن الشر العربى ، وما يمكن أن نسميه أدب الكاتب هو من مهم موضوعنا فى هذه الدراسة الخاصة بكتاب « الوشى المرقوم فى حل المنظوم » ، وعليه يدور موضوعه ؛ لذلك يعُد كتاب « الوشى المرقوم » إحدى حلقات الأدب العربى التى خصصها أدباؤها الأجلاء فى موضوع عظيم الأهمية ؛ هو أدب الكاتب الذى « يقيم المعيار لفكرة الأدب فى أحسن صوره »^(٤) . يستوى فى ذلك ما كان مرتبطة بالكاتب نفسه ، أو ما يحتاج إليه الكاتب من أدوات وآلات يمارس بها هذه العملية . ويمكن القول : إن أول من تناول هذه القضية ؛ هو ابن قتيبة الدينورى فى كتابه « أدب الكاتب » ، وحتى بعد ابن الأثير لم تتوقف الكتابة فى هذا الموضوع ؛ فتجد بعده شهاب الدين محمود الحلبي صاحب كتاب « حسن التسل إلى صناعة الترسل » ، والقلقشندى الذى فصل القول فى هذه الصناعة فى « صبح الأعشى فى صناعة الإنسا » .

لقد عرفت العربية الكتاب على عهد رسول الله ﷺ ، فإن « علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان كانوا يكتبان الوحي ، فإن غابا كتبه أبوئبي بن كعب وزيد بن ثابت ... »^(٥) . كذلك فقد اتخد خلفاء رسول الله ، ومن بعدهم بنو أمية ، وبنو العباس كتابا لهم ، يديرون أمور دولتهم ، ويكتبون عنهم إلى الولاية .

(١) العمدة لابن رشيق ١ / ١٩ ، تحقيق : محمد محى الدين عبد الحميد ، ط ٥ هـ ١٤٠١ - ١٩٨١ م ، دار الجيل بيروت - لبنان . والأدب وفتنه / ٢٤ ، د. محمد متاور .

(٢) مقدمة ابن خلدون / ٥٥٣ ، ط ٥ ، دار القلم - بيروت ، ١٩٨٤ م .

(٣) أساس النقد الأدبي عند العرب / ١٥

(٤) حضارة الإسلام ، جوستاف إ. فون جرونيباوم ص ٣٢١ .

(٥) كتاب الوزراء والكتاب للجهشيارى / ١٢ ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإيادى عبد الحفيظ شلبي ، ط ٢ ، هـ ١٤٠١ - ١٩٨٠ م ، مصطفى البابى الحلبي وأولاده .

ولأهمية الكتابة والكتاب في دواوين الملوك ؛ فقد اعتبر كتاب العربية العظماء هذه المهنة صناعة لابد لمن يمتهنها أن يتقنها ، وأن يكون حاذقا بها . فهذا عبد الحميد الكاتب - كاتب مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية - يخاطب الكتاب قائلا : « حفظكم الله يا أهل هذه الصناعة ، وحافظكم ووقفكم وأرشدكم ، فإن الله جل وعز جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين ، صلوات الله عليهم أجمعين ، ومن بعد الملوك المكرمين سوقا - أى أصنافا - ، وصرّفهم في صنوف الصناعات التي سبب منها معاشهم ، فجعلكم عشر الكتاب في أشرفها صناعة »^(١)

إذن فكلمة « الكتابة » إذا ذكرها الذاكرون ؛ لم تكن تعنى شيئا آخر سوى هذه المهنة التي يشغلها الكاتب في ديوان الرسائل ، أو على الأصوب ديوان الإنشاء « فالكتابة وإن كثرت أقسامها وتعددت أنواعها لا تخرج عن أصلين هما كتابة الإنسان وكتابة الأموال وما في معناهما . . . إلا أن العرف فيما تقدم من الزمان قد خص لفظ الكتابة بصناعة الإنشاء حتى كانت الكتابة إذا أطلقت لا يراد بها غير كتابة الإنسان والكاتب إذا أطلق لا يراد به غير كاتبها »^(٢)

إن كتاب العربية العظماء اتخذوا من تجربتهم في هذه الصناعة ثراسا يضيئون من خلاله الطريق لمن يريد أن يمتهنها ، ويفصلون القول في كيفية تعلم هذه الصناعة^(٣) . ومرجع ذلك هو أهميتها ، ولأن « كاتب الإنشاء هو الذي يمثل لكل عامل في تقليده ما يعتمد عليه ، ويتصف ما يرد منه ويصرفه بالأمر والنهي على ما يؤدى إلى استقامة ما علق به وهو حلية المملكة وزينتها لما يصدر عنه من البيان الذي يرفع قدرها ويعلى ذكرها ويعظم خطرها ويدل على فضل ملكها وهو المتصرف عن السلطان في الوعيد والترغيب والإحتماد والإذمام واقتضاب المعانى التي تقر الوالى على ولاته وطاعته وتعطف العدو العاصى عن عداوته ومعصيته »^(٤)

(١) السابق / ٧٤ . (٢) صبح الأعشى ١ / ٨٢ .

(٣) من الكتب التي تناولت تعليم الكتابة كصناعة : البيان والتبيين للجاحظ ، وأدب الكاتب لابن قتيبة الدينورى ، والصناعتين لأبي هلال العسكرى ، ونثر النظم وحل المقد للشعالى .

(٤) صبح الأعشى ١ / ٨٦ .

وقد أدرك ابن الأثير هذه الأهمية ، بما له من يد طولى في الترسل والكتابة ؛ ومن هنا فقد اختص المكتبة العربية بكتابين من مؤلفاته القيمة التي تتناول هذه القضية ، يأتي في مقدمتها كتابه الذي سبب نوعاً من أنواع المعارك الأدبية وهو «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر»^(١) ، و «الوشى المرقوم في حل المنظوم» الذي يؤكد ابن خلkan أنه كتاب «على وجاهته عظيم الإفادة» في تعلم الكتابة من خلال نماذج من بعض الرسائل ، وقطع أدبية أخرى ؛ اختارها ضياء الدين من مكاتباته عن الملوك ، أو إلى الملوك .

وفي غير موضع من كتابه «الوشى المرقوم» يؤكد ابن الأثير أنه «كتاب تعليم وتمثيل ، لا كتاب تكثير وتطويل وقد سبقه السابقون إلى تعليم من خلفهم الكتابة ، والتبيه إلى أدواتها ، مبينين مدى الخزي الذي يقع فيه الكاتب ؛ إذا هو قصر في معرفة أمر من الأمور متعلق بمهنة الكتابة ، ومنكراً كونهم كتاباً من الأصل . فما بالنا وقد استشرى هذا الأمر في الكتابة عموماً والكتابة الصحفية على وجه الخصوص » فإني رأيت كثيراً من كتاب أهل زماننا كسائر أهله قد استطابوا الدعة ، واستوطأوا مركب العجز ، وأغعوا أنفسهم من كُلِّ النظر ، وقلوبهم من تعب التفكير حين نالوا الدرك بغير سبب ، وبلغوا البغية بغير آلة ولعمري إن كان ذاك فأين همة النفس ! وأين الأنفة من مجانية البهائم ! وأى موقف أخزى لصاحب من موقف رجل من الكتاب اصطفاه بعض الخلفاء ل نفسه ، وارتضاه . فقرأ عليه يوماً كتاباً وفي الكتاب : «ومطراناً مطرناً كثُرَ عنْهِ الـكـلـاـ»^(٢) فقال له الخليفة ممتحنا له : وما الكلأ ؟ فردد في الجواب وتعثر لسانه ثم قال لا أدرى فقال سل عنه »

المعحزن في الأمر أن نجد «أكثر أهل زماننا هذا عن سبيل الأدب ناكبين ومن اسمه متظيرين ؛ ولأهلة كارهين أما الناشيء منهم فراغب عن التعليم ، والشادى تارك للازدياد والمتاذب في عنفوان الشباب ناسٍ أو مُتَنَاسِ ليدخل في جملة

(١) المثل السائر ١ / ٩١ وما بعدها .

(٢) أدب الكاتب / ٦ و ٧ .

المجدودين ، ويخرج عن جملة المحدودين فالعلماء مغمورون وبِكَرَةِ الجهل مقموعون ، حين خوى نجم الخير ، وكسدت سوق البر بِضائِعِ أهله ، وصار العلم عاراً على صاحبه ، والفضل نقصاً ، وأموال الملوك وقفاً على شهوات النفوس ، والجاه الذي هو زكاة الشرف يباع بيعَ الْخَلْقِ ، وأضَتَ المروءاتُ فِي زخارفِ التَّجَدُّدِ وتشيدُ البُنيان ولذاتِ النفوس فِي اصطِفَاقِ المزاهِرِ وِمِعَاطَةِ النَّدْمَانِ »^(١) .

ولأن هذه الحال الفاسدة لم تكن مقصورة على الأزمان الغابرة التي - رغم هذه الأقوال - كانت فيها الكتابة زاهرة ، بل إن الكتابة أصبحت أسوأ حالاً من ذي قبل ؛ فإن الكتاب أخذوا على عواتقهم تبيين الأمور التي يجب عليهم معرفتها حتى يسلس لهم قياد الكتابة .

نجد ذلك واضحاً في رسالة عبد الحميد الكاتب إلى كتاب عصره ، مؤكداً أن « الكاتب يحتاج من نفسه ، ويحتاج منه صاحبه الذي يشّق به في مهمات أمره ، إلى أن يكون حليماً في موضع الحكم ، فقيها في موضع الحكم ، مقداماً في موضع الإقدام ، ومحجماً في موضع الإحجام ، ليناً في موضع اللين ، شديداً في موضع الشدة ... وبهيءٍ لكل امر اهبه ، فَتَأْفِسُوا مَغْسِرَ الْكُتُبِ فِي صُنُوفِ الْعِلْمِ وَالْأَدْبِ ، وَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَابْدَأُوا بِعِلْمِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَفَرَاتُهُنَّ ، ثُمَّ الْعَرَبِيةِ ... »^(٢)

ولأن ضياء الدين بن الأثير يجعل مهمة تعليم من بعده هذه الصناعة مقتنة بصحيح الدين ؛ فهو يدل هؤلاء المتعلمين على أفضل الطرق التي يجعلهم يجيدونها واصفاً لهم إياها ، ومحظراً لهم مسافات في سبيلها ، وهي حفظ القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية الشريفة ، ليس الصحيح منها فحسب ، « بل بِحِفْظِ الصَّحِيحِ ، وَغَيْرِ الصَّحِيحِ طَلَباً لِلإِسْكَنَارِ مِنَ الْمَعْانِي الَّتِي تَقْتَضِيهَا الْحَوَادِثُ الطَّارِئَةُ ، وَالْوَقَائِعُ الْمَتَجَدِّدَةُ » ، ثم يحفظ أشعار فحول الشعراء ، والأمثال السائرة .

(١) السابق / ١ و ٢ .

(٢) الوزراء والكتاب / ٧٤ و ٧٥ . وراجع أدب الكاتب لابن قتيبة / ٩ وما بعدها . والصناعتين لأبي هلال العسكري / ١٤٦ وما بعدها .

ويمكن القول إن علم الكاتب « لابد أن يكون ذا صبغة موسوعية »^(١) فيما يحتاج إليه من الأدوات التي يمكن أن يتخذها أساسا لصناعته ؛ ويختم ابن الأثير بقوله : « وقد دللتك أيها المترشح لهذه الصناعة على ما دللت عليه نفسى ، وهذا دأب ذوى الأديان ». .

(١) حضارة الإسلام / ٣٢١ .

الفصل الأول

ابن الأثير من المهد إلى اللحد

في جزيرة ابن عمر ٥٥٨ - ٥٧٩ هـ

« بلدة فوق الموصل ، بينهما ثلاثة أيام ، ولها رستاق مخصوص واسع الخيرات ، وأحسب أن أول من عمرها الحسن بن عمر بن خطاب التغلبي ، وكان له إمرة بالجزيرة وذكر قرابة سنة ٥٢٠ هـ . وهذه الجزيرة تحيط بها دجلة إلا من ناحية واحدة شبه الهلال ثم عمل هناك خندق أجرى فيه الماء ونصبب عليه رحمي فأحاط بها الماء من جميع جوانبها بهذا الخندق »^(١) . وتوصف بأنها « مدينة كبيرة حسنة محيط بها الوادي ؛ ولذلك سميت جزيرة .. وأكثرها خراب ، ولها سوق حسنة ومسجد عتيق مبني بالحجارة محكم العمل ، وسورها مبني بالحجارة أيضا ، وأهلها فضلاء لهم محبة في الغرباء »^(٢)

أكثر الناس يقولون إنها جزيرة ابن عمر لكن ابن خلkan « يعود فيؤكد أنه لا يدرى » من ابن عمر ؟ وقيل إنها منسوبة إلى يوسف بن عمر الثقفي أمير العراقيين ثم إنني ظفرت بالصواب في ذلك ؛ وهو أن رجلا من أهل بَرْزَقَيْدَ من أعمال الموصل بناها وهو عبد العزيز بن عمر ؛ فأضيفت إليه . ورأيت في بعض التواريخ أنها جزيرة ابنى عمر أوس وكامل ، ولا أدرى أيضا من هما . ثم رأيت في تاريخ ابن المستوفى في ترجمة أبي السعادات المبارك بن محمد أخي أبي الحسن المذكور أنه من جزيرة أوس وكامل ابنى عمر بن أوس التغلبى »^(٣)

يطل على هذه الجزيرة جبل الجودى وهو في الجانب الشرقي من دجلة من أعمال الموصل . ولهذه الطبيعة التي تمتلك بها الجزيرة سواء الخصب أو محبة الناس ؛ إضافة إلى كونها تطل على جبل ارتبط ذكره بنى الله نوح عليه السلام فقد

(١) معجم البلدان ١٣٨/٢

(٢) رحلة ابن بطوطة ١ / ٢٥٦

(٣) وفيات الأعيان ٣ / ٣٤٩ و ٣٥٠ .

أثر هذا في شخصية أبنائهما ، فكان للعلم والتفقه في أمور الدين والدنيا عندهم النصيب الأكبر حتى انتسب إليها جماعة كثيرة من أولى الفضل من العلماء^(١) .

من بين هؤلاء أبناء الأثير الثلاثة ؛ الذين يأتي في مقدمتهم « القاضي الرئيس العلامة البارع الأوحد البليغ مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ثم الموصلى الكاتب بن الأثير صاحب جامع الأصول وغريب الحديث . مولده بجزيرة ابن عمر سنة ٥٤٤ هـ . . . عاش ثلاثاً وستين سنة توفي في سنة ست وستمائة بالموصل »^(٢)

وثنائي الثلاثة أبناء الأثير المؤرخ الشيخ الإمام العلامة المحدث الأديب النسابة عز الدين أبو الحسن على بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري الشيباني ابن الشيخ الأثير أبي الكرم مصنف التاريخ الكبير الملقب بالكامل ومصنف كتاب معرفة الصحابة ، مولده بجزيرة ابن عمر في سنة خمسة وخمسين . . . قال القاضي سعد الدين الحرشى : توفي عز الدين في الخامس والعشرين من شعبان سنة ثلاثين وستمائة »^(٣) .

وثالث الثلاثة هو صاحبنا الذي ملا الدنيا ، وشغل الناس - على حد قول ابن رشيق في وصفه لأبي الطيب المتنبي - « أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ، المعروف بابن الأثير الجزري ،

(١) راجع معجم البلدان ٢ / ١٧٩

(٢) راجع السابق ٢ / ١٣٨

(٣) راجع سير أعلام النبلاء ٢١٤ / ٤٨٨ وما بعدها ، وراجع شذرات الذهب ٣ / ٢٢ و٢٣ ، وطبقات المحدثين ١ / ١٨٧ ، وأبجع العلوم ٣ / ١٢ ، والبداية والنهاية ١٣ / ٥٤ ، وطبقات الشافعية الكبرى ٣٦٦ / ٨ ، ووفيات الأعيان ٤ / ١٤١ ، والنجمون الزاهرون ٦ / ١٩٨ ، وطبقات المفسرين ١ / ٢١٢ ، والكامل ١٠ / ٣٥٠ ، وتكملة إكمال الإكمال ١ / ٥ و٦ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٢ / ٣٥٤ وما بعدها ، العبر في خبر من غير ٥ / ١٢٠ ، ووفيات الأعيان ٣ / ٣٤٨ ، وأبجع العلوم ٣ / ٩١ ، وشذرات الذهب ٣ / ١٣٧ ، والبداية والنهاية ١٣ / ١٣٩ ، وطبقات الشافعية ٢ / ٨٠ ، والنجمون الزاهرون ٦ / ٢٨١ ، وطبقات الحفاظ ١ / ٤٩٥ وتكملة إكمال الإكمال ١ / ٥ و٦ .

الملقب بضياء الدين ، وكانت ولادته بجزيرة ابنى عمر فى يوم الخميس العشرين من شعبان سنة ثمان وخمسين وخمسماة »^(١)

لقد صادفت جميع من عمد إلى ترجمته أزمه تمثل في قلة المصادر التي تناولت حياة ضياء الدين بن الأثير . كذلك فإن المصادر التي تحت أيدينا قد أغفلت ذكر أثير الدين أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الأب ، حتى أبناؤه لم يذكروا تاريخ مولده ؛ ولا تاريخ وفاته ؛ فلا خبر عنه إلا بعض الحكايات التي يحكىها عز الدين على صاحب « الكامل » عن العلاقة الحميمة التي كانت تربط بين والده أبي الكرم وبين جمال الدين الوزير^(٢)

ومن خلال حكايات عز الدين بن الأثير عن والده « يظهر لنا أنه كان أثيرا عند جمال الدين أبي جعفر محمد بن على بن أبي منصور الأصفهانى الملقب بالجوجاد ؛ وزير عماد الدين زنكي بن آقستقر ملك الموصل فى آخر عهده ... وقد توفي الجوجاد سنة ٥٥٩ هـ »^(٣)

وقد كان « من جملة أعمال جزيرة ابن عمر قرية تسمى العقيمة مقابل الجزيرة من الجانب الشرقي يفصل بينهما دجلة لها بساتين كثيرة ... وكان لنا بها عدة بساتين »^(٤)

نستنتج من حكايات عز الدين على عن والده أن درجة الوثوق به قد وصلت إلى أن جمال الدين وزير قطب الدين مودود أتابكة الموصل يكلفه بأن يقوم مقامه فى إطعام الفقراء ، وإخراج صدقاته نظرا لأنه فى مكان لا يعرف من يستحق فيه هذه الصدقة ؛ وبالتالي فإن هذه الثقة ستنتقل إلى الأتابكة قطب الدين إضافة إلى أمور أخرى يلمسها الأتابكة بنفسه ؛ تجعله يزيد ثقة فى هذا الرجل ، وبعد أن كان يتولى أثير الدين أعمال جزيرة ابن عمر يوليه الأتابكة الخزانة العامة للموصل

(١) وفيات الأعيان ٥/٣٩٨ ، وشذرارات الذهب ٣/١٨٧

(٢) راجع الكامل ٩/٤٧٢ و ٤٧٣ .

(٣) راجع الكامل فى حوادث سنة ٥٥٩ هـ ، والجامع الكبير فى صناعة المنظوم من الكلام . والمثار ص ٧ .

(٤) الروضتين فى أخبار الدولتين ٢ / ١٦٢ و ١٦٣

وندرك أن أثير الدين كان رجلا ثريا يحسن وزن الأمور وتقييمها فقد كان « رجلا عاقلا وقورا ، ذا مكانة في الدولة من آل زنكي أتابكة الموصل »^(١) . بل لقد بلغت « حكمة الرجل وسياسته ودهائه ، وجبه لأهله وعشيرته أنه استطاع التوفيق بين خدمة الأتابكة ومصلحة أهل بلدته ، وكان يجمع إلى هذا الحب لمواطنيه الإخلاص لرؤسائه وحسن الرأى والنصيحة والعفة وعدم التكالب على المال »^(٢)

لقد انتقل أثير الدين « بهذا المنصب الجديد إلى الموصل ، وظلت مكانته في قربى ووثوق بالأتابكة ، وكذلك أولاده من بعده حتى وثقوا بهذا البيت ، وصار أبناءه يخدمون بيت قطب الدين في ولاء ، وتولوا لهم الوزارة والكتابة . . . وبلغ من الجاه والمنصب ما تتوافق إليه النفوس ، كما بلغ من الثروة القدر الوفير الذي مكن له وأولاده أن يعيشوا في بحبوحة وخير وفير ، فكانت له ضياع ويساتين بيته وبالعقيقة مقابلها ، وكانت له تجارة تغدو وتروح بين الموصل والشام ومصر وتمخر البحر إلى أوروبا ، ويدرك عز الدين أن الفرنج نهبوها مرة سبع وستين وخمسينية باللاذقة ، وأخذوا مرتكبين مملوعين بالأمتعة »^(٣) .

لم تذكر المصادر تاريخ وفاة الأثير أبي الكرم ، وكما لم يورد ابنه عز الدين على ترجمة وافية له ؛ فإنه أيضا لم يذكر تاريخ وفاته ؛ ما جعل الدكتورين مصطفى جواد وجميل سعيد محققى كتاب الجامع الكبير يقولان : « ويفهم من خبر أورده ياقوت الحموي أن الأثير كان حيا في بعض عهد نور الدين أرسلان شاه الأول بن مسعود بن مودود بن زنكي بن آقسندر ٥٨٩ - ٦٠٧ هـ »^(٤) . لكن هناك رسالة في رسائل ضياء الدين تؤكد أن أباه كان حيا طوال عهد نور الدين الأول بن مسعود ؛ فقد كتب رسالة إلى أبيه يعزي فيها بوفاة أخيه الأكبر أبي السعادات المبارك بن الأثير . وتؤكد المصادر أن وفاة مجد الدين المبارك كانت في سنة ٦٠٦ هـ ، وعلى هذا تكون وفاة الأثير بعد وفاة ابنه الأكبر .

(١) ضياء الدين بن الأثير ، للدكتور زغلول سلام ص ٣٢ .

(٢) السابق ص ٣٣ .

(٣) السابق ص ٣٤ .

(٤) الجامع الكبير ص ٩ .

يصدر ضياء الدين رسالته بقوله : « كتاب كتبه عن نفسه إلى والده جواباً عن كتابه المخبر بوفاة أخيه رحمة الله ، وأرسله إليه من دمشق إلى الموصل . وصل كتاب مجلس المولى حرس الله من الحوادث جنابه ، وحفظ عليه أعزته وأحبابه وأجزل على هذه المصيبة ثوابه ، ولا لقى بعدها ما يسىء به ظنا ، ولا يقع سنا ، ولا يحمل به على الدهر ضغنا ، وجعل بقاءه عوضاً يأسو كُلَّ كَلْمٍ ، ويرأب كُلَّ ثَلْمٍ ، ويحل عقدة كُلَّ هَمٍ ؛ فوتفت عليه ، وألفيته مخبراً بوفاة الأخ فلان ... وما أصْنَع بالحياة وقد فقدت من كان قسيماًها ، وعدمت من كان جنتها ونعمتها ، وأصبحت بعده كمقْلَةٍ فارقتها إنسانها ، أو يَدِيَ بَأْنَاعَنْها بَنَائِهَا ... »^(١) :

* * *

(١) رسائل ابن الأثير نشرة القيسي - هلال ١ / ٨٥ و ٨٦ .

شيوخه

عاش ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن الأثير وسط أسرة طيبة الأعراق ، تضرب جذورها في صميم العروبة ، وتمتد إلى قبيلة بنى شيبان التي تعرف بتاريخها العظيم في الفتوح الإسلامية فخالطت العروبة دمه وكيانه ، وعايش حب أبيه وكرمه وجوده على أهل بلده خاصة عندما عمَّ الناس الغلاء والوباء في سنة ٥٧٤ هـ حتى إن هذا الكرم يبدو واضحاً في أفعال أبنائه^(١)

بيت اعتمد الجود والكرم وعايشهما ؛ أب فاضل يربى أبناءه على حب الخير والخلاص الطيبة إسلاماً وعروبة ، ويعمد إلى تنشئة أبنائه تنشئة صحيحة ، فيعمل على تعليمهم العلوم السائدة في هذا العصر بدءاً بحفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية والتفقه في علوم الدين ؛ ومروراً بحفظ الأشعار والأمثال ؛ واتهاء بالتبصر في التاريخ والأنساب

بيت كهذا ليس مستغرباً أن يخرج كل واحد من أبنائه إماماً في علم من العلوم ؛ فأبناء الأثير اختلف معهم المختلفون ، لكنهم انتفوا على أنهم فضلاء نجباء كل منهم نهاية في بابه ؛ فأبو السعادات نهاية في علوم الحديث ، وعز الدين على لا يختلف عليه أحد في أستاذيته في التاريخ ، أما صاحبنا فقد بلغ مبلغاً من التبحر في علوم البلاغة والأدب ، « ولم يترك شيئاً يتعلّق بفن الكتابة إلا ذكره »^(٢)

غير أن كل من ترجم لضياء الدين لم يذكر أحداً من شيوخه إلا عن طريق الاستنتاج أو التخيين . يقول محققاً كتاب الجامع الكبير في ترجمتهما له : « والظاهر لنا أن نصر الله بن الأثير درس علوم الأدب على أساتذة أخيه ثم عليهما ولاسيما المبارك الكاتب المحدث الأصولي »^(٣)

وفي ترجمة مختصرة جداً يقول أنيس المقدسي في مقدمة نشرته لرسائل ابن

(١) راجع الكامل ١٠ / ٩٢ .

(٢) شذرات الذهب ٣ / ١٨٩

(٣) الجامع الكبير ص ١٠

الأثير : « ولد ضياء الدين بن الأثير سنة ٥٥٨ هـ (١١٦٥ م) في جزيرة ابن عمر ... في هذه البلدة نشأ وترعرع ثم انتقل إلى الموصل »^(١)

أما الدكتور محمد زغلول سلام فيقول أولاً في كتابه ضياء الدين بن الأثير : « ولا نعرف كثيراً عن طفولته - أى ضياء الدين - ولا ما تلقى من العلوم ، وكل ما نعلم أنه ولد بجزيرة ابن عمر سنة ٥٥٨ هـ . وأغلب الظن أيام أن كان أبوه متولياً أعمال الجزيرة ؛ فتلقى دروسه الأولى كغيره من أطفال المسلمين والغرب في عصره ؛ فحفظ القرآن والحديث ، وتعلم شيئاً من اللغة والأدب والحساب ، وحفظ بعض الأحاديث والشعر القديم ، وقد ذكر أخوه عز الدين أنه كان يتربّد على المدرسة بجزيرة ابن عمر يسمع شيئاً من الحديث سنة ٥٧٤ هـ »^(٢)

ثم يعود فيذكر في كتابه الأدب في العصر الأيوبي أن ضياء الدين عاصر « أثناء تلقيه العلم بالموصل جماعة من الأدباء الكبار وعلماء اللغة مثل ابن الدهان يعني بن سعيد (المتوفى سنة ٦١٦ هـ) ، وعلى بن خليفة النحوي (المتوفى سنة ٥٦٣ هـ) - نلاحظ أن ضياء الدين لم ينتقل إلى الموصل إلا مع والده عام ٥٧٩ هـ - والشاعر محمد بن دانيال (المتوفى سنة ٦٠٨ هـ) ، وشيميم الحلبي (المتوفى سنة ٦٠١ هـ) »^(٣)

والدكتور جميل سعيد في ترجمته لابن الأثير في مقدمة نشرته لكتاب الوشى المرقوم يقول : « وتتفق ابن الأثير نصر الله في بيته بيت الفضل والجاه والعلم ، ثم انتقل إلى الموصل ، واكتملت معارفه الثقافية »^(٤)

وفي أسف وحزن يقول الدكتور نوري القيسي وهلال ناجي في ترجمته بمقدمة نشرتهم لرسائل ابن الأثير : « من المحزن أن عدداً من تراجم القدماء لصاحبنا - أى

(١) نشرة أنيس المقدسي ص ٩ ، بيروت ١٩٥٩

(٢) ضياء الدين بن الأثير ص ٣٥ .

(٣) الأدب في العصر الأيوبي ص ٢٢٢

(٤) الوشى المرقوم في حل المنظوم ، نشرة د . جميل سعيد ، ص ٥ ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .

ضياء الدين - قد ضاعت . ضاعت ترجمة ابن المستوفى له في تاريخ إربيل والتي أشار إليها ابن خلkan في وفيات ٥ / ٣٩٦ ، وضاعت ترجمة ياقوت الحموي له في معجم الأدباء في الضائع من الجزء السابع . وأجود ما وصلنا ترجمة ابن خلkan له في وفيات الأعيان ٥ / ٣٨٩ - ٣٩٧ ، وهي ترجمة تأثر بها كل من كتب بعده من القدماء والمحدثين .

لكن هذه الترجمة وسواها لم تحفظ لنا أسماء شيوخه وأساتذته ، ويغلب على ظتنا - بسبب تقارب سنها مع سن أخيه عز الدين على ، وعيشهما معاً في الموصل في كنف والدهما - أنه درس على أساتذة أخيه المذكور ، ومنهم : خطيب الموصل أبو الفضل الطوسي ، ويحيى الثقفي . وقد يكون درس على أخيه الأكبر المحدث الأصولي مجد الدين ^(١)

ويترجم الدكتور عرفة حلمى عباس لابن الأثير نصر الله قائلاً : «إذاً فقد اجتمع لأسرة ضياء الدين الأصل العربى الكريم والثراء والجاه ، وهى عوامل تدفع إلى التميز ، وتحض على النبوغ . وقد أوقف الوالد أبناءه على طريق العلم منذ نعومة أظافرهم فى جزيرة ابن عمر ، حيث تلقوا العلم فى مدرستها» ^(٢) . ويتابع الدكتور عرفة قائلاً : «ولم تصرح لنا المصادر عن الكثير من أخبار طفولته إلا ما يعُد قاسماً مشتركاً بينه وبين ناشئة زمانه ، فقد حفظ القرآن الكريم ، وكثيراً من الأحاديث النبوية ، وطرفاً صالحاً من النحو واللغة وعلم البيان ، وشائياً كثيراً من الشعر ؛ إلى غير ذلك من العلوم» ^(٣)

ويضيف : «ولم تحفظ لنا المصادر أسماء شيوخه وأساتذته غير أن مشاركته لأخيه عز الدين في الرحلة ، وتقاربهما في السن ؛ يكشف عن مشاركة في الشيوخ والأساتذة ، وكان في مقدمة هؤلاء أخيه الأكبر المحدث المشهور [مجد الدين] ،

(١) نشرة القيسى - هلال ص ٥ .

(٢) ضياء الدين بن الأثير : دراسة في تراثه الثرى . د. عرفة حلمى عباس ص ٣ ، رسالة دكتوراه مخطوطة ، المكتبة المركزية تحت رقم ٧٤٥٤ .

(٣) السابق ص ٣

و عماد الدين محمد بن يونس منه (ت ٦٠٨ هـ) الذي تخرج على يديه الكثير من العلماء ، وكان مقصد الفقهاء من كل البلاد ، وله مؤلفات عديدة في الفقه والأدب ، ومنهم كمال الدين بن يونس من منه (ت ٦٣٩ هـ) ، وكان عالماً في النحو والأدب والفلسفة والرياضيات والطب ^(١) . وغيرهم الكثير من زخرت بهم الموصل من آل الشهيرزوري ، وآل بلدجى ، وآل مهاجر ^(٢)

كذلك فقد أسقط غير أولئك كثيراً من ترجموا لابن الأثير هذه الفترة الباكرة من حياته إما دون ذكر لها ، وإما دون ذكر أساتذة . من هؤلاء ابن اليونيني في ذيل مرآة الزمان ، والسيوطى في بغية الوعاة ، وبطرس البستاني في دائرة المعارف ، وأحمد عطية الله في القاموس الإسلامي ، والدكتور عمر فروخ ، والدكتور شوقى ضيف ، ولم يذكر له ترجمة الدكتور أحمد أحمد بدوى رغم أنه اقتبس من كتاب الوشى المرقوم في حل المنظوم على لسان القاضى الفاضل ، أضف إلى هؤلاء كارل بروكلمان ^(٣)

(١) أصحاب الأسمين التحرير ، والصواب أن الأول هو : عماد الدين محمد بن يونس بن محمد بن منعة . راجع ترجمته في وفيات الأعيان ٤/٤٥٣ ، والغير في خبر من غير ٥/٢٩٣ . وسير أعلام النبلاء ٢١/٤٩٨ ، وشنرات الذهب ٣٤/٣ ، وطبقات الشافعية الكبرى ٨/١٠٩ . الثاني هو : كمال الدين أبو الفتح موسى بن محمد بن يونس بن منعة . راجع ترجمته في وفيات الأعيان ٥/٣١١ ، والغير ٥/١٦٢ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٨٥ ، وشنرات الذهب ٣/٢٠٦ ، وطبقات الشافعية الكبرى ٨/٣٧٨ ، والبداية والنهاية ١٣/١١١ ، وعيون الأنبياء في طبقات الأطباء ١/٤١٠ ، والتجمorum الزاهرة ٦/٣٤٢ .

(٢) ضياء الدين بن الأثير : دراسة في تراثه الشري ص ٤ .

(٣) ذيل مرآة الزمان من وقائع سنة ٦٥٤ هـ إلى سنة ٦٦٢ هـ ٦٤/٦ و ٦٥ . بغية الوعاة للسيوطى ٢/٣١٥ الترجمة رقم ٢٠٦٤ . دائرة المعارف : قاموس عام لكل فن ومطلب ، ص ٣٧١ تأليف المعلم بطرس البستاني ، دار المعرفة - بيروت - لبنان . القاموس الإسلامي ، وضع أحمد عطية الله ١/٢٤ . تاريخ الأدب العربى من مطلع القرن الخامس الهجرى إلى الفتح العثمانى ، د. عمر فروخ ٣/٥٣٥ - ٥٤١ ، دار العلم للملائين ط - ٥ أكتوبر ١٩٨٩ . عصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية - العراق - إيران) ص ٤٥٠ ، ط ٣ دار المعارف - القاهرة = ١٩٩٠ . الحياة الأدبية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام د. أحمد أحمد بدوى ط - ٢ ،

ورغم أن السابقين يؤكدون عدم الاستدلال على أساندة لابن الأثير ؛ فإننا نجد أن ابن الشعار^(١) يؤكد أنه «أخذ معرفة الحساب على الإمام أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن بن وهبان الأنصارى الجزري^(٢) . وجالس الشيخ أبو الحرم المكى بن ريان النحوى المقرئ الماكسى بالموصل^(٣) »

= دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة ، القاهرة ١٩٧٩ . تاريخ الأدب العربى كارل بروكلمان ، نقله إلى العربية د. رمضان عبد التواب وراجع الترجمة د. السيد يعقوب بكر ٥ / ٢٧١ - ٢٧٤ ، ط - ٣ دار المعارف - القاهرة ١٩٨٣

(١) ملحقات وفيات الأعيان ٧ / ٣٣٥ الترجمة رقم ٧٦٢ .

(٢) يقول عز الدين بن الأثير : « وفيها في صفر ٥٨٥ توفي شيخنا أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن وهبان المعروف بابن أفضل الزمان بمحكمه وكان رحمة الله عالماً متبحراً في علوم كثيرة خلاف فقهه مذهب والأصوليين والحساب والفرائض والتنجوم والهيئة والمنطق وغير ذلك وختم أعماله بالزهد وليس الخشن وأقام بمكتبة حرسها الله تعالى مجاوراً تفوق بها وكان من أحسن الناس صحبة وخلفاء^١ . الكامل ١٠ / ١٩٠ ، راجع البداية والنهاية ٣٣٤ / ١٢ ، وكشف الظنون ٢ / ١٣٢٣

(٣) الماكسى أو الماكسينى العلامة إمام العربية صانن الدين أبو الحرم مكى بن ريان بن شبة بن صالح الماكسينى ثم الموصلى المقرئ الضرير عمى وله ثمانى سنين ٠٠٠ وتقديم فى الأدب تخرج به علماء الموصل ٠٠٠ وكان مع براعته فى القراءات واللهجة يدرى الفقه والحساب وأشياء كان أحد الأذكياء روى عنه القووصى وضياء الدين وابن أخيه الفخر على ٠٠٠ وتوفى بالموصل ستة ثلاث وست مئة وقد ناهز السبعين . سير أعلام النبلاء ٤٢٦ ، ٤٢٥ / ٢١ ، راجع البداية والنهاية ٤٦ / ١٣ ، وشذرات الذهب ١١ / ٣ ، وفيات الأعيان ٥ / ٢٧٨ وما بعدها ، والغير فى خبر من غير ٨ / ٥ ، الكامل ١٠ / ٣٣١ .

في الموصل ٥٧٩ - ٥٨٢ هـ

وثق الأتابكة بأثير الدين أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني متولى أعمال جزيرة ابن عمر ؛ فأسندوا إليه مهمة جديدة تتلامع وهذه الثقة التي منحوه إياها ، نظراً لما يتمتع به من حكمة وكياسة ودهاء وحسن تدبير . تمثلت المهمة الجديدة في تولية أثير الدين شتون الخزانة العامة للأتابكة بالموصل .

كان يسير الحكم بأنحاء الأتابكية مجاهد الدين قايماز الريني^(١) الذي انتقل إلى الموصل متخدّاً إياها دار إقامة ، ساكناً قلعتها سنة ٥٧١ هـ . ومع المنصب الجديد الذي خوّل أثير الدين شتون الخزانة العامة للأتابكية كان لابدّ أن تنتقل الأسرة إلى مدينة الموصل . « وانقل - ضياء الدين - مع والده إلى الموصل في رجب سنة تسع وسبعين وخمسماة ». ^(٢)

وكان انتقال الصاحب ضياء الدين إلى الموصل وقد بلغ من العمر واحداً وعشرين عاماً ، في مرحلة تميز بفورة الشباب والرجلة .. يقول ابن خلكان « وبها اشتغل وحصل العلوم وحفظ كتاب الله الكريم وكثيراً من الأحاديث النبوية وطرفاً صالحاً من النحو واللغة وعلم البيان وشبيهاً كثيراً من الأشعار ». ^(٣)

وهذا الكلام فيه من مجافاة الحقيقة الواقع الكثير ، لأن المدة التي مكث فيها ابن الأثير في الموصل لا تصل إلى ثلاثة سنوات تقريباً ؛ فكيف يحصل في هذه المدة البسيطة كل تلك العلوم ؟ ! .

(١) مجاهد الدين قايماز الريني أبو منصور قايماز بن عبد الله الريني الملقب مجاهد الدين الخادم كان عتيق زين الدين على بن يكتين مظفر الدين صاحب إربيل ... كان يحب الأدب والشعر وكان أبوه السعادات بن الأثير الجزري كاتباً ومنتسباً إلى الملوك وكان قد مات الأثارك سيف الدين وتولى أخيه عز الدين مسعود فسمى أهل الفساد إليه في حقه وكثير ذلك منهم فقبض عليه في سنة ٥٧٨ ثم ظهر له فساد رأيه في ذلك فأطلقه واعاده إلى ما كان عليه واستمر على ذلك إلى أن توفي في منتصف ربيع الأول وقيل في سادسه وقال ابن المستوفى في تاريخ إربيل في صفر سنة ٥٩٥ بقلعة الموصل . راجع ترجمته في وفيات الأعيان ٤ / ٨٢ وما يعلوها .

(٢) وفيات الأعيان ٥/٣٨٩ .

(٣) السابق ٥/٣٨٩ .

أكاد أؤكّد أنّ الحقيقة هي أنّ أتمّ الـكثير من محصوله العلمي في مسقط رأسه في جزيرة ابن عمر ، خاصة أنه قضى بها واحداً وعشرين عاماً من عمره ، وإن كان قد اختلف إلى بعض أساتذة وشيوخ الموصل ليفيد من خبراتهم وعلومهم .

نعود إلى الموصل التي انتقل إليها في ظل والـبيـتـولـيـ إـداـرـةـ الخـزانـةـ العـامـةـ وزـعـيمـ علىـ قـدـرـ عـظـيمـ منـ الـبـاهـةـ وـالـذـكـاءـ يـتـولـيـ تـدـبـيرـ أـمـورـ الـأـتابـكـيـةـ هوـ مجـاهـدـ الدـينـ قـايـمـازـ الـزـينـيـ ،ـ فـيـعـمـلـ الـابـنـ الـأـكـبـرـ «ـ أـبـوـ السـعـادـاتـ بـنـ الـأـثـيـرـ الـجـزـرـيـ كـاتـبـاـ وـمـنـشـأـهـ إـلـىـ الـمـلـوـكـ»ـ (١)ـ .ـ .ـ .ـ

ولم يكن غريباً أن ينضم أبو الفتح ضياء الدين بن الأثير إلى قافلة المتدربين بين يدي أخيه . يقول ضياء الدين على لسان القاضي الفاضل «ـ وـكـانـ مـنـ العـادـةـ أـنـ كـلـاـ منـ أـرـبـابـ الدـوـاـوـيـنـ إـذـاـ نـشـأـ لـهـ وـلـدـ وـشـدـاـ شـيـنـاـ مـنـ عـلـمـ الـأـدـبـ ،ـ أـحـضـرـهـ إـلـىـ دـيـوـانـ الـمـكـاتـبـ لـيـتـعـلـمـ فـنـ الـكـاتـبـةـ ،ـ وـيـتـدـرـبـ ،ـ وـيـرـىـ ،ـ وـيـسـمـعـ»ـ (٢)ـ .ـ .ـ .ـ

وهذا الكلام يؤكّد أن هذه العادة متّصلة فيمن يعمل بالدوّاين عموماً ، إذ تدرب ابن الأثير في بادئ الأمر بين يدي أخيه ؛ ثم التحق بخدمة مجاهد الدين قايماز كاتباً نجداً مصداق ذلك في رسالة صدرها ابن الأثير بقوله : «ـ كـاتـبـ كـتـبـهـ عـنـ نـفـسـ إـلـىـ الـأـمـيـرـ مـجـاهـدـ الدـينـ قـايـمـازـ زـعـيمـ الـمـوـصـلـ ،ـ وـكـانـ فـيـ خـدـمـتـهـ ،ـ فـتـرـغـ الشـيـطـانـ بـيـنـهـ وـبـيـنـهـ فـقـارـقـهـ ،ـ وـسـارـ إـلـىـ الشـامـ ،ـ وـاتـصـلـ بـخـدـمـةـ الـمـلـكـ الـأـفـضـلـ عـلـىـ بـنـ يـوسـفـ ،ـ فـنـالـ مـنـهـ حـظـاـ ،ـ وـأـصـدـرـ هـذـاـ الـكـتـابـ ،ـ يـتـضـمـنـ مـلـامـةـ وـعـتـابـاـ .ـ .ـ .ـ فـإـنـيـ أـسـلـفـ حـقـوقـ صـحـبـةـ الـحـقـنـىـ بـذـوـيـ الـأـرـحـامـ ،ـ وـوـشـائـجـ مـوـدـةـ تـبـقـىـ بـقاءـ الـأـرـواـحـ إـذـاـ بـقـىـ غـيرـهـ بـقاءـ الـأـجـسـامـ ،ـ وـوـسـائـلـ خـدـمـةـ لـوـ وـفـدـتـ عـلـىـ رـبـهاـ فـيـ الـقـيـامـةـ لـأـشـركـهاـ فـيـ الصـلـاـةـ وـالـصـيـامـ .ـ وـمـاـ كـنـتـ أـظـنـ أـنـ صـبـغـةـ هـذـهـ النـدـرـائـعـ تـنـصـلـ ،ـ وـلـاـ أـنـ حـقـوقـهاـ تـبـطـلـ ،ـ كـيـفـ وـلـهـاـ الـأـسـبـابـ الـوـكـيـدـةـ فـيـ الـمـتـزـلـينـ السـهـلـ وـالـخـشنـ ،ـ وـالـحـالـيـنـ السـرـورـ وـالـحـزـنـ ،ـ وـلـوـ كـانـتـ الـمـوـدـاتـ تـنـالـ بـالـاـكـتسـابـ لـظـفـرـ الـمـجـهـدـ فـيـهاـ بـنـجـاحـ الـطـلـابـ ،ـ وـلـكـنـهـاـ كـالـأـرـزـاقـ يـعـطاـهـاـ الـمـقـيمـ الـقـاعـدـ ،ـ وـيـحـرـمـهاـ الـظـاعـنـ الـجـاهـدـ ،ـ وـلـكـنـ عـلـمـتـ أـنـ

(١) السابق / ٤ / ٨٣ .

(٢) انظر ص ١٨٠ من نص التحقيق .

كل قطر لا يفعم ، وأن كل شجرة لاطعم ، ففى القلب غلة تخبو فيهيجها أنى سبقت وحاز غيري خصل السباق ، وجمعت كثرا وفاز غيري بحظوظة الإنفاق »^(١)

طلت صلة ضياء الدين بالناصر صلاح الدين غير واضحة عند كثير من الباحثين ، وذلك من حيث متى وكيف تم اللقاء الأول بينهما ؟ . فإن ابن خلkan يقول : « ولما كملت لضياء الدين المذكور الأدوات تقصد جناب الملك الناصر صلاح الدين ^(٢) - تغمده الله برحمته - فى شهر ربيع الأول سنة سبع وثمانين وخمسماهية ، فوصله القاضى الفاضل لخدمة صلاح الدين فى جمادى الآخرة من السنة ، وأقام عنده إلى شوال من السنة . ثم طلبه ولده الملك الأفضل نور الدين من والده فخيره صلاح الدين بين الإقامة فى خدمته والانتقال إلى ولده وبقى المعلوم الذى قرره له باقيا عليه ، فاختار ولده ، فمضى إليه وكان يومئذ شابا فاستوزره ولده الملك الأفضل نور الدين على »^(٣)

ويقول د. عرفة حلمى عباس فى أطروحته للدكتوراه : « ويمكن تحديد المدة التى عمل فيها ضياء الدين فى خدمة أتابك الموصل مجاهد الدين مابين عام ٥٧٩ هـ حيث انتقل مع أسرته إلى الموصل ، وعام ٥٨٣ هـ حين انتقل إلى الشام فى خدمة صلاح الدين ومن بعده ابنه الملك الأفضل »^(٤)

ويقرر د. زغلول سلام أن هناك من تصبح ضياء الدين فرحا « إلى الشام حيث كان البطل صلاح الدين يكافح الصليبيين ، ويجمع حوله جيوش المسلمين من الجزيرة بالعراق ومن الشام ومن مصر ، وحيث كانت دولة القلم والعلم مزدهرة فى ظله إلى جانب دولة السيف والجهاد . وبهرت أعمال صلاح الدين فى الحرب والسلم هذا الشاب الطموح ، فجاء إليه ، وكان ذلك سنة ٥٨٧ هـ ، وعمره إذ ذاك

(١) نشرة القيسى - هلال ١/٦٣

(٢) وفيات الأعيان ١٣٩/٧ وما بعدها ، الكامل ٢٢٤/١٠ ، طبقات الشافعية ٣٣٩/٧ وما بعدها ، الروضتين فى أخبار الدولتين ١٢٦/١ ، سير أعلام النبلاء ٢٧٩/٢١ - ٢٨٧ ، البداية والنهاية ١٣٢/٢ وما بعدها ، التسجوم الزاهرة ١/٦ - ٥٣ .

(٣) وفيات الأعيان ٣٩٠/٥ ، وشذرات الذهب ١٨٨/٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٧٣

(٤) ضياء الدين بن الأثير : دراسة فى تراثه الثرى / ٥

ينقص عن الثلاثين ربيعاً بعام واحد . ولقى القاضي الفاضل فرحب به ، وألحقه بخدمة السلطان كعهده بالأدباء النابهين وظل الكاتب الشاب في خدمة صلاح الدين فترة وجيزة ، التحق بعدها بخدمة الملك الأفضل ^(١)

في هذه المرحلة من حياة ضياء الدين بن الأثير نقطبان كانتا سبباً في وقوع كثير من الباحثين في الوهم . فهنا خطأ وقع فيه الباحثون يثير سؤالاً مهما وهو : متى وأين اتصل الضياء بالناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ؟

فقد انساق الباحثون وراء قول ابن خلkan أن هذا الاتصال كان سنة سبع وثمانين وخمسماة ، وقد ظلوا يسلكون هذه الطريق - وليس معهم كل العذر - نظراً لأنهم لم يبحثوا في كتابات ابن الأثير . واستمر الوضع على هذه الحال ، للحقيقة ، إلى أن قام الدكتور نوري حمودي القيسي وهلال ناجي بتحقيق ديوان رسائل نصر الله بن الأثير ؛ فاتضح بعض الحقيقة - وهذا السابقان إليه - إذ اكتشفا رسالة بين رسائله ، كان الضياء قد كتبها عن مخدومه الملك الأفضل ، وهي الرسالة الثانية في ديوان رسائله ، وقد صدرها بقوله : « كتاب كتبه عن مخدومه الملك الأفضل على بن يوسف إلى والده الملك الناصر صلاح الدين عند نصرته على الفرنج بأرض طبرية في ربيع الأول سنة ثلاثة وثمانين وخمسماة وذلك أول موطن حرب شهده الملك الأفضل ، وكان والده إذ ذاك نازلاً على حصار حصن الكرك » ^(٢)

هنا انجلز جزء الحقيقة ، فحدد محققاً ديوان رسائله مدة خدمته لدى مجاهد الدين قايماز الزياني بقولهما : « وعلى وجه التقرير يمكن تحديد الفترة التي عمل فيها في خدمة الأمير مجاهد الدين قايماز أنها بعد عام ٥٧٩ وقبل عام ٥٨٣ هـ » .

(١) الأدب في العصر الأيوبي / ٢٢٢ و ٢٢٣

(٢) نشرة القيسي - هلال ١ / ٦٤ . وراجع البداية والنهاية / ١٢ / ٣٢٠ ، و الروضتين في أخبار الدولتين ٣ / ٢٧٥ وما بعدها . سيرة صلاح الدين ، أو التوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية لبهاء الدين بن شداد ، تحقيق د. جمال الدين الشيال ص ٧٥ . الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر ٢٠٠٢ م . والحركة الصليبية ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور ٢ / ٦٢٩ ، ٦ ، مكتبة الأنجلو المصرية . وال الحرب الصليبية الثالثة ، ترجمة وتعليق د. حسن جيشي ١ / ٣٢ وما بعدها ، الهيئة العامة للكتاب سنة ٢٠٠٠ .

ويتابعه « وليس صحيحاً أيضاً ما ذكره مترجموه من أن أول اشتغاله لدى الملك الأفضل على بن يوسف كان في شوال سنة ٥٨٧ هـ »^(١)

ومما سبق نستنتج أن الباحثين قد أرخوا لبداية اتصال ابن الأثير بالناصر صلاح الدين سنة ٥٨٣ هـ؛ لكننا نعود إلى كتب التاريخ لاستقراء أخبار الفترة بين عام ٥٧٨ و ٥٨٣ هـ عليها تكون سبيلاً لمعرفة أين ومتى تم اللقاء الأول بينهما؟.

فتجد صاحب كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ينقل عن القاضي بن شداد قوله: « كان نزول السلطان على الموصل في هذه الدفعه يوم الخميس حادي عشر رجب سنة ثمان وسبعين وكانت إذ ذاك بالموصل فسیرت رسولاً إلى بغداد قبيل نزوله بأيام قلائل . . . ثم أقام السلطان على الموصل أياماً وعلم أنه بلد عظيم لا يتحصل منه شيء بالمحاصرة »^(٢)

وقد شهد عام ٥٨٠ هـ إطلاق سراح مجاهد الدين قايماز الزيني من الحبس، ثم أرسله أتابك عز الدين صاحب الموصل رسولاً إلى البهلوان وأخيه قزل صاحب أذريجان مستنجدًا بهؤلاء العجم على صلاح الدين، ولكنهم هزموا شر هزيمة على أيدي الإربليين الذي كان يحكى قائلاً: « إنني ما زلت انتظر العقوبة من الله تعالى على سوء أفعال العجم . فإنني رأيت منهم ما لا كنت أظنه يفعله مسلم بمسلم وكنت أنهاهم فلا يسمعون حتى كان من الهزيمة ما كان »^(٣)

لقد كان استنجاد زين الدين يوسف صاحب إربيل بالسلطان صلاح الدين مداعاة لأن يعيد السلطان التفكير في محاصرة الموصل مرة ثانية خاصة بعد أن أعلمه الإربليون بما ارتكبه المواصلة والمحالفون معهم من عسكر قزل العجم، فقرر السلطان أن يكسرهم؛ حتى يأمن شرهم أثناء قتاله الفرج المتربيصين بال المسلمين الدوائر في بلاد الشام، فتحرك من دمشق في ذي القعده من سنة ٥٨٠ هـ عابراً الجزيزة حتى وصل إلى الموصل سنة ٥٨١ هـ. ثم أرسل صلاح الدين ضياء الدين

(١) نشرة القيسى - هلال ١ / ٦

(٢) الروضتين في أخبار الدولتين ١٢٤ / ٣ و ١٢٥ ، والكامن ١١٤ / ١٠ وما بعدها ، والبداية والنهاية ٣٠٩ / ١٢

(٣) الكامل ١٠ / ١٢٦ ، والروضتين ٣ / ٢٢٣ ، والبداية والنهاية ١٢ / ٣١٥

الشهرزوري إلى الخليفة يعلمه بما عزم عليه من حصار الموصل وأنّ مقصوده ردهم إلى طاعة الخليفة ونصرة الإسلام فحاصرها^(١)

ولما طال أمد حصار الموصل ، وكثير الساعون لدى السلطان لإقرار الصلح بينه وبين المواصلة ، وافق صلاح الدين على الصلح « على أن يكونوا من جنده إذا ندبهم لقتال الفرنج ، وعلى أن يُخطبَ له ، وتضرب له السكة ، ففعلوا ذلك في تلك البلاد كلها ، وانقطعت خطبة السلاجقة والازيقية بتلك البلاد كلها »^(٢)

وقد كان لقايماز الزيني دور كبير في إقرار الصلح بينهما وقد عرف عنه رجاحة عقله وسداد رأيه ، وتقرباً من صلاح الدين : « حلف عز الدين له - أى لصلاح الدين - وتسليم البلاد التي استقرت القاعدة على تسليمها ، ووصل صلاح الدين إلى حران فأقام بها مريضاً ، وكان ذلك بتوصل مجاهد الدين قايماز رحمة الله وأما صلاح الدين فإنه طال مرضه بحران »^(٣)

أما عن القاضي الفاضل ؟ فتؤكد المصادر التاريخية أنه كان يرافق السلطان في المحاصرة الأولى للموصل سنة ٥٧٩ هـ ، وأنه كان بدمشق سنة ٥٨١ ، كما تؤكد أنه استقبل بدمشق أيضاً سنة ٥٨٢ هـ السلطان بعد شفائه من مرضه^(٤)

ولما استقر الأمر للسلطان صلاح الدين بالإقامة في دمشق ، أراد أن يعيد تنظيم دولته فقرر « أن ينقل ولده الملك العزيز عثمان إلى مصر ليكون عزيزها ، وليحرز مملكتها ، ويحوزها وهو مفكّر في طريق تدبيره ووجه تقريره حتى بدا له نقل الأفضل إلى الشام فكتب إليه يتشوّقه ويستدعيه بجميع أهله وجماعته ووالدته وحشمه وأصحابه فخرج ووصل دمشق يوم الاثنين الثالث والعشرين من جمادى الأولى وخرج السلطان لاستقباله وأنزله بالقلعة في دار رضوان »^(٥)

(١) البداية والنهاية ١٢ / ٣١٥ و ٣١٦ .

(٢) السابق ١٢ / ٣١٦ .

(٣) الكامل ١٠ / ١٣٢ و ١٣٥ .

(٤) راجع البداية والنهاية ١٢ / ٣١٣ وما بعدها ، والروضتين ٣ / ٢٥٣ ، والكامل ١٠ / ١٣٥ .

(٥) الروضتين في أخبار الدولتين ٣ / ٢٥٥ .

ثم ينقل صاحب الروضتين عن العماد قوله : « واشتغل السلطان في بقية سنة اثنين وثمانين بدمشق بالصيد والفنص والاتهاز فيه لبودار الفرص وكان يركب إلى تل راهط للصيد بالبزاة والشواهين مع مماليكه الخواص الميامين »^(١) .

كما يقرر عز الدين بن الأثير أنه ثمة علاقة صداقة قوية كانت تربط بين جمال الدين الوزير ، وأسد الدين شيركوه عم صلاح الدين . وتبعاً لذلك يمكن القول إن ثمة علاقة نشأت بين شيركوه وبين أثير الدين أبي صاحبنا^(٢)

ومما سبق نلاحظ ما يلى :

- أولاً : أن ابن الأثير كتب الرسالة عن الأفضل في ربيع الأول عام ٥٨٣ هـ .
- ثانياً : أن صلاح الدين قام بمحاصرة الموصل مرتين الأولى ٥٧٨ ، والثانية ٥٨١ هـ ، وفيها تم الصلح بينه وبين المواصلة .

- ثالثاً : أن الذي لعب دوراً كبيراً ومهماً في إجراء الصلح هو قايماز الزيني نائباً عن صاحب الموصل ، حيث يعمل الأب أثير الدين متولياً أمور الخزانة العامة للموصل ، وابنه الأكبر أبو السعادات هو كاتب الإنشاء لمجاهد الدين ، وابنه الأصغر ضياء الدين يخطو خطواته الأولى في ميدان كتابة الإنشاء عنده .

- رابعاً : أن القاضي الفاضل كان ملازماً للسلطان أثناء حصاره الموصل في المرة الأولى سنة ٥٧٨ هـ ، وكان موجوداً في دمشق ، وفي سنة ٥٧٩ كان معه في^١ آمد ، وفي سنة ٥٨١ يكتب القاضي الفاضل بشفاء السلطان من دمشق ، وفي ٥٨٢ يستقبل السلطان بدمشق ويتراوران ويتشاوران في أمور الدولة .

- خامساً : أن السلطان صلاح الدين قد استدعى ولده الأكبر الأفضل نور الدين على ليوب عنه بدمشق سنة ٥٨٢ هـ ، « ودخل الملك الأفضل على بنت ناصر الدين ابن أسد الدين في شوال من السنة المباركة المذكورة »^(٣) . إذ نجد رسالة من ابن

(١) السابق / ٣ / ٢٦٨ .

(٢) راجع الكامل / ٩ / ٤٧١ .

(٣) النواود السلطانية والمحاسن اليوسفية لبهاء الدين بن شداد ، تحقيق د. جمال الدين الشيال ص ٧٤ . الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر ٢٠٠٢ م .

الأثير إليه صدرها بقوله : « كتاب يتضمن التهنة بأول مولود . كتبه عن نفسه إلى مخدومه الملك الأفضل على بن يوسف بن أيوب »^(١) . وهذا على الأرجح خلال عام ٥٨٣ هـ ، أى أنه كان قد دخل في خدمة الأفضل بالفعل ، تؤكد هذا أيضا رسالته التي كتبها عنه إلى أبيه السلطان في ربيع الأول من سنة ٥٨٣ هـ .

- سادساً : أن السلطان كان متفرغاً بقية سنة ٥٨٢ هـ للصيد والتنص ، أى أنه في ذلك الوقت الذي يمكن أن يلقى فيه شخصاً رُشح لأن يكون أحد منشئ دولته.

- سابعاً : أن الذي كان يسعى للصلح بين صلاح الدين والمواصلة في المحاصرة الأولى سنة ٥٧٨ هـ هو صدر الدين شيخ الشيوخ ، صديق مجاهد الدين قايماز .

وبعد مراجعة تلك الفترة من حياة ابن الأثير من خلال ما كتبه الآخرون ؛ فإننا نرصد تاريخ ضياء الدين لنفسه والأماكن التي كان موجوداً بها في الفترة من ٥٨٣ إلى ٥٨٨ هـ .

نجده يصدر كتاباً بقوله : « كتاب كتبه عن الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب رحمه الله إلى ديوان الخليفة ببغداد يتضمن فتح البيت المقدس واستئقاده من أيدي الكفار ، وذلك في معارضته كتاب كتبه عبد الرحيم بن على البيساني عنه وكان الفتح في السابع والعشرين من شهر رجب من سنة ثلاثة وثمانين وخمسين »^(٢)

ويصدر كتاباً آخر بقوله : « فمن ذلك ما كتبه من جملة كتاب إلى ديوان الخليفة ذكر فيه نزول العدو الكافر على ثغر عكا في سنة خمس وثمانين وخمسين »^(٣) ثم يحكى لتلاميذه قائلاً : « وكنت سافرت إلى الشام في سنة سبع وثمانين وخمسين ودخلت مدينة دمشق »^(٤)

وفي موضع آخر يقول : « وكنت في سنة ثمان وثمانين وخمسين بأرض فلسطين في الجيش الذي كان قبلة العدو الكافر من الغررج لعنهم الله وتقابل الفريقيان

(٢) المثل السائر ٢ / ١٣٠

(١) نشرة القيسي - هلال ١ / ٩٦

(٤) السابق ٢ / ٣٤٦ .

(٣) السابق ١ / ٣٨٩ .

على مدينة يafa وكان إلى جانبي ثلاثة فرسان من المسلمين فتعاقدوا على الحملة إلى نحو العدو فلما حملوا صدق منهم اثنان وتلکاً واحد فقيل له في ذلك فقال الموت طعام لا تجشه المعدة »^(١)

إذن فالراجح أن يكون هذا اللقاء قد تم في دمشق بعد عودة الناصر صلاح الدين إليها ، وقد شفاء الله من مرضه ، وقد كان ذلك في بداية عام ٥٨٢ هـ ، حيث إن استدعاء الأفضل كان في جمادى الأولى من هذه السنة ، وليس في عام ٥٨٧ هـ كما ذكر ابن خلkan في وفياته . خاصة إذا علمنا أن السلطان دخل دائرة الحرب ضد الفرنج والصلبيين الموجودين بالشام بداية من سنة ٥٨٣ هـ ، كذلك تؤكد المصادر التاريخية أن « مدة إقامة صلاح الدين على عكا صابراً مصابراً مرابطًا سبعة وثلاثين شهراً »^(٢) . وأنه لم يكن مقيناً بدمشق سنة ٥٨٧ هـ ، فقد استهلت سنة ٥٨٨ هـ والسلطان « مخيم بالقدس وقد قسم السور بين أولاده وأمرائه وهو يعمل فيه بنفسه ويحمل الحجر بين التربوسيين »^(٣)

كذلك فإن ضياء الدين يؤكد أنه كان مع المسلمين المحاصرين ثغر عكا سنة ٥٨٥ هـ ، وفي الوقت الذي يقول فيه إنه كان موجوداً بدمشق سنة ٥٨٧ هـ ؛ فقد كان السلطان ، ومعه القاضى الفاضل يحاصرون أسوار عكا ، وهذا ينفى أيضاً أن يكون اللقاء قد تم في هذا العام .

ومما سبق: نكاد نؤكد أن الأرجح أن يكون لقاء ابن الأثير قد تم في النصف الثاني من عام ٥٨٢ هـ ؛ حيث اجتمع في دمشق كل من السلطان صلاح الدين يوسف بن أبي بوب ، والقاضى الفاضل ، والملك الأفضل ، وضياء الدين بن الأثير

(١) السابق ١ / ٧١ .

(٢) البداية والنهاية ١٢ / ٣٤٥ .

(٣) السابق ١٢ / ٣٤٧ .

ابن الأثير في دمشق ٥٩٢ - ٥٨٢ هـ

التحق ضياء الدين بخدمة الأفضل نور الدين على في دولة السيف بقيادة الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وفي دولة القلم بقيادة القاضى الفاضل عبد الرحيم ابن على البيسانى . لكن الرياح دائما تأتى بما لا تشتهى السفن ؛ فقد ظهر الحсад والحاقدون على هذا الشاب فأخذت الملاحقات فى الظهور بين واش وغادر تُنَفَّص حياته . فمن قائل : إنه جاء لمزاهمة القاضى الفاضل مكانته لدى السلطان ، ومن قائل : إنه آثر الابتعاد عن الفاضل والتحق بخدمة الأفضل تطلاعا لما هو آت ؛ مما ساق بعض الباحثين للاتسياق وراء وهم صراح ؛ وهو أن القاضى الفاضل رأى فى ضياء الدين مزاحما خطيرا ؛ فخشى منه على مكانه ومكانته ؛ فعمد إلى إزاحته من طريقه لثلا يبعده ابن الأثير بظموحه وبراعته عن موقعه قريبا من السلطان ولا أدرى ما الذى دفعهم إلى هذا الاستنتاج اللهم إلا إذا كانوا قد نظروا إلى رسالة ابن الأثير التى كتبها إلى ابن سكينة شيخ الشيوخ ، وقد صدرها ضياء الدين بقوله : « كتاب كتبه عن نفسه إلى معين الدين بن سكينة شيخ الشيوخ ببغداد جوابا عن كتاب كتبه إليه ، وضمنه ضربا من الوصف والإطراء ، وقال : إنك فى الكتابة كفلان الكاتب ، يعني به عبد الرحيم بن على البيسانى القاضى الفاضل »^(١)

وقد استدل هؤلاء على ذلك من خلال هذه الرسالة فى قول ابن الأثير : « أما تشبيهه إياى بفلان الكاتب ؛ فرب كلمة تقول لصاحبها دعنى ، ولقد وضعنى بقوله هذا وهو يرى أنه رفعنى ولم يضعنى ، لكن يغفر الله له ذلك لسلامة قصده ، ويحمل على أنه اشتبه الذهب والتحاس على نفسه ، وما أراد إلا أن يبلغ بفضيلتى فوق طوفها ؟ فلم يبلغ بها طوفها . . . ولو أنسفني لقال : إن الحئ خير من الميت . . . وقد علم أن ذلك الرجل رزق دولة سيفها أفصح من كتابه ، وخطبها أعظم أن يفتقر إلى تزوير خطابه ، فكان يقول عنها بعض ما يرى^(٢)

(١) نشرة المقدسى ص ٣١١

(٢) السابق ص ٣١٣ .

أما الأمر الأكيد ؟ فهو أنه لا ابن خلكان ولا من تابعوه من المؤرخين وكتاب التراجم قالوا هذا الكلام ، إنما توافقوا عند اتصاله بصلاح الدين « فوصله القاضى الفاضل لخدمة صلاح الدين فى جمادى الآخرة من السنة وأقام عنده إلى شوال من السنة ثم طلبه ولده الملك الأفضل نور الدين من والده فخيره صلاح الدين بين الإقامة فى خدمته والانتقال إلى ولده ويبقى المعلوم الذى قرره له باقيا عليه فاختار ولده فمضى إليه وكان يومئذ شابا ، فاستوزره ولده الملك الأفضل » ^(١)

وقد تابع الأقدمين فى هذا الضرب غير واحد من الباحثين يأتى فى مقدمتهم : أئيس المقدسى ناشر ديوان رسائله الأول ^(٢) ، والدكتور زغلول سلام الذى قام بمجهود غير منكور فى تاريخ الدراسات الأدبية للعصر الأيوبي ^(٣) لكن - ومع كل الأسف - هناك من أثار سؤالا وهو : لماذا ترك ابن الأثير ديوان السلطان وأثر الانتقال إلى ديوان الملك الأفضل ، حين طلبه الأخير من أبيه ، فخيره بين الإقامة فى خدمته ، والانتقال إلى ولده ، ويبقى المعلوم (الراتب) الذى قرره له باقيا عليه . فاختار ولده ^(٤)

يقول الدكتوران مصطفى جواد وجميل سعيد : « ولم يقابل ضياء الدين بن الأثير إحسان القاضى الفاضل بالإحسان » ^(٥)

ثم يجيب من طرحا هذا السؤال إجابة شبه يقينية عنه : « نحن نعتقد أن القاضى الفاضل وجد فى ابن الأثير مزاحما خطرا فأثر بإعاده بوسيلة مهذبة ، ونعتقد أيضا أن

(١) وفيات الأعيان ٥ / ٣٩٠ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣ / ٧٣

(٢) رسائل ابن الأثير لأئيس المقدسى ٩ .

(٣) الأدب فى العصر الأيوبي ٢٢٢ ، وضياء الدين بن الأثير : نوابغ الفكر العربى ٣٥ .

(٤) رسائل ابن الأثير ، دراسة وتحقيق نورى حمودى القىسى وهلال ناجى ١ / ٧ ، وكفاية الطالب فى نقد كلام الكاتب والشاعر ، تتحقيق نورى حمودى القىسى وحاتم صالح الصامن وهلال ناجى ٦

(٥) الجامع الكبير فى صناعة المنظوم من الكلام والمثبور ١٠

ابن الأثير كان يرى نفسه أحق برئاسة ديوان الإنشاء لدى السلطان من القاضى الفاضل «^(١)

وتتابع هذا الرأى د. عرقه حلمى عباس إذ يقول : « وبعد أن انضم ضياء الدين إلى ديوان الإنشاء فى دولة صلاح الدين ، رأى القاضى الفاضل رئيس الديوان فى ابن الأثير منافسا خطيرا له ، فقد ظهرت مقدرته الفائقة فيما كان يكتب من رسائل للملك الناصر صلاح الدين ، ومنها رسالة كتبها إلى الديوان العزيز ببغداد »^(٢) .
لكن لنا أكثر من تساؤل :-

الأول : إذا كان القاضى الفاضل يخشى من مزاحمة ناشئة الكتاب الذين يرشحهم هو - ولا أحد سواه - فلماذا يقدمهم للسلطان ؟ .
ولماذا رفض السلطان صلاح الدين أكثر من مرة أن يلحق عماد الدين الأصفهانى منشئا فى ديوان دولته ؟ .

الثانى : أن الرسائل التى وقعت بين أيدينا ، وقد كتبها ابن الأثير عن الملك الناصر كلها معارضات . يقول ابن الأثير : « عدة كتب أنشأها فى معارضة كتب كتبها القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيساني عن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى الديوان العزيز النبوى مجده الله تعالى ، يتضمن ذكر وقائع أجراها الله تعالى على يديه »^(٣)

ولم نجد بين هذه الرسائل ما يمكن أن يكون قد كتبه ابن الأثير عن السلطان الناصر سوى رسالة واحدة ، صدرها بقوله : « كتاب كتبه إلى الديوان العزيز النبوى عن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب »^(٤) .
وإن كان يغلب على الظن أنها من معارضات ابن الأثير للقاضى الفاضل أيضا .

(١) نشرة القيسى وناجي ١ / ٧ .

(٢) ضياء الدين بن الأثير : دراسة فى تراثه الشري / ٦

(٣) نشرة القيسى وناجي ١ / ٦٦ وما بعدها . وهى الرسائل أرقام ٣ و ٤ و ٥ و ٦ .

(٤) نشرة المقدسى / ٣١٠ .

لقد كان القاضى الفاضل محباً للأدباء التابعين التابعين ؛ فكان يقر بهم ، ولم يكن يخشى قط على مكانته ومكانته عند صلاح الدين ؛ فقد قال العمامد : « فدخل الفاضل إلى السلطان ، وعَرَفَهُ أَنَّهُ فِي راغب . . . وَقَالَ : أَنَا لَا يَمْكُتْنِي الْمَلَازِمَ الدائمة في كل سفرة ، وقد يكاتبك ملوك الأعاجم ، ولا تستغنى في الملك عن عقد الملفظات ، وحل الترجم ، والعماد يفي بذلك ، ولنك اختاره ، وقد عرف في الدولة النورية مقداره ، وأخذ لي خط السلطان بما قرره لي من شغلي »^(١)

ويورد ابن تغري بردي ما يؤكّد أن الفاضل هو الذي تدخل لدى السلطان لاستكتاب العماد يقول « فدخل القاضى الفاضل على السلطان صلاح الدين وقال : غداً تأتيك ترجم الأعاجم وما يحلها مثل العماد الكاتب ، فقال ما لي عنك مندوحة . أنت كاتبى وزيرى ، وقد رأيت على وجهك البركة . فإذا استكبرت غيرك تحدث الناس ، فقال الفاضل : هذا يحُلُّ الترجم وربما أغيب أنا ولا أقدر على ملازمتك فإذا غبت قام العماد الكاتب مقامى وقد عرفت فضل العماد . . . فاستكتبه »^(٢) .

إذن فالقاضى الفاضل هو الذي يقرر من يعاونه في ديوان الإنشاء ، ومن لا يريد معاونته ، ونجد أن العماد : « علل إعراض صلاح الدين عنه أول الأمر بقول حساده عند صلاح الدين أن العماد يصبو إلى منصب كتابة الإنشاء . والسلطان يأتمن عليها الفاضل ، وهو بالمرتبة الرفيعة عنده ، فلجأ العماد إلى الفاضل لينصره عند السلطان ، ولبيعد الشبهة عنه »^(٣)

هذه هي الإجابة عن السؤال الأول فالقاضى الفاضل لا يخسّى ناشئة المنشئين ، وبالتالي يقرب منهم من يرى فيه بنوغا

أما الإجابة عن السؤال الثاني ؛ فنجدتها في رسائل ضياء الدين بن الأثير نفسه ، نستوضح منها مكانة القاضى الفاضل وقدره عند ابن الأثير

(١) الروضتين في أخبار الدولتين ٢ / ٣٨٨ ، وراجع الأدب في العصر الأيوبي / ٢١٣

(٢) النجوم الراحلة ٦ / ٧٤

(٣) الأدب في العصر الأيوبي / ٢١٢

فهذه رسالة - يبدو أنها رد على رسالة للفاضل يطلب منه بعضاً من كتاباته حتى يرى الفاضل فيه رأيه من الانضمام إلى ديوان الإنشاء من عدمه - يصدرها بقوله : «كتاب كتبه عن نفسه إلى القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البىسانى جواباً عن كتاب ورد منه يسأله أن يرسل إليه شيئاً من مكتباته»^(١)

ثم يقول الضياء مخاطباً القاضى الفاضل فى فقرة من هذا الكتاب : «فليقل سيدنا فى ذلك ببعض قوله ، وإن عده طولاً ؛ فليخفف عن عنق الخادم من حمل طوله ، ولاشك أنه مهد هذا المهد أولاً لما صرخ بطلبه أخيراً ، وجعل الإطماء رشوة لتكون بين يديه سفيراً ، والذى طلبه من رسائلى أراه عورة ومن شأن العورة أن تستر بلباس . . . وكل هذه الأوصاف لا تغرينى بأن أحمل التمر إلى هجر ، ولا أن أعارض ضياء الشمس بنور القمر . . . فليعذرنى سيدنا فى كتمان ما كتمانه أولى ، ول يجعل أن كلامه كالإسلام يعلو ولا يُغلَى»^(٢)

وهذه رسالة أخرى ، وأغلبظن أنها مرسلة أيضاً إلى القاضى الفاضل ، صدرها بقوله : «رقعة كتبها عن نفسه إلى بعض الفضلاء جواباً عن رقعة وردت منه إليه يتمنى شيئاً من رسائله ، وكتب الجواب فى ظهرها» . . . يقول : وأما الرسائل المطلوبة فما أخر الخادم إرسالها إخلاقاً للوعد ، بل حياءً من النقد ، ولا يُوضع البهرج فى يد صراف ، ولا يحمل المُدَلْسُ سلطته إلى عراف . والخادم فى هذه الحال بين تقديم وتأخير ، ويرى أن خجالة الاعتذار ليس من خجاله التقصير ، ومع هذا فقد رأى أن مطاوعة المجلس فى اختياره أولى من مطاوعة نفسه فى استئراه ، والرأى فى ما يراه المولى أعلى»^(٣)

هذه الكتب إضافة إلى كتب أخرى تؤكد مدى تقدير ابن الأثير للقاضى الفاضل^(٤) ومكانته عند السلطان صلاح الدين ، وأنه يعلم تمام العلم أن بين الناصر

(١) المقدسى / ٢٢٧ .

(٢) السابق / ٢٢٨ و ٢٢٩ .

(٣) رسائل ابن الأثير نشرة هلال ناجي ٢ / ٨٢ و ٨٣ .

(٤) السابق ٢ / ٨٤ ، والقيسى ، ناجي ١ / ١٠٦ ، والمقدسى / ٣٣٨ وما بعدها .

والقاضى الفاضل العروة الوثقى التى لا انفصام لها ، والتى لا يعكر صفوها ، ولا يحل عقدها أحد . وكل منها يعلم قدر الآخر .

نقطة أخرى نؤكدها من خلال رسالة ضياء الدين إلى شيخ الشيوخ ابن سكينة بغداد فى قوله : « ولو أنصفنى لقال : إن الحى أبقى من الميت »^(١) ونستتتج من هذه العبارة أن الرسالة كتبت بعد وفاة القاضى الفاضل ؛ لذلك يرى ابن الأثير أن شيخ الشيوخ لو أنصف لكان قد وضعه فى مقدمة كتاب عصره ؟ خاصة إذا كان القاضى الفاضل قد مات .

الأهم من ذلك أن المتبوع لمنشئ دولة صلاح الدين يجد أن المؤرخين لا يذكرون ضياء الدين بينهم ، إنما يذكرون القاضى الفاضل أولاً ؛ ثم العماد الأصفهانى^(٢) ثانياً ؛ ثم القاضى يوسف بن شداد^(٣) صاحب التوادر السلطانية . أضف إلى ذلك أن الفاضل كان يقضى جل وقته نائباً عن السلطان فى مصر أو معيناً لمن يعينه السلطان فى نيابتها أثناء غيابه لمحاربة الفرنج فى الشام ، وكان يقتصر دور الفاضل أثناء وجوده بمصر على تجييش الجنود ، وجمع المال ، وإرسالهما إلى سلطان فى موقع حربه . وفي معظم الأوقات « وكان القاضى الفاضل ينقطع عن خدمة السلطان فى مصالح الديار المصرية فيقوم العماد مقامه »^(٤) ، وينوب عنه القاضى بهاء الدين يوسف بن رافع بن شداد .

إذن لماذا اختار ابن الأثير أن يكون وزيراً للأفضل نور الدين على بن صلاح الدين الأيوبي ؟

(١) المقدسى / ٣١٣ .

(٢) ولد فى ٥١٩ هـ ، وتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، ترجمته فى شذرات الذهب ٢ / ٣٢٣ و ٣٢٣ ، وطبقات الشافية ٢ / ٤١ و ٤٢ ، والدارس ١ / ٣١٠ وما بعدها ، والبداية والنهاية ١٣ / ٣٠ وما بعدها ، والنجمون الزاهية ٦ / ١٧٨ وما بعدها ، والعبر ٤ / ٢٩٩ .

(٣) ولد سنة ٥٣٩ هـ ، وتوفى سنة ٦٣٢ هـ ، ترجمته فى وفيات الأعيان ٧ / ٨٤ وما بعدها ، وطبقات المحدثين ١ / ١٩٦ ، وشذرات الذهب ٣ / ١٥٨ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢ / ٢٨٤ ، وطبقات الشافية ٢ / ٩٦ ، ومعرفة القراء ٢ / ٦١٩ ، والبداية والنهاية ١٣ / ١٤٣ ، وطبقات الشافية الكبرى ٨ / ٣٦٠ .

(٤) الدارس ١ / ٣١٠ .

الراجع أن هذا الاختيار لاقى هوى من كليهما من الملك الأفضل ومن ضياء الدين ؛ لتقارب السن بينهما ، والراجع أيضاً أن الذى رشحه هو القاضى الفاضل رئيس ديوان الإنشاء فى دولة صلاح الدين ، وذلك نظراً لخطورة المرحلة المقبلة فى الصراع ضد الفرنج . ولضرورة أن يكون مع نائب السلطان على دمشق كاتب يكتب عنه إلى أبيه ، إذا غاب عنه ، ويعلمه بما يجرى من أمور ، وما يستجد من أحوال المسلمين تحت وطأة الحرب التى تقض مضاجع الجميع .

وقد آتى هذا الاختيار والترشيح أكله وثماره ، حينما كتب ابن الأثير عن الأفضل يبشر السلطان بمقدمات النصر على الفرنج أثناء نزوله عند رأس الماء فى طبرية سنة ٥٨٣ هـ .

نضيف إلى ما سبق أن الذى طلبه من السلطان هو الملك الأفضل ، وأن تخير السلطان له فى الالتحاق بابته من عدمه ما هو إلا تحصيل حاصل ، إذن فمن الممكن أن يكون هذا الطلب قد تم بالاتفاق بين الأفضل وبين ابن الأثير ؛ لما رأاه فى ضياء الدين من براعة وطموح وتقارب السن الذى خلق نوعاً من المودة بينهما تؤكد ما سبق رسالة فى ديوان رسائل ضياء الدين صدرها بقوله : « كتاب كتبه السلطان الملك الأفضل نور الدين - رحمه الله - جواباً عن هذا الكتاب وسيره إلى ضياء الدين إلى الموصل »^(١)

ومن خلال هذه الرسالة يتضح لنا مدى هذه المودة والصداقة التى نشأت بين شابين ، كلّاهما فى مقتبل عمره ، وكلاهما يسعى لتسنم ذرى المجد ، فال الأول هو ابن السلطان الأكبر ، ومن المتظر أن تتوال إليه أمور السلطنة بعد وفاة أبيه ، وهو نائبه على دمشق ، وحامل لواء الحرب ضد الفرنج القادمين من أوروبا ، والصلبيين الموجودين بالشام . والثانى شاب فى سورة شاب ، ازدادت معالجه الطموح له ، خاصة بعد أن تسلم عمله منشئاً فى دولة صلاح الدين ، بعد التزوح من الموصل مغاضباً زعيماً مجاهد الدين قايماز الزينى الذى لم يجد عنده مبتغاه . يقول ابن الأثير : « ففى القلب غلة تخبو ، فيهيجها أنى سبقت ، وحاز غيرى خصل السباق ،

(١) رسائل ابن الأثير نشرة ناجي ٢ / ١٩٦

وَجَمِعَتْ كُنْزًا وَفَازَ غَيْرِي بِحُظْوَةِ الْإِنْفَاقِ^(١) . وَتُطَرَّبُ أَذْنِيهِ كَلْمَةُ وَزِيرِ ابْنِ السُّلْطَانِ ، وَهَذَا يُؤكِّدُ أَنَّ السُّلْطَانَ كَانَ لَا يَضُنُّ عَلَى الشَّابِ بِاعْتِلَاءِ الْمَنَاصِبِ الْعَالِيَّةِ فِي دُولَتِهِ ؛ لَأَنَّ الْإِسْلَامَ وَالْعَروَةَ لَنْ يَحْمِيهَا إِلَّا هُؤُلَاءِ الشَّابِ .

إِذْنَ فَلَيْسَ مُسْتَغْرِبًا أَنْ يَخْتَارَ كُلَّ مِنْهُمَا الْآخِرَ لِيَحْقُّ بِهِ طَمْوَهُ . فَرَحِيلُ ابْنِ الْأَئْيُورِ إِلَى الشَّامِ لَمْ يَكُنْ لِمَزَاحَمَةِ أَنَّاسِ عَلَيْمَ هُوَ مُسْبِقاً رَسُوخَ مَكَانِتِهِ ، وَثَبَاتَ أَقْدَامِهِمْ فِيمَا هُمْ مَكْلُوفُونَ بِهِ مِنْ قَبْلِ السُّلْطَانِ . إِنَّمَا كَانَ كُلُّ مُبْتَغَاهُ أَنْ يَجِدْ مَكَانًا فِي دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ إِلَى جَوَارِ الْقَاضِيِّ الْفَاضِلِ وَعَمَادِ الدِّينِ الْأَصْفَهَانِيِّ ؟ لَا أَنَّ يَزَاحِمَهُمَا مَكَانَهُمَا . لَكِنَّ حِينَما تَاجَ الْفَرَصَةُ لِأَنَّ يَكُونَ هَذَا الشَّابُ كَاتِبًا وَوَزِيرًا لِابْنِ السُّلْطَانِ فَلَابِدُ أَنْ يَنْتَهِيَ الْفَرَصَةُ اِنْتِهِيَّا لَا أَنْ يَرْفَضَهَا

وَالْاعْنَاقَادُ أَنْ كُلُّ هَذِهِ الْجَلْبَةِ قَدْ حَدَثَتْ بِفَعْلِ الْوَشَّةِ الْحَادِسِينَ أَوِ الْحَاقِدِينَ الَّذِينَ وَجَدُوا ذَلِكَ الشَّابَ الْقَادِمَ مِنَ الْمُوَصَّلِ قَدْ فَازَ بِهِذَا الْمَنْصَبِ الْكَبِيرِ فِي دُولَةِ السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ الْأَيُوبِيِّ وَهَذِهِ الْمَنْزَلَةُ الَّتِي نَالَهَا لِدِيِّ الْأَفْضَلِ نُورُ الدِّينِ عَلَى ابْنِ صَلَاحِ الدِّينِ .

لَازِمٌ ضِيَاءُ الدِّينِ بْنُ الْأَئْيُورِ مَخْلُومُهُ الْمَلِكُ الْأَفْضَلُ نُورُ الدِّينِ عَلَى بْنُ صَلَاحِ الدِّينِ طَبِيلَةً فَرْتَةً نِيَابَتِهِ عَلَى دَمْشَقَ ، فَقَدْ حَضَرَ مَعَهُ أَوْلَى مَوْطِنِ حَرْبِ عِنْدَ بَحِيرَةِ طَبْرِيَّةِ ، وَذَلِكَ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثَ وَثَمَانِيَّنَ وَخَمْسَمَائَةِ هَجْرِيَّةٍ ، وَخَرَجَ مَعَهُ فِي مَوَاجِهَةِ الْفَرْنَجِ فِي الشَّامِ .

لَقِدْ دَامَتْ هَذِهِ الْمَلَازِمَةُ إِلَى أَنْ مَرْضُ النَّاصِرِ صَلَاحُ الدِّينِ « بِحُمَّى صَفْرَاوِيَّةٍ ، وَاحْتَدَ الْمَرْضُ » وَحَدَثَ بِهِ فِي التَّاسِعِ رَعْشَةٍ وَغَيْبَةٍ ثُمَّ حَقَنَ مَرْتَيْنَ فَاسْتَرَاحَ وَسَرَبَ ، ثُمَّ عَرَقَ حَتَّى نَفَدَ مِنَ الْفَرَاشِ وَقَضَى فِي الثَّامِنِ عَشَرَ . تَوَفَّى بِقلْعَةِ دَمْشَقِ بَعْدَ الصَّبِحِ مِنْ يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ السَّابِعِ وَالْعَشَرِينَ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ تِسْعَ وَثَمَانِيَّنَ وَخَمْسَمَائَةِ « (٢) » .

بَعْدَ وَفَاتَةِ صَلَاحِ الدِّينِ - رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً وَاسِعَةً - تَفَكَّكَتِ السُّلْطَانَةُ إِلَى

(١) نَشْرَةُ الْقَيْسَى ، هَلَالُ ١ / ٦٣ .

(٢) سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٢١ / ٢٨٧

عدة ممالك ، وملائـة الأطـماع نفـوس أـبنـاء الـبـيـت الـأـيـوـبـيـ، وأـصـبـع ما تـحـت يـدـى كلـمـنـهـمـ هوـ مـمـلـكـتـهـ التـىـ وـرـثـهـ عنـ النـاـصـرـ^(١)

كانـ هـذـاـ التـفـكـكـ بـدـاـيـةـ اـنـشـقـاقـ كـبـيرـ أـصـابـ الـبـيـت الـأـيـوـبـيـ بعدـ وـفـاةـ صـلـاحـ الدـينـ الـذـىـ اـسـتـشـرـفـ صـورـتـهـ فـىـ حـيـاتـهـ يـقـولـ : «ـ القـاضـىـ بـهـاءـ الدـينـ اـبـنـ شـدـادـ قـالـ لـىـ السـلـطـانـ فـىـ بـعـضـ مـحاـوـرـاتـهـ فـىـ عـقـدـ الصـلـحـ : أـخـافـ أـنـ أـصـالـحـ وـمـاـ أـدـرـىـ أـيـشـ يـكـونـ مـنـ فـيـقـوىـ هـذـاـ العـدـوـ ، وـقـدـ بـقـيـتـ لـهـ بـلـادـ فـيـخـرـجـونـ لـاستـعـادـةـ مـاـ فـىـ أـيـدىـ الـمـسـلـمـينـ وـتـرـىـ كـلـ وـاحـدـ مـنـ هـؤـلـاءـ يـعـنـىـ أـخـاهـ وـأـلـادـهـ قـدـ قـدـ فـىـ رـأـسـ تـلـهـ يـعـنـىـ قـلـعـتـهـ وـيـقـولـ لـاـ أـنـزـلـ وـيـهـلـكـ الـمـسـلـمـونـ !ـ قـالـ اـبـنـ شـدـادـ فـكـانـ وـالـلـهـ كـمـاـ قـالـ ؛ـ اـخـتـلـفـواـ وـاشـتـغـلـ كـلـ وـاحـدـ بـنـاحـيـتـهـ ،ـ وـبـعـدـ فـكـانـ الصـلـحـ مـصـلـحةـ .ـ قـلـتـ :ـ مـنـ لـطـفـ اللـهـ لـمـاـ تـنـازـعـ بـنـوـ أـيـوبـ وـاـخـتـلـفـواـ يـسـرـ اللـهـ بـتـقـصـ هـمـةـ الـأـعـدـاءـ وـزـالـتـ تـلـكـ الشـهـامـةـ مـنـهـمـ»^(٢).

تمـلـكـ الـأـفـضـلـ دـمـشـقـ بـعـدـ أـبـيهـ .ـ وـوـكـلـ أـمـوـرـ دـوـلـهـ إـلـىـ الضـيـاءـ بـنـ الـأـثـيـرـ .ـ وـفـىـ هـذـاـ يـقـولـ الضـيـاءـ بـعـدـ أـنـ اـبـسـمـتـ لـهـ الدـنـيـاـ ،ـ وـأـصـبـعـ صـاحـبـ دـيـوـانـ الـإـنـشـاءـ فـىـ مـمـلـكـةـ الـأـفـضـلـ فـىـ رـسـالـتـهـ تـلـكـ التـىـ كـتـبـاـتـ عـنـ نـفـسـهـ إـلـىـ مـجـاهـدـ الدـينـ قـاـيـمـاـزـ الرـزـيـ زـعـيمـ الـمـوـصـلـ :ـ «ـ .ـ وـلـيـسـ الـأـسـىـ وـالـحـمـدـ لـلـهـ عـلـىـ دـنـيـاـ كـنـتـ أـسـتـفـيدـهـاـ ،ـ بـلـ عـلـىـ أـيـامـ ذـهـبـتـ وـلـاـ أـجـدـ مـنـ يـعـيـدـهـاـ .ـ وـالـآنـ فـقـدـ أـحـمـدـتـ الرـحـلـةـ ،ـ وـشـكـرـتـ النـقلـةـ ،ـ وـحـانـتـ أـرـضـاـ أـضـاءـتـ آـفـاقـهـاـ ،ـ وـاتـسـعـتـ أـرـزـاقـهـاـ .ـ يـتـهـلـلـ بـهـاـ وـجـهـ الزـمـنـ الـعـبـوـسـ ،ـ وـتـذـكـرـ بـأـيـامـ الـجـنـةـ فـىـ جـمـعـ الشـهـوـاتـ لـلـنـفـوسـ .ـ فـاسـتـعـدـبـتـهـاـ مـورـداـ وـمـجـنـىـ ،ـ وـاتـخـذـتـ بـهـاـ رـغـدـ الـعـيـشـ ذـخـيرـةـ لـيـسـ تـفـنـىـ .ـ وـبـيـزـينـ ذـلـكـ أـنـىـ فـىـ خـدـمـةـ مـلـكـ آـخـذـ مـاـلـهـ وـمـنـ أـدـبـهـ ،ـ وـأـدـلـلـ عـلـيـهـ إـدـلـالـ الـمـرـءـ عـلـىـ ذـوـيـ نـسـبـهـ ،ـ فـخـلـقـهـ يـعـدـيـ أـخـلـاقـ صـحـبـهـ .ـ وـيـغـمـرـ أـجـاجـهـنـ بـعـذـبـهـ .ـ فـأـنـاـ فـىـ إـنـعـامـهـ فـىـ رـوـضـةـ وـغـدـيرـ ،ـ وـمـنـ إـكـرـامـهـ عـلـىـ أـرـيـكـةـ وـسـرـيرـ ،ـ وـمـنـ لـيـنـ جـنـبـهـ فـىـ جـنـةـ وـحـرـيرـ ،ـ وـلـمـ اـتـصـلـتـ بـخـدـمـتـهـ صـفـحـتـ عـلـىـ إـسـاءـةـ الـزـمـانـ بـحـسـنـيـ أـيـامـهـاـ ،ـ وـأـنـارـتـ لـىـ الـلـيـالـىـ وـكـانـتـ أـغـدـتـ الـأـيـامـ يـاـظـلـامـهـاـ ،ـ فـلـاـ أـرـضـىـ بـهـاـ

(١) راجـعـ الـكـاملـ ١٠ / ٢٢٥ـ وـ ٢٢٦ـ .ـ وـالـروـضـتـينـ فـىـ أـخـبـارـ الـدـوـلـتـيـنـ ٤ / ٤٠٥ـ وـ ٤٠٦ـ .ـ

(٢) سـيـرـ أـعـلـامـ الـنـبـلـاءـ ٢١ / ٢٨٩ـ

بدلا ، ولا أبغى عنها حولا . وقد عَوْضَنِي اللَّهُ عَنِ الْمَوْلَى إِعْوَاضًا ، وَبَدَلَنِي مِنْ زَهْرَةِ دُنْيَا رِيَاضًا ؟ فَأَصَبَحْتُ مَخْدُومًا بَعْدَ أَنْ كُنْتُ خَادِمًا ، وَغَدُوتُ مُشَانِمَ الْبَرْقِ بَعْدَ أَنْ كُنْتُ شَائِمًا .

وَإِذْ أَنَا مُسْتَوْنَ عَلَىٰ وَمُسْتَعْمَ
فَأَصَبَحْتُ مِنْ خَضْرَاءِ نَعْمَانِي مُسْتَعْمَاً^(١)

عاش ابن الأثير حياة رغدة في كف الأفضل نور الدين ، ويبدو أن لعنة الحاسدين والحاقدين لم تزل تلاحقه منذ مجئه من الموصل إلى الشام طامحا في أن يجد له مكانا في دولة صلاح الدين .

بدأت المنغصات على ضياء الدين بن الأثير ومخدومه الأفضل نور الدين ، فقد تابع خروج أمراء الصلاحية من دمشق « وكان الأفضل هو أكبر الإخوة ، وهو المشار إليه في أيام أبيه صلاح الدين ومن بعده ، وهو الذي جلس للعزاء بعد موت صلاح الدين ، وصار هو السلطان الأكبر إلى أن ظهر منه أمور منها أنه كان استوزر ضياء الدين الجزرى ، فأساء ضياء الدين السيرة ، وشغف قلوب الجندي إلى مصر . وساروا إليها فالتقاهم الملك العزيز وأكرمهم ، وكانتوا معظم الصلاحية واشتغل الأفضل بهم ، وكان القدس في يده فعجز عنه وسلمه إلى نواب الملك العزيز هذا ، فبان للناس عجز الأفضل ؛ ثم وقعت الوحشة بين العزيز وبين أخيه الأفضل ^(٢) .

يقول العماد الكاتب في رسالته المسماة بالتعبي والعقبى : « لما توفي السلطان - رحمه الله - وملكت أولاده . كان العزيز بمصر يقرب أصحاب أبيه ويكرمه ، والأفضل بدمشق يفعل ضد ذلك ؛ يقرب الأجانب ويبعد الأقارب ، وأشار عليه بذلك جماعة داروا حوله كالوزير الجزرى الذى استوزره . . . وفيه يقول الشهاب فتیان الشاغورى :

مَتَىْ أَرَىْ وَزِيرَكُمْ وَمَا لَهُ مِنْ وَزَرٍ
يَقْلُمُهُ اللَّهُ فَدَا أَوَانَ قَلْعَ الْجَرَرِ

(١) نشرة القيسى - هلال ١ / ٦٣ و ٦٤ .

(٢) النجوم الظاهرة ٦ / ١٢٠ .

فلما طلب من الأمراء أن يحلفووا له أيماناً وهم قد أضمرموا الحنث فيها ، ولم يخف ذلك عليه . ولما رأى الفاضل أمور الأفضل مختلة تركه سار إلى مصر وشرع الوزير الجزرى في تفريق العصبة الناصرية ، وما منهم إلا من فارق إلى الديار المصرية . وكان قد أشير على الأفضل باخلاء البيت المقدس لنواب العزيز بأعماله حذرا عليه من تكاليفه وأنقاله ، فأجاب إلى ذلك وقد كانت نابلس وأعمالها قد وقف السلطان ثلثها على مصالح القدس وباقيتها على ابن الأمير على بن أحمد المشطوب ، فشاركه أحد الأمراء الأكراد فيه ، فمدوا أيديهم إلى الوقف ، وساقت سيرتهم وتخوفوا من إنكار الملك العزيز عليهم ، فلجموا إلى الأفضل فأفضل عليهم . وسكن إليهم ، فتأثير الملك العزيز لذلك «^(١)

ويواصل العماد قوله في رسالته التي كتبها تأريخاً لما حدث بعد وفاة السلطان صلاح الدين حتى سنة ٥٩٢ هـ : « ... فخرج العزيز بعساكره ، وبلغ الأفضل فضاق صدره ، واجتمع بمن في خدمته من الأمراء ... ورأى الأفضل أن يكتب إلى أخيه بكل ما يحب من إعلاء كلمته والاجتماع عليه ، ويكون الأفضل من بعض القائمين بين يديه ، طلباً لتسكين الفتنة ، ورغبة في ذهاب الإحن . فأشير عليه بغير الصواب ، وقيل : أنت الكبير ، وإليك التدبير ، فجَدَ واجتهد ، ولا تعلم أصحابك بهذا الخور الذي داخلك ، والجبن الذي نازلك ، ونحن بين يديك ، وكلنا عاذدون بالخناصر عليك . ووصل رسول الملك الظاهر والكتب من الملوك الأكابر بالإنجاد المتظاهر للأفضل ، وسير الأفضل إلى عمه العادل وهو بحران والرها كتاباً ورسلاً ... وذلك في أوائل جمادى الآخرة من شهور سنة تسعين ولم يشعر الأفضل إلا والعزيز بعساكره قد وصل إلى الفوار ... حتى وصل عمه العادل فكتب إلى العزيز يسأله الاجتماع ، فتواعداً واجتمعاً راكبين بصحراء المزة ، فعذله في أخيه ، واستنزله عما كان فيه . فقال : علىي رضاك ، واتباع هواك ؟ فقال : نَفْسُ عن البلد الخناق . وكان قد بلى البلد منهم بما لا يطاق ، من قطع الأنهر وقطف الشمار . فتأخر العزيز إلى صوب داريا والأوعج ... فاتفقوا على عقد يؤكد وعهد يمهد

(١) الروضتين في أخبار الدولتين ٤ / ٤١٩ ، ٤٢٠ .

ورحل العزيز إلى مرج الصفر لكون المقام به أرفق فمرض حتى أيس منه ثم أفاق ... فقرر بينهم الصلح وتزوج العزيز ابنة عمه العادل وخرج الملوك لتوديع الملك العزيز في أول شعبان واحداً بعد واحداً ولما استقر الأفضل بدمشق قضى حقوق الجماعة وشكراً لهم^(١)

انتهت هذه الجولة من الصراع داخل البيت الأيوبي بالصلح بعد تدخل الملك العادل داهية البيت الأيوبي^(٢). فقد كان وجوده كفيلاً بإقرار المصالحة ، فمن يكون العادل حليفه يدرك النصر أو الصلح . وفي سنة إحدى وتسعين وخمسين حدثت نفرة أخرى بين الآخرين ، فقد عاد الأفضل إلى غيه ، ومواصلة لعبه وأساء إلى كبار دولته ، فخرج منهم من خرج لأنذا بجناب العزيز عثمان^(٣)

أخذ الراحلون عن دمشق إلى القاهرة يوغردون صدر العزيز عثمان من ناحية الأفضل ، وأنه سيسأل يوم القيمة عن الرعية ، لأنه تركهم يرزحون تحت نير الظلم الواقع عليهم من ضياء الدين بن الأثير الجزرى وأبو المحاسن بن العجمى ، وأنه لابد أن ينفرد دمشق والبلاد التي فتحها أبوه الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب خشية وقوعها مرة أخرى في أيدي الفرنج القادمين من أوروبا ، أو الصليبيين المقيمين في الشام . لم يكن أمام العزيز عثمان بد من الاستيلاء على دمشق ، فأعاد العدة لدخولها

«وكان أكبر المحرضين للعزيز على أخيه الأفضل أسامة حتى قال له إن الله يسألك عن الرعية . هذا الرجل قد غرق في اللهو وشربه ، واستولى عليه الجزرى وابن العجمى . ثم قال له القاضى ابن أبي عصرون لا تسلّم يوم القيمة ، وبلغ الأفضل قول أسامة وابن أبي عصرون فأقلع عما كان عليه وتاب وندم على تفريطه وعاشر العلماء والصلحاء وشرع يكتب مصحفاً بخطه وكان خطه في النهاية ، فلم

(١) السابق ٤ / ٤٢٠ وما بعدها . والبداية والنهاية ١٣ / ٩ و ٨ ، والتاريخ المنصورى ١ / ٤ ، والنجمون الزاهرة ٦ / ١٢١ و ١٢٢

(٢) راجع الحرب الصليبية الثالثة ، ترجمة وتعليق د . حسن حبشي ٢ / ١١٥

(٣) راجع الروضتين في أخبار الدولتين ٤ / ٤٢٣ و ٤٢٤ .

يغرن عنه ذلك . وتحرك العزيز يقصده فسار الأفضل إلى عمه العادل يستجده به ، فاللقاء العادل على صفين ، فسار معه بعساكر الشرق إلى دمشق . وكان الأفضل لما اجتاز بحلب اتفق مع أخيه الظاهر غازى وتحالفا ، وجاء إلى حماة ، ففعل كذلك مع ابن عمه المنصور . وصار العادل يشير عليه بعزل الجزرى عن الوزارة ، ويقول له : هذا يخرب بيتك ، فصار لا يلتفت إليه ، فحنت منه . ثم إن العادل سأله الملك الظاهر غازى بفى شيء فلم يجده فغضب لذلك العادل ، وانفرد عنهم ، وكتب إلى العزيز يخبره أنه معه ، ويستحثه على القدوم إلى دمشق . فخرج العزيز من مصر مسرعا ثم علم العادل أنه لا طاقة له بالعزيز ولا بالظاهر فراسل الأسدية الذين كانوا بمصر ووعدهم بالأموال والإقطاعات . وكان الملك العزيز قد قدم عليهم الصلاحية مماليك أبيه ، والأسدية هم : مماليك عمه أسد الدين شيركوه وحواشيه الأكراد . ثم دس العادل للأسدية الأموال ، وكان مقدم الأكراد الأسدية أبو الهيجاء السمين ، وكان العزيز قد عزله عن ولایة القدس وتقدمت الأسدية بسيف الدين جرديك ، فركب أبو الهيجاء بجموعة ومعه أرکش في الليل وقصدوا دمشق . فأصبح العزيز فلم ير في الخيام من الأسدية أحدا فرجع إلى مصر ^(١)

لقد احتدم الصراع داخل البيت الأيوبي ، وأصبح كل واحد من ملوك الأيوبيين يعمل على إضعاف الآخر - أيًا كانت المسميات التي يستظل بها كل منهم - لكن كان أخطر أبناء البيت الأيوبي ، وأكثرهم تمرسا بأمور الحكم ، الملك العادل الذي رافق شقيقه السلطان صلاح الدين في تأسيس هذه الدولة . وبالارتكاز على هذه النقطة أخذ الخارجون على العزيز عثمان يحرضون العادل والأفضل على ملاحقة العزيز قبل أن تقوى شوكته بعد الرجوع إلى مصر .

« . . . واتفق العادل مع ابن أخيه الأفضل وسارا إلى جهة العزيز نحو مصر ، فلما وصلوا إلى القدس ولوا أبو الهيجاء كما كان ، وعزلوا جرديك عنها ثم ساروا حتى نزلوا بليبيس . . . فتوقف العادل عن القتال ولم ير انتزاع مصر من يد العزيز وظهرت منه قرائن تدل على أنه لا يؤثر السلطنة للأفضل ولا يرى تقدمه على

العزيز . فأرسل العادل إلى العزيز يطلب منه القاضى الفاضل ، وكان الفاضل قد اعتزلهم ، وانقطع إلى داره . فأرسل إليه العزيز يسأله فامتنع ، فتضرع إليه وأقسم عليه ، فخرج إلى العادل فاحتقره العادل وأكرمه ، وتحدث معه بما قرره وعاد الفاضل إلى العزيز وتحدث معه ، فأرسل العزيز ولديه الصغيرين مع خادم له برسالة ظاهرة مضمونها لا تقاتلوا المسلمين ولا تسفكوا دماءهم وقد أتفدت ولديك يكونان تحت كفالة عمى العادل وأنا أنزل لكم عن البلاد وأمضى إلى الغرب . وكان ذلك بمشهد من الأمراء فرق العادل وبكي من حضر . فقال العادل معاذ الله ، ما وصل الأمر إلى هذا الحد . . . ثم قال العادل للأفضل : المصلحة أن تمضي إلى أخيك وتصالحه . . . ففهم الأفضل أن العادل رجع عن يمينه ، وأنه اتفق مع العزيز علىأخذ البلاد منه ، لكنه لم يمكنه الكلام ومضى إلى أخيه الملك العزيز واصطلحوا وعاد إلى دمشق ، وسلطَ العادل العزيز ، ومشى بين يديه بالغاشية ، ولو أراد العادل مصر في هذه المرة لأخذها ، وإنما كان قصده الإصلاح بين الإخوة »^(١)

ولابن الأثير رسالة كتبها في هذا الشأن صدرها بقوله : « كتاب كتبه عن نفسه إلى الملك الأفضل على بن يوسف ، وقد سار عن دمشق إلى مصر في سنة إحدى وستين وخمسمائة وكان أخوه الملك العزيز عثمان صاحب مصر قد قصده وحضره بدمشق ، ثم انهزم ، وعاد إلى مصر ، وخرج الملك الأفضل خلفه حتى وصل بليس فطارح عليه ، وسألة في الصلح فصالحه ، وعاد إلى دمشق ، وصدر هذا الكتاب إليه ، ولقيه في الطريق ، وهو عائد »^(٢)

ويبدو أن الأفضل قد رأى في هذه الجولة ما لم يكن قد رأه من قبل في عمه العادل ، أو بالأحرى ما لم يكن يريد تصديقه إذ وضع ثقته كاملة في عمه لكنه اكتشف أنها ثقة في غير موضعها .

ويؤكد عماد الدين الأصفهانى الكاتب أن : « الأفضل لازم صيامه وقيامه وقلل شرابه وطعامه ، وخُسِّنَ شعاره واستوى ليه ونهاره ، ووزيره الجزرى قد بُلِّيَ الناسُ

(١) السابق ٦ / ١٢٤

(٢) نشرة المقدسى / ٢٩٧ .

منه ببلايا ، وهو في غفلة عن تلك القضيّا . وكان يدخل إليه ويوجهه من قبل أقوام أنهم عليه وأنهم يميلون إلى أخيه فيصدقه الأفضل فيما يدعوه . فصار يبلغ العادل عنه أحوال ما تعجبه بل تغضبه . . . وكان العادل بمصر مشتوطنا للقصر فوعد الجماعة بازالة يد الوزير الجزرى ورده إلى بلاده ، وقرر مع العزيز تسخير عسكته معه إلى الشام ليمهّد له قاعدة الملك في سائر بلاد الإسلام فأخرج العادل العساكر إلى بركة الجب ، وخرج العزيز لتشييعه وذلك مستهل ربيع الأول ^(١)

وقد تدخل بعض أبناء البيت الأيوبي لإصلاح ذات البين بين الآخرين : الأفضل نور الدين والعزيز عثمان ، لكن النية كانت مبيتة بين العادل وابن أخيه العزيز على خلع الأفضل عن دمشق ، وليس ضياء الدين الجزرى وحده ^(٢) .

وقد علم الأفضل ما اعترضه عمّه وأخوه : « ولما انصررت رسل الظاهر من مصر بما طلبوا مروا بدمشق ، فأعلموا الملك الأفضل بما أثير من الأمر ؛ فضاق صدره ، وطال فكره . واستشار أصحابه فأشار عليه شيخ الدولة بأن يستقبل أخيه وعمه ، ويسلم لهم حكمه وأشار الجزرى وأصحابه بالتصديم على المخالفه وترك المجاملة والملاطفة . . . فلما رأى الأكابر وشيخ الدولة أن الأفضل لا يسمع من رأيهما ، وأنه عازم على المحاربة ، ولا يعدل عن رأى وزيره ، مع ما قد عرفه من شؤم تدبّره ، شرعوا في إصلاح أمورهم في الباطن ، فراسلوا العزيز والعادل ^(٣)

يقول العماد الأصفهانى الكاتب : « فلما ملك العزيز دمشق أقام أياما بالميدان الأخضر الكبير إلى أن انتقل الأفضل من القلعة بأهله وأصحابه ، وأخرج وزيره الجزرى مخفى في صناديقه إشفاقا عليه من قتله وتحريقه وتحول الأفضل تلك الأيام إلى مسجد خاتون وما يجاوره ومعه وزيره فهرب ليلا إلى بلاده وقد ادخر فيها أموال دمشق وأعمالها ثلاثة سنين » ^(٤)

(١) الروضتين في أخبار الدولتين ٤ / ٤٢٧ ، وراجع النجوم الزاهرة ٦ / ١٢٤

(٢) السابق ٤ / ٤٢٨ .

(٣) السابق ٤ / ٤٢٩ و ٤٣٠ .

(٤) السابق ٤ / ٤٣٠ ، والنجم الزاهرا ٦ / ١٢٤

وقد تابع العمامد - في هذا القول - غير واحد من الباحثين ، فلم يقتصر ذيوع هذه التهمة على بعض المصادر القديمة التي أمسكت فيها كما تمسك النار بالهشيم ، بل امتد أثرها إلى غير واحد من الباحثين في عصرنا الحالي .

يقول د. زغلول سلام : « وحرص ضياء الدين أثناء توليه زمام الأمور في دمشق مع الأفضل على اقتناء الأموال . قال ابن الجوزي : إنه أخذ أموالاً كثيرة مما ادخله من أموال دمشق وأعمالها ثلاثة سنين ، وهرب بها إلى بلاده » ^(١)

ويقول د. مصطفى جواد ، ود. جميل سعيد في مقدمتهما لتحقيق كتاب ابن الأثير « الجامع الكبير » : « أجل هرب نصر الله بن الأثير بالأموال التي احتجنها من مملكة الأفضل إلى الموصل » ^(٢)

بل إننا نجد كثيراً من الاستخفاف ، وإهمال التاريخ عند كارل بروكلمان حينما يقول في ترجمته لابن الأثير : « وأوغروا صدر أخيه الملك العزيز عليه ، فحمل عليه في دمشق ٥٩٠ هـ ، وطرده منها سنة ٥٩٢ هـ ، وحضره في ولاية صرخد . وقد هرب وزيره من وجه أهالي دمشق بعد أن هددوه بالقتل ، وتوجه إلى مصر . وعندما استولى الملك العادل أخوه صلاح الدين بعد وفاة العزيز ٥٩٢ هـ - ١١٩٥ م على مصر التي كان قد احتلها الأفضل لوقت قصير اضطر ابن الأثير إلى الاختفاء بعض الوقت » ^(٣)

وفي هذا الكلام من الأخطاء الكثير بدءاً بقوله : إنه توجه بعد هروبه من دمشق إلى مصر ، ومروراً بأن وفاة العزيز كانت سنة ٥٩٢ هـ ، وانتهاء بقوله : إن الأفضل احتل مصر لوقت قصير ، وأن ابن الأثير اضطر إلى الختفاء بعض الوقت بعد استيلاء العادل عليها .

وقد أهمل هذه الفترة باحثون آخرون ممن أرخوا أو ترجموا للضياء بن الأثير .

(١) ضياء الدين بن الأثير . د. محمد زغلول سلام ، ص ٣٩ و ٤٠ . دار المعارف - القاهرة ، ط ٢ .

(٢) مقدمة الجامع الكبير ص ٢٥ . واحتاجن : اقطع . اللسان في (ح ج ن) .

(٣) تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، ص ٢٧١ - ٢٧٤

من بين هؤلاء د. عمر فروخ في كتابه « تاريخ الأدب العربي » ، ود. شوقي ضيف في كتابه « عصر الدول والإمارات : الجزيرة العربية - العراق - إيران » ، وأنيس المقدسي في مقدمة نشرة « رسائل ابن الأثير » التي ترجم فيها ابن الأثير فيما لا يزيد على نصف الصفحة^(١)

يبدو أن أغلب هذه الأمور قد اعتبره التلفيق والهوى ، فليس ابن الأثير ضياء الدين هو الذي ضلّ ، وأضلّ مخدومه الأفضل نور الدين عليا ، إنما الواضح من استبطان نصوص التاريخ أن الأمر كانت وراءه الأطامع التي تسببت في دوام الصراع داخل البيت الأيوبي . حتى إنه لم يبق ملكاً محافظاً على ملكه إلا الظاهر غازى صاحب حلب . بل إننا نكاد نزعم أن الصراع الحقيقي كان بين أبناء صلاح الدين من جهة ، وعمهم العادل من جهة أخرى .

فالواضح أن كل هذا الرهج ، وهذه التهمة الملصقة بصاحبنا أساسها واحد هو العmad الكاتب ، وإلا فمن « أين جاءت هذه التهمة ، وما الدليل الذي يوثقها؟ ». ابن واصل في مفرج الكروب ٣ / ٦٥ يوردها منقوله عن العماد الكاتب دون تعليق . ، وأبو شامة المقدسي في الروضتين ... يوردها منقوله عن رسالة العماد الكاتب المفقودة والمعروفة بالعتبي والعقبى . وابن الفرات سقطت أوراق من تاريخه في هذا الموضوع من أحداث سنة ٥٩٢ فلم يوردها . وابن تغري بردي الأتابكى ذكرها باختصار في النجوم الزاهرة . . . منقوله عن العماد الكاتب الأصفهانى . كذلك أوردها سبط ابن الجوزى في مرآة الزمان . . . باختصار ناقلاً القصة عن العماد الكاتب .

مصدر هذه التهمة الشائنة واحدٌ في كل المراجع التاريخية وهو العماد الكاتب . وحين نعرف ما بين العماد وابن الأثير من خصومة فإن هذا الاتهام يصبح موضوع شكٍ وشبهة^(٢)

(١) تاريخ الأدب العربي من القرن الخامس الهجري إلى الفتح العثماني ، د. عمر فروخ ، ٣ / ٥٣٥ - ٥٤١ ، ط ٥ . دار العلم للملاتين - أكتوبر ١٩٨٩ م ، وسلسلة تاريخ الأدب العربي [٥] ، عصر الدول والإمارات : الجزيرة العربية - العراق - إيران ، د. شوقي ضيف ص ٤٥٠ و ٤٥١ ، ط ٣ ، دار المعارف - القاهرة ١٩٩٠ م ، ونشرة أنيس المقدسي ص ٩ .

(٢) نشرة القيسي - ناجي ١ / ١٦ .

والراجح أن أساس المشكلة يكمن في أن الأفضل لما استقر له الملك «بعث بهدايا سنينة إلى باب الخليفة الناصر ، من ذلك سلاح أبيه وحصانه الذي كان يحضر عليه الغزوات ، ومنها صليب الصليبوت الذي استله أبوه من الفرج يوم حطين ، وفيه من الذهب ما ينفي على عشرين رطلاً مرصعاً بالجواهر التفيسة ، وأربع جواري من بنات ملوك الفرج . وأنشأ له العmad الكاتب كتاباً حافلاً يذكر فيه العزية بأبيه ، والسؤال من الخليفة أن يكون في الملك من بعده ، فأجيب إلى ذلك »^(١)

لقد كانت هذه الاستجابة مداعنة أساسية لحدوث الصراع داخل البيت الأيوبي حتى تتحدد شخصية من سيخلف السلطان صلاح الدين في مملكته ، أما وقد حسمها الأفضل سياسياً مع الخليفة العباسى في بغداد ، فإن المواجهة العسكرية وإلدهاء هما العاملان الأساسيان في توضيح الموقف من هنا لابد أن يظهر كل واحد منهم مدى قوته وقدرته على الاحتفاظ بما تحت يده . وانحصر الصراع المعلن بين الأفضل والعزيز ، لكن كانت هناك صورة أخرى لهذا الصراع ، تمثلت في دهاء العادل صاحب الدور الأكبر مع أخيه السلطان في تثبيت أركان البيت الأيوبي .

يرى الأفضل أنه أكبر أبناء السلطان ، وهو الأولى بمكان أخيه ليحكم أرجاء السلطنة من خلال كرسى حكمه في دمشق التي حكم أبوه دولته منها سنوات عديدة . والواضح أن العزيز كان مقتنعاً بأن من يحكم مصر يكون أولى بسلدة الحكم من غيره لذا اتخاذ ابن الأثير وما يفعله ذريعة لإقصاء الأفضل عن دمشق ، ولا نستبعد أن يكون تشويه صورة الأفضل - ووصفه بأمور لا تليق بابن السلطان صلاح الدين - متعمداً ؛ حتى لا يلام العزيز فيما سيفعله مع أخيه . سواء جاء هذا اللوم من داخل البيت الأيوبي ، أو من خارجه .

لذلك جهز العزيز جيشه ، وحاصر دمشق ، فتخوف المجتمعون بها أن يملك دولة أخيه فاتفقوا « على حفظها علماً منهم أن العزيز إن ملكها أخذ بلادهم فلما رأى العزيز اجتماعهم علم أنه لا قدرة له على البلد فترددت الرسل حينئذ في الصلح .. »^(٢).

كان ذلك في سنة ٥٩٠ هـ ، ويبدو أن هذا الصلح كان إعادة لتقسيم مناطق النفوذ تحت أيديهم ، ولم يكن ابن الأثير إلا قطرة في بحر ، ولا قبل له بهذا الصراع بينهم . وإن كنا نلحظ أن شخصيته وسلوكه يميل إلى الوفاء لمخدومه^(١) ، مع قناعة أنه هو الأولى بخلافة والده في ملكه لذلك كان حاد القلم مع الملك العادل ؛ لأنه يكاد يعلم ، ومن خلال تلك الفترة التي عاش فيها بينبني أيوب في حياة صلاح الدين ، ما يضممه نفسه .

وقد وجدت بين رسائل ابن الأثير نصين يؤكدان شدة قلمه في حق الملك العادل . صدر أولها بقوله : « كتاب كتبه عن الملك الأفضل على بن يوسف إلى الديوان العزيز النبوى عند الخروج من حلب ، وقصد دمشق والتزول على حصارها في شوال سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، وكانت مصر أجدبته ، وهلك أهلها مذ دخلها الملك العادل أبو بكر بن أيوب ، واختلف الناس عليه بسبب سوء صنيعه إليهم ، ومالوا عنه إلى الملك الأفضل ، وهذا الكتاب لم يسأر إلى الديوان العزيز لأن الفتح لم يتسهل »^(٢)

تضمح من خلال هذا الكتاب لغة ابن الأثير ، وما كان يضممه مخدومه تجاه عمه ، فهو لم يكن إلا ترجمانا لما يجيشه به صدر الأفضل .

وأما الكتاب الآخر فقد صدره بقوله : « كتاب آخر ثالث كتبه عن الملك الأفضل إلى عمه الملك العادل ، وضمنه شرح حاله مع عمه . وذاك أنه لما توفي والده المولى السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله تعالى . ألقى بيده إلى عمه المشار إليه الملك العادل دون جميع إخوته ، وبذل جهده في الإحسان إليه بنفسه وماله وعساكره ، فكان ثمرة ذلك أنه خدعا ، وانتزع دمشق منه ، ثم قدر الله تعالى بعد ذلك موت السلطان العزيز عثمان ابن الملك الناصر صلاح الدين صاحب مصر ، وملكتها الأفضل أخيه من بعده ، فجمع العساكر ، وخرج إلى الشام ؛ فحضر عمه الملك العادل بمدينة دمشق مدة طويلة ، ثم انقلب الأمر عليه ،

(١) راجع رسالته إلى مجاهد الدين وفاء له . نشرة القيسى - ناجي ١ / ٦٣ وما بعدها .

(٢) نشرة القيسى - ناجي الرسالة رقم ٤٦ ، ١ / ١٢٥ و ١٢٦

واستولى الملك العادل على مصر ، وخلف لابن أخيه الملك الأفضل على بلاد
بأرض الجزيرة ، ثم نكث به . وهذا أول الكتاب بعد البسملة :

نَدِمْتُ عَلَى أَمْرٍ مَهْمَى لَمْ يُشَرِّبْ
نَصِيْحَ ، وَلَمْ يَجْمَعْ قُوَّاهُ نِظَامَ

ربَّ وثُوقٍ يقود إلى الندم ، وتودد يدعو إلى التهم ، وقد يدل الحلم على
صاحبـه ، ويُطْمِعُ فـى جـانـبـه . ولولا ذلك لما استـلين عـودـى فـعـجمـ ، واستـضـعـفـ
ركـنـى فـهـدـمـ . ولا أـشـكـوهـ إـلـاـ إـلـىـ عـمـىـ وـصـنـوـأـبـىـ الـذـىـ نـقـرـهـ نـفـرـىـ ، وـهـوـ الـذـىـ قـلـبـ
فـوـاقـىـ عـلـىـ وـتـرـىـ ، وـعـلـمـنـىـ التـظـلـمـ مـنـ الـأـيـامـ ، وـأـرـانـىـ ضـوءـ النـهـارـ بـعـينـ الإـظـلـامـ .
ولـقـدـ أـضـاعـ فـىـ أـحـسـابـهـ ، وـخـالـفـ فـىـ قـطـعـ رـحـمـىـ سـنـةـ اللهـ وـكـاتـبـهـ ، وـجـعـلـ أـيـامـىـ مـنـهـ
كـيـومـ الـبـعـثـ الـذـىـ يـتـاـكـرـ النـاسـ فـىـ أـسـابـهـ وـأـسـابـهـ . . . »^(١) .

فـهـذـهـ الرـسـالـةـ تـرـصـدـ بـكـلـ دـقـةـ وـصـدـقـ ؛ـ الـحـالـ الـتـىـ وـصـلـ إـلـيـهـ الـأـفـضـلـ نـورـ الدـينـ
بعـدـ أـنـ اـنـتـزـعـ عـمـهـ مـنـهـ مـلـكـ دـمـشـقـ أـوـلـاـ ،ـ ثـمـ مـلـكـ مـصـرـ ،ـ وـهـاـ هـوـ ذـاـ يـنـتـزـعـ مـنـهـ مـلـكـ
الـبـلـادـ الـقـرـاتـيـةـ ،ـ وـهـذـاـ النـصـ هوـ أـصـدـقـ تـعـبـيرـ عـماـ يـجـيشـ بـصـدـرـ الـأـفـضـلـ وـوزـيرـهـ
الـضـيـاءـ بـنـ الـأـثـيـرـ ،ـ فـكـلاـهـمـاـ رـزـيـ بـمـسـتـقـلـهـ ؛ـ الـأـفـضـلـ رـزـيـ بـضـيـاعـ مـلـكـهـ ،ـ وـابـنـ الـأـثـيـرـ
رـزـيـ بـضـيـاعـ طـموـحـهـ ،ـ وـمـاـ كـانـ يـأـمـلـ فـيـ أـنـ يـصـلـ إـلـيـهـ فـيـ دـوـلـةـ الـابـنـ الـأـكـبـرـ لـلـسـلـطـانـ
صـلـاحـ الدـيـنـ الـأـيـوبـيـ .ـ لـهـذـاـ كـانـتـ حـدـةـ الـقـلـمـ وـاضـحةـ ،ـ وـمـنـ هـنـاـ أـيـضاـ كـانـ يـنـبعـ
بعـضـ الـعـادـلـ لـابـنـ الـأـثـيـرـ .

الـأـمـرـ أـكـبـرـ مـنـ اـبـنـ الـأـثـيـرـ إـذـاـ نـظـرـنـاـ إـلـىـ التـنـاوـلـ التـارـيـخـيـ بـعـينـ أـخـرىـ مـحـاـيـدـةـ غـيرـ
تـلـكـ الـتـىـ كـتـبـتـ تـارـيـخـ هـذـهـ الـفـتـرـةـ .ـ لـأـنــ وـيـاـ لـلـأـسـفــ بـعـضـ الـمـؤـرـخـينـ ،ـ حـتـىـ فـيـ
عـصـرـنـاـ الـحـالـيـ ،ـ يـكـتـبـونـ تـارـيـخـنـاـ تـحـتـ تـأـثـيرـ الـهـوـيـ الشـخـصـيـ .ـ وـقـلـةـ أـولـنـكـ الـذـينـ
بـرـصـدـوـنـ تـارـيـخـ الشـعـوبـ وـالـدـوـلـ بـدـقـةـ .

المـهـمـ أـنـ اـبـنـ الـأـثـيـرـ اـتـهـمـ بـخـيـانـةـ الـأـمـانـةـ وـهـرـوبـهـ ،ـ وـمـعـهـ أـمـوـالـ دـمـشـقـ وـأـعـمالـهـ
الـتـىـ اـخـتـزـنـهـ لـمـدـةـ ثـلـاثـ سـنـوـاتـ .ـ وـالـمـعـلـومـ أـنـ الـذـىـ تـولـىـ أـمـرـ تـهـريـبـهـ دـاـخـلـ صـنـدـوقـ
هـوـ الـأـفـضـلـ ،ـ وـأـقـرـ أـنـهـ أـخـذـ جـمـيعـ مـالـ دـمـشـقـ مـبـرـئـاـ سـاحـةـ اـبـنـ الـأـثـيـرـ .

(١) نـشـرـةـ هـلـالـ نـاجـيـ الرـسـالـةـ رقمـ ١٢ـ ،ـ ٩٩ـ /ـ ٢ـ وـمـاـ بـعـدـهـ .

السؤال الآن : كيف يهرب ابن الأثير داخل صندوق بأموال دمشق وأعمالها ثلاثة سنين ؟ .

ألا تحتاج هذه الأموال إلى إيل تحملها ، وإلى حراس يحرسونها ؟ حتى تصل إلى المكان الذي يقرر السارق أن تصل إليه . الأهم من ذلك ؟ أنه توجد رسالة في ديوان رسائله ، أرسلها إلى شقيقه بالموصل ، وَخَوْفَهُ القبض عليه ؟ فإنه كان لا يقطع طريقاً وسط بلد ، إنما يمشي من خارج البلاد يصدر ضياء الدين كتابه بقوله : « كتاب كتبه عن نفسه إلى أخيه بالموصل ، بعد أن خرجت دمشق عن يد مخدومه الملك الأفضل على بن يوسف ، وأخرج إلى حصن صرخد ، وسار هو على أثر ذلك إلى الموصل ، وأرسل هذا الكتاب من أثناء الطريق ، وكان طريقه على البر دون البلاد »^(١)

ويواصل ضياء الدين رسالته فيقول : « لكن أذكر من الأحوال التي تخصنى طرفاً على سبيل الاختصار . . . وذلك أنه لما فتح البلد ؛ رمانى الأعداء عن يد واحدة ، وأخذونى بأكباد حارة ، وأغراض باردة . وما نقموا على إلا أني حفظت وأضاعوا . وعصيت شيطان النفاق وأطاعوا ، وأجمعـت المسير فى يوم طوله ترثـب الوقوع فى حـبائـل الـأـرصـاد وعـزـيمـة إـذـا عـنـ لـهـ بـحـرـ الـأـهـوـالـ ؛ كـانـتـ لـهـ سـفـيـنةـ ، وـهـمـةـ يـقـصـرـ عـنـهـ الـمـدىـ الـمـتـطاـولـ ، وـلـاـ يـنـظـرـ عـاقـبـةـ فـيـمـاـ يـحـاـوـلـ . فـسـرـتـ غـيـرـ مـتـكـثـرـ بـرـفـقـ وـلـاـ صـاحـبـ فـلـاـ ظـلـ إـلـاـ ظـلـ ذـاـبـلـ أـوـ جـوـادـ . وـلـاـ سـمـيرـ إـلـاـ ظـهـرـ رـبـوـةـ أـوـ بـطـنـ وـادـ . وـلـقـدـ وـطـئـ أـرـضاـ لـاـ عـهـدـ لـهـ بـخـفـ وـلـاـ حـافـرـ »^(٢)

يتضح من خلال هذا الكلام أن ضياء الدين بن الأثير لم يكن له من رفيق في هذه الرحلة سوى راحلته التي قاسمته عناء سفره ، وقطع المسافات الطوال مخافة اللحوق به . لكنه يسلى نفسه في هذه الرحلة العصبية بشجاعته وشدة عزيمته التي لا تخشى ركوب الأهوال .

ويضيف مؤكداً أنه لم يكن أمامه وقت للراحة يقول « فلم أخلُنَّ وَضِيَّنا

(١) نشرة القيسى - ناجي الرسالة رقم ٣٠ ، ١ / ٩٩ .

(٢) السابق الرسالة رقم ٣٠ ، ١ / ٩٩ و ١٠٠ .

ولا غرضا ، ولا سئمت طولا ولا عرضا . ولم أرح ركابي إلا زريما نأكل علاله ،
ونتقم من بقايا الرزاد حثالة »^(١)

ويمضى قائلا : « لكن رقبت أسباب المخافة ، وأشفقت من نفاد الزاد بعد المسافة ، فأخذتها بالإعمال الدؤوب ، وأفت بين أشباحها وبين السهوب ... ثم وردت الفرات أجر الركاب وكأنما تمشي على أبصارها ، وفي الأكباد حرارة أوام لاتقى حمته بإطفاء نارها ، فعند ذلك حرمت ظهورها على الرحال »^(٢)

ثم ها هو ذا يحكى عن حالة المؤس التي وصل إليها عندما وصل أرض الخابور ، ويلوذ بالبكاء ، ولم يعد بنفسه من الصبر شيء ، ويزيد عذابه - إضافة لما أصابه من الهم والحزن والهرب خشية القتل - فراقه الأفضل على ما بينهما من الود والصحبة ، وما فعله معه من تقديميه على من سواه لهذا كان البكاء ، وإفلات القدرة على مواصلة المسير في طريق هريه من دمشق إلى الموصل

يقول ابن الأثير « ثم نزلت أرض الخابور ؛ فعزبت الأرواح ، وشرقت الجسوم ، وحصل الإعدام من المسار والإثراء من الهموم ، وطالبتني النفس بالعود والقدرة مقلسة وأويت إلى ظل الآمال ، والأمال مشمسة ، وتبلد خاطرى ، وبراعة المشتاق أن يتبلد ، وفزعـت إلى الدموع ، وأجدـر بلوعة تطفـيـ الدمعـ أن تتـوقـدـ ، ونـادـتـ صـبـرىـ ؟ فـماـ أـجـابـ . وـفـنـدـتـ جـزـعـىـ فـمـاـ تـفـنـدـ ، وـمـاـ يـلـامـ مـحـزـونـ فـارـقـ جـنـةـ وـحـرـيرـاـ ، وـتـرـكـ نـعـيـماـ وـمـلـكاـ كـبـيرـاـ ... وـلـيـسـ الأـسـىـ عـلـىـ مـالـ ، وـإـنـ فـارـقـتـ مـنـهـ مـغـرـبـهـ .. وـلـاـ عـلـىـ جـاهـ ، وـإـنـ خـلـعـتـ رـداءـ مـعـلـمـاـ ، وـأـيـاماـ مـذـهـبـةـ . بـلـ عـلـىـ صـحـبـةـ مـلـكـ قـدـمـنـيـ عـلـىـ أـصـحـابـهـ وـإـنـ كـنـتـ مـتأـخـرـ الصـحـبـةـ ، وـغـادـرـنـيـ مـنـ بـرـهـ فـيـ وـطـنـ ، وـإـنـ كـنـتـ مـقـيـماـ فـيـ دـارـ غـرـبـةـ ، وـبـيـسـطـ لـىـ قـلـباـ وـلـسـانـاـ وـيـداـ ، وـأـفـسـدـ نـظـرـىـ عـلـىـ ؟ فـلـمـ أـرـ بـعـدـ أـحـدـاـ . وـلـقـدـ كـنـتـ أـجـفـوـهـ فـلـاـ يـجـفـوـ ، وـأـكـدـرـ عـلـيـهـ فـيـصـفـوـ . وـمـتـىـ طـلـبـتـ جـزـيـلـةـ أـعـطـاـهـاـ ، وـإـنـ رـأـيـ حـسـنـةـ كـشـفـهـاـ ، أـوـ رـأـيـ سـيـئـةـ غـطـاـهـاـ »^(٣)

(١) السابق / ١٠٠

(٢) السابق الصفحة نفسها .

(٣) السابق ص ١٠٠ و ١٠١

بل ويزيد تعذيبه نزوله أرض الخابور التي يكاد يقول في وصفه لها : إنها قطعة من جهنم ، ويقرر بعد وصوله سنجار أن يبقى فيها غريبا ، ويقول إنه أصدر هذا الكتاب : « في الخميس الرابع والعشرين من شعبان » ^(١)

هذه هي حال ضياء الدين بن الأثير بعد تهريبه خارج دمشق في صندوق ، ومواصلته رحلة الهرب وحيدا شريدا يكابد الأهوال ، ويمر بالجبال والقفار وحده ، بلا رفيق يخفف عنه وطأة الرحلة وعذابها . إذن كيف يهرب ابن الأثير ؟ بل كيف نصدق ماقاله العmad الأصفهانى ، وما نقله عنه النقلة دون تفنيد لادعاء سرقة ابن الأثير حصاد دمشق وأعمالها ثلاثة سنين ؟ ! .

وأنقُ مع د. نورى حموى القىسى وهلال ناجى فى مقدمة نشرتهما لرسائل ابن الأثير فى قولهما : « ومثل هذا الاستنتاج المنطقى يرد التهمة عن ابن الأثير . وهو يكشف أن إخراج الأفضل من الشام كان مقررا بين العادل والعزيز . أما أقوال العmad الكاتب فقد ذهب ابن واصل وابن الفرات إلى أنها تقية من العادل ، ونقول إن اتهامات العmad لابن الأثير موضع شبهة ، ولا يمكن التسليم بها بسبب الخصومة بينهما ، فقد أورد ابن واصل ما مثاله : قال عmad الدين « وجاءنى الخبر أن وزيره قد قرر عنده عند قُرْبِ العسكرِ من البلد تَهَبَّ دورى وأملاكى فاستأذنت الملك العزيز فى الدخول إلى البلد ، فأذن لي على كراهية فلما دخلت البلد اجتمعت بالملك الأفضل ، وقلت له القول الأفضل ، فأبى أن يسمع أو أن يقبل ، وحرمت فى حظى الثانى والأول » ^(٢)

ومن مجانية الصواب قول د. عرفة حلمى عباس : « وهرب ضياء الدين مختفيا خشية بطش العادل به وتنتهى إلى حد كبير الآمال العريضة التي كان يتمناها ضياء الدين بن الأثير لنفسه كرجل دولة له شأنه ، ولم يمض على مجئه إلى دمشق من بلده الموصل مهاجرًا أكثر من أربع سنوات » ^(٣)

(١) السابق ص ١٠١

(٢) نشرة القىسى - ناجى ١ / ١٤ و ١٥

(٣) ضياء الدين بن الأثير : دراسة فى تراثه الشرى ص ١١

ووجه الخطأ في قوله إنه لم يمض أكثر من أربع سنوات ؟ إذ إن ابن الأثير قد قام ملزما للأفضل كما ذكرنا من سنة ٥٨٢ هـ حتى سنة ٥٩٢ هـ ، أي ما يقرب من السنوات العشر ، أو يزيد قليلا ، وليس كما ذكر د. عرفة

ومما ينافي الحقيقة قول د. زغلول سلام : « وصاحب ضياء الدين الأفضل إلى صرخد » ، ويقال : إنه خرج من دمشق إلى الموصل ، ثم عاد فلحق بالأفضل في صرخد » ، وتبادل معه قبل اللحاق به بعض الرسائل »^(١)

وقد سار د. عرفة حلمى عباس في هذا الاتجاه في قوله « وصاحب ضياء الدين الأفضل إلى صرخد سنة ٥٩٢ هـ لا إلى مصر كما زعم بروكلمان ، وجورجي زيدان ، والدكتور مصطفى جواد »^(٢)

كذلك فقد أهمل ابن خلkan في وفياته تلك الفترة من حياة ابن الأثير . يقول في ترجمته التي تعتبر أما لكل من ترجم لضياء الدين : « ولما أخذت دمشق من الملك الأفضل وانتقل إلى صرخد - حسبما شرحناه في ترجمته - وكان ضياء الدين قد أساء العشرة مع أهلها وهموا بقتله . فأخرجه الحاجب محسن بن عجم مستخفيا في صندوق مغلق عليه ثم صار إليه وصاحبه إلى مصر لما استدعى لنيابة ابن أخيه الملك المنصور »^(٣)

وذلك لأن رسالة ابن الأثير التي كتبها إلى أخيه تحكي غير ذلك كما أسلفنا ، وأنه مضى في طريق هروب من دمشق وحيدا ، ولم يكن معه من صاحب سوى راحلته التي أخذ يقوس عليها ليغذ بها المسير خشية بطش المتربيسين به ، واصفا خط سيره حتى وصل إلى الخابور ، ومنها إلى سنجار التي قرر أن يقيم فيها غريبا . وهذا يؤكّد أنه لم يكن مع الأفضل في صرخد بل والأكثر من ذلك أنه في هذه المرحلة من حياته لم يتصل بالأفضل إلا من خلال مراسلات ومكاتبات كانت بينهما سواء منها ما يحمل ذكر الشوق وتنمي العود للعمل معا والصحبة ،

(١) ضياء الدين بن الأثير للدكتور زغلول سلام / ٤٠ .

(٢) ضياء الدين بن الأثير : دراسة في تراثه الشرقي ص ١١

(٣) وفيات الأعيان ٥ / ٣٩٠

أو ما يحمل منها عناية بشخص قصد ابن الأثير حتى يتوسط له عند الملك الأفضل لقضاء أمر من الأمور . ولم يلحق به إلا أثناء محاصರته عمه العادل في دمشق بعد أن تولى ملك مصر ، وكان ذلك سنة ٥٩٥ هـ .

* * *

ابن الأثير في الموصل ٥٩٥ - ٥٩٢ هـ

التحق ضياء الدين بخدمة مجاهد الدين قايماز الزيني أتابك الموصل . ولم يطل مقامه سنجار رغم قراره البقاء فيها . يتضح ذلك من خلال رسالته التي كتبها عن نفسه إلى مخدومه مجاهد الدين صدرها بقوله : « كتاب كتبه عن نفسه إلى الأمير مجاهد الدين قايماز زعيم الموصل . وكان بخدمته أولاً قبل اتصاله بخدمة الملك الأفضل على بن يوسف ؛ فلما خرج من دمشق كتب إليه هذا الكتاب يعتذر فيه عن مفارقه إياه ، ويتطهف في عوده إليه » ^(١)

وليس صحيحاً أيضاً أنه اتصل بخدمة الملك العادل نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل - كما ذهب إلى ذلك د. عرفة عباس - إذ الصحيح أنه التحق بخدمة قايماز الزيني أولاً ، وطلبه بعد ذلك نور الدين ، أو رشحه له قايماز ^(٢) ونجد في ديوان ابن الأثير عدة رسائل أرسلها خلال هذه الفترة إلى الأفضل نور الدين يتحدث فيها عن ذكر الشوق ولوعدة الفراق ؛ راجياً أن يكون هناك توفيق لأداء الخدمة ^(٣)

إذن فالراجح أن ابن الأثير قد استقر في الموصل - بعد أن ترك سنجار التي لم يطل مقامه بها على أثر هروبه من دمشق - في الفترة من سنة ٥٩٢ هـ حتى ما قبل شهر ذى الحجة من سنة ٥٩٥ هـ .

(١) نشرة القيسى - ناجي ١ / ١٠١

(٢) ضياء الدين بن الأثير ، د. عرفة حلمى عباس / ١٢ ، ونشرة القيسى - ناجي ١ / ١٠٧

و ١٠٩

(٣) السابق ص ١٥٦ و ١٠٥ ، والمثل السائر ١ / ٢ ، ٢٦٣ و ٢٦٢ / ٢٤٠

بين دمشق ومصر ٥٩٥ - ٥٩٧ هـ

تشاء الأقدار أن يخرج العزيز عثمان بن صلاح الدين للصيد في الفيوم فعثرت قدما فرسه ، ويسقط على الأرض ، فتندق رأسه ، ويعود محمولا إلى القاهرة ؛ يصارع الحمى حتى مات سنة ٥٩٥ هـ « في العشرين من المحرم » ^(١)

علم كل من الملك الأفضل نور الدين على ، وعمه الملك العادل بوفاة العزيز . وقد انقسم الأمراء في مصر . فبعضهم يميل إلى العادل ، والبعض الآخر يميل إلى الأفضل . المماليك الأسدية يحبون الأفضل ، ويريدون أن يملكون مصر خلفا لأخيه ، والمماليك الناصرية الذين هم ملوك أخيه يكرهونه . فاجتمع فخر الدين جهاركس الذي كان يسير أمور الحكم في دولة العزيز وسيف الدين يازجح مقدم الأسدية ، وتم الاتفاق على أن يتولى الأفضل تسيير أمور البلد ، وأن يكون وصيا على الملك المنصور محمد بن أخيه العزيز ، وهو لا يزال طفلا ^(٢)

وبعد دخول الأفضل القاهرة في سبعة أيام عرف بهروب جهاركس ، ويتعلّق على بيت المقدس وبأن أتباعه من المماليك الناصرية لحقوا به ، وقويت شوكتهم . ومالوا إلى العادل ، « وأقام الأفضل بالقاهرة ، وأصلاح الأمور ، وقرر القواعد والمرجع في جميع الأمور إلى سيف الدين يازجح » ^(٣) .

علم ضياء الدين بن الأثير بملك مخدومه الأفضل مصر ، فأرسل إليه يهنته ، ويحذرها من أن عميه العادل أرسل من يمنعه عن بلوغ مراده ^(٤) .

وما إن استقر الأفضل في مصر حتى : « وصل إليه رسول أخيه الملك الظاهر

(١) الكامل ١٠ / ٢٥٥ .

(٢) السابق ١٠ / ٢٥٦ ، والتاريخ المنصورى / ٧ وما بعدها .

(٣) السابق الصفحة نفسها .

(٤) نشرة القيسى - ناجي ١ / ٩٠ .

غازي صاحب حلب ورُسُلُ ابن عمه أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص يحثانه على الخروج إلى دمشق واغتنام الفرصة »^(١)

فقد كان الهدف من وراء ذلك هو إبعاد العادل عن دمشق ، والاستيلاء عليها . فتجهز الأفضل لذلك ووصل إلى دمشق ، وحاضرها حصاراً شديداً^(٢) ، وحين ترامت هذه الأخبار السعيدة إلى أذن ابن الأثير جدًّا في السير ، والتحق ب أصحابه الأفضل تؤكد ذلك رسالته التي أرسلها إلى بعض الإخوان بالموصل من ظاهر دمشق في ذي الحجة سنة خمس وستين وخمسماة^(٣)

يتضح من هذه الرسالة أن ابن الأثير رافق مخدومه الأفضل في الرحيل إلى مصر ، وذلك بعد امتناع مدينة دمشق عليه ، في الوقت نفسه استحوذ المماليك الناصرية الملك العادل على ملاحقة الأفضل ، « وساروا خلفه مرحلة فنزل الأفضل بليبس ، ونزل العادل السائح ، فرجع الأفضل وضرب معهم المصالف وتقاتلوا فانكسر الأفضل وتفرق عنه أصحابه ، ورحل إلى القاهرة وأغلق أبوابها »^(٤)

ونجد بين رسائل ابن الأثير رسالة يكتبها عن الأفضل نور الدين مستجداً بأخيه الظاهر غازي على عمه الملك العادل . يقول في مقدمتها : « من فصل في كتاب كتبه عن الملك الأفضل على بن يوسف إلى أخيه الملك الظاهر غازي ، صاحب حلب عند دخول عمه الملك العادل أبي بكر بن أيوب إلى الديار المصرية في ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسماة »^(٥)

وفي هذه الرسالة يستجده ابن الأثير على لسان مخدومه الأفضل نور الدين على بالملك الظاهر غازي ، مؤكداً أنه إذا لم يسرع في الإنجاد ضاع كل شيء ، واستولى الملك العادل - ليس على مصر فقط - إنما على ملك صلاح الدين .

كانت نتيجة هذا الصراع غير المتكافئ بين الأفضل وغير المستعد للقتال ، وعدم

(١) الكامل / ١٠ / ٢٥٧ .

(٢) السابعة الصفحة نفسها .

(٣) نشرة القيسي - ناجي ١ / ١١١

(٤) النجوم الزاهرة ٦ / ١٥٠

(٥) نشرة القيسي - ناجي ١ / ١١٧ و ١١٨

إنجاد أخيه له ، والعادل الذى اجتمع بين يديه جنوده والمتخالفون معه ، إضافة إلى خيانة كثير ممن مع الأفضل له ، هى الهزيمة المحتومة « وجاء العادل فنزل البركة ودخل سيف الدين أزكش بين العادل والأفضل ، واتفقوا أن يعطيه العادل ميافارقين وجبل جور وديار بكر ويأخذ منه مصر »^(١)

واتفق رحيل الأفضل عن مصر فى « ربيع الآخر ودخل العادل إلى القاهرة وقال للأفضل جميع من كان معك كاتبى إلا سيف الدين أزكش »^(٢)

وقد جانب الصواب د. عرفة عباس فى قوله : « ولم يطل مقام الأفضل فى مصر إلا شهوراً معدودة »^(٣) . فالراجح تاريخاً أن الأفضل دخل القاهرة - ملكاً أو وصياً على الملك - في سابع ربيع الأول من سنة ٥٩٥ هـ ، وكان خروجه منها في شهر ربيع الآخر من سنة ٥٩٦ هـ . أى أنه حكم مصر مدة عام وشهر .

وقد جانب الصواب بعض من ترجم للضياء بن الأثير في هذه المرحلة من حياته ؛ فقد قرروا أن ابن الأثير خرج مع الأفضل من مصر . وفي مقدمتهم ابن خلkan إذ يقول في وفاته : « ولما قصد الملك العادل الديار المصرية وأخذها من ابن أخيه ، وتعوض الملك الأفضل البلاد الشرقية وخرج من مصر ، لم يخرج ضياء الدين في خدمته لأنّه خاف على نفسه من جماعة كانوا يقصدونه ، فخرج منها مستترا . وله في كيفية خروجه مستخفيا رسالة طويلة شرح فيها حاله ، وهي موجودة في ديوان رسائله وغاب عن مخدومه الملك الأفضل مدة ، ولما استقر الأفضل في سمبساط عاد إلى خدمته »^(٤)

وقد نقل عن ابن خلkan هذا الكلام محققاً الجامع الكبير^(٥)
ويترجم د. زغلول سلام لهذه الفترة العصبية من حياة الضياء بن الأثير قائلاً :

(١) النجوم الراحلة ٦ / ١٥٠.

(٢) السابق الصفحة نفسها .

(٣) ضياء الدين بن الأثير ، د. عرفة حلمى عباس ص ١٢

(٤) وفيات الأعيان ٥ / ٣٩٠ و ٣٩١ .

(٥) الجامع الكبير / ٢٧

« فعاد الملك العادل من الشمال بعد وفاة العزيز ، وكان الأمل الذى يراوده بالانفراد بملك أخيه لا يزال يقوى ، ووجد الفرصة مواتية بوفاة صاحب مصر ، فأراد أن يملك مصر ، ويخلع عنها الأفضل ؛ لأنها **يَئِسَةُ الْمُلْكِ وَسُرُّهُ** ، ومن امتلكها سيطر على بقية دولة صلاح الدين ولما علم الأفضل بوصول عمه إلى مصر ، وبناته فى خلعة هرب ، وفي أعقابه وزيره ضياء الدين متخفيا مرة أخرى ، ويقال إنه صاحب الأفضل متخفيا للمرة الثانية إلى سميساط »^(١)

ويقول فى كتاب آخر : « وخرج من مصر مع صاحبه الأفضل متخفيا بعد مجىء العادل »^(٢)

ويقول د. عرفة حلمى عباس : « خرج الأفضل من مصر ، وفي أعقابه وزيره ضياء الدين متخفيا مرة أخرى ؛ خوفاً من بطش العادل به »^(٣)

ويقول د. نورى حمودى القىسى وهلال ناجي : « ورحل الأفضل إلى » صرخد « بعد اجتماعه بالعادل ، وكان ضياء الدين بن الأثير قد اتصل بالأفضل فى ظاهر دمشق أثناء حصارها ، ورافقه فى العودة إلى مصر بعد فك الحصار . فلما ملك العادل مصر ، ركب جملاً ، وهرب خوفاً على نفسه من العادل الذى دخل القاهرة فى الحادى والعشرين من ربيع الآخر عام ٥٩٦ هـ »^(٤)

وقد أسقط بطرس البستانى الفترة ما بين عامى ٥٩٢ - و ٥٩٥ هـ ، وهى ما بين خروجه من دمشق ، والمدة التى التحق فيها بخدمة مجاهد الدين قايماز الزينى ، وصاحب الموصل ، إلى أن لحق بالأفضل أثناء حصاره دمشق^(٥) .

(١) ضياء الدين بن الأثير . د. زغلول سلام ص ٤٢ .

(٢) الأدب فى العصر الأيوبي ص ٢٤ .

(٣) ضياء الدين بن الأثير : دراسة فى تراثه الشرى . د. عرفة حلمى عباس ص ١٣ ، رسالة دكتوراه مخطوطة ، المكتبة المركزية تحت رقم ٧٤٥٤ .

(٤) نشرة القىسى - ناجي ١ / ٢٢ .

(٥) دائرة المعارف : قاموس عام لكل فن ومطلب ، ص ٣٧١ تأليف المعلم بطرس البستانى ، دار المعرفة - بيروت - لبنان .

ويقع د. شوقي ضيف في خطأً تأريخي ؟ إذ يقول « وتطور الظروف ، ويصبح الأفضل سلطانا على مصر ، فيلحق به سرا في صندوق مغلق عليه خوفا من الدمشقيين أن يقتلوه ، ويظل نور الدين في مصر عاما ، ويأخذها منه عمه العادل ، وبعوضه منها قلعة على الفرات تسمى سميساط ، ويخرج ضياء الدين وراءه مسترا إلى ولاته الجديدة »^(١)

ووجه الخطأ في قوله : إنه خرج في صندوق مغلق من دمشق إلى مصر مسقطا بذلك الفترة بين عامي ٥٩٢ - ٥٩٥ هـ .

وقد وقع في نفس الخطأ كارل بروكلمان في قوله : « وقد هرب وزيره من وجه أهالي دمشق بعد أن هددوه بالقتل ، وتوجه إلى مصر ، وعندما استولى الملك العادل آخر صلاح الدين بعد وفاة العزيز سنة ١١٩٥ هـ / ٥٩٢ م على مصر التي كان قد احتلها الملك الأفضل لوقت قصير ؛ اضطر ابن الأثير إلى الاختفاء بعض الوقت . وعندما استقر الملك الأفضل بسميساط معتدما من ركن الدولة سليمان الثاني السلاجقى ؛ ذهب إليه ابن الأثير »^(٢) وفي هذه الفقرة من الأخطاء والاضطراب الكبير بدءا من تاريخه له بأنه توجه من دمشق إلى مصر ، ومرورا بأن الأفضل احتلها لوقت قصير ، وانتهاء بقوله : إنه اختفى بعض الوقت .

وقد أهمل التاريخ لهذه المرحلة من حياة ضياء الدين بن الأثير آخرون ممن ترجموا له . نذكر منهم اليونيني في ذيل مرآة الزمان ، والسيوطى في بغية الوعاء ، ويوسف أسعد داغر في مصادر الدراسة الأدبية ، وأحمد عطية الله في القاموس الإسلامي ، ود. عمر فروخ في تاريخ الأدب العربى^(٣)

(١) سلسلة تاريخ الأدب العربي (٥) ، عصر الدول والإمارات : الجزيرة العربية - العراق - إيران ، د. شوقي ضيف ص ٤٥٠ ، ط ٣ ، دار المعارف - القاهرة ١٩٩٠ م .

(٢) تاريخ الأدب العربي كارل بروكلمان ، نقله إلى العربية د. رمضان عبد التواب وراجع الترجمة د. السيد يعقوب بكر ٢٧١ - ٢٧٤ ، ط - ٣ دار المعارف - القاهرة ١٩٨٣

(٣) ذيل مرآة الزمان من وقائع سنة ٦٥٤ هـ إلى سنة ٦٦٢ هـ / ١٦٤ و ٦٥ . بغية الوعاء للسيوطى ٣١٥ / ٢ الترجمة رقم ٢٠٦٤ . مصادر الدراسة الأدبية وقتها لمعناهج التعليم الرسمية ١ / ٢١٥ من العصر الجاهلى إلى عصر النهضة ليوسف أسعد داغر . القاموس الإسلامي ، وضع =

فإذا كان المؤكد تاريخاً أن الأفضل خرج من مصر في شهر ربيع الآخر من سنة ٥٩٦ هـ؛ فالراجح على كل ما سبق أن ابن الأثير لم يخرج من مصر إلا بعد خروج الأفضل بما يزيد على ستة شهور يؤكد ذلك ما ذكره ابن تغري بردى الأتابكي في قوله: « وقال أبو البركات بن المستوفى في تاريخ أربيل في ترجمة ضياء الدين أبي الفتح نصر الله المعروف بابن الأثير الوزير الجزري ما مثاله وجدت بخطه خطباً للملك العادل أبي بكر بن أيوب بالقاهرة ومصر يوم الجمعة الحادى والعشرين من شوال سنة ست وتسعين وخمسة »^(١)

ومن هذا نستنتج أن الملك العادل قد استكتب ابن الأثير بعد المصالحة التي تمت بينه وبين ابن أخيه الملك الأفضل نور الدين وخروج الأفضل إلى سميساط. وقد ظل الضياء بمصر إلى أن استقر الأفضل في مكان ملكه الجديد بقلعة سميساط، مع تخوفه من بطش العادل به، وأنه لم يكن الكاتب الأول لديه. أضف إلى ذلك أنه لم يجد الراحة التفصية في وجوده بجوار العادل؛ مثلاً يجدها في اقتراحه من الملك الأفضل الذي رافقه سنتين طويلة، يجد نفسه خالياً في مكان الصدارة التي لا ينافسه، ولا يضارعه فيها أحد، والأفضل نفسه - كما فعل أبوه الناصر صلاح الدين مع القاضي الفاضل - لم يقبل أن يزاحم ابن الأثير أحداً فيما اختصه به دون غيره.

وقد خرج ابن الأثير من مصر، وله في ديوان رسائله أكثر من رسالة تضم عبارة « بعد الخروج من مصر ، وبعد أن فارقت مصر »^(٢)

وتعود رسالته التي كتبها إلى بعض الإخوان في الموصل تأريخاً دقيناً للفترة التي لحق بالأفضل فيها - وهو يحاصر دمشق - وما تلا ذلك من أحداث الصراع على مصر ، والمصالحة ، والخروج منها .

= أحد عطية الله ٢٤/١ . تاريخ الأدب العربي من مطلع القرن الخامس الهجري إلى الفتح العثماني ، د. عمر فروخ ٣/٥٣٥ - ٥٤١ ، دار العلم للملائين ط - ٥ أكتوبر ١٩٨٩

(١) النجوم الزاهرة ٦ / ١٦٢

(٢) الرسائل ٣٨ و ٣٩ و ٤١ .

وقد صدر هذه الرسالة بقوله : « كتاب آخر كتبه إليه في جمادى الآخرة من هذه السنة بعد الخروج من مصر ، واستيلاء الملك العادل عليها » ^(١)

يصف ابن الأثير ما فعله العادل بعد أن تمكّن بمساعدة ابنه الكامل من فك الحصار عن دمشق : « وفوق سهم كيدو فسد . ولقد ركب خطرا لا يسلم راكبه ، وإن سلم لا تسلم له مطالبه ؛ إلا أنه تهيأ له من صنع القدر ، ما لم يكن في وسع البشر ، فواتاه الزمان مبادرا ، وكان محصورا فأصبح حاصرا . وكنت قدّمت إليه ذببا لا أرجو معه عاقبة إغضائه ، واستسلفت منه دينا لا صبر على اقتضائه ، ففاجأني من هذا الأمر ما أسمّ وأهرم ، وجلب إلى الهم من حيث أعلم ولا أعلم . . . ولما طمّت هذه الحادثة كبرت على حتى تورّهمها عياني ، وصادف تلك الحوادث بالنسبة إليها أمانى ، فعلمت حينئذ أن الحزم في التشيير ، ولم آت بالرأي الأول في الزمن الأخير ، فكتمت أمري ، وخففت ظهري ، وهونت ألا أكون في هذه السفرة من الغانمين » ^(٢)

ويمكن أن نستنتج من هذه الفقرة أن الضياء بن الأثير رغم اعترافه بأن إساءته في حق الملك العادل لا تغفر ؛ فإن الملك العادل فاجأه بأنه أبقياه كتابا عنده ، يتضح ذلك من قوله « وكنت قدّمت إليه ذببا لا أرجو معه عاقبة إغضاته ، واستسلفت منه دينا لا صبر على اقتضائه ، ففاجأني من هذا الأمر ما أسمّ وأهرم ، وجلب إلى الهم من حيث أعلم ولا أعلم ». فابن الأثير قد أهمنه الأمر كل الهم ، وانشغل به لدرجة المعاناة ، ولما أحس من الملك العادل بالغدر وجد « أن الحزم في التشيير ، ولم آت بالرأي الأول في الزمن الأخير ، فكتمت أمري ، وخففت ظهري ، وهونت ألا أكون في هذه السفرة من الغانمين » .

وبناءً على ذلك ، فيصف هذا الخروج بما يشبه خروجه الأول من دمشق ، وأنه كان وحده بلا رفيق إلا راحلته . يقول : « وخرجت وقتلت : رب نجني من القوم الظالمين . ثم سرت وعلى الراحلة من عزمى ما يزدّها ، ولو اهتزت الأرض من نقل

(١) نشرة القيسى - ناجي ١ / ١١٣

(٢) السابق ١ / ١١٤

نَهَرَّهَا ، غَيْرُ أَنَّهَا طِمُوحُ الزَّمَامِ ، تَذَرُّ الْمَطَئِ خَلْفَهَا صِفَا وَهِيَ أَمَامٌ . لَا تَخُورُ السِّيرَ
نَهَرًا جَسْمًا ، وَلَا بَدِلُ جَهْلَهَا حَلْمًا . كَأَنْ لَهَا مِنْهُ مَقَامًا مَرِيجًا ، أَوْ مَرَادًا فَسِيحًا . وَأَنَا
فَرِيقَهَا لَا نَجَى إِلَّا عَصْبُ الْحَدَّ وَلَدَنُ الْكُعُوبِ ، وَلَا صَاحِبٌ إِلَّا بَلْغَةُ الْعِيشِ وَالسُّرَى
وَالسُّهُوبِ ، فَأَصْبَحَتْ بِالْأَهْوَالِ ، وَأَخَا الشَّدَّ وَالترَّحَالِ ، كَأَنِّي خَلَقْتُ مِنْ إِقْدَامٍ ،
وَوُلِدْتُ عَلَى صَهْوَةِ أَوْ سَنَامٍ » ^(١)

وَنَجْدَهُ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ يَصِفُّ مَصْرَ وَصِفَا رَائِقًا ، قُلْ أَنْ نَرَاهُ عِنْدَ غَيْرِهِ مِنْ
الثَّانِيَنِ ، فَيُؤكِّدُ أَنَّ الْمَدَةَ الَّتِي قَضَاهَا بِمَصْرٍ لَمْ تَكُنْ لَاثْقَةً بِمَقَامِهَا ، فَهُوَ لَمْ يَكُدْ
يَرَاهَا حَتَّى خَرَجَ مِنْهَا . يَقُولُ ابْنُ الْأَثِيرَ : « هَذَا وَالنَّفْسُ مَعْلَقَةٌ بِمَصْرٍ ، فَإِنِّي لَمْ أَقْمِ
بِهَا شَيْئًا يَمْتَعُ نَظَرِي ، وَلَا يَذْهَبُ وَعْنَاءُ سَفَرِي ، كَأَنَّهَا شَوْقَتِي وَمَا ذُوقْتِي ،
وَطَالَعْتِنِي ثُمَّ قَاطَعْتِنِي وَلَقَدْ شَاهَدْتُ مِنْهَا بِلَدًا يُشَهِّدُ بِفَضْلِهِ عَلَى كُلِّ الْبَلَادِ
وَوَجَدْتُهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ هُوَ الْمَصْرُ وَمَا عَدَاهُ فَهُوَ السَّوَادُ . فَمَا رَأَاهُ رَأِي إِلَّا مَلَأَ عَيْنَهُ
وَصَدْرَهُ ، وَلَا وَصْفَهُ وَاصْفَ إِلَّا عَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَقْدِرْهُ حَقُّ قَدْرِهِ . وَبِهِ مِنْ عَجَابِ الْأَثَارِ
مَا يَضْبِطُ بِالْعِيَانِ ، فَضْلًا عَنِ الْأَخْبَارِ » ^(٢)

وَإِذَا كَانَتْ - مَصْرُ جَنَّةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ - قَدْ أَغْرَتْ ابْنَ الْأَثِيرَ بَأْنَ يَنْضُمُ إِلَى تَلْكَ
الْطَّائِفَةِ الَّتِي عَشَقَتْهَا ، فَإِنَّهُ يَقْرِرُ الْفَرَارَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَبْطِشَ بِهِ الْعَادِلُ ، لَأَنَّ إِفَاقَتِهِ
بِمَصْرٍ - بَيْنَ يَدِي الْعَادِلِ كَاتِبًا - تَسْتَدِعِي مِنْهُ الْإِلْتَزَامَ بِمَا لَمْ يَتَعُودْهُ فِي حَيَاتِهِ . فَهُوَ
يَنْدَلِلُ عَلَى صَاحِبِهِ وَمَخْدُومِهِ الْأَفْضَلِ ، وَلَا يَسْتَطِعُ أَنْ يَفْعُلَ مَعَ الْمَلِكِ الْعَادِلِ مِثْلَمَا
كَانَ يَفْعُلُ مَعَ الْأَفْضَلِ فَشَبَّهَ مَقَامَهُ فِي مَصْرٍ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ بِمَنْ يَمْشِي عَلَى
الصَّرَاطِ . فَكَانَ قَرَارُهُ بِالرَّحِيلِ مُتَخَفِّيَا ، فَإِنَّ الإِقَامَةَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ الْمُظَنَّوْنَ أَنَّهَا
جَنَّةٌ عِنْدَ الْعَادِلِ جَنُونٌ . وَمِنْ اسْتِبْطَانِ كَلَامِهِ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ نَجَدُهُ يُؤكِّدُ عَظِيمَ خَطْطِهِ
لَأَنَّهُ وَافَقَ عَلَى أَنْ يَكُونَ كَاتِبًا لِمَدِي الْعَادِلِ ، وَلَمْ يَخْرُجْ مَعَ صَاحِبِهِ الْأَفْضَلِ
وَأَكَدَ أَنَّهُ رَغَمَ عَشْقِ مَصْرَ الَّذِي تَعْلَفَلَ فِي وَجْدَانِهِ فَإِنَّهُ رَأَى « مَفَارِقَتِهِ .

(١) السَّابِقُ الصَّفْحَةُ نَفْسَهَا .

(٢) السَّابِقُ ١ / ٢١٤ وَ ١١٥ .

مقصدى ، وخبا سنا الكواكب الذى كنت به أهتدى ، فلا على إن أرسلت سهما
فعصبت به ريح عن غرضه ، فما أنا بأول من منى من الحظ بأسوده ، وقد أتى من
القصد بأبيضه ، وإن سرّ ياباًبى قوم ذوو وداد ، وسىء به قوم ذوو أحقاد ، فما آب
من خاب ، ولا غاب من بلغ الطلاب . وعلى كل حال ففى الأرض مضطرب ،
وللرزق مطلب غير هذا المطلب ،

ولَوْ قَعَدْتُ أَثَانِي لَا يُعَنِّيَنِي ^(١)

لكن كبر التفوس مغلبة بالرؤوس ، وما حمل على الشمل المبدد ، والنوم
المشرد ، كقول القائل : اغترب تتجدد ^(٢)

ويواصل الضياء تأريخه لهذه الفترة من حياته ، فى رسالة أخرى من رسائله إلى
أخيه مجد الدين المبارك أبي السعادات بن الأثير . يقول فيها : « ... وبعد : فلا
شك أن المولى يستطيع خبر هذه الحادثة على أصله ، وقد تضمنت هذه الأحرف
ما يستدل بيشه على كله ، وذاك أنه لما فارقنا ، وترك الأمور على ما بها من
اختلاف الأمر ، فى حل زيد وعقد عمرو ، ولم يخف على ذى بصيرة أن بناءها
يهدم وشيكا ، وأن أمر الملك لا يتحمل شريكًا ... فلما عدنا إلى الديار المصرية
تفرقت العساكر فى مرتبعها ، وتناقلت عن مجتمعها ، فعلم العدو (يقصد الملك
العادل) من أخبارها ، ما بعثه على غزوها فى عقر دارها . وكان الملك الأفضل قد
 أمسك نفسه بطرف البلاد ، فى طائفة من الأجناد ^(٣)

وفي هذه الرسالة أيضا نجد ابن الأثير يشرح فى وصف مؤثر ما حدث لمخدومه
الأفضل . مؤكدا أن الخيانة كانت سببا رئيسيا فى هزيمة الأفضل ، وانتصار العادل ،
 وأنه لو لا هذه الخيانة والتخاذل ما انكسر ، وأنه لما لم يجد مفرًا من التسليم ، سلم
لعمه مصر ، ووافق على إتمام الصلح بينهما .

(١) عجز بيت لعروة بن أذينة ، وصدره : أسعى له فيعنيني بطلبه ، تجريد الأغانى ٥ / ١٩٧٥ ، والمستطرف فى كل فن مستطرف ١ / ١٥٧ .

(٢) نشرة القيسى - ناجى لديوان رسائل ابن الأثير ١ / ١١٦

(٣) السابق الصفحة نفسها .

يقول ابن الأثير في رسالته : « وهو يظهر قوة من ضعف ، ولا يجد بُدًّا من اللقاء ، ولو أنه في مائة عدداً وعده في ألف ، وكان معه عصبية لثيمة مرَّدَها إكرامه ، وبطْرُها إنعامه . فنزعـت يوم الروعـ أستهـا ، وأمسـكت أعتهـا ، فـقـشـا فيـ القـومـ الفـشـلـ ، وـتـقـطـعـتـ بـهـمـ الـجـيلـ ، ثـمـ تـخـاذـلـوا عنـ حـفـظـ السـوـرـ ، وـقـعـدـوا عنـ الإـتـيـانـ بـالـمـيـسـورـ »^(١)

وبعد شرح هذا الموقف ؛ الذي تعرض له الأفضل نور الدين على بن صلاح الدين الأيوبي ، وما لاقى فيه من التخاذل والخيانة حتى إن عمـهـ الملك العادل قال له بعد إتمام الصلح : « جميعـ منـ كـانـ مـعـكـ كـاتـبـنـ إـلاـ سـيفـ الدـينـ أـزـكـشـ »^(٢) ؛ يؤكـدـ الضـيـاءـ بـنـ الـأـثـيرـ أـنـ لـمـ يـكـنـ مـنـ أـولـئـكـ الـمـتـخـاذـلـينـ حـاـكـيـاـ قـصـةـ خـرـوجـهـ مـنـ مـصـرـ ، فـيـقـوـلـ : « وـأـمـاـ الـمـمـلـوكـ فـلـمـ فـجـأـهـ هـذـاـ الـأـمـرـ تـلـكـأـ قـلـيـلـ ثـمـ أـقـدـمـ ، وـاسـتـسـلـمـ لـقـضـاءـ اللـهـ وـسـلـمـ ، وـخـرـجـ خـرـوجـ مـوـسـىـ صـلـوـاتـ اللـهـ عـلـيـهـ مـنـ الـمـدـيـنـةـ ، وـلـمـ يـنـقـلـهـ ذـلـكـ الـانـزـاعـاجـ عـنـ خـلـقـ السـكـيـنـةـ ، ثـمـ سـارـ يـلـقـيـ اللـلـيـلـ مـنـ هـمـمـ بـمـثـلـ سـوـادـهـ ، وـالـسـيـرـ بـصـبـرـهـ بـمـثـلـ اـمـتدـادـهـ وـاسـتـدـادـهـ ، عـالـمـاـ أـنـ الزـمـاعـ قـرـنـ التـوـبـ ، وـأـنـ الـبـلـادـ لـيـسـ بـذـيـ نـسـبـ ؛ فـخـيـرـهـاـ مـاـ وـافـقـكـ مـكـثـهـ ، وـأـمـسـكـ حـرـثـهـ . وـلـئـنـ تـرـحـلـتـ عـنـ مـصـرـ غـرـيبـاـ ؛ فـقـدـ أـضـحـتـ مـنـ بـعـدـ غـرـيـةـ ، وـغـدـتـ مـنـ مـحـابـسـهـ سـلـيـةـ ، فـلـوـ اـسـتـطـاعـتـ النـطقـ لـقـالـتـ وـتـأـمـلـتـ ، أـوـ أـمـكـنـهـاـ الـاـنـتـقـالـ لـسـارـتـ مـعـىـ وـمـاـ تـلـوـمـتـ »^(٣)

وفي هذا الموضع نستجلـىـ نقطـةـ مهمـةـ لمـ نـجـدـ لهاـ مـصـدـراـ غـيرـ كـاتـبـنـ « سـيـرـ أـعـلامـ النـبـلـاءـ » ، وـ « العـبـرـ فـيـ خـبـرـ مـنـ غـبـرـ » للـذـهـبـيـ ، يـقـوـلـ فـيـ عـبـارـةـ وـاحـدـةـ فـيـهـماـ دونـ أـدـنـىـ تـعـقـيـبـ : « وـقـيلـ : كـانـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ أـخـيـهـ عـزـ الدـينـ مـقـاطـعـةـ وـمـجـاتـيـةـ شـدـيـدةـ »^(٤) . وـيـدـوـ لـنـاـ مـنـ عـدـمـ تـعـلـيقـ الذـهـبـيـ عـلـىـ هـذـاـ الـخـبـرـ ، وـتـصـدـيرـهـ هـذـهـ الـعـبـارـةـ بـكـلـمـةـ : قـيلـ أـنـ لـمـ يـكـنـ مـوـقـنـاـ ، أـوـ كـانـ مـتـشـكـكاـ فـيـهـ .

(١) السابق ١ / ١١٧ .

(٢) النـجـومـ الـزـاهـرـةـ ٦ / ١٥٠

(٣) نـشـرـةـ الـقـيـسـيـ - نـاجـيـ ١ / ١١٧

(٤) سـيـرـ أـعـلامـ النـبـلـاءـ ٢٣ / ٧٣ ، وـ الـعـبـرـ فـيـ خـبـرـ مـنـ غـبـرـ ٥ / ١٥٦

وأعتقد أن مرجع هذا الاستنتاج ومدنه إلى أن عز الدين على بن الأثير لم يترجم لأخيه ضياء الدين ، ولم يذكره في تاريخه لسنوات الصراع بين أبناء البيت الأيوبي : العادل ، والعزيز ، والأفضل . وبالبحث ثبت أن عز الدين علياً لم يؤرخ لأبيه أثير الدين ، ولم نجده عنده إلا في مواضع ذكره فيها على سبيل الاستشهاد والتقل عنه ، كذلك لم يترجم - لا ميلادا ولا وفاة - لأخيه الأكبر مجد الدين المبارك بن الأثير . ومما سبق نستنتج أن عز الدين علياً لم يترجم لأبيه أو لأخويه المبارك أبي السعادات و الضباء بن الأثير ، ليس إهمالا منه ؛ أو لقطيعة كما قيل ؛ إنما هي حيلة المؤرخ التي قلما نجدها في مؤرخين كثيرين .

مع الأفضل في البلاد الشرقية

(الرقة وحران وحصن سميساط)

٥٩٧ - ٦٠٨ هـ

يؤرخ الذين ترجموا للضياء بن الأثير بأنه لحق بالأفضل في حصن سميساط بعد أن استقر له الملك ، وذلك على أثر الصلح الذي تم بينه وبين عم الملك العادل أبي بكر بن أيوب في سنة ٥٩٦ هـ^(١)

وقد تابع ابن خلكان في هذا الأمر كل من ترجم للضياء بن الأثير بعده . وقد ظل الضياء بجوار مخدومه في تلك السنين العجاف التي استمر فيها الصراع قائماً بين الأفضل وإخوهه من ناحية ، وبين عمه الملك العادل من ناحية أخرى .

تشجع الأفضل بعد أن علم تيأة الأمراء المصريين ، وعدم رضائهم مما فعله العادل بخلع الملك المنصور بن العزيز عثمان ، وما أصاب مصر من القحط والغلاء . وقد ازداد الأمر سوءاً بغضبة الأمراء المصريين ، وإضمار النية على عدم الطاعة للملك العادل . ولم يقتصر التفكير على ذلك ؛ إنما تعداه إلى مراسلة الظاهر غازى صاحب حلب ، والأفضل نور الدين بحصن سميساط آخرى العزيز عثمان ؛ قاطعين العهد على أنفسهم بالوقوف معهما ضد العادل^(٢)

لقد علم العادل بما بيته له ابن أخيه الظاهر غازى زوج ابنته ، والأفضل نور الدين فلم يكن أمامه بد من المواجهة وذلك بعد أن استقبل الأفضل أحد رجال الملك العادل ، وبعد إحسانه وفادته طلب منه أن يكون معه على عمه ؛ فحلف له تيقية ، واستجلاء للأمر^(٣)

(١) راجع وفيات الأعيان ٥ / ٣٩١ .

(٢) راجع الشجوم الزاهرة ٦ / ١٥٢ ، العبر في خبر من غير ٤ / ٢٩٥ و ٢٩٦ ، والبداية والنهاية ١٣ / ٢٧ وما بعدها .

(٣) راجع الكامل ١٠ / ٢٦٩ .

وللضياء بن الأثير رسالة في ديوانه كتبها ، وهو بالقرب من حلب ، وذلك لأن الأفضل علم باتجاه ابن عمه الملك المعظم عيسى نحو صرخد ، فرحل هو باتجاه حلب عند أخيه الظاهر غازى ، وقد صدرها بقوله : « كتاب مختصر كتبه عن نفسه إلى الملك الظاهر غازى بن يوسف بن أيوب صاحب حلب عند المسير من حصن صرخد إليه في خدمة مخدومه الملك الأفضل على بن يوسف ، وذلك في جمادى الأولى سنة سبع وسبعين وخمسمائة ، وكان المسير على طريق البر من جانب رحبة بنى عترة ؛ فأرسله الملك الأفضل من أثناء الطريق ليسبقه إلى حلب ، ويعلم بوصوله ، فسيير هذا الكتاب إلى الملك الظاهر ، وهو بالقرب من حلب يوم وصوله إليها » ^(١)

وقد تزامن ذلك مع صد الملك العادل رسولًا من خواص الظاهر غازى الذي لم يجد أمامه بدًّا من الاستعداد لحصار دمشق ^(٢)

ومع اتجاه الخارجين على المعظم عيسى بن العادل إلى أخي الأفضل بحصن صرخد ^(٣) ، اتفق الأخوان على الكتابة إلى الملك العادل نور الدين أرسلان شاه ؛ وقاضى القضاة ضياء الدين الشهريزوري . وبين رسائل ابن الأثير رسالتان تتضمناً أو لا هما استنجاداً بالملك العادل نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل . أما الثانية فهي موجهة إلى « القاضى ضياء الدين الشهريزوري ، وهو إذ ذاك قاضى القضاة ببغداد ، وكلفه أن يعرض هذا الأمر على الديوان العزيز النبوى » وكان هذا القاضى ضياء الدين قبل أن يلى القضاء ببغداد في خدمة الملك الأفضل بدمشق ، وقبله في خدمة والده الملك الناصر » ^(٤)

وقد وجدنا رسالة بين رسائل ابن الأثير ، تحمل بشائر النصر على الملك

(١) نشرة القيسى - ناجي ١ / ١١٩

(٢) راجع الكامل ١٠ / ٢٦٩ .

(٣) راجع السابق ١٠ / ٢٧٠ ، والتاريخ المنصورى ١ / ١٤ وما بعدها ، وال عبر ٤

(٤) نشرة القيسى - ناجي ١ / ١٢٠ وما بعدها

العادل ، وقد صدرها بقوله : « كتاب كتبه عن الملك الأفضل على بن يوسف إلى خديوان العزيز النبوى عند الخروج من حلب ، وقصد دمشق والتزول على حصارها فى شوال سنة سبع وتسعين وخمسماة وكانت مصر أجدب ، وهلك أهلها مذ دخلها العادل أبو بكر بن أيوب ، واختلف الناس عليه بسبب سوء صنيعه إليهم . ومالوا عنه إلى الملك الأفضل . وهذا الكتاب لم يسرى إلى الديوان العزيز لأن الفتح نم يتسهل » ^(١)

وهو فى هذه الرسالة يعدد ما حدث منذ بدء الحصار ، والاستفناح بالنصر ، ثم يفرغ بعد ذلك ليشرح ما فعله مخدومه من نشر العدل بين الناس ، متىها إلى تعدد المطالب والمساوىء التى أحدثها الملك العادل فى هذه البلاد ، ويبدو أن ذلك كان سببا رئيسيا فى خوف ابن الأثير من البقاء بجوار العادل ، وإثاره الهرب من مصر على البقاء فيها ؛ خوفا من أن يبطش به العادل فى أى وقت ^(٢) لكن الأهم من كل ذلك أن الفرق دبت بين الأخرين ؛ فقد اختلفا لسبب أو لآخر ؛ إذ نجد أن الذهبى يحكى عن هذا الخلاف الذى نشب بينهما ، وأنه كان من صنع العادل الذهابية ، وكانت هذه الواقعية سببا فى استقرار الأمور على الصلح ^(٣)

وقد رحل الأفضل بعد أن اجتمع بعمه الملك العادل عن دمشق عائدا إلى البلاد التى اتفق مع عمده على تسلمهما ، ومعه فى رحلته هذه ، كاتبه وصاحبته ضياء الدين ابن الأثير ، ونجد أن الضياء يؤرخ لهذه الفترة من حياته وحياة مخدومه الأفضل فى عدة رسائل ، وذلك بدءا من المصالحة التى تمت بين الملك العادل وبين ابن أخيه الأفضل ؛ حتى وصوله فى نهاية المطاف إلى مستقره النهائى فى هذه المرحلة من حياته مع مخدومه الملك الأفضل نور الدين على ، وهى حصن سميساط ^(٤) كاتب له هذا الخيال الخصب ، والتوق إلى الحياة الرغدة التى عاشها الضياء ابن

(١) السابق ١ / ١٢٤

(٢) راجع السابق ١ / ١٢٥

(٣) راجع العبر ٤ / ٢٩٦ ، و الكامل ١٠ / ٢٧١

(٤) راجع نشرة القىسى - ناجي ١ / ١٣٠ وما بعدها ، وهى الرسائل رقم ٥٠ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ .

الأثير ، سواء في كنف والده منذ سن طفولته الأولى ، أو في مرحلة الشباب التي قضياها في الموصل ، ثم في دمشق أيام الناصر صلاح الدين ، ممتنعا بما يراه من انتصارات المسلمين على الفرنج والصلبيين في الشام ، كذلك ما انقضى من عهد الشباب في خدمة الأفضل وزير له بدمشق ، آملًا في أن يكون وزيره ، وصاحب ديوان إنشائه في سلطنة عظيمة الأرجاء .

كل هذه الحياة التي عاشها ؛ مع كثير من الطموح ، ثم يجد ضياء الدين نفسه تارة في حصن صرخد ، وتارة أخرى يتنهى به المطاف إلى حصن سميساط وكلاهما حصنان جبليان أثara الحزن في نفس صاحبنا ، فعبر عن هذا الحزن في رسالتين يؤكد من خلالهما مدى بغضه للإقامة بهما .

يقول في الرسالة الأولى : « ... وأنا أشرح له أحوالى ، فإنها مما تزيد القلوب صدأً . وليس بمنكر أن تغدو خبرا إن كانت الحوادث له مبتداً . وقد عدلَ الآن عن شكوى الزمن الملائم ؛ إلى شكوى المكان الذي أنا به مقيم . وكيف لا أشكوا أرضًا منيت بقلة خيرها ، وشوم طيرها . فلا يوجد بها جار إلا البوم ، ولا زاد إلا الهموم ،

أَرْضٌ خَلَقَتِ اللَّهُو خَلْعِي خَاتَمِي

فِيهَا ، وَطَلَفَتِ السُّرُورُ ثَلَاثًا

وقد كان القلب يسكن ، والمقام يمكن . قبل أن يلقي في العشاء رحله بساحتها ، وتأخذ أكف الغيث في ساحتها ... وجملة الأمر أنه لا يزال جفن السحاب بها ساكبا ، وإن بدا خُد الشمس فلا يبدو إلا شاحبا » ^(١)

ولم تكن الإقامة بحصن سميساط أفضل حالا عن الإقامة بحصن صرخد ؛ إذ إن إقامة الضياء في سميساط كانت من الأمور التي تثير شجنه وهمه ، خاصة أن حزن قلبه ، قد امتد إلى رأسه ، فأشعله شيئا . وقد صدر هذه الرسالة بقوله : « كتاب كتبه عن نفسه إلى بعض الإخوان بالموصل جوابا عن كتابه ، وسيُر إلىه من حصن سميساط ... » ^(٢)

(١) نشرة القيسي - ناجي ١ / ١١٨ ، الرسالة رقم ٤١

(٢) السابق ١ / ١٣٧ ، الرسالة رقم ٥٦ .

ثم يواصل ابن الأثير ذمه للدنيا فيقول : « وأعجب ما فيها أن صاحبها يُحسد على ما يُرحم من أجله ... ومن ذميم فعلها المعدود في باب ثناها ما تجنيه من المشيب على من تغمره من أبنائها ، وقد فجأتني بذلك والعهد قريب ، والغصن رطيب ، ورواء الشباب عجيب فذوى نبت الرأس والماء جاري في عوده . وأخلق لباس الصبا ، ولم تخرج يد صانعه من حَوْكِ بُرُودِه ؛ ولشن قدمت طليعته قبل أوان قدومها . فغير بداع للمرتفق في سماء المعالى أن تعممه بنجومها . وإذا نظر في ذلك إلى صحة القياس ، وجد شيب الفؤاد سرى إلى شيب الراس ، ولقد أذكى هموسى وأحمد هموسى ، وأحدث التغيير في كل شيء إلا شيئاً »^(١) .

لقد كانت بداية الصجر من حياة الحصون نذيرًا للضيق والتآلف من البقاء في خدمة الأفضل نور الدين . إذ بدأ يضيق صدره من مقامه في هذا المكان . وقد زادت حياة ضياء الدين سوءاً واختناقًا بعد أن وصله خبر وفاة أخيه الأكبر مجد الدين المبارك أبي السعادات بن الأثير^(٢) وازداد الأمر سوءاً بوفاة أبيه ، الذي لم نجد أي تاريخ لميلاده أو لوفاته . وإن كانت المصادر تؤكد أن وفاة مجد الدين المبارك كانت في سنة ٦٠٦ هـ ، فعلى هذا تكون وفاة الأثير بعد وفاة ابنه الأكبر

تسرب اليأس إلى نفس ابن الأثير ، ولم يعد يتحمل الإقامة في خدمة الأفضل . فقرر مفارقته . وتَرَضَّدْ إحدى رسائله هذا الضيق القاتل الذي وصلت إليه حاله ، وما أصحابه من اليأس بعد أن رکن الأفضل إلى الدعة ، ولم يعد يشغله في حياته طموح إلى استعادة ملك أبيه ، واكتفى بالإقامة القاتلة ، والعزلة المميتة في حصن سميساط غير عابئ بما يجري حوله ، أو بكونه في خدمة عم الملك العادل ، أو في خدمة غيره . تستوي في ذلك خدمته لصاحب الموصل أو لصاحب الروم . وهو في هذه الرسالة يبدى تبرماً على ما فات من عمره في خدمته دون أن يتحقق طموحه في جوازه ، مؤكداً أنه وجد هناءه وسعادته بعد فراقه

وبعد مقدمة الرسالة ، وذكر الأسواق ، وبيان مناقب المرسل إليه ؛ يقول

(١) السابق ١ / ١٣٨

(٢) راجع نشرة القيسي - ناجي ١ / ٨٥ ، الرسالة رقم ١٦

الضياء : « . . . والصابر على صحبتكم كمن لاك الصبر في فمه ؛ فإذا نزح عنها وجد حلاوة العيش في مشربه ومطعمه . . . وربما تصفح قولى هذا من تحمله كثرة الحذقة ، على كثرة المحرقة ؛ فيقول : لقد أخطأ فلان في اختيار الفراق ، وها نحن قد حظينا دونه بسعة الأرزاق ، وأقمنا تحت ظل هذا السلطان في صيف الشام وفي شتاء العراق ، ولا يجاف هذا القائل إلا بالإعراض عن جانبه ، وإن أجيب فيحال على ما يكتب على القبر وهو بركة لصاحبه . . . والغبن كل الغبن في ذكر ما مضى لي من الخسارة ، وإنفاق العمر في الذي لا عوض عنه غير إنفاق ما عنه عوض من الدرهم والدينار ، وعلى كل حال فأنا الملوم إذ طمعت أن استمر حنظلة ، وأستجدى چنلله ، وأستولد أملا لم أحصل على المأمول فيه إلا على مبخلة . . . »^(١)

وبهذه الرسالة تنتهي العلاقة بين ابن الأثير ومخدومه الأفضل نور الدين ، وبها ما بها من ذم وتعریض بالأفضل والفتراة التي انقضت هباء وهو في خدمته ، رأينا أنه بهذا التصریح لم ينسى إليه ؛ إنما ذکر الحق دائمًا ثقيل على نفوس الناس .

* * *

العودة إلى الموصل من ٦٠٨ هـ

لقد أرخ المترجمون لحياة ضياء الدين بن الأثير في هذه الفترة من حياته ، بأنه ظل في خدمة الأفضل بحصن سميساط حتى سنة ٦٠٧ هـ ، ثم ترك خدمته إلى أخيه الملك الظاهر غازي . وفي هذا يقول ابن خلkan : « ولما استقر الأفضل في سميساط عاد إلى خدمته ، وأقام عنده مدة ثم فارقه في ذي القعدة من سنة سبع وستمائة ، واتصل بخدمة أخيه الملك الظاهر صاحب حلب ، فلم يطل مقامه عنده ولا انتظم أمره وخرج مغضبا ، وعاد إلى الموصل »^(١)

ويبدو أن الداعي لمقوله : إن ابن الأثير قد ترك خدمة الأفضل في سنة ٦٠٧ هـ هو وجود رسالة بين رسائله كتبها عن نور الدين أرسلان شاه في نشرة أنيس المقدسى مؤرخة في نفس السنة ، وقد كتب خطأ أنها كتبت في محرم سنة ٦٠٨ هـ ، وقد أشار د. نوري حمودى القيسى وهلال ناجي أنهما راجعاً لهذا التاريخ على الأصل المخطوط ؛ فوجداً أن الصواب هو : ٦٠٧ هـ وليس كما وجد في نشرة المقدسى^(٢)

وإذا كان من المؤكد تاريخاً أن وفاة نور الدين أرسلان شاه كانت في رجب سنة ٦٠٧ هـ^(٣) ؛ فالراجح أن تكون هذه الرسالة قد كتبت في شهر المحرم من السنة نفسها

لكن الأكيد أن ابن الأثير قد غادر سميساط ، تاركاً خدمة الأفضل نور الدين على في سنة ٦٠٨ هـ ، وليس قبل ذلك كما قال ابن خلkan ، ومن تابعه قديماً وحديثاً : يرجح هذا القول تلك الرسالة التي كتبها ابن الأثير عن مخدومه الأفضل نور الدين في سنة ٦٠٨ ، وهو رسوله إلى صاحب الروم ، وقد صدرها بقوله : « كتاب كتبه عن نفسه إلى مخدومه الملك الأفضل أبي الحسن على بن يوسف ، وقد سيره

(١) وفيات الأعيان ٥ / ٣٩١ . وشذرات الذهب ٣ / ١٨٨ . وسير أعلام النبلاء ٢٣ / ٧٣ . وال عبر في خبر من غير ٥ / ١٥٦

(٢) نشرة القيسى - ناجي ١ / الهامش في ٣١ . وراجع نشرة المقدسى / ٢٥٧ وما بعدها .

(٣) راجع الكامل ١٠ / ٣٥٣ .

رسولا إلى صاحب الروم من حصن سميساط ، وذلك في سنة ثمان وستمائة ، فكتبه إليه من بعض الطريق ، وكان الزمان شتاء يصف البرد ^(١)

وعلى وجه الاعتقاد ، نكاد نرجح مما تحت أيدينا من مصادر أن هذه هي آخر رسالة كتبها ابن الأثير عن الأفضل نور الدين . وقد وجدها في سنة ٦٠٨ هـ أيضاً رسالة لابن الأثير كتبها عن الملك الظاهر غازى صاحب حلب ، وقد صدرها بقوله : « كتاب كتبه عن المولى السلطان الملك الظاهر غياث الدنيا والدين غازى بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب - رحمهم الله تعالى - إلى الديوان العزيز النبوى ببغداد جواباً عن كتاب ورد منه بشيراً في سنة ثمان وستمائة عن الطائفة الإسماعيلية أنها أسلمت بمحضهن ألموت من بلاد العجم ، وهم الحاكمون على حضون الذين بالشام منهم بجبل السماق » ^(٢)

مع ما سبق يمكن القول : إن الرسائل التي كتبها الضياء بن الأثير سواء عن الظاهر غازى أو عن الملك القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان شاه قبل سنة ٦٠٨ هـ كانت أثناء زيارات له إلى حلب أو الموصل

ما يعنينا في الأمر أنه بعد أن ترك خدمة الأفضل لم يقرّ له قراراً ؟ سواء في حلب أو الموصل ؛ حيث لم يُطِلِّ المقام في حلب لما رأى حيطة صاحبها في تعامله معه ، يستوى في ذلك خوفه من أن يجر عليه القلق في ملكه ، أو مخافة أن يثير خواصه وقواده من معاملة مميزة يختص بها ، « فلم يطل مقامه عنده ولا انتظم أمره وخرج مغضباً وعاد إلى الموصل » ^(٣)

فمن بين رسائله نجد رسالة كتبها عن الملك القاهر عز الدين مسعود إلى الملك الأشرف موسى بن العادل يعزيه بوفاة أخيه الملك الأوحد ^(٤) . وقد كانت وفاة الملك الأوحد في ربيع الأول سنة ٦٠٩ هـ ^(٥)

(١) نشرة ناجي لرسائل ابن الأثير ٢ / ١٠٤

(٢) السابق ٢ / ١٤٣

(٣) وفيات الأعيان ٥ / ٣٩١ .

(٤) راجع نشرة المقدسى / ١٩٧ ، و ١٩٩

(٥) راجع البداية والنهاية ١٣ / ٦٤

وهذه الرسالة تؤكد أن ابن الأثير قد استقر في الموصل بعدما ترك حلب منشأه لصاحبها عز الدين مسعود .

ومن بين رسائله رسالة مهمة ، أملالها على ابنه الشرف محمد لتكون مقدمة لكتابه الذي ألفه لصاحب الجزيرة العمورية ، وقد صدرّها بقوله : « رسالة أملالها على صديق له ، سأله أن يمليها عليه ؛ ليضعها في مقدمة كتاب جمعه في أوصاف الصّبُوح ، وجعله باسم الملك المعظم معز الدين أبي القاسم محمود بن سنجر شاه صاحب الجزيرة العمورية في سنة عشرة وستمائة » ^(١) .

ويذكر ابن خلkan نقلًا عن ابن المستوفى قوله : « وذَكَرَهُ أبو البركات ابن المستوفى في تاريخ إربيل وبالغ في الشاه عليه وقال ورد إربيل في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة وستمائة » ^(٢) .

وفي سنة ٦١٢ هـ يملى على الأمير علاء الدين محمود بن الأمير الكبير المنعم مجاهد الدين يرنشش صاحب سنجر رسالة إلى الملك الأشرف موسى . وقد صدر ابن الأثير هذا الاستملاء بقوله : « وطلب منه الأمير علاء الدين محمود بن الأمير الكبير المنعم مجاهد الدين يرنشش العمادي أن يملى عليه كتاباً يكتبه عن نفسه إلى الصاحب مجد الدين البهنسى وزير السلطان الملك الأشرف موسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب فى أمر أملاله المتزعنة منه بيلد نصيبين وببلاد الخابور الجارية فى مملكة السلطان الملك الشرف ، وذكر ذلك فى معرضن السؤال فى سنة اثنى عشرة وستمائة فى شهر رجب » ^(٣) .

ويواصل ابن خلkan ترجمته التي اعتمد عليها كل من أرخ لحياة الضياء بن الأثير فيقول : « وعاد إلى الموصل فلم يستقم حاله ، فورد إربيل فلم يستقم حاله فسافر إلى سنجر ثم عاد إلى الموصل واتخذها دار إقامته ، واستقر وكتب الإنشاء لصاحبها ناصر الدين محمود ابن الملك القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان شاه

(١) نشرة المقدسي / ٢٤٥ .

(٢) وفيات الأعيان ٥ / ٣٩٦ .

(٣) نشرة ناجي لرسائل ابن الأثير ٢ / ١٨١

وأتابكه يومئذ الأمير بدر الدين لؤلؤ أبو الفضائل النوري وذلك في سنة ثمانى عشرة وستمائة »^(١)

وإذا كان ابن خلكان ومن تابعه يؤكدون أن ابن الأثير قد عاد إلى الموصل ، واستقر بها ، وكتب الإنماء لصاحبها ناصر الدين بن القاهر عز الدين مسعود وذلك في سنة ثمانى عشرة وستمائة ، فإن هذا يعد من سبيل مجانية الصواب ، إذ إن الثابت تاريخاً أن وفاة الملك القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان شاه كانت في سنة ٥١٥ هـ « ليلة الاثنين لثلاث بقين من شهر ربيع الأول » ولما حضرته الوفاة أوصى بالملك لولده الأكبر نور الدين أرسلان شاه وعمره نحو عشر سنين . وجعل الوصي عليه والمدبر لدولته بدر الدين لؤلؤ ، وهو الذي كان يتولى دولة القاهر ، ودولة أبيه نور الدين قبله »^(٢)

وبعد صراع على حكم الموصل بين عماد الدين زنكي عم نور الدين أرسلان شاه الثاني ، وبين بدر الدين لؤلؤ أتابك نور الدين ، ينحسم الأمر لصالح بدر الدين لؤلؤ ، وفي ذلك يكتب ابن الأثير رسالة عنه إلى الديوان العزيز تتضمن « هزيمة عماد الدين زنكي شاه بن مسعود تحت حصن العقر »^(٣)

وقد أفرزت هذه الهزيمة إقراراً للصلح القديم بين بدر الدين لؤلؤ وبين مظفر الدين كوكبى صاحب إربيل « ولما تقرر الصلح توفى نور الدين أرسلان شاه بن الملك القاهر صاحب الموصل وكان لا يزال مريضاً بعدة أمراض ، فرتب بدر الدين في الملك بعده أخيه ناصر الدين وله من العمر نحو ثلاثة سنين ، ولم يكن للقاهر ولد غيره »^(٤)

والثابت تاريخاً أن هذا الصراع دار في النصف الثاني من سنة ٦١٥ هـ وانتهى في شهر المحرم سنة ٦١٦ هـ ، وهذا يؤكد أن الضياء كان في خدمة صاحب الموصل

(١) وفيات الأعيان ٥ / ٣٩١

(٢) الكامل ١٠ / ٣٨٢

(٣) نشرة المقدسى / ٦٠

(٤) الكامل ١٠ / ٣٨٦

وأتابكه قبل هذا التاريخ أى أنه عاد من سنجار إلى الموصل ، واستقر بها متشيا للملك القاهر عز الدين مسعود ، وظل في خدمة ابنه نور الدين أرسلان شاه الثاني ، وأخيه ناصر الدين محمود ، وأتابكه بدر الدين لؤلؤ ، وليس كما ذهب الذاهبون إلى أن ذلك كان في سنة ٦١٨ - كما قال ابن خلكان - ، أو سنة ٦١٦ - كما ذهب إلى ذلك د. عرقه حلمي عباس - ^(١)

لقد تجدد طمع مظفر الدين صاحب إربيل ، وعماد الدين زنكي « لما توفي نور الدين وملك أخوه ناصر الدين لصغر سنه فجمعا الرجال وتجهزوا للحركة فظهر ذلك وقصد بعض أصحابهم طرف ولاية الموصل بالتهب والفساد » ^(٢)

ونجد بين رسائل ابن الأثير رسالة تتضمن شكوى بدر الدين لؤلؤ إلى الديوان العزيز ^(٣) والراجح أن تكون هذه الرسالة قد كتبت سنة ٦١٦ هـ ، أو سنة ٦١٧ قبل مجيء الملك الأشرف ، وذلك لأن الثابت تاريخاً أن الملك الأشرف توجه إلى الموصل بعد أن ملك سنجار ، وأتى رسول الخليفة ورسل مظفر الدين في طلب الصلح وإعادة القلاع إلى بدر الدين ، وقد تسلم الأشرف عماد الدين زنكي رهنا حتى يتم تسليم القلاع « فإذا سلمت أطلق زنكي وأعيد عليه قلعة العقر شوش وحلقوا على هذا وسلم الأشرف إلى زنكي القلعتين ، وعاد إلى سنجار وكان رحيله عن الموصل ثانية شهر رمضان من سنة سبع عشرة وستمائة » ^(٤)

وبعد مساندة الملك الأشرف لبدر الدين لؤلؤ ؛ فإن الأخير أراد أن يثبت له مدى ولائه ، وقد ظهر ذلك واضحاً بعد هروب ابن المشطوب من مصر وخروجه إلى الشام « وآلت حاله إلى أن حوصر في شهر زبيع الآخر بتل يغفور القلعة التي بين الموصل وسنجار ، فراسله الأمير بدر الدين لؤلؤ أتابك صاحب الموصل ، ولم يزل يخدعه ، ويطمئنه إلى أن أذعن للانتقاض ، وتحالف له على ذلك ؛ فانتقل إلى

(١) وفيات الأعيان ٥ / ٣٩١ ، وضياء الدين بن الأثير : دراسة في تراجم التبرى ص ١٦

(٢) الكامل ١٠ / ٣٨٦ .

(٣) نشرة المقدسى / ٦٩

(٤) الكامل ١٠ / ٣٩٠ .

الموصل ، وأقام بها قليلا ، ثم قبض عليه ، وذلك في سنة سبع عشرة وستمائة ، وأرسله إلى الملك الأشرف مظفر الدين بن الملك العادل ، وإنما قبض عليه تقربا إلى قلبه . فإن خروجه في هذه الدفعة كان عليه فاعتلله الملك الأشرف في قلعة حران وضيق عليه تضيقا شديدا «^(١)

ويبن رسائل ابن الأثير رسالة ، وجهها إلى الملك الأشرف موسى بن الملك العادل متضمنة حادثة القبض على ابن المشطوب ، وكانت هذه الحادثة سببا رئيسيا في توجه الملك الأشرف إلى الموصى ، فقد سجن بدر الدين لؤلؤ عماد الدين بن المشطوب في سجن الموصى ، وقد تسلمه منه الملك الأشرف . يقول صاحب «الكامل» : « وأخذ ابن المشطوب معه إلى الموصى فسجنه بها ، ثم أخذه منه الأشرف فسجن بحران إلى أن توفي في ربيع الآخر سنة تسع عشرة وستمائة ولقاء الله عقوبة ما صنع بال المسلمين بدمياط »^(٢)

وقد صدر الضياء هذه الرسالة بقوله : « كتاب كتبه عنه أيضا - بدر الدين لؤلؤ - إلى الملك الأشرف موسى بن أبي بكر بن أيوب ، يتضمن حادثة عماد الدين أحمد بن على المعروف بابن المشطوب ، وهو أمير من أكبر أمراء الأكراد الهاكارية »^(٣) . ويأتي عام ٦٢٢ هـ الذي يمكن أن نسميه عام الفاجعة ، فقد فقد فيه الضياء ولدا ، كان يعُدُّ لقابل أيامه ذخيرة ، إذا عدت عليه نواب الزمان . لكن يد القدر كانت أسبق إليه .

يقول ابن خلكان عن هذا الفقيد في وفياته ؛ ملحقا ترجمته بترجمة أبيه : « وكان لضياء الدين ولد نبيه ، له النظم والثر الحسن ، وصنف عدة تصانيف نافعة من مجاميع وغيرها . ورأيت له مجموعا جمعه للملك الأشرف بن الملك العادل بن أيوب ، وأحسن فيه ، وذكر فيه جملة من نظمه ونشره ورسائل أبيه . ومولده بالموصى في شهر رمضان سنة خمس وثمانين وخمسماة . وتوفي يكرا نهار الاثنين

(١) وفيات الأعيان ١ / ١٨١ ، والكامل ١٠ / ٣٨٨ .

(٢) الكامل ١٠ / ٣٨٩ .

(٣) نشرة المقدسي / ٦٣

ثاني جمادى الأولى سنة اثنين وعشرين وستمائة واسمه محمد ولقبه الشرف رحمة الله تعالى ^(١)

وإذا كان ابن خلkan قد ذكر أنه جمع مجموعاً للملك الأشرف ، فإن أباه كتب له مقدمة كتاب آخر سماه « غرة الصباح في أوصاف الاصطباح » ، صدرها بقوله : « رسالة أملاها على صديق له . سأله أن يملئها عليه ؛ ليضعها في مقدمة كتاب جمعه في أوصاف الصبور ، وجعله باسم الملك المعظم معز الدين أبي القاسم محمود بن سنجر شاه صاحب الجزيرة العمرية في سنة عشرة وستمائة » ^(٢)

ومن تصانيفه كتاب « الأنوار في نعت الفواكه والثمار » ، قال الصندي في تاريخه : « هو عندي بخطه » ، وكتاب « روضة النديم » ، وكتاب « غرة الصباح في أوصاف الاصطباح » ^(٣)

لأشك أن الوفاة الباكرة لابنه الشرف محمد قد تركت جرحاً غائراً في نفس ابن الأثير ، وساعدت عوامل الشيخوخة على أن تترك أثراً واضحاً في ملامحه وجسمه ، فنجد أنه يتذمّر عصاً يتوكل عليها ، ويورد ابن خلkan جزءاً من رسالة يصف فيها ابن الأثير العصا ، فيقول : « قوله من جملة رسائله في ذكر العصا التي يتوكأ عليها الشيخ الكبير ، وهو معنى غريب ، وهذا لم يبدأ ضعفي خبر ، ولقوس ظهرى وتر ، وإن كان إلقاءها دليلاً على الإقامة ، فإن حملها دليلاً على السفر » ^(٤)

ويأتي أول شعبان من سنة ٦٢٣ هـ ، فيخرج الضياء رسولًا إلى بغداد مؤدياً واجب العزاء في وفاة الخليفة الظاهر بأمر الله الذي توفي « في هذه السنة في الرابع عشر من رجب . . . وكانت خلافته تسعة أشهر وأربعة عشر يوماً » ^(٥)

ومن الثابت أيضاً أنه « لما توفي الظاهر بأمر الله بوييع بالخلافة ابنه الأكبر أبو جعفر المنصور ولقب المستنصر بالله » ^(٦)

(٢) نشرة المقدسي / ٢٤٥

(١) وفيات الأعيان ٥ / ٣٩٧ .

(٣) نشرة المقدسي - ناجي ١ / ٤٠ .

(٤) وفيات الأعيان ٥ / ٣٩٤ .

(٥) الكامل ١٠ / ٤٦٤ . وراجع نشرة المقدسي ١٨٦ .

(٦) الكامل ١٠ / ٤٦٥

لقد خرج الضياء معزيا ، حاملاً بيعةً مخدومه وطاعته إلى الخليفة الجديد ، فهي رسالة تحمل في جزء منها العزاء ، وفي الجزء الآخر التهنته ، ومن هنا كان الإبداع فيها^(١)

ومن المعلوم أن هناك تحالفًا مقاماً بين الملك الأشرف موسى وبين بدر الدين لؤلؤ . وقد ظهر ذلك جلياً في رسائل ابن الأثير . وتمتد هذه الرسائل في نشرة المقدسي متناولة الفترة بين عامي ٦٢٢ و ٦٢٨ هـ ، ما بين تحذير من سلطان الخوارزمية جلال الدين منكربتى إلى نائب الأشرف ، وبين إعلام للديوان العزيز ، وأخرى تهنته بانكسار الخوارزمى^(٢) .

ومن بين رسائله رسالته التي يصف فيها العصا^(٣) ، وقد جاوز السبعين من عمره ، يقول فيها ابن الأثير : « لم يتأخر كتابي عنه إلا لأنه يمشى مشى مرسله ، أو مشى قلمه ويمضي ، وكلاهما قد استبدل من جمامه بالحيران^(٤) . ولربما تعدى شيب الرأس إلى القلم واللسان . وقد قيل : إن الشيب حالة من غير خلة ، ومن يجاوز السبعين اشتكتى من غير علة . وكفى بالصحة داء لمن طالت مدة عمره ، وبالراحة تعباً لمن لزم وكره فيقل عليه التردد إلى وكره . وقد أصبحت ، وليس لي أرب في إرب ، ولا أعد في نبع ولا غرب . فكل أحوالى قد آلت من عجب إلى عجب . فلا عصا في يدى أدعم بها قدمى ، وأهش بها على سفين كثيرة من عمرى لا على غنى . فهي لقوس ظهري وتر ، ولمبتدأ ضعفى خبر ، وإذا كان فى إلقائها طمأنينةً مقام ففى حملها إنذار بسفر . وما أقول إلا أنها رجلٌ ثالثة ، لكنها تتبع عن الانبعاث . . . »^(٥)

ثم يتذكر ابن الأثير أيام الشباب معدداً أحوالها ، ومغانيها ، يقول : « وما

(١) راجع نشرة المقدسي / ١٨٧

(٢) السابق من ص ١٧ حتى ص ٦٠ ، وراجع البداية والنهاية / ١٣٢ / ١٣٢

(٣) السابق / ١٢٢ ، وتاريخ الخلفاء / ٤٦٠

(٤) الحiran : المضطرب المتrepid النائم ، اللسان في ح . أ . ر.

(٥) راجع نشرة المقدسي / ١٢٢ و ١٢٣

زادني علاوة على حملى أنى لا أخلو من تذكرة أيام الشباب التي كانت فى فرصها مقانص حبالة ، وفي مواسمها فلتات جهل ولا عيش إلا ما حبتك به الجهة ، فأوطار أيامه المحمودة لا تزال تجاهى ... ويكفيه فضلا أن الأوطان لم تكن منحبوبة إلا لأن أوطاره تقضى في أكتافها ، ولو لا ذلك لكان تغیرها من بقاع الأرض في مُرتبعها ومُضطافها ، ... ولقد صدق القائل في قوله :

ما كنت أوفي شبابي كثه غرته
حتى مضى فإذا الدنيا له تتبع^(١)

(١) السابق / ١٢٣ ، والبيت من البسيط لمنصور النمرى في تجريد الأغانى / القسم الثاني

تلاميذه

كما لم يحدثنا من أرخوا للضياء بن الأثير عن أستاذته ، فكذلك لم يخبرونا عن تلاميذه . وإن كان من الممكن استنتاج من تلمذ على يديه . يأتي في مقدمتهم ابنه الشرف محمد

وإن كان كمال الدين بن الشعار هو الوحيد الذي أخبرنا عن أستاذته في ترجمته الملحة بوفيات الأعيان ، فإنه - للأسف كما لم يخبرنا غيره - لم يخبرنا بأسماء تلاميذه ، وإن كان يصرح بأن هناك من كان يختلف إليه

يقول ابن الشعار : « ولما اتصل بيدر الدين لؤلؤ كان مدة مقامه بالموصل مشتغلاً بالتصنيف ، وجماعة من الناس يختلفون إليه ، ويقتبسون من فوائده »^(١) ويمكن أن يكون مرد ذلك أن ابن الأثير كان معتمداً بشخصيته ، واثقاً بنفسه ؟ غير عابئ بمثل هذه الأمور .

ويفسر ابن الشعار عزوف الناس عنه بقوله : « إنه كان كثير الحماقة ، متناقض الأحوال ، متهوراً في أموره ، سفيه اللسان ، جباهَا لمن يخاطبه ، ولو كان ملكاً أو سلطاناً ، ممقوتاً إلى الناس ، شرس الأخلاق ، سريع الغضب ، متكبراً في نفسه ، ذا عجب عظيم وصلف زائد ، و [ما]^(٢) كان بطئ القريةة ، جامد الخاطر ؟ بل إنه كان جيد الروية ، صحيح الفكره . إذا رام كتابة كتاب أغلق باب داره ، وأدام الفكر ، ويكتب ، ويخرج ما يكتبه ، ويعاود النظر فيه زماناً طويلاً »^(٣) .

(١) وفيات الأعيان ٧ / ٣٣٥ .

(٢) زيادة يقصيها السياق « المحقق » .

(٣) وفيات الأعيان ٧ / ٣٣٥ .

وفاته

لقد ألف الصياء بن الأثير مؤلفاته كافة في الفترة التي أقام فيها بالموصل ، منذ التحاقه بها منشأ . فلم يكن هناك ما يشغله من الأمور ، ولا الطموح القديم الذي ظل يطارده ، وهو في خدمة الأفضل نور الدين ، ويدخل كتابنا هذا « الوشى المرقوم في حل المنظوم » بين كتبه التي ألفها في تلك الفترة . وإن كنا لا نستطيع أن نحدد الزمن الذي ألف فيه هذا الكتاب .

ويظل الصياء منشأ لبدر الدين لؤلؤ زعيم الموصل ، يرسله في سفرات إلى خارج الموصل رسولاً عنه ، حتى يأتي عام ٦٣٧ هـ ؛ فيرسله بدر الدين لؤلؤ في سفرته الأخيرة إلى بغداد رسولاً للديوان العزيز النبوى ، وتوفيه المتينة بها .

وينقل ابن خلكان عن ابن الإربلي قوله : « وتوفي في إحدى الجمادين سنة سبع وثلاثين وستمائة ببغداد ، وقد توجه إليها رسولاً من جهة صاحب الموصل ، وصلى عليه من الغد بجامع القصر ، ودفن بمقابر قريش في الجانب الغربي بمشهد موسى ابن جعفر رضي الله عنهما » ^(١) . ويقول ابن تغري بردي : « إنه توفي في شهر ربيع الآخر ، وله نحو من ثمانين سنة » ^(٢) .

لكتنا نجد ابن خلكان يعقب بقوله : « قال أبو عبد الله محمد بن التجار البغدادي في تاريخ بغداد : توفي يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة . وهو أخبر لأنه صاحب هذا الفن وقد مات عندهم » ^(٣) .

وعنه أيضاً يقول الذهبي : « وقال ابن التجار : قدم بغداد رسولاً غير مرّة ، وحدث بها بكتابه ، ومرض فتوفي في ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وست مئة » ^(٤) .

(١) وفيات الأعيان ٥ / ٣٩٦ .

(٢) النجوم الزاهرة ٦ / ٣١٨ .

(٣) وفيات الأعيان ٥ / ٣٩٦ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٣ / ٧٣ ، وال عبر في خبر من غير / ٥ ١٥٦

الفصل الثاني

ابن الأثير والوشى المرقوم

مقاييس ابن الأثير النقدية من الوشى المرقوم

هذا الكتاب الذى بين أيدينا إذا كان يمثل فى صورته الأولى كتاباً أدبياً يناقش ويرصد الطرائق المؤدية إلى تعلم الكتابة ، واتخاذها صناعة يتعيش منها صاحبها ، يمكن القول إن ابن الأثير ألفه فى مرحلة متأخرة من حياته ، وهى تلك الفترة الممتدة بين عامى ٦٠٨ و ٦٣٧ هـ عام وفاته ؛ إذ إننا لا نستطيع الجزم بتاريخ تأليفه هذا الكتاب . إذا كان يؤسس لطرائق تعليم الكتابة فإن ابن الأثير لا يعدم تقديم بعض آرائه ومقاييسه النقدية :

أولاً : - رأيه في أبي تمام والبحترى والمتبنى

لقد فصل النقاد السابقون القول فى شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائى ، وأبى عبادة البحترى ، وأبى الطيب المتبنى . أما ابن الأثير فيرصد رؤيته النقدية لشعرهم فى عبارة موجزة مؤكداً أنه « لم يشتمل شعر أحد من الشعراء المفلقين قديماً ، وحديثاً على المعانى التى اشتمل عليها شعر أبي تمام ، وأبى الطيب المتبنى ؛ فإنهما غواصاً المعانى . وأما الألفاظ فى سبكها ودباجتها فلم أجدها يسامي أبا عبادة البحترى فيها . ولما كان الأمر كذلك اخترت شعر هؤلاء الثلاثة فحفظته ؛ فاقتربت من أبي تمام وأبى الطيب المعانى والغوص عليها ومن أبى عبادة البحترى سبك الألفاظ »^(١) . مؤكداً أن هؤلاء الثلاثة « هم لات الشعر وعزاه ومناته الذين ظهرت على أيديهم حسنانه ومستحسناته وقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين إلى فصاحة القدماء وجمعت بين الأمثال السائرة وحكمة الحكماء »^(٢)

(١) انظر ص ١٨٠ .

(٢) المثل السائى ٢ / ٣٤٨ ، وراجع دراسات فى الأدب والفن / ١١٩ و ١٢٠ ، حنا نمر ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر - بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

ثانياً : حدّ الكاتب

يؤكد ابن الأثير أن من يحفظ القرآن وغيره - بالإضافة إلى الموهبة والطبع -
يستطيع أن يعبر عن الموضوع الذي يريد الكتابة فيه ، واضعاً حدًا لذلك .

الرجل الذي يطلق عليه اسم الكاتب ، بل إنه إذا وصل إلى مرحلة معينة من الإجادة في هذه الصناعة يكون «كتاباً» مستخدماً صيغة المبالغة في وصف هذه الحالة حينما سأله أحد أصدقائه بالموصل عن الكاتب من هو ؟ . يقول ابن الأثير : « وقد سألني عن الكاتب : من هو ، ومن الذي يستحق هذا الاسم ؟ . فقلت له : الكاتب عندي من إذا كلفته أن يكتب عنك كتاباً في أمر من الأمور ، وأقضيت إليه بالمعنى فيه جملة أخله ، وفصله ، وأتى به على وجه إذا تأملته قلت : هكذا كان في نفسي . ولكنني لم أتلد أن أعبر عنه . فهو ينطق عن خاطرك بما لا تقدر أنت أن تنطق به : فهذا هو الكاتب الذي يطلق عليه اسم الكتابة »^(١) .

إن هذا الرجل الذي يكون بمقدوره التعبير عما يلقى إليه من معنى في جملة واحدة في ثوب آخر أكثر تفصيلاً ، ناطقاً عما في خاطر من يكتب عنه ؛ فإنه حيثما
- ولا شك - يستحق لقب الكتابة .

ثالثاً : - السجع

ومن الأمور الأساسية التي تلزم الكاتب في تأليف الكلام المثور السجع ، وقد عرفه ابن الأثير بأنه «تواطؤ الفواصل في الكلام المثار على حرف واحد»^(٢) ، إلا أن النقاد قد تباهت مواقفهم منه «فعابه بعضهم ، واجداً فيه نوعاً من التكلف يحول بين الكاتب وبين تدفق الأفكار على قلمه ، من غير تفكير في فواصل تساوي أو حروف تتشابه ، أو كلمات تنتهي بحروف متعددة أو متفرقة في الوزن ، بينما ذهب بعض النقاد إلى تمجيد السجع»^(٣) .

(١) انظر ص ١٨٣ و ١٨٤ .

(٢) المثل السادس ١ / ١٩٥ .

(٣) أسس النقد الأدبي عند العرب ، أحمد أحمد بدوى / ٥٥٧ .

ولم يتوقف ابن الأثير عند تعريف السجع هذا على إطلاقه ؛ لكنه اشترط لحسن الكلام المسجوع أن يكون صافياً من الثنائية والبرد فإن وراء ذلك مطلوباً آخر وهو أن يكون اللفظ فيه تابعاً للمعنى لا أن يكون المعنى فيه تابعاً لللفظ فإنه يجيء عند ذلك كظاهر مموه على باطن مشوه ويكون مثله كعمر من ذهب على نصل من خشب . . . وسأين لك في هذا مثلاً تبعه فأقول إذا صورت في نفسك معنى من المعانى ثم أردت أن تصوغه بالفظ مسجوع ولم يؤتاك ذلك إلا بزيادة في ذلك اللفظ أو نقصان منه ولا يكون محتاجاً إلى الزيادة ولا إلى التقصان إنما تفعل ذلك لأن المعنى الذي قصدته يحتاج إلى لفظ يدل عليه وإذا فعلت ذلك فإنه هو الذي يندم مسجوعاً إلا أن تضيّف إليه شيئاً آخر أو تنقص منه فإذا فعلت ذلك فإنه هو الذي يندم من السجع ويستحبّ لما فيه من التكلف والتعسف وأما إذا كان محمولاً على الطبع غير متكلف فإنه يجيء في غاية الحسن وهو أعلى درجات الكلام ، وإذا تهيأ للكاتب أن يأتي به في كتابته كلها على هذه الشريطة فإنه يكون قد ملك رقاب الكلم يستبعد كرائمها ويستولد عقائمه . . . ^(١) .

إن ابن الأثير يؤكد أن استخدام السجع لابد أن يكون مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالطبع ؛ بل إنه يندم أولئك المتكلفين في استخدامه ، واضعاً له « قواعد وشروط » منها أن تكون كل واحدة من السجعتين المزدوجتين مشتملة على معنى غير المعنى الذي اشتملت عليه أختها ، فإن كان المعنى سواء فذلك هو التطويل بعينه ، ومنها أن يكون اللفظ في الكلام المسجوع تابعاً للمعنى ، ويحمل على ابن العميد وابن عباد والحريري وغيرهم ، ثم يعمد إلى بيان فضله ؛ فيورد من كلامه أمثلة يزيد أن يُحدّى حذوها ، ويأتي بسجعات تمت على رأيه شروط السجع فيها ^(٢) موضحاً ذلك في قوله : « وقد أمسك القلم قوم رضوا من الكتابة بتحسين السطور ، وإذا أتى أحدهم بشيء من السجع فذلك هو الكاتب المشهور ، وهؤلاء قصروا همهمهم على الزيف دون اللباب ، ولم يلهموا أن القشر لأهل القشور ، واللب لذوى الآلباب ^(٣) .

(٢) دراسات في الأدب والفن لحنا نمر / ١١٩ .

(١) المثل السائر ١ / ١٩٨ .

(٣) انظر ص ٢٥١ و ٢٥٢ .

رابعاً : - السبق الزمني واللفظ والمعنى

ومن القضايا المهمة التي تطرق إليها أيضاً ؛ قضية السبق الزمني التي أثارها غير واحد من نقدة العرب ، وقد تعصب بعضهم للقديم ، وتعصب البعض الآخر للحديث . ومع ذلك فإننا نجد كثريين سوى أولئك وهؤلاء ؛ يتخذون موقفاً آخر من تلك القضية يتمثل في نظرتهم التوفيقية لهذه القضية فقد « التقى حول هذه النظرة أناس ذوو مشارب متباعدة ، فيهم اللغوي المشيخ بروح القديم كأبي عباس المبرد ، والمتكلم المتأثر بشتى ألوان الثقافات كالجاحظ ، وذوو الثقافة الإسلامية الخالصة كابن قتيبة والشاعر المحدث كابن المعتز »^(١) . فالجودة هي القول الفصل في قضية القديم وال الحديث ، وهي السبب الرئيسي في أن نأخذ « الجيد من كان ، وفي أي زمان كان »^(٢) .

أما ابن الأثير فيخلص في هذه القضية ؛ إلى أنه من الأمور المعلومة « أن الآخر لا يستغني عن الاستفادة من الأول ، وليس هذا لفضيلة اختصارها الأول دون الآخر ؛ بل لأنه سبق زماناً »^(٣) ، فلا فضل للأول فيما يقع للآخر .

لكنه يربط بين قضية الأول والآخر أو القديم والحديث ؛ وبين قضية اللفظ والمعنى ربطاً وثيقاً ، لا تكاد تتفصل عراه من ناحية إلا اتصلت في ناحية أخرى ، فإذا كان أبو العباس المبرد (٢١٠ - ٢٨٦ هـ) « لم يتناول تلك القضية بشيء من التفسير »^(٤) ؛ فإن عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥ هـ) يعول على اللفظ دون المعنى ، « والمعنى مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربى والبدوى والقروى والمدنى ؛ وإنما الشأن فى إقامة الوزن ، تخير اللفظ ، وسهولة المخرج ، وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع ، وجودة السبك »^(٥) .

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، د. إحسان عباس / ٧٧ .

(٢) الحيوان ٣ / ١٣٠ ، وراجع حولية آداب الكويت / الجاحظ والنقد الأدبي / ٤٤ وما بعدها .

(٣) انظر ص ٣١١ .

(٤) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، د. إحسان عباس / ٨٢ .

(٥) الحيوان ٣ / ١٣١ و ١٣٢ . ، وراجع تاريخ النقد الأدبي عند العرب / ٨٧ .

وإذا كان ابن قبية (٢١٣ - ٢٧٦ هـ) يؤكد أنه لم ينظر «إلى المتقدم منهم بعين الجاللة لتقديمه ، وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره» ، مشتركا مع الجاحظ «في المذهب التوفيقى الذى يريد أن يجعل الجودة مقياسا للشعر دون اعتبار للقدم والحداثة» ^(١) ، فإنه يأخذ منحى آخر غير الذى سار فيه الجاحظ بالنسبة لقضية اللفظ والمعنى ، مؤثراً مذهبه الاعتدالى فى التسوية بينهما ، فالمسألة إذن مسألة صلة بين المعنى واللفظ ، وعلاقة الجودة فى كليهما معا هي المفضلة ^(٢) .
 ويرى ابن طباطبا (ت ٣٢٢ هـ) أن العلاقة بين اللفظ والمعنى ؟ كالعلاقة بين الروح والجسد وهو «تصور يجعل الصلة بين اللفظ والمعنى أوضح مما رسمه ابن قبية» ^(٣) .

وفي ردة واضحة ؟ يعود أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) إلى الانتصار للغرض على المعنى متابعا «مدرسة الجاحظ التى تتشيّع للصياغة ، وتتعصب للغرض ، وربما كان أكثر مغالاة فى تقدير قيمة اللفظ ، حيث إنه يجعله فى الأثر الأدبي كل شيء ، ويوحد المعنى فلا يجعله شيئا» ^(٤) .

ولأن للناس فيما يعشقون مذاهب ؟ فإن «أكثر نقاد القرن الخامس يميلون إلى التوفيق بين اللفظ والمعنى فـإنك تجدهم في حيرة شديدة من أمرهم لأنهم لم يهتدوا إلى قاعدة صحيحة تنجيهم من التردد ؛ فالمرتضى يقول : «وحظ اللفظ في الشعر أقوى من حظ المعنى» ، وأخوه الرضى يقول : «إن الألفاظ خدم للمعاني لأنها تعمل في تحسين معارضها وتنميّق مطالعها » والمرزوقى ينادي بائتلافهما ^(٥) .
 أما ابن رشيق (٣٩٠ - ٤٥٦ هـ) ، فيذهب مذهب ابن طباطبا العلوى رأياً أن «اللغط جسم ، وروحه المعنى ، وارتباطه به كارتياط الروح بالجسم ، يضعف

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، د. إحسان عباس / ٩٥ .

(٢) السابق / ٩٦ .

(٣) السابق / ١٢٨ .

(٤) النظرية النقدية عند العرب للدكتورة هند حسين طه / ١٧٩ .

(٥) تاريخ النقد ، د. إحسان عباس / ٣٦٢ . وهما الشريف المرتضى والشريف الرضى .

بضعفه ، ويقوى بقوته »^(١) . ومع هذا الوضوح في الرؤية عند ابن رشيق نجد « إذا أخذ في النقد كان ميله إلى ناحية الشكل أظهر »^(٢) ، لكن الأمر الأكيد هو « تغلب أنصار نظرية الاختلاف بين اللفظ والمعنى »^(٣) .

وقد تركز مذهب ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ) على التشدد في استخدام الألفاظ الغريبة والمبتذلة ؛ نافيا « ألفاظ المتكلمين وال نحوين والمهندسين وأرباب المهن من الشعر المنظوم والكلام المشثور »^(٤) ، وقد شن عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) حملة شعواء مخضطًا من انحاز إلى اللفظ على المعنى ، وكذلك من انحاز إلى المعنى على اللفظ « وفي ظل فكرة الإعجاز دفع عبد القاهر بنظرية الاختلاف إلى نهايتها تحت اسم النظم »^(٥) .

ومع هذا الاختلاف ، أو الاتفاق لدى التقاد العرب حول قضيتي السبق الزمني ، واللفظ والمعنى ؛ فإن ابن الأثير يربط بينهما بوثيق الرباط ، فسبق الأول في المعانى لا يعطي آية مزية على المتأخر حتى إذا « جاء الآخر من بعده ، واستخرج تلك المعانى كما استخرجها ، قيل : هذا أخذ من ذاك ، وما زال أرباب الشر والنظم يتناقلون المعانى متألة ، ويتداولونها مداولة »^(٦) . مؤكدا أن « الفضيلة إنما تقع في سبك الألفاظ ، وإبرازها في حلية رائقة »^(٧) . لافتا النظر إلى نظرية الجاحظ القائلة : إن المعانى مطروحة فى الطريق^(٨) ، يعرفها القاصى والدานى ، والقروى والمدنى ، والبدوى والحضرى ، ذاهبا إلى أن « خواطر الناس متراكمة فى الواقع

(١) العمدة لابن رشيق ١ / ١٢٤ ، النظرية النقدية للدكتورة هند حسين طه / ١٧٩ و ١٨٠ .

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، د. إحسان عباس / ٣٦٢ .

(٣) السابق / ٣٦٣ .

(٤) السابق / ٣٩٩ . والنظرية النقدية عند العرب للدكتورة هند حسين طه / ١٨٠ .

(٥) السابق / ٣٦٣ . (٦) انظر ص ٣١١ .

(٧) السابق الصفحة نفسها .

(٨) راجع الحيوان ٣ / ١٣١ و ١٣٢ ، والبيان والتبيين ١ / ٧٦ ، وحولية أدب الكويت الجاحظ والنقد الأدبي / ٥٧ وما بعدها .

على المعانى ، وكثيراً ما يقع للأخر كما يقع للأول ^(١) ، وذلك دون أن يقرأ الآخر ما كتبه الأول ، وهو ما يسمى بتوارد الخواطر ، مضيفاً أنه جرب « هذا في معانى كثيرة ؛ فكان يقع لي معنى ، ثم أجدته بعد ذلك في كلام من تقدمنى » ^(٢) .

خامسًا : - الترجمة

ومن القضايا المهمة التي أثارها ابن الأثير ؛ قضية الترجمة . وقد سبقه إليها أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الذي رأى أن « فضيلة الشعر مقصورة على العرب ، وعلى من تكلم بلسان العرب » ^(٣) ، رافضاً رفضاً قاطعاً ترجمة الشعر لأن « لا يجوز عليه النقل ؛ ومتى حُول تقطّع نظمه ويطل وزنه ، وذهب حسنه ، وسقط موضع التعجب منه » ^(٤) .

لكن يمكن القول إن ابن الأثير يتبع الجاحظ في رأيه بالنسبة لترجمة الكلام المثور ، ونقله من لغة إلى لغة أخرى ، فالجاحظ الذي يرفض ترجمة الشعر حتى لا يضيع بهاؤه ؛ يرى أن « الكلام المثور المبدأ على ذلك أحسن وأوقع من المثور الذي تحول من موزون الشعر ... فقد صح أن الكتب أبلغ في تقيد المآثر ، من البيان والشعر » ^(٥) .

وإذا رأى الراءون صعوبة النقل من لغة إلى لغة أخرى ؛ وهو ما يمكن أن نطلق عليه ترجمة المعنى ، وليس الترجمة الحرفة ؛ فإن ابن الأثير يرى أن « نقل الكلام من لغة إلى لغة يسهل بسبب أن ألفاظ هذه غير ألفاظ هذه » ^(٦) وذلك عكس ما يواجه من يريد أن يحل الشعر عن طريق نقل المعنى من صعوبة ؛ متمثلة في بحثه الدائب

(١) انظر ص ٣١١ .

(٢) السابق الصفحة نفسها .

(٣) الحيوان ١ / ٧٤ و ٧٥ .

(٤) السابق ١ / ٧٥ .

(٥) السابق الصفحة نفسها .

(٦) انظر ص ٣١٢ .

عن الألفاظ المتراوحة التي تؤدي إلى نقل المعنى من الشعر إلى الشر ، ولأن الترجمان يجب أن « يكون أعلم الناس باللغة المنقوله والمنقول إليها »^(١) ؛ فإنه لا يحتاج « أن يرتاد ألفاظاً متراوحة يعبر بها في نقله »^(٢) ، عكس من ينقل معنى يحتاجه في حل الشعر ؛ فإنه يعمل على « اختيار الأحسن الألائق من الألفاظ المتراوحة الذي هو متصف بأوصاف الفصاحة »^(٣) .

وخلالمة القول عند ابن الأثير ؛ أن المترجم لا يحتاج الألفاظ المتراوحة « في النقل من لغة إلى لغة أخرى ، فإن لهذه ألفاظاً ، ولهذه ألفاظاً ، فإذا أراد نقل المعنى من لغة إلى لغة عبر بهذه الألفاظ عن هذه الألفاظ من غير كثرة »^(٤) . كما فعل العنصري الشاعر حينما أنسد أحد شعراء العرب السلطان محمود بن سبكتين « بيتين من الشعر في وصف الخمر ، وكان العنصري حاضراً ؛ فسأله الملك عن تفسير البيتين ؛ فأنسده بيتين بالفارسية ارتجلًا يتضمنان معنى البيتين »^(٥)

لكن فيما يبدو لنا أن ما قصده ابن الأثير من الترجمة هو ترجمة الحرف ، وليس ترجمة المعنى ، خاصة فيما يتعلق بالمراسلات ، وذلك بحكم موقعه كاتباً في ديوان ملكي ، إذ عليه « أن يكون موضوعياً ، ولا ينبغي أن تظهر شخصيته في ترجمته ... وأن يلتزم الدقة ، وأن ينقل النص الذي يترجمه بأكبر قدر ممكن من الأمانة ، مع مراعاة ترتيب عناصر الجملة بنفس الطريقة التي رتبت بها في النص الأصلي ، حتى لو تناهى ذلك مع جمال الأسلوب ومنطق اللغة التي يترجم إليها »^(٦) .

(١) الحيوان ١ / ٧٦ .

(٢) انظر ص ٣١٢ .

(٣) السابق الصفحة نفسها .

(٤) السابق الصفحة نفسها .

(٥) السابق ص ٣١٣

(٦) عالم الفكر ، المجلد ١٩ / العدد ٤ / ١٧ ، ١٩٨٩ ، « ترجمة النص الأدبي » ، د . سامية أسعد ، وراجع عالم الفكر ، المجلد ١٦ / العدد ٤ / ٩٤ ، ١٩٨٦ ، « تطور الفكر الترجمي في أوروبا لفروزى عطية » .

سادساً : بين التضمين والتناص

يمثل ما اقتطعه ابن الأثير من رسائله - مدللاً به على حسن استخدامه ، ومدى نجاحه في تضمين نثره العديد من آيات القرآن أو الخبر النبوى أو الأشعار ، أو غير ذلك - نوعاً من أنواع البراعة في هذا الاتجاه ، وللتضمين معانٍ متعددة ، فإن « كان » لفظ التضمين يعني معانٍ أخرى في فروع أخرى بلاغية ونقدية ؛ فهو في الشعر تعلق قافية بيت بالبيت الذي يليه ، وفي البديع - وهذا ما يعنيها - أن يأخذ الشاعر أو الناشر آية أو حديثاً أو بيتاً أو شطراً من بيت أو عبارة من كلام غيره دون أن يغير لفظاً منه أو معنى »^(١)

ويمثل التضمين بهذا المعنى الهدف الأسماى لابن الأثير في إطارِ من أن هذا الكتاب « كتاب تعليم وتمثيل » ، ويمكن القول : إن استخدام النقاد المعاصرین لمصطلح التناص هو من قبيل الترادف اللفظي ؛ ويعتبر الباحث الروسي « باختين أول من استعمل مفهوم التناص ؛ فأثار اهتمام الباحثين في الغرب بحيوية الإجراءات التي تقوم عليها الدراسات المقارنة التي تتضمنه ، والتي يمكن أن تمثل تحولاً منهجياً في نظرية التأثيرات ، لكن عدم الدقة في تحديد المصطلح أدى إلى تعدد المسالك في فهمه وتطبيقه ، ولعل عبارة مارلو التي يقول فيها : إن العمل الفنى لا يخلق ابتداء من رؤية الفنان ، وإنما من أعمال أخرى ، تسمح بإدراك أفضل لظاهرة التناص التي تعتمد في الواقع على وجود نظم إشارية مستقلة ، لكنها تحمل في طياتها إعادة بناء نماذج متضمنة بشكل أو باخر مما كانت التحولات التى تجرى عليها »^(٢)

وهذا هو ما عناء ابن الأثير من أنه يجب على من يريد أن يتخذ الكتابة مهنة ، أن يحفظ القرآن والخبر النبوى والأشعار والأمثال السائرة ، وأن يكون ملماً بطرق من جميع العلوم حتى يكون كلامه متضمناً كل هذه الأمور ، فكانه كان يحدّس

(١) البيان في رواعِ القرآن ١ / ١٢٢ ، د. تمام حسان ، مكتبة الأسرة ٢٠٠٢

(٢) مجلة فصول / دراسات في النقد التطبيقي / ٧٦ ، « طراز التوشيح بين الانحراف والتناص » بحث للدكتور صلاح فضل .

بمصطلح « التناص » هذا الذى يدور على ألسن العامة والخاصة . يستوى فيه تضمين بعض العبارات بلفظها فى ثنايا الكلام ، أو استخدام شفرة معينة تشير إلى نسق نصى آخر « لأن أى عمل يكتسب ما يتحققه من معنى بقوة كل ما كتب قبله من نصوص ، كما أنه يدعونا إلى اعتبار هذه النصوص الغائية مكونات خاصة نستطيع بإدراكها فهم النص الذى نتعامل معه وفضن مغاليق نظامه الإشاري »^(١) .

وفي مقابل هذه الوعورة فى تعريف التناص ، نجد تعريف ابن الأثير أقرب مأخذًا ، وأيسر وصولاً لإدراك معناه ، رغم مرور ما يقرب من ثمانية قرون على وفاته ، وذلك من خلال توضيحه كيف أخذ معنى بيتهن وحلهما في إحدى رسائله « ... فلما أردت أن آخذ هذا المعنى ورأت في أخذه عن الطريق المعمودة ؛ فمثلك بمثال ملائم ... ثم أتبعت ذلك بما ينسحب على أثره من معانٍ آخر . وخرجت فيها إلى معرض العتاب آخرًا . وهكذا ينبع أن تؤخذ المعانى على حكم الأخلاص ، لا على حكم الافتراض . وعلى سبيل المسائرة ، لا على سبيل المجاهرة »^(٢) . وهذا التعريف يكاد يتطابق مع تعريف آخر للدكتور والترج . أونج (١٩١٢ -) الذى يرى أن ثقافة المخطوطات تعتبر « التناص أمرًا مسلماً به ، وبما أنها لا تزال ملتصقة بالتقليد المأثور للعالم الشفاهى القديم فقد عمدت إلى إبداع نصوص من خلال نصوص أخرى ، فاستعانت وحوربت وأخذت بنصيب من الصيغ والموضوعات الشائعة الشفاهية الأصل ، وإن كانت قد أدخلتها فى مزيج من الأشكال الأدبية الجديدة التى يتعدى وجودها دون الكتابة »^(٣) .

الفارق بين تعريف ابن الأثير ، وتعريف الأمريكى والتر يكاد يكون ضيقاً ، مع سبق صاحبنا ووضوح عبارته ، ونقاء الصورة التى تمثل نوعاً من المقاربة التوضيحية لما أراد ابن الأثير تبليغه لمن يريدون أن يتعلموا صناعة الكتابة .

(١) السابق / ٧٩ .

(٢) انظر ص ٣٣٠ .

(٣) الشفاهية والكتابية / ٢٤٠ ، عالم المعرفة - الكويت .

الثر والنظم

يتبقى لنا من بين القضايا التي أثارها ضياء الدين بن الأثير ؛ قضية في غاية الأهمية ؛ هي قضية الثر والنظم ، أو المثور والمنظوم ، وإذا كان الأدب العربي ينقسم في مجموعه - حسب أكثر الآراء شيوعا - إلى ثر ونظم ؛ فإن هناك أكثر من إشكال في هذا الأمر ، تستخرجها من خلال كتابنا هذا ، رغم قدم هذه القضايا ، تمثل هذه الأمور أو القضايا في :

- المفاضلة بين الشعر والثر .

- لماذا كثرة الشعراء وقلة الناثرين ؟ .

- أمور أخرى تتعلق ببعض العناوين التي كتب تحتها ابن الأثير .

لقد أخذت قضية الثر والنظم أبعادا متباعدة في الرؤى - بين مع ، أو ضد ، أو من خلال نظرة توفيقية - على مر العصور ؛ وإذا كانت الاختيارات الشعرية عند كل من أبي تمام والبحترى قد اعتمدت على الشعر وحسب ، فإن « معاصرهما ابن أبي طاهر طيفور [٢٠٤ - ٢٨٠ هـ] صاحب كتاب المنظوم والمثور »^(١) يمكن القول : إنه أول من أرسى فكرة الاختيارات التالية جنبا إلى جنب مع الاختيارات الشعرية ، وأبو العباس المبرد (٢١٠ - ٢٨٦ هـ) هو أول من « رد معانى الشعر إلى أصول من الثر عند حديثه عن السرقة »^(٢) ، خالطا بين الشعر والخطابة ؛ إذ إنه « تمثل قواعد الخطابة أكثر من تمثله لمبادئ الشعر فمزج بين الفنين »^(٣) .

ومع هذا الخلط بين الفنين فإن ابن طباطبا (٣٢٢ - ٤٢٢ هـ) يقارب المسافة بين الشعر والثر ، ماحيا « الفروق بين القصيدة والرسالة التالية في البناء والتدرج

(١) تاريخ القدر الأدبي عند العرب ، د. إحسان عباس / ٦١ ، ترجمته في تاريخ بغداد ٤ / ٢١١ ، والقهرست / ٢٠٩ .

(٢) السابق / ٨٠ .

(٣) السابق الصفحة نفسها .

وأصال الأفكار إن للشعر فصولاً كنصول الرسائل فيحتاج الشاعر إلى أن يصل كلامه على تصرفه في فتوته صلة لطيفة فيتخلص من الغزل إلى المدح « (ومن المدح إلى الشكوى ، ومن الشكوى إلى الاستمامة . . . بلا انفصال للمعنى الثاني عما قبله ، ومقطع القول الفصل أن الشعر رسائل معقودة ، والرسائل شعر محلول) »^(١) ، وإذا كان ابن الأثير ينصح مبتلي الكتاب بتضمين معانى الأشعار كتاباتهم ؛ فإن ابن طباطبا يرى أنه على الشاعر « إن وجد المعنى اللطيف في المنشور من الكلام أو في الخطب والرسائل فتناوله وجعله شعراً كان أخفى وأحسن »^(٢) نافياً « الفرق بين القصيدة والرسالة إلا في النظم »^(٣)

ويمثل أبو نصر الفارابي (ت ٣٣٩ هـ) حلقة أخرى من حلقات الاهتمام بالخطابة والشعر ؛ إذ إنهما يعدان « جزءاً من منهجه الفلسفى العام »^(٤) ، فالمحاكاة قوام الشعر - في رأيه - « ولكنها ليست عنصراً في الخطابة (وهذا فرق أساسى بين الفنانين من القول) إلا في أمر يسير »^(٥) ، ورغم ذلك فإن أباً إسحاق الصابى ، وهو من أبرز كتاب القرن الرابع يوضح في عبارة بلغة الفرق بين الترسل وبين الشعر « فأخر الترسل ما وضح معناه وأعطاك غرضه في أول وهلة سمعاه ، وأفخر الشعر ما غمض فلم يعطاك غرضه إلا بعد مماطلة منه لك وغوص منك عليه »^(٦) . وكما أن « ما قامت صورته بين نظم كأنه نثر ، ونشر كأنه نظم »^(٧) ؛ هو خير الكلام في نظر التوحيدى ، فإن « العلاقة بين المعانى التي ترد في النثر ويستطيع أن يجعلها الشاعر منظومة »^(٨) خفف بها الحاتمى من وقع اتهام المتبني بالسرقة . جاعلاً في رسالته باب « نظم المنشور ، وهو نقل المعنى من النثر إلى الشعر »^(٩)

وإذا كان ابن الأثير قد ألف « الوشى المرقوم في حل المنظوم » فإن د. إحسان

(١) السابق / ١٢٥ .

(٢) السابق / ١٣٣ .

(٣) السابق / ٢١٠ .

(٤) السابق / ٢٣٣ .

(٥) السابق / ٢٥٤ .

(٦) السابق / ١٢٧ .

(٧) السابق / ٢٠٢ .

(٨) السابق / ٢٣٠ .

(٩) السابق / ٢٤٠ .

عباس يذكر لأبي سعد محمد بن أحمد العميدى (ت ٤٣٣ هـ) متولى ديوان الإنشاء بمصر أيام المستنصر كتاب «الإرشاد إلى حل المنظوم ، والهداية إلى نظم المنشور»^(١). كذلك فإن ابن عبد ربه «يسمى السرقة باسم الاستعارة ، ويرى أن أخفاها وأدقها ما كان ينقل المنشور إلى المنظوم أو العكس»^(٢)

لقد تميزت النصوص التى اختارها ابن الأثير ، وأودعها ثانياً كتابه «الوشى المرقوم» «بأنها - يمكن القول - تلك النصوص التى يشعر هو شخصياً بمدى إبداعه فيها . أضف إلى ذلك رؤيته لها بأنها يمكن أن تعد - أو بالأحرى حسب رؤيته - نموذجاً يحتذى به كل من يريد أن يتمهن الكتابة ، ويتحذّلها صنعة .

إن الضياء يشير في مقدمة هذا الكتاب قضية ؛ سبق أن أثارها غيره كثيرون . إلا وهي قضية «الثر والنظم» . التي شغلت العديد من الأدباء غير مرة ، وفي أزمان مختلفة ، فلم تكن وليدة وقتها . أو من ابتكاره . فقد أخذت أشكالاً عددة منها ما بين المفاضلة بين المنظوم والمنشور ، أو المفاضلة بين الكتاب والشعراء ، وكل واحد يقدم أدله على أحقيته صاحبه بالتقدم والفضل على الآخر ، أو ما قام به بعض الكتاب من نشر الشعر وحله في ثانياً مكاتباتهم ورسائلهم ، وهذا ما يتضح جلياً في كتابات ابن الأثير ومن سبقه من الكتاب . وهناك طائفة أخرى أخذت على عاتقها نظم الثر في قالب موزون ومدققى .

الضياء بن الأثير يدخل دائرة أولئك الناثرين الذين يتصرّرون للنشر على الشعر ، نلاحظ ذلك في أكثر من موضع ليس في كتابه «الوشى المرقوم» ؛ بل وفي كتب أخرى له . عاقداً مقارنات بين نثره وبين الشعر الذي حلّه «فانظر أيها المتأمل إلى هذين البيتين ، وإلى الفصل من الكلام المنشور ، ودقق النظر حتى تعلم أن بينهما بونا ، وترى هذا لونا ، وهذا لونا»^(٣) تاركاً الحكم للقارئ .

ومن يقارن بين نثره والشعر الذي يأخذ منه سيحكم بالتقدم لابن الأثير الذي

(١) السابق / ٢٦٩ .

(٢) السابق / ٤٧٨ .

(٣) انظر ص ٣٢٢ .

يقول : « فانظر إلى كلامي في هذا الفصل ، وإلى هذين البيتين ، وتأمل إن كنت متأملاً . واحكم بينهما إن كنت حاكماً . فإذا فعلت ذلك أذعن لى تسلیماً وعلمت أن فوق كل ذي علم عليما ^(١) . قوله : « فانظر إلى هذا الفصل من الكلام المثور ، وإلى هذين البيتين من الشعر ، وأعط ذلك حق النظر حتى تعلم ما في هذا الكلام المثور من الزيادة معنى ولفظاً ^(٢) . »

فابن الأثير لا يفتأّ يتصرّ للشّر على الشّعر ، كلّما سُنحت له فرصة في ثناء كتابه ، لأنّ المثور « أشرف من المنظوم لأسباب من جملتها أن الإعجاز لم يتصل بالمنظوم وإنما اتصل بالمثور ^(٣) ، مؤكداً علو قامته ، خاصة إذا ما وقع له اختيار نموذج على البلاغة من أحد كتبه . فهو في هذه اللحظة كمن عثر على كنز يفاخر به ، وبأنه حاز قصب السبق دون غيره في اقتناص المعانى المثورة . والمقارنة بين الشّر والنظم ، وقد سبقه كثيرون في إثارة هذه القضية ؛ فنجد إرهاصات لها فيما كتبه أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٠ - ٢٥٥ هـ) في كتابه المسمى بـ«الحيوان» . فالجاحظ يقارن بين الشّر والنظم ، يقول : « ولأن الحكمة أفعى لمن ورثها ، من جهة الانتفاع بها ، وأحسن في الأحداثة لمن أحب الذكر الجميل ^(٤) . متهيا إلى أن «الكتب أولى من بنيان الحجارة وحيطان المدر ، لأن من شأن الملوك أن يطمسوا على آثار من قبلهم ، وأن يميتوا ذكر أعدائهم ^(٥) . »

وبيزد الجاحظ هذا الرأي وضوحاً حينما يقول : « وأما الشّعر فحدثت الميلاد ، صغير السن ، أول من نهج سبيله ، وسهّل الطريق إليه ، أمرؤ القيس بن حجر ، ومهليل بن ربيعة ، وكتب أرسطاطاليس ، ومعلمه أفلاطون . . . فإذا استظهرنا

(١) انظر ص ٣٣٢ .

(٢) انظر ص ٢٥٨ .

(٣) المثل السائِر / ٢ / ٣٩٣ . وما بعدها .

(٤) الحيوان ١ / ٧٣ . للجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٢ .

(٥) السابق الصفحة نفسها .

الشعر ، وجدنا له - إلى أن جاء الله بالإسلام - خمسين ومائة عام ، وإذا استظرفنا بغية الاستظهار فمائة عام . قال : وفضيلة الشعر مقصورة على العرب ، وعلى من تكلم بلسان العرب ، والشعر لا يستطيع أن يترجم ولا يجوز عليه النقل ؛ ومتى حُول تقاطع نظمه وبطل وزنه ، وذهب حسنه وسقط موضع التعجب منه ، لا كالكلام المثثور ، والكلام المثبور المبتدأ على ذلك أحسن وأوقع من المثبور الذي تحول من موزون الشعر »^(١)

وفي الوقت الذي يرى فيه الجاحظ أن أكبر سوء تذهب طلاوة الشعر هي حله ، ووضعه في ثياب غير ثياب الشعر ؛ نجد أبي منصور عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري (٣٥٠ - ٤٢٩ هـ) في كتابه « نثر النظم وحل العقد » يأخذ منحى آخر ؛ إذ يعمد إلى حل الشعر ، مؤكداً أن هدف هذا الكتاب الذي ألفه للملك المؤيد أبي العباس الخوارزمي ، والواضح من عنوانه هو « نثر النظم وحل العقد من مختار الشعر الذي يستحمل عليه الكتاب المترجم بمؤسس الأدباء ، اتخذه العبد - أي أبو منصور - قبلة يصلى إليها ، وقاعدة يبني عليها ، وأقبل على النثر الذي هو أشرف ، وفي طريق الملوك والأكابر أذهب ، وأصحابه أفضل ، ومجالسهم أرفع ، ولم تزل ولا تزال طبقات الكتاب مرتفعة على طبقات الشعرا »^(٢)

وأبو هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ هـ يقارن بين المثبور والمنظوم ، ويقسم الشر قسمين : الخطابة والكتابة . ويرى « أن الكتابة عليها مدار السلطان ، والخطابة لها الحظ الأول من أمر الدين »^(٣) ، ومع ذلك فإنه يرى أن الشعر يقع في « مواضع لا ينبع فيها غيره من الخطب والرسائل وغيرها »^(٤) . رغم سوءات الشعر من الكذب والتخييل وقدف المحسنات وشهادة الزور ؛ لكنه يعقب بقوله : « وقيل

(١) السابق ١ / ٧٤ و ٧٥ .

(٢) نثر النظم وحل العقد ص ٢ ، دار الكتب والوثائق القومية تحت رقم ١٥٨٠ طبع حجر .

(٣) الصناعتين لأبي هلال العسكري ص ١٣٠ ، علق عليه وفسر غريب ألفاظه محمد أمين الخانجي ، ط ٢ ، مطبوعات محمد على صبيح بالأزهر الشريف . بدون تاريخ طبع .

(٤) السابق الصفحة نفسها .

بعض الفلاسفة : فلان يكذب في شعره . فقال : يراد من الشاعر حسن الكلام ؛ والصدق يراد من الأنبياء »^(١)

ويمكن القول : إن ما ذهب إليه أبو هلال هو نوع من المقارنة ، والشهادة بفضل كل من التشر والشعر ؛ مع ذكر ما يميز أحدهما على الآخر ، فيضيف قائلاً : « ومع ذلك فإن من أكمل الصفات صفات الخطيب والكاتب أن يكونا شاعرين ، كما أن من أتم صفات الشاعر أن يكون خطيباً كتاباً ولذلك قصر بالشعر كثرته وتعاطي كل أحد له حتى العامة والسفلة ؛ فللحقة من القاض ما لحق العود والشطرنج حين تعاطاهما كل أحد »^(٢)

وإذا كان « الكلام على الكلام صعب »^(٣) فإن التوحيدى يبين في بداية الليلة الخامسة والعشرين رؤيته الخاصة للتشر والنظم ومراتبهم ، وأن من سبقوه قالوا « في هذين الفنانين ضربوا من القول ، لم يبعدوا فيها من الوصف الحسن ، والإنصاف الم محمود ، والتنافس المقبول ، إلا ما خالله من التعصب والمحك ، لأن صاحب هذين الخلقيين لا يخلو من بعض المكابرة والمغالطة ... لكنى مع هذه الشوكة العادة ، والخطة الكادة ؛ أقول ما وعيته عن أرباب هذا الشأن ، والمتمنين لهذا الفن ، وإن عنْ شئ يكون شكلاً لذلك وصلته به تكميلاً للشرح واستيعاباً للباب »^(٤)

ورغم ما يسوقه التوحيدى من آراء شتى تتناول هذه القضية ؛ فإن له كثيراً من الآراء المعتدلة ، فنجد أنه يسوق رأياً منسوباً لشخص يدعى أبو سليمان . يقول : « قال أبو سليمان : المعانى المعقولة بسيطة فى بحبوحة النفس ، لا يحوم عليها شئ قبل الفكر ، فإذا لقيها الفكر بالذهن الوثيق والفهم الدقيق ألقى ذلك إلى العبارة ،

(١) السابق ص ١٣١

(٢) السابق ص ١٣٣

(٣) الإمتناع والمؤانسة لإبى حيان التوحيدى ٢ / ١٣١ . صصحه وضبطه وحققه وشرح غريبه ورتب فهارسه أحمد أمين وأحمد الزين ، طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٢

(٤) السابق الصفحة نفسها .

والعبارة حيث تتركب بين وزن هو النظم للشعر ، وبين وزن هو سياقة الحديث ؛ وكل هذا راجع إلى نسبة صحيحة أو فاسدة . . . فإذا كان الأمر في هذه الحال على ما وصفنا فللشتر فضيلته التي لا تنكر ، وللنظم شرفه الذي لا يجحد ولا يستر ، لأن مناقب الشر في مقابلة مناقب النظم ، ومثالب النظم في مقابلة مثالب الشتر ، والذى لا بد منه فيما السلامة والدقة ، وتجنب العويس ، وما يحتاج إلى التأويل والتخلص . وقد قال بعض العرب : خير الكلام ما لم يُحتاج معه إلى كلام^(١) . وفي عبارة أخرى يقول التوحيدى : « وفي الجملة ، أحسن الكلام ما رق لفظه ، ولطف معناه ، وتلاؤ رونقه ، وقامت صورته بين نظم كأنه نثر ، ونشر كأنه نظم ، يطمع مشهوده بالسمع ، ويتمتع مقصوده على الطبع ؛ حتى إذا رامه مُريغ حلق ، وإذا حلق أسف ، أعنى يبعد على المحاول بعنف ، ويقرب من المتناول بطريق »^(٢)

بل إن أبا حيان يؤكّد في موضع آخر أن الشتر والنظم يمثل كل منهما ظل الآخر « ومع هذا ففي الشتر ظل النظم ، ولو لا ذلك ما خف ولا حلا ولا طاب ولا تحلى ، وفي النظم ظل الشتر ولو لا ذلك ما تميزت أشكاله ، ولا عنبت موارده ومصادره ، ولا بحوره وطرائقه ، ولا اختلفت وصائله وعلائمه »^(٣)

هذه الآراء السابقة على الضياء بن الأثير ترصد قضية قديمة ، شغلت - وظللت تشغّل - الكثيرين من الكتاب والشعراء ؛ فلم يكن الضياء أول من أثارها ؛ إنما كان حلقة ضمن حلقات . بل إننا نجد من بعده من أفراد مساحات واسعة للخوض في هذه القضية ، وسبر أغوارها . يأتي في مقدمة هؤلاء الفلquistنى في كتابه « صبح الأعشى في صناعة الإنسا » . ولم يقتصر زمن الصراع بين الشتر والنظم على زمن بعينه ؛ إنما تعدى الأزمنة الغابرية إلى زماننا هذا ؛ فنجد صراعاً مشتعلًا بين ضروب من الشعر من ناحية ، وبين الشتر والشعر من ناحية أخرى . . .

(١) السابق ١٣٨ و ١٣٩

(٢) السابق ١٤٥ ، وراجع تاريخ النقد الأدبي عند العرب / ٢٢١ و ٢٢٢ .

(٣) نقلًا عن بحث الكلام على الكلام : قراءة في فكر أبي حيان الأدبي للدكتور عاصم بھی ، مجلة فصول ، المجلد ١٤ / العدد الثالث / خريف ١٩٩٥ / ١٩٧

الأدهى مما سبق أن الصراع كان دائراً بالفعل بينهما عن دراية ومعرفة - لدى المعتدلين - بضوابط ومزايا ومطلب كل منهما ، وتحول الأمر الان إلى جهل مطبق باختراع ما يسميه بعض العجزة بـ « قصيدة الشر » ولست أدرى من أين لهم هذه التسمية؟ ! . فالسابقون حددوا لكل فن طرقه التي تميزه على الآخر ، بغض النظر عن تقديم أحدهما على الآخر .

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد ؛ بل ينكر هؤلاء كل صلة لهم بتراثنا العربي الحى النابض منذ خطيته قرائح الشعراء والكتاب ، ويتنقصون كتاباتهم ، ويصفونهم بالجهل والعجز ، ولا نجد أفضل من توصيف « الدكتور أبي همام » للدفاع الذى يجعلهم ينساقون وراء أوهامهم بقوله : « وهناك نوع آخر من الانتهاكات مبعثها - فيما نعتقد - خمود الهمم ، وتعمود الكسل ، وعدم المعرفة الحقيقية بدقةائق العلم ، والرغبة غير المقصودة فى تعويد التلاميذ على الركود » ^(١) .

ولم يقتصر هذا العجز على الشر فقط ؛ إنما تخطأه إلى الشعر ، فظهور ما يطلق عليه الشعر الحديثى - كما يحلو للبعض أن يردد هذا الاصطلاح على كل شعر يخرج على المألوف فى منظومة الشعر العربى - الذى أدى إلى الحالة المرضية الأسوأ « فى شعر الجداثة العربية المعاصرة ، إذ نواجه فى الغالب بغياب الموضوع عن النص الشعري ، فلا يعرف المتلقى عمّ يتتحدث الشاعر ، ولا فكرته التى يعالجها؟ ... وغياب الموضوع أو الفكرة الرئيسة من النص يعنى حضور أبرز أسباب الغياب الدلالى فيه . كما يعنى فى الوقت نفسه غياب أهم إضاعة يستعين بها مستقبل النص على كشف أبعاده الدلالية . والمتعلق فى هذه الحالة يجهل ما تحيل إليه لغة النص . ولغة النص نفسها تبدو معزولة عن السياق الموضوعى » ^(٢) .

والخطأ الأكبر الذى وقع فيه هؤلاء الحديثيون هو حدوث « الارتماء الكامل فى

(١) أدب ونقد ص ١٣٠ ، للدكتور عبد اللطيف عبد الحليم ، ط ٢ سنة ١٩٩٤ ، توزيع النهضة المصرية - القاهرة .

(٢) الإبهام فى شعر الحديثة : العوامل والمظاهر وأليات التأويل ص ١٧٩ ، د. عبد الرحمن محمد القعود ، سلسلة عالم المعرفة - الكويت - مارس ٢٠٠٢ .

أحضان ذلك الآخر (الحضارة الغربية) ، أخطأتنا حينما ربطنا بين التحديث وإدارة ظهورنا بالكامل لمنجزات العقل العربي ، وهو ما يسمونه بلغة الحداثيين البراقة : القطيعة المعرفية مع الماضي ، على أساس أن الحداثة لا تتم إلا بتحقيق القطيعة المعرفية مع التراث »^(١)

خلاصة هذه القضية بين الشر والنظام ، أو بين المثور والمنظوم ، يوضحها الدكتور أبو همام مؤكداً أن « مكانة الشعر بين فنون القول المعاصرة والقديمة هي مكانة الرائد المتقدم ، لا تلغيه ولا تسد مسده ، وإن تكانت وتزاحت ، ولا يلغيها وإن انفرد أو استبد ، وهذه بداهة لا يحسن معها اللجاج »^(٢)

يزيد على ذلك أن « شعرنا العربي خاصية بين فنون القول هو وجه العربية الأول حين تزدحم الوجوه في الأدب الأخرى ؛ لأنه فن مساوٍ للغته ونحیزتها وطبيعتها من حيث هي لغة وزن واشتقاق ، عاشر طفولة هذه اللغة وطفولة المتحدثين بها ، مما معها ومعهم ، وحمل جيناتها وجيناتهم ، واستوى على عرشه حين اكتملت فنائته ، وبلغت أوجها الموسم « المغرب » عربية أهلها - اسماء وصفة - وصار دليلاً عليها ، وصارت هي دليلاً عليه ، مما تحدّر إلينا من أصلاب القرون الأولى كلاماً موزوناً موقعاً ، بريئاً من وصمة العجمة ، مبaitنا للكلام المثور الذي تأخر ظهوره إلى أن اقتضته حاجة العمران والحضارة »^(٣)

ويضيف الدكتور أبو همام : « وحين أرادت الفنون القولية الأخرى أن تسافق أفق الشعر اصطنعت طرائقه ، واستعارت منه حرارة الأداء في الخطابة والرسالة والمقدمة ، وغداً ترصيع الكلام الشري بمعادن الشعر ولأنه يطفر متوايا من خلال السجع وحسن التقسيم وحرارة المجاز وتكثيف الصورة ، وتتوسل هذه الفنون بمثل هذه الآليات الشعرية ؛ إنما هو شهادة للشعر ، وليس حلولاً محله »^(٤)

(١) المرايا المقعرة / ٣٠ و ٣١ ، د. عبد العزيز حمودة ، عالم المعرفة - الكويت .

(٢) مؤسسة يمان الثقافية الخيرية - جائزة الشاعر محمد حسن ققى - الدورة الرابعة - ندوة الشعر العربي المعاصر والجمهور ، مقال الدكتور عبد اللطيف عبد الحليم بعنوان : الشعر بين فنون القول المعاصرة ص ٣٨ .

(٣) السابق الصفحة نفسها .

(٤) السابق ص ٤٤

ويواصل الدكتور أبو همام تفنيده لهذه القضية مؤكداً أن «الشعر البللنج والثر البللنج قلما يقتربان ، إلا لدى ملوك نادرة جداً ، في الأدب العربي والأعجمي ؛ لأن الشعر ملك مستبد ، وبطغواه كأنه يحجز على ذويه أن يشغلهم عنه شيء آخر ، والمتألف من هذه السيطرة ، غالباً ما يرضي الشعر بأن يحمل أسلابه إلى عالم التر ، وعزيز بلوغ هاتيك جداً»^(١)

ويرصد أبو همام مشخصاً الواقع الأدبي المعاصر بقوله « وكان من ديدن أدبائنا حتى عهد قريب أنهم كانوا يستهلون حياتهم الأدبية شراء ، ثم لا يعتمون أبداً يصدقوا عن الفن الصعب الطويل السلم ، حين تقعى بهم خطاهم فيزهدون عنه عجزاً إلى الكلام الشري ؛ لأن جيد الشعر يأبهم ، وهم يأبون رديئه ، وتلك خلة كريمة فيهم ، وينبذون في حقول أخرى هم مؤهلون لها كالنقد والرواية والقصة وما أشبه ذلك وكان هذا السلف الكريم يعي مواهبه وقدراته حق الوعي ، وخلف من بعضهم خلف غفل عن عجزه ، وغافل الناس ؛ فأسرف على نفسه وعليهم حين زعم أنه شاعر ، وأنه مجده . وما على الناس إلا أن يقرروه على فعلته ، فنبتت نابتة في تلك الأيام القريبة أبت إلا الشعر ، وأباهم الشعر . وكان لنا أخيراً هذا الخلط بين الفنون ، وخرج كثير من النقاد بالصمت عن لا ونعم ، وأخرون عز عليهم وعلى قدراتهم النفسية أن يقرروا بالتلخض والرجعية فنشاءوا أن يباركون كل ناعق ، وأن يسبقوه إلى الاعتراف بعمله ، يستوى لديهم الشعر الحر ، والزجل ، وقصيدة التر ، والشعر المشور ، والقصة القصيدة ، والقصيدة القصة ، والرواية واللارواية ، وما شابه ذلك من الأسماء »^(٢)

وفي نهاية هذا المقال يرى الدكتور أبو همام أن «الثر قد يكون شعرياً ، ولكنه ليس بشعر حين يخلو من الموسيقى . . . ولعل ذلك وراء إنشاد الشعر بعد إنشائه ، فيتسدل من الآذان إلى الأرواح ، ولا يكون التر إنشاداً على الإطلاق إلا إذا حمل شيئاً من الشعر يتمثل في الأسجاع والموازنات الموسيقية والإيقاعية »^(٣)

(١) السابق ص ٥٦ .

(٢) السابق ص ٥٩ .

(٣) السابق ص ٦٢

وتظل هذه القضية مثاره من قبل ابن الأثير ، حتى وقتنا الحاضر بين المتصررين للشعر على التتر ، أو بين المتصررين للنشر على الشعر ، لكن الرؤية الأهم هي أن يكون هذا الصراع مشمرا ، وسببا رئيسيا في خروج أدبنا العربي المعاصر من أزمته الحالية التي يعاني منها ، وهي أزمة الغموض ، وانغلاق النص الأدبي حتى على كاتبه ، وانعدام الصلة بين المبدع والمتلقي .

وخلالمة القول والمعيار في هذا الأمر - تقدم التتر على النظم ، أو العكس - هو مدى الجودة في حسن السبك لفظا ، وما تؤدي إليه مجموعة الألفاظ من معان ، تصور ما يصبو إليه الكاتب أو الشاعر ، وذلك في إطار من التأكيد أن « لكل جنس أدبي جماليته الخاصة وبلاعته المتميزة » ، وهذا ما يجعل اللغة خاضعة في بناتها ووظيفتها لمكونات الجنس الذي تتنسب إليه ^(١) وهذا هو محور الإبداع الذي نرجيه ونؤمله في الكلمة المكتوبة يستوى في ذلك التتر والشعر ، مع التسليم بأن « اللغة أداة أسلوبية في جميع أجناس التعبير الأدبي غير أن هذه الأداة تظل مشروطة في تكوينها الجمالي والوظيفي بمكونات السياق الجنسي الذي تستخدم فيه ... وأن التفاعل بين الأجناس الأدبية لا يتنافي مع تميز كل جنس بأسلوبه الخاص ^(٢) » ، مع الاحتفاظ بالمعايير والتعاريف التي وضعها تقادنا الأذاذ السابقون واللاحقون للفصل بينها ، بدلا من الإغرار في الخلط بين المصطلحات النقدية والأدبية ، وغياب المسافات المعرفية لكل من التتر والشعر .

نأتي إلى نقطة أخرى ، وهي : لماذا كثرة الشعراء وقلة الناثرين ؟ .
الأمر الأكيد هو أن ابن الأثير لم يكن أول من طرح هذا السؤال ؛ إنما هو مسبق إليه ، فقد سبقه أبو إسحاق الصابى لإثارة هذه المسألة ، فإذا « كانت القراءح

(١) مجلة عالم الفكر / المجلد ٣٠ / العدد ١ / ٨٥ / يوليو - سبتمبر ٢٠٠١ م . البلاغة ومقوله الجنس الأدبي ، بحث للدكتور محمد مشبال .

(٢) السابق الصفحة نفسها .

منقسمة بين الطرفين : الشعر والثر ؟ فلِم زادت القرائح التي تحسن الشعر على القرائح التي تحسن الترث ؟ ، وبعبارة أوجز : لِم كثُر الشعراء وقل الناثرون^(١) ؟ . حتى إنك « إذا عدلت منهم مائة شاعر لا يمكنك أن تعد خطيبا واحدا »^(٢)

يوضح الصابي سبب هذا الأمر ، ذاهبا إلى أن « اعتماد الشاعر إخراج بيت في أثر بيت على نسق يقوم فيه الوزن والقافية مقام السائق والقائد ، يعني أنه يلجأ إلى الحدو على مثال أو الإفراج في قالب ، لكن الكاتب يصوغ رسالته متعددة متجمعة ويضمها من أقطار متراخية متعدة ، وربما أسهب حتى تكون رسالته في طول عدة قصائد مع تعمد الألفاظ الفخمة ، لأن الرسائل صادرة في الأغلب عن السلطان ، . فهذا كله يجعل القادرین على إجاده الترسل فلة »^(٣) . بل إن الضياء بن الأثير يذهب إلى أن كثرة الشعر تطغى على الترث لدرجة أن الترث يمثل نقطة متلازمة في محيط الشعر ؛ لأنه « أكثر من الكلام المتشور بأضعاف مضاعفة . وليس نسبة أحدهما إلى الآخر نسبة قليل إلى كثير ، فضلا عن نسبة كثير إلى كثير . بل هو بالنسبة إليه كالرقة في ذراع الدابة أو كالشامة في جنب البعير »^(٤) .

ومع هذا الكلام ؛ فإن د. إحسان عباس يذكر بأن الصابي نسي « ما قاله من قبل وهو أن الشعر قائم على الابتداع ، وهذا يحتم أن يكون الشعر أصعب من حيث التأليف من الترث ، لأن الابتداع يعني إنشاء مبتكرًا ، وأن الجري على القالب ، إنما هو إيقاع ظاهري ، لا يقلل من صعوبة الابتداع بل ربما زاد فيها »^(٥)

إن ابن الأثير يذهب إلى ما ذهب إليه أبو إسحاق الصابي الذي « قضى بأن الناثرين ألم من الشعراء ، لأنه رأى الكاتب من خلال منصبه ، بينما لا منصب للشاعر - رأى أهمية الكاتب في بناء الدولة ، ولم ير الشاعر إلا مفردا ، وشعره لا يخدم الدولة ، وإنما يخدم الشاعر »^(٦)

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب / ٢٣١ .

(٢) انظر ص ١٧٣ ، والمثل السائر / ٢ / ٣٩٣ وما بعدها .

(٣) تاريخ النقد الأدبي عند العرب / ٢٣١ .

(٤) السابق الصفحة نفسها .

(٥) تاريخ النقد الأدبي عند العرب / ٢٣٢ .

وخلاصة القول أن حديث الصابى فيه « ما لا يمكن رفضه ، وهو أن جمهور المتكلمين لكل من الشعر والثر مختلفون »^(١) . مع ملاحظة أن « الذين ناصروا الشعر وفضلوه لا تعوزهم الأدلة ، فهو ديوان العرب ومستودع حكمتهم وسجل مفاخرهم وأمجادهم ، كما أن الذين رجحوا الثر كانوا ينظرون إلى ما بلغته الكتابة الديوانية من شأو بعيد ، والدرجات التي حظي بها الكتاب في السلم الاجتماعي في زمان تراجع فيه موقع الشاعر إلى الخلف ، وحتى عندما كان هؤلاء وأولئك يتحامون بأدلة مستمددة من الطبيعة الخاصة لكل من الجنسين ؛ فإن ذلك ينبغي ألا يسوغ المفاضلة التي تتعارض في جوهرها مع الاعتراف بضرورة اختلاف أدوات التعبير الأدبي وخصوصية كل جنس في توصيل رسالته الإنسانية وفي أداء تأثيره الخاص به »^(٢) .

المهم هو أن يقوم كل فن من فنون الإبداع القولى بتوصيل محتواه الذى يريد مبدعه أن يصل به إلى قارئه ، دون النظر إلى قلة ميدعى هذا الفن أو ذاك أو كثريتهم ، مع الأخذ في الاعتبار بمصداقية المبدع في تبني رسالته ، ومدى تمكنه من الجنس الأدبي الذى يصوغ فيه هذه الرسالة

بقيت لنا أمور أخرى تتعلق ببعض العناوين التي كتب تحتها ابن الأثير من هذه الأمور لماذا اختار ابن الأثير الكتابة تحت عنوان « في حل الأخبار النبوية ، لا الأحاديث النبوية » ؟ .

ترجع هذه المشكلة في الأساس إلى مسألة تحديد الفرق بين معنى كل من الخبر النبوى والحديث النبوى . فقد ذهب علماؤنا الأجلاء إلى أن معنى الحديث لغة « هو الجديد ، وما يقابل القديم ، واصطلاحا فيه ثلاثة مذاهب . . . الثالث : ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل ، وعلى هذا فهو خاص بقسم من المرفوع هو الأقوال والأفعال فحسب ، ولا يشمل التقرير ولا الصفات إلخ »^(٣) .

(١) السابق الصفحة نفسها .

(٢) مجلة عالم الفكر / المجلد ٣٠ / العدد ١ / ٦٥ / يوليو - سبتمبر ٢٠٠١ م .

(٣) سلسلة رسالة الطالب ، العدد الأول / ٦٦ ، جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، شذرات من علوم السنة (١) للدكتور محمد الأحمدى أبو النور .

أما تعريف الخبر فهو « لغة : ما ينقل ويتحدث به ، واصطلاحاً : فيه أربعة مذاهب ... الثالث : ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقيّة ، حقيقة أو حكماً حتى في الحركات والسكنات في اليقظة والمنام أو الصحابي أو التابعى من قول أو فعل أو إلى غيرهم . وهو بهذا يشمل المعرفة والموقف والمقطع وغير ذلك . ويكون أعمّ من الحديث والسنّة والأثر . الرابع : ما أضيف إلى غير النبي ﷺ وإلى غير الصحابي والتابعى من هذه الأمة أو غيرها من الأمم السابقة والأنبياء السابقين »^(١) .

وما يعنينا في الأمر هو التعريف الثالث ، إذ « الخطب في حفظ الأخبار غير الخطب في حفظ القرآن ، وذلك أن الأخبار لا حاصر لها ، ولا ضابط . ولا ينبغي لصاحب هذه الصناعة أن يقتصر على حفظ الصحيح منها الذي ثبت صحته ؛ بل يحفظ الصحيح ، وغير الصحيح طلباً للاستكثار من المعانى التي تتضمنها الحوادث الطارئة ، والواقع المتتجددة »^(٢) لأن هذا التعريف يشمل الحديث النبوى وغيره ، وهو ما عناه ابن الأثير ، ناصحاً به أولئك السائرين على درب امتهان الكتابة ، حتى تكون لديهم ثروة هائلة من المعانى ، تساعدهم عند الكتابة في أمر من الأمور ، ولا يقفوا عجزة أمام جملة من الجمل يريدون اكمال كتابتها .

النقطة الأخرى التي يشيرها البحث هي أن ابن الأثير يحرص في أكثر من موضع على تأكيد أنه يتعد تماماً عن حفظ أي شيء من الكلام المنشور ، ومن ذلك قوله : « ولقد حظرت على نفسي أن أحفظ شيئاً من رسائل الناس وخطبهم . حتى أني حظرت على نفسي حفظ شيء من مقامات الحريري ، وخطب ابن باته وهما عكازاً أهل الزمان من متعاطي هذه الصناعة . وكل هذا فعلته فراراً أن يعلق بخاطري شيء من تلك الألفاظ والمعانى »^(٣) .

(١) السابق / ٦٦ و ٦٧ ، وراجع التعريف بالقرآن والحديث / ٢٣٣ ، للدكتور محمد الزفاف ، مطبعة السنة المحمدية - القاهرة ط ١ ، ١٩٥٥ م .

(٢) انظر ص ٣٧١ .

(٣) انظر ص ١٧٢ .

مضيفاً أن : « الذي بعثني على الإكباب على حفظ الشعر ؛ دون الخطب والرسائل ؛ أنى إذا أخذت معنى من معانى الشعر وأودعته رسائلى كنت قد نقلت من ضد إلى ضد ، وهو أخفى وأستر . ولو فعلت ذلك فى الكلام المثور لكان نقل مثل إلى مثل ، وذلك أشهر وأظهر ، فباعثى إذا على حفظ الأشعار دون الكلام المثور كثرة الشعر واستغرافه للمعاني ولأن الأخذ منه أستر وأخفى »^(١)

إن ابن الأثير يشدد لما سبق على حفظ الأشعار دون التتر ، والثابت لدينا غير ذلك ، إذ أنه لا شك حفظ ، أوقرأ باهتمام كتابات ناثرين آخرين غير أولئك الذين ذكر بأنه لم يحفظ كتاباتهم كى لا يعلق بخاطره شيء من ألفاظهم أو معانيهم . يتضح ذلك من قوله : « ولربما كلام السوار يدا ؛ فذهب فخر زيتها بالله كلها » الذي نجد أصلا له عند ابن زيدون (٣٩٤ - ٤٦٣ هـ) ، وذلك فى رسالته الجدية التى خاطب بها ابن جهور من موضع اعتقاله فى قوله : « وإنى لأتجلد ، وأرى الشامتين أنى لريب الدهر لا أتضعضع ، فأقول : هل أنا إلا يد أدماها سوارها »^(٢) .

ليس هذا فحسب الذى يؤكّد ما ذهبنا إليه من أنه قرأ وبعناية واهتمام شديدين كتابات المتقدمين - وإن كانوا من غير الكتاب المشارقة - يتضح ذلك جليا فى نظره للمصارعة التى أدارها ابن زيدون بين التتر والنظم فى رسالته التى كتبها لابن الأفطس الحاجب ، التى يقول فيها : « ولما أطرد هذا التتر لحسن أنساقه ، ولذ مسامقه ، هزت النظم أريحية جذب لها بعنانه ، وعارضه فى ميدانه ، وأبىت أن ينفرد البشر بلقاء الحاجب ومشافته ... »^(٣) .

وذلك حينما يقول فى رسالته إلى الديوان العزيز النبوى ببغداد : « إذا أنسا الخادم كتابا إلى الأبواب الشريفة تحاسدت على الاختصاص به ضروب المعانى ،

(١) انظر ص ١٧٣ و ١٧٤ .

(٢) ديوان ابن زيدون ، معه رسائله وأخباره ، شرح وتحقيق محمد سيد كيلاني ، مطبعة مصطفى البالى الحلبي بمصر / ص ٢٢٦ و ٢٢٧ . وفي الأدب الأندلسى ، د. جودت الركابى ، دار الصعارف / ٢٦٧ ، ١٩٨٠ .

(٣) السابق / ٢٦٢ .

وتمنى كل منها أن يُودع في أثناه ، حتى تنازعت في الأمانى ، ولو طمعت القوافي أن تتضمنه ؛ لظلت فيه ساهرة ، ولاضحت على الخطب وخطباتها فاخرة ، لكنها علمت لا مطعم لها فيما اختص القرآن بتزييل مدحه ، ... »^(١) .

كذلك فإن المفاخرة بين السيف والقلم ، أو تفضيل أحدهما على الآخر ، ليست وليدة عهد ابن الأثير ، ولم يكن هو السابق إلى وصف القلم ، وإذا كان أبو تمام والمتيني - يمكن القول - السابقين إلى الحديث في هذا الموضوع في المشرق ، وإذا كنا قد أثبتنا أن ابن الأثير قد اطلع - إلى حد الحفظ - على الأدب الأندلسي السابق عليه ممثلا في كتابات ابن زيدون ؛ فإننا في هذه الفقرة نؤكد أيضا أنهقرأ رسالة ابن برد الأصغر (ت ٤٥ هـ) في المفاخرة بين السيف والقلم ، التي يعد صاحبها « أول من أوضح الفرق بين السيف والقلم »^(٢) .

وقد تأثر بهذه الرسالة من تلا ابن برد من الكتاب « أول هؤلاء شاعر بلنسى معروف هو محمد بن غالب الرصافى (٥٧٢ هـ - ١١٧٧ م) كتب مقامة نقل إلينا ابن الخطيب فقرة منها في وصف القلم ... وثاني هؤلاء هو المصرى ابن نباتة (٦٨٧ - ٧١٦ = ١٢٨٧ - ١٣١٦) »^(٣)

ولم يقف التأثر برسالة ابن برد على الكتاب العرب فحسب ؛ إنما تأثر بها « أحد أدباء اليهود الإسبان المعروفيين أقصد الحريري (١١٦٥ - ١٢٢٥) المعروف بكتابه سفر تحكيموني »^(٤)

ويبدو لي من خلال ما كتبه ابن الأثير في وصف القلم ، أن هذه الفكرة كانت نتاج قراءته العميقه لما خطته أقلام الأدباء والشعراء السابقين .

(١) انظر ص ٢٦٤ و ٢٦٥ .

(٢) مقامات ورسائل أندلسية / ٣٣ ، لfernando di lageranxa ، ترجمة د. عبد اللطيف عبد الحليم ، دار الثقافة العربية .

(٣) السابق / ٣٧ .

(٤) السابق / ٣٨ .

موروث ابن الأثير الثقافي

من خلال الوشى المرقوم

انعكست الفوضى العامة على كل شيء في حياتنا ، ونجد هذا الانعكاس واضحا في ما يمكن أن يسمى الثقافة ، أو المعارف العامة ، وما نراه من « فساد حياتنا الأدبية الحديثة حاضرها وغابرها ، ولأنها تسير بنا اليوم في طريق الغموض ، لا في طريق الوضوح . وقد استشرى خطر هذا بما شاع في هذه الحياة من الثرثرة والادعاء والتحكم والعجرفة وقلة المبالاة والزهو الفارغ ، فأدى بنا ذلك كله إلى أن نألف استعمال ألفاظ موهمة غامضة الدلالة ، فضفاضة المعانى ، بجرأة وبلا أناة وبلا ضبط وبلا تعميق . فالامر يحتاج ... إلى وقفة متأنية ، ومراجعة ضابطة للفظ « الثقافة » لأن أمرها أجمل وأخطر مما توهمك به النظرة الأولى ... وأيضا لأن لفظ « الثقافة » لفظ مستحدث في زماننا هذا ، تفسي استعماله على الألسنة بلا ضابط وبلا دقة وبلا مبالغة »^(١)

ولأن شيخنا محمود محمد شاكر شخص الداء الذي طال ثقافتنا ، فقد ارتضيت التعريف الذي وضعه لكلمة « الثقافة » لتكون نبراسا وهاديا في الوصول إلى معرفة الموروث الثقافي لصاحبنا ضياء الدين بن الأثير الجزرى .

يقول شيخ محققى التراث العربى الشيخ شاكر فى تعريفه للثقافة إنها : « فى جوهرها لفظ جامع يقصد بها الدلالة على شيئين أحدهما مبني على الآخر ، أى هما طوران متكاملان : الطور الأول : أصول ثابتة مكتسبة تتغرس فى نفس « الإنسان » منذ مولده وهذه الأصول ضرورة لازمة لكل حى ناشئ فى مجتمع ما ، لكن تكون له « لغة » يبين بها عن نفسه و « معرفة » تتيح له قسطا من التفكير يعينه على معاشرة من نشأ بينهم من أهله وعشيرته »^(٢)

(١) المتنبي - رسالة في الطريق إلى ثقافتنا / ٧١ ، للشيخ محمود محمد شاكر ، الناشر مطبعة المدنى بالقاهرة ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .

(٢) السابق / ٧٢ .

ويؤكد الشيخ شاكر أن كل ذلك ينبعى على فطرة سليمة تجعل الإنسان منذ مولده « سريع الاستجابة لكل ما يلبى حاجة هذه الفطرة الخفية الكامنة في أغواره . وكل ما يلبى هذه الحاجة هو الذي هدى الله عباده أن يسمّوه « الدين »^(١)

« والطور الثاني : فروع منبثقه عن هذه الأصول المكتسبة بالنشأة . وهى تنبثق حين يخرج الناشئ من إسار التسخير إلى طلاقة التفكير . وإنما سميت « الطور الأول » : « إسار التسخير » لأنه طور لا انفكاك لأحد من البشر منه منذ نشأته في مجتمعه . فإذا بلغ مبلغ الرجال استوت مداركه ، وبدأت معارفه يتفضّى بعضها من بعض ، أو يتدخل بعضها في بعض ، وبدأ العقل عمله في الاستقلال بنفسه ، ويستبدل بتقلّيب النظر والمحاكمة وممارسة التفكير والتقييم والفحص ، ومعالجة التعبير عن الرأي الذي هو نتاج مزاولة العقل لعمله ، فعندئذ تكون النواة الجديدة لما يمكن أن يسمى « ثقافة » . وبين أن سبيله إلى تحقيق ذلك هو « اللغة » و « المعارف » الأولى التي كانت في طورها الأول مصبوغة بصبغة « الدين » لا محالة . . . هذه حال النشء الصغار حتى يبلغوا مرحلة الإدراك المستقل المفضي إلى حيز « الثقافة »^(٢)

لقد كان هذا المدخل ضروريًا قبل الحديث عن الموروث الثقافي لدى ابن الأثير من خلال كتابه « الوشى المرقوم في حل المنظوم » . فإننا نجد من خلال النظر في هذا التعريف الذي ساقه الشيخ محمود محمد شاكر لكلمة « الثقافة » صدى واسعاً مؤسساً في عقل وقلب الضياء بن الأثير ، ويتبّع ذلك جلياً من خلال ما عرفناه عن نشأته الأولى سواء تلك التي كانت في مسقط رأسه بجزيرة ابن عمر ، حيث تلقى علومه الأولى ، أو التي كانت بالموصل بعد انتقال والده بالأسرة إليها ، حين اختلف إلى شيوخها هو ، وأخوه عز الدين بن الأثير صاحب الكامل .

لقد وجد الضياء أباً يضع نصب عينيه تعليم أولاده تعليماً لا يبلغه أحد غيرهم ، لذلك وجدنا كلاماً منهم إماماً في بابه . فقد انقسم التعليم إلى مراحل ، يوضحها

(١) السابق الصفحة نفسها .

(٢) السابق / ٧٤ .

أستاذنا الدكتور الطاهر أحمد مكي بقوله : « ... وبذلك أصبحت المدرسة الأولى للتربيـة ومجانـا ، وتدرس القراءـة والكتـابة والقرآن ومبادـىء الحـساب وشـينا من الشـعـر ... أما التـلامـيد فـي المـدارـس الثـانـويـة فـكـانـوا يـدـرسـون النـحو وـالـلـغـة وـالـأـدـب وـالـمـنـطـق وـالـرـياـضـيـات وـمـوـادـآخـرى »^(١).

وبعد تأسيـس المـدارـس النـظامـية اتجـه أـسـاتـذـتها إـلـى تـدـريـس « القرآن وـالـحـدـيث ، وـالـفـقـه طـبـقاً لـمـذـهـب الشـافـعـي ، وـعـلـم اللـغـة وـالـأـدـب وـالـجـغـرـافـيـة وـالـتـارـيـخ وـالـمـعـمـار وـالـفـلـك وـالـرـياـضـيـات وـالـكـيـمـيـات وـالـموـسـيـقـى وـالـجـبـر »^(٢).

إـذـن فـقـد اتـخـذـت طـرـقـ الـتـعـلـيم فـي عـصـر اـبـنـ الأـثـير تـنـجـهـ فـي مـنـحـاهـ الـأـول صـوبـ عـلـمـ الدـينـ مـمـثـلـةـ فـي حـفـظـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ وـدـرـاسـةـ الـفـقـهـ عـلـىـ الـمـذـهـبـ الشـافـعـيـ ، وـمـنـ هـنـا يـمـكـنـ القـوـلـ : إـنـهـ مـنـ الرـاجـعـ أـنـ تـكـوـنـ درـاسـةـ اـبـنـ الأـثـيرـ قـدـ اـتـخـذـتـ كـلـ هـذـهـ مـنـاهـجـ نـبـرـاسـاـ يـهـتـدـيـ إـلـيـهـ فـيـ سـنـ عـمـرـهـ الـأـولـيـ ، وـهـذـهـ هـيـ الـأـصـولـ الـأـولـيـ الـمـكـتبـةـ الـتـيـ قـصـدـ إـلـيـهـ الشـيـخـ شـاـكـرـ فـيـ تـعـرـيفـهـ لـلـثـقـافـةـ ، إـلـاـ أـنـهـ أـخـذـ طـرـيقـآخـرـ بـعـدـ أـنـ اـتـهـىـ مـنـ هـذـهـ مـرـاحـلـ الـدـرـاسـيـةـ فـيـ تـعـلـيمـهـ ، وـهـىـ الـاعـتمـادـ عـلـىـ الذـاتـ .

اتـجـهـ اـبـنـ الأـثـيرـ فـيـ هـذـهـ مـرـاحـلـ مـنـ حـيـاتـهـ نـحـوـ تـعـلـيمـ نـفـسـهـ أـمـورـآخـرىـ ، تمـثـلتـ فـوقـ حـفـظـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ - فـيـ حـفـظـ الـأـحـادـيـثـ الـنـبـوـيـةـ الـتـيـ جـرـدـ فـيـهاـ كـتـابـاـ يـتـكـونـ مـنـ ثـلـاثـةـ آـلـافـ حـدـيـثـ ، إـذـ يـقـولـ : « وـكـنـتـ أـتـبـعـتـ نـفـسـيـ زـمـانـاـ فـيـ ذـلـكـ حـتـىـ جـمـعـتـ فـيـ كـتـابـاـ يـشـتـمـلـ عـلـىـ أـكـثـرـ مـنـ ثـلـاثـةـ آـلـافـ حـدـيـثـ مـنـ الـأـخـبـارـ الـنـبـوـيـةـ . كـلـهـاـ يـحـتـاجـ إـلـيـهـ فـيـ أـسـبـابـ الـكـتـابـةـ . وـكـنـتـ أـلـزـمـ مـطـالـعـةـ ذـلـكـ الـكـتـابـ لـزـومـ الـمـحـفـلـ . وـلـاـ أـزـالـ فـيـ مـطـالـعـتـهـ كـالـحـالـ الـمـرـتـحـلـ ؛ حـتـىـ صـارـ لـدـئـيـ مـنـضـوـدـاـ ، وـفـيـ لـسـانـ قـلـمـيـ مـعـقـودـاـ »^(٣).

(١) دراسـةـ فـيـ مـصـادـرـ الـأـدـبـ / ٥٦ـ ، للـدـكـتوـرـ الطـاهـرـ أـحمدـ مـكـيـ ، طـ ٧ـ ، دـارـ الـمـعـارـفـ - القاهرةـ ١٩٩٣ـ .

(٢) السـابـقـ / ٥٧ـ .

(٣) انـظـرـ صـ ١٧١ـ .

ولم يقتصر ابن الأثير على هذا الاتجاه فقط ، بل تعداده إلى : « حفظ الأشعار الكثيرة التي لا يحصرها عدد مما يكون كل بيت منه في الجودة بمنزلة قصيدة من غيره » ^(١) .

ولم يقف ابن الأثير في حفظه عند هذا الحد بل زاد عليه كثيرا ، يقول : « وكانت حفظت من الأشعار القديمة والمحدثة ما لا أحصيه كثرة ، ثم اقتصرت بعد ذلك كله على شعر الطائين : حبيب بن أوس ، وأبي عبادة البحترى ، وشعر أبي الطيب المتنبى ؛ فحفظت هذه الدواوين الثلاثة ، وكانت أكرر عليها بالدرس مدة سنتين ؛ حتى تمكنت من ضوغ المعانى ، وصار الإدمان لى خلقا وطبعا » ^(٢) . وللحقيقة فإن ابن الأثير ، ومن خلال هذا الكتاب ، لم يكن هذا كل موروثه الثقافى ، بل إننا نجد كثيرا من الأشعار لشعراء آخرين ، من بينهم أبو نواس الحسن ابن هانىء وابن الرومى وذيك الجن ودببل الخزاعى ومسلم بن الوليد صريع الغوانى وامرؤ القيس ، وأوس بن حجر .

وفوق كل ذلك فهو عليم بالقراءات المتعددة للقرآن الكريم ، وحافظ غير الأحاديث الصحيحة الكثير من الأحاديث الضعيفة والمواضيعات .

ومما سبق نلاحظ أن الموروث الثقافى لدى ابن الأثير كثير ومتتنوع ، وينبني بعد اللغة والمعارف الآخر على صحيح الدين ، وهى المعادلة التى قصد إليها الشيخ شاكر ليكون للإنسان ثقافة - بكل ما تعنيه هذه الكلمة دونما انحراف عن مسارها الصحيح - يعتد بها .

لقد أخذ ضياء الدين بن الأثير على عاتقه مهمة أن يكون مثقفا ، فشرب ونهل ، وعمل نفسه بمشاركة شتى ، بل نستطيع أن نؤكد أنه كان ملما بالعديد من الأمور التي يمكن أن يحتاجها من سيدخل مضمون الكتابة . مؤكدا أن من بينها الإمام بلغات أخرى وذلك في قوله : « وكانت سافرت إلى بلاد الروم فى سنة ستمائة ؛ فلما دخلت مدينة ملطية ؛ أخبرت عن خطيبها أن عنده أدبا وفضلا ، وأنه يقول الشعر ؛

(١) انظر ص ١٧١.

(٢) انظر ص ١٨١ .

فقصدت لقاءه ؛ وألفيته كما أُخِرِّثَ عنه . وعرضت على قصيدها من شعره ، وهو مائة بيت : كل عشرين منها على لغة ؛ فكان مضمنًا خمس لغات : العربية ، والفارسية ، والتركية ، والبرومية ، والأرمنية . والجميع على وزن واحد ، وقافية واحدة ، إلا أنه كان في غير اللغة العربية أربع منه في اللغة العربية »^(١) .

ورغم وجود هذه العبارة التي تشير إلى معرفته بالعديد من اللغات فإننى - وللحقيقة - لم أجد أى نموذج في أى من كتبه يثبت معرفته بهذه اللغات . كذلك فإننى لم أجد شيئاً من هذا عند أى من الذين ترجموا له ، إنما إذا أراد أحدهم أن يعرض لهذه المسألة ؛ فإنه يسوق العبارة السابقة دليلاً على معرفته باللغات وحسب ، دون أن يسوق مسوغاً واحداً لاقتناعه بها .

(١) انظر ص ٣١٣ .

الاعتداد بالذات

المعارف الأصلية التي اكتسبها في سنّ حياته الباكرة ، والمعارف الأخرى التي اتّخذها سبيلاً للتفوق والتّميز في مضمون الكتابة ، تدفعنا دفعاً إلى نقطة أخرى في شخصية ابن الأثير ، وهي الاعتداد بالذات .

لقد دفعت ابن الأثير عقريته دفعاً في هذا الاتجاه « وليس كل صاحب موهبة كبيرة بمستغل مواهبه الفطرية الاستغلال الأمثل . وقد لا تقتصر العقريبة على ما عنده كارلايل « القدرة الفائقة على تجشم العناء » بل إن المسألة ، على وجه اليقين هي أن الإنجازات العظيمة تتطلب تفانياً وتركيزًا لفترات طويلة من الزمن ، بل إن كثيراً من الناس ، أياً كانت موهبتهم ، ليسوا على استعداد لتكريس أنفسهم بكل إخلاص لأهداف تعود عليهم بعائدات قليلة مباشرة »^(١)

ويمكن القول : إن ابن الأثير يمثل العقريبة الابتكارية ، وهي « ليست أكثر من استمرار فعالية صفات الطفولة في حياة الراشدين الكبار »^(٢) ، فتقدم العمر ؛ لم يزد إلا صلابة ، مع استمرار لمشاعر « التعجب والدهشة وحب الاستطلاع والفضول ، الميل إلى التجربة ، التّنقيب والبحث والاستكشاف ، سرعة الخاطر والقطنة »^(٣) هذه الصفات العقريبة هي التي جعلته يؤلف كتبه في الفترة التي استقر خلالها في الموصل ، ومن بينها كتاب « الوشى المرقوم » .

فمن وجّهه أن ضياء الدين تجشم العناء ، فللحقيقة إنه لاقى الكثير من العناء ،

(١) العقريبة : تاريخ الفكر / ٢٩٩ ، تحرير : بنيلوبى مرئى ، ترجمة : محمد عبد الواحد محمد ، مراجعة : د . عبد الغفار مكاوى . سلسلة عالم المعرفة الكويت العدد ٢٠٨ ذو القعدة ١٤٦٦ هـ - إبريل / نisan ١٩٩٦

(٢) عالم الفكر ، المجلد ١٥ / العدد الرابع / ٨٠ ، يناير - فبراير - مارس ١٩٨٥ / بحث ديناميات العقريبة للدكتور محمد أحمد سلامة .

(٣) السابق الصفحة نفسها .

سواء لترسيخ قدميه في حقل الإنشاء - وعلى الأخص في دولة صلاح الدين - أو في تأليف كتبه ، وفي مقدمتها كتابه « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » الذي جعل شهرته تطير في الآفاق ، حتى إنه لم يعد من رد على هذا الكتاب في حياته ، أو بعد وفاته . يستوى في ذلك من كان معه ، ومن كان ضده .

إذا كانت الإنجازات العظيمة تحتاج تقانيا وتركيزا ، ولفترات طويلة فإن الضياء أعطى جل وقته وعمره الذي قارب على الثمانين عاما لفن الكتابة الذي أحبه ، لهذا فليس بمستغرب أن نجد شخصية ابن الأثير ، واعتداده بنفسه ويقلمه واضحة في ثنايا كتابه ، بل وكتبه الأخرى في عبارات واضحة من مثل قوله : « فهو مبتدع لي ؛ لم أسبق إليه ؛ ومعان مبتدعة لم يسبقني إليها شاعر ولا كاتب » ، قوله : « وإن سبقني إلى حل الشعر سابق ، وورد ورده قبلى طارق ؛ فإنه ركب إليه هجيننا لا هجانا . وظن خواطره فيه سمعية بصيرة ، وكانت صما وعميانا . وليس كل بيضاء شحمة ، ولا كل بيان بحكمة ^(١) .

ويعد قول كمال الدين بن الشعرا ود . إحسان عباس « ولا ريب في أن الجرأة والاعتداد بالنفس اللذين يبلغان لديه حد الغرور قد كانا ستارا يحجب بهما ضعف تحصيله الثقافي وعدم تنوعه ^(٢) ضربا من التناقض والمغالطة ، حينما يؤكدا . إحسان نفسه أن ابن الأثير « قرأ كثيرا من الشعر - مع ملاحظة كلمة قرأ - واطلع على كثير مما ألف في النقد والبلاغة » ^(٣) .

ولم يكن هذا الاعتداد نتاج حالة مرضية ، لكنه ناشيء عن دربة وخبرة بالفن الذي أحبه ، وأعطاه عمره . يقول في موضع آخر : « هذا الفصل فصل من القول ، وله على غيره بسطة الطول . وهو شبيه بخمر الجنة التي لا فيها غول . وقد أبرزته في هذه الصورة التي ألفاظها معان ، وإذا قيس إليها غيرها قيل : والنظم والشعر يسجدان » ^(٤) . ولا ينسى أن يقرن بعض العبارات بضمير المتكلم « أنا » ، فهو

(١) انظر ص ١٦٣

(٢) وفيات الأعيان ٧ / ٣٣٥ ، وتاريخ النقد الأدبي عند العرب / ٦٠٠ .

(٣) السابقان الصفحة نفسها .

(٤) انظر ص ٣٢١ .

« معجب بنفسه في حياته ، مستبد برأيه في سياساته ، ولذلك نراه معجباً بعلمه في مثله ، مستبداً برأيه في نقاده »^(١) ؛ فنجد أنه يقول : « والذى ذكرته أنا في هذا الموضوع ألطف وأحسن وإن كان أصله منه »^(٢) .

إن اعتداده بذاته يصل إلى حد أنه تناول « الكتاب والشعراء وعلماء اللغة بال النقد والتجریح ، وهو على الكتاب أشد وطأة منه على الشعراء ، أما علماء البلاغة فلم يعجبه أحد منهم ، أما الساجعون فلا يروق له من سجعهم غير القليل »^(٣) .

والأمر غير البخفي هو أن « إنشاء ابن الأثير يمثل نفسه ، وإذا كان الإنشاء عصارة نفس المنشيء » ؛ فابن الأثير في حياته مستبد مغزور ، وفي إنشائه معجب بنفسه فخور ، وإذا كان أسلوب الكاتب بضعة من فؤاده ؛ فأسلوب ابن الأثير يمثل نفسه المعجبة إلى درجة الغرور ، ولذلك لا يفتاً يتحدث عن نفسه وعلمه ويتنفس بقدرته وسعة اطلاعه ، ويختصر بابتداعه واختراعه ، وهو يعلو على من سبقه ويسبق من ألف قبله : « وقد هداي الله لابتداع أشياء لم تكن من قبلى مبتدةة ، ومنحنى درجة الاجتهداد التي لا تكون أقوالها تابعة ؛ وإنما متبعه » ، وقال : « وهذا شئ لم يتتبه عليه أحد غيري » ، وقال : « لقد مارست الكتابة ممارسة كشفت لي عن أسرارها ، وأظفرتني بكتوز جواهرها ، إذ لم يظفر غيري إلا بأحجارها »^(٤) .

وإن كان ما يقوله هنا نمر يصدق في كثير منه بالنسبة لكتابات ابن الأثير إلا أن إعجابه - نكاد نؤكد - يمثل اعتداداً بذاته ؛ وليس غروراً ؛ إذ نجد أنه يعترف بأنه أخذ عن فلان أو فلان « وهذه المعانى المذكورة غريبة لم أسمعها ، إلا أن حاشية منها تسارق النظر إلى بيت من الشعر لأبي الطيب المتنبئ ... وهذا نظر من خصائص الستور ؛ وما أقول إنه مغامزة العيون ؛ بل مناجاة بوحى الصدور »^(٥) .

أضف إلى ذلك شخصيته المحبة الوفية المخلصة لمن عمل في خدمتهم كتاباً

(١) دراسات في الأدب والفن لحنا نمر / ١١٨

(٢) انظر ٢٦٧ .

(٣) دراسات في الأدب والفن لحنا نمر / ١١٩ .

(٤) السابق / ١٢١ .

(٥) انظر ص ٣٢٦ .

أو لأصدقائه في كل مكان حلّ به ، أو ارتحل إليه رسولاً ، والرسائل المكتوبة منه
عنيبة بهذا أو بذلك من الأشخاص لخير دليل على وفاته ونبهه ورحمته بالضعفاء ،
ومد يد العون للمظلومين ، أو المتهاورين ، أو أصحاب الحاجات .

أهمية الكتاب

تشير المعاجم إلى أن معنى كلمة «الوشى» هو النسمة والنقش والحسن ، وفي معنى آخر أنه يكون من كل لون ؛ يعني جميع ألوان الوشى . و«كتاب مرقوم أى مكتوب كالرقم في الثوب لا ينسى ولا يمحى وقال قتادة مرقوم أى مكتوب . . . قال الصحاك مرقوم مختوم بلغة حمير وأصل الرقم الكتابة »^(١) إذن فكتاب ابن الأثير يدور حول موضوع الكتابة وتزيينها . أى أن من يريد أن يكون كاتبا ، أو أديبا ، أو خطيبا . فلا بد له من أدوات تمكنه من صوغ ما يكتب في شكل بديع وبلغ ، يبرز ثروة اللغة ، والإلمام بكل شيء فيها ؛ سواء من خلال حفظ القرآن الكريم ، أو ماتيسير حفظه من الأحاديث النبوية ، أو شعر فحول الشعرا ، أو الأمثال . إلى غير ذلك مما يمكن من إبراز المعنى المراد الكتابة فيه ببراعة ليس فيها عيّ ولا قصور .

ومن هنا تبرز أهمية هذا الكتاب الذي خصصه ابن الأثير للحديث عن المنابع التي يتبعى لمن يريد أن يسلك طريق الكتابة أن يتخذها سبيلاً وذخيرة تعينه على صوغ المعانى في سهولة ويسر دون أن يقف عاجزاً عن الوصول إلى المعنى الذي يريد الكتابة فيه .

ابن الأثير في هذا الكتاب يأتي بالطريقة المثلثى التي تؤدى بمن يريد أن يتخذ الكتابة مهنة إلى الاتجاه الصحيح . فهو - ومن خلال رسائله - يوضح كيف يضمن الكاتب رسائله ما يجعلها رسالة خليقة بأن تقرأ . مع بيان أن ما هو مسموح به لمبتدئي الكتابة ؛ غير مسموح به لمحترفيها خاصة في تضمين ألفاظ أبيات الشعر السائرة أو معانيها ، وإلا اتهم من يفعل ذلك بالسرقة . وفي مرحلة تالية يركز على كيفية تضمين معنى الشعر والقرآن الكريم والحديث النبوي والأمثال في ثنايا الرسائل .

(١) تفسير القرطبي ١٩ / ٢٥٨ . واللسان مادة (وشى) و(رقم) .

وتأنى أهمية الكتاب أيضاً في أنه دليل حي على أن حفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية والأشعار هي خير وسيلة للحفظ على لغة القرآن . التي - ويا للأسف - تضيع الان بين أيدينا من خلال ادعاء المدعين بأن مناهج التعليم مبنية على الحفظ ، وهي قضية خطيرة يجب ألا تترك على عواهنهما . فلو لم يحفظ الطفل في سن الباكرة ما تيسر من القرآن الكريم والأحاديث النبوية والأشعار ؟ فمن أين له امتلاك لغة القرآن ؟ .

وتأنى أهمية هذا الكتاب أيضاً من أنه ترجمة فعلية لثقافة العصر الذي وجد فيه ابن الأثير ؛ إذ أنه قد « شاعت ظاهرة جل المنظوم في هذا العصر ، وقد كانت شائعة قبل ذلك أيضاً » ^(١)

وإذا كان أبي هلال العسكري قد خصص كتابه « لمن استكملا الآلات كلها ، وبقي عليه المعرفة بصنعة الكلام ، وهي أصعبها وأشدتها » ^(٢) ، وأجمل في سطور قليلة ما يحتاجه الكاتب لكي يكون كتاباً ، وذلك فيما أورده على لسان المبرد في قوله عن نفسه : « فأنا عالم وتعلم وحافظ ودارس لا يخفى على مشتبه من الشعر والنحو والكلام المشور والخطب والرسائل ؛ ولربما احتجت إلى اعتذار من فلتة ، أو التماس حاجة ؛ فأجعل المعنى الذي أقصده نصب عيني ؛ ثم لا أجد سبيلاً إلى التعبير عنه بيد ولا لسان » ^(٣) . فإن أهمية الوشى المرقوم تتبع من أنه يوضح في سهولة ويسر الأدوات التي ينبغي توافرها لمن يريد أن يتخد من الكتابة مهنة ، بل وزيادة على ذلك ؛ أن ابن الأثير يأتى بنماذج عالية من نثره الذى كتبه فى مواضع وأزمان عديدة على امتداد عمره الطويل ، لتكون بين يدى من يريد أن يدخل فى هذا

(١) بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية (٤٩٢ - ٦٤٨ هـ) ص ٣٧٢ ، د. عبد الجليل حسن عبد المهدى ، كلية الآداب - الجامعة الأردنية ، دار البشير للنشر والتوزيع ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .

(٢) الصناعتين لأبي هلال العسكري ص ١٤٧ ، علق عليه وفessor غريب ألفاظه محمد أمين الخانجي ، ط ٢ ، مطبوعات محمد على صبيح بالأزهر الشريف . بدون تاريخ طبع .

(٣) السابعة الصفحة نفسها .

المجال ، ويسلكه ، ثم في مرحلة تالية للنموذج المختار يبين ما استخدمه من ثروات ثقافية متنوعة سواء أكانت من القرآن الكريم ، أو الحديث النبوي الشريف ، أو من أشعار فحول الشعراء ، أو الأمثلة السائرة ، أو الحكمة ، أو بعضًا مما استخلصه هو من تجاربه الخاصة ، وما قرأه في كتب السابقين : التوراة والإنجيل ، وما اكتسبه من خلال إجادته اللغات الأخرى : الفارسية ، والتركية ، والرومية ، والأرمنية .

كذلك فإن أهمية هذا الكتاب تأتي من أنه يشرح عملياً كيف يستخدم من يريد أن يتمهّن الكتابة كل المعرف السابقة وسواها في كتاباته ، ضارباً الأمثلة الواضحة في كيفية تضمينها في ثياب الكتب ، وأنه بدون هذه الأدوات لن يكون كاتباً ، وفي حالة من الحالات « ينادي على نفسه بالسرقة » لأنّه لم يستخدمها في أماكنها الصحيحة . ومن هنا يأتي تأكيد ابن خلkan في قوله : « ولوه كتاب الوشى المرقوم في حل المنظوم وهو مع وجازته في غاية الحسن والإفادة »^(١)

لذا يؤكّد هذا الكتاب أنه لابد من الحفظ حتى تسهل صياغة المعانى . بعد أن وصل الطالب إلى مرحلة لا يستطيعون فيها كتابة موضوع تعبيري ، أو مقال يتناول قضية خاصة ، أو عامة . بل إنّي ومن خلال عملى الصحفي في قسم التصحيح والمراجعة اللغوية بمؤسسة أخبار اليوم أكاد أؤكّد أنّ كثيراً من يعملون في الحقل الصحفي عاجزون عن كتابة مقال صحفي في لغة صحيحة خالية من اللحن الصرفى أو النحوى بل إنّهم في كثير من الأحيان يؤودهم الوصول إلى صياغة المعنى المراد توصيله للقارئ لأنّهم لا يمتلكون من اللغة إلا القشور . ولا يعرفون من النحو حتى : قشور اللغة ، ولا متى يرفع المبتدأ وينصب الخبر ؟ .

ومن هذا المنطلق فإن للكتاب أهمية عظمى بالنسبة لأمثال هؤلاء ؛ إذ يسر لهم ضياء الدين بن الأثير من خلاله فرصة رائعة لتعلم فن الكتابة مع اشتراط وجود الموهبة أولاً ، لأنّه مادة خصبة لصدق مواهب الناشئة مما ييسر لهله الأمة أناساً من أبنائها قادرين على صوغ لغة القرآن في قوالب أدبية جميلة ، تحبب غيرهم فيها ؛

لأن المحافظة على لغتنا محافظة على القرآن كتاب الله العظيم ، الذي تكفل الله بحفظه في قوله تعالى : « إِنَّا نَحْنُ نَرَأِنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »^(١) ، واحدى وسائل الحفظ التي هيأها الله لكتابه الكريم ؛ امتهان - من يسر الله لهم - طريق الكتابة . إذ لا مناص لهم من حفظ آيات القرآن الكريم ، والأحاديث الشريفة لرسول الله ﷺ الذي لا « يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى »^(٢) . ثم حفظ دواين فحول الشعراء ، مع اكتساب بعض اللغات للاطلاع على ثقافات الأمم الأخرى ..

(١) الحجر / ٩ .

(٢) النجم / ٣ و ٤ .

الفصل الثالث

نسخ الكتاب

اللوشى المرقوم مخطوطاً

وصف النسخ المخطوطة :

وقدت يداي على ست نسخ مخطوطة لللوشى المرقوم فى حل المنظوم لمؤلفه الوزير الصدر العلامه البحر الفهامة ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكرييم بن عبد الواحد الشيباني الجزري . وكان على أمام هذه النسخ أن اختار واحدة تكون أمّا ، وأن تكون النسخ الآخر فروعاً تم المقابلة عليها .

في هذه الفقرة أقوم بوصف للنسخ المخطوطة ، وأعمد إلى توضيح زمن نسخ كل منها ، والتعليق : لماذا اختارت هذه لتكون أمّا أو أصلاً ، ولم ترتك النسخ الآخر للمقابلة ، سواء التي استفدت منها ، أو تلك التي تركتها دون الرجوع إليها .

أولاً النسخة الأم (الأصل) : نسخة نور عثمانية وهي نسخة مصورة من مكتبة نور عثمانية بتركيا ، موجودة في مكتبة معهد مخطوطات جامعة الدول العربية تحت رقم ٤٣٦٤ ، وقد حرر عليها : « اسم الكتاب الوشى المرقوم فى حل المنظوم ، اسم المؤلف ابن الأثير ضياء الدين نصر الله بن محمد تاريخ النسخ سنة ٦٣٤ هـ » وقد كتبت بخط نفيس عن نسخة قوبيلت بأصل المصنف أى قبل وفاة المصنف رحمة الله عليه بثلاث سنوات تقريباً . وقد كتب على صفحتها الأولى أنها «وقف نذر النذور العamas فى بديع الخلافة والمقامات السلطان بن السلطان ، السلطان أبو الإرشاد عثمان خان بن السلطان مصطفى خان . جعل الله يده نصراً للأدباء الأنجباب ، وأنا الراعي الحاج إبراهيم () المقتبس بأوقاف الحرس المحترس . غفر له » .

لقد كتبت هذه النسخة بخط نفيس عن نسخة « قوبيلت عرضها بالأصل المقروء على المصنف أيده الله بالموصل الموصولة ، منه هذه النسخة حسب الاجتهاد ». الأهم من أنها قوبيلت عرضاً بالأصل المقروء على المصنف ، فقد « استشرح

منها ما يحتاج إلى شرح ، وذلك بمدينة الموصل في عدة مجالس ، آخرها يوم الإثنين ثامن جمادى الأولى سنة ٦٣٢ هـ . . . ، وكتب مصنف الكتاب بيده حامداً الله ، ومصلياً على رسوله محمد وآله وسلم »^(١) .

وقد كتب في الصفحة الأخيرة : « تم الكتاب المبارك بحمد الله تعالى ومنته ، وخفى لطفه ، وحسن توفيقه في العشر الآخر من شهر ربيع الآخر من سنة أربع وثلاثين وستمائة . والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله الطاهرين . وهو حبى ، ونعم الوكيل » .

لكل ما سبق رأيت أن هذه النسخة عالية ، وتستحق أن تكون أمّا ، وأن تم المقابلة على ما يسره الله سبحانه وتعالى تحت يدي من نسخ آخر .

* * *

ثانية : هذه النسخة موجودة في الخزانة التيمورية بدار الكتب والوثائق المصرية تحت رقم ٤٦٣ أدب . كتب في بياناتها أنها موجودة في « مكتبة دار الكتب . القاهرة ، رقم المخطوط فيها ٤٦٣ أدب تيمور ، اسم الكتاب وموضوعه الوشى المرقوم في حل المنظوم ، اسم المؤلف ابن الأثير ، تاريخ المخطوط ٦٥١ هـ . كتب في وسط صفحتها الأولى داخل برواز : « الوشى المرقوم في حل المنظوم » تأليف الوزير العالم الكامل ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم رحمة الله عليه » ، وفوقه كتب : « كتاب الوشى المرقوم في حل المنظوم للإمام ضياء الدين ابن الأثير صاحب المثل السائر » ، وعليها أبيات شعرية منها :

بَا قَاتِلِي بِسَهَامِ الْتَّخْزِيْنِ مُشْفِرِدًا
وَمَا تَكَلَّفَ أَنْصَارًا وَأَغْوَانًا
أَنَا شَهِيدُ الْهَوَى عُثْمَانٌ لَا عَجَبُ
ظَلَمْتُ مِثْلَ شَهِيدِ الدَّارِ عُثْمَانًا

(١) انظر الصفحة الأخيرة من النص المحقق .

وكذلك عليها تمليلات أوضحتها : « من كتب كاتبه محمد بن القاسم بن المنقار الحنفي ، عفا الله عنه ، ثم انتقل بالابياع إلى ملك (كلام غير واضح) سنة ١٠٥٩ ». أما الصفحة الأخيرة فقد كتب بها : « نجز كتاب الرشى المرقوم في حل المنظوم ، ووافق فراغه بكرة السبت ثالث ذي الحجة من سنة إحدى وخمسين وستمائة هجرية ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه ، وأله الطاهرين ، وسلم كثيرا ، وحسبنا الله ، ونعم الوكيل » .

وبخط مختلف عن خط النسخة كتب : بلغ مقابليته بنسخة عليها خط المصنف رحمة الله ؛ وصحح بقدر الإمكان في أوائل ربيع الأول سنة تسع وخمسين وستمائة ، والحمد لله ، وصلواته على محمد وأله الطاهرين . وبها اضطراب في ترقيم الأوراق الأخيرة .

ولهذا جعلت هذه النسخة تالية مباشرة للنسخة الأم نظرا لأهميتها . وقد رمزت لها بالحرف « ت » .

ثالثا : نسخة كتبخانة ملي طهران ، وهي تحت رقم ٨٩٨ ، مصورة بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية ، وهي « نسخة نفيسة ، كتبت بقلم نسخى نفيس مشكول سنة ٦٩٣ هـ ، ومزخرفة بين السطور والهوامش » ^(١) تتميز هذه النسخة - إضافة إلى فخامة خطها - بأنها تتفرق في بعض المواضع بعبارات تصلح خطأ في بقية النسخ . كذلك فإنها تتفرق بزيادات ليست موجودة في النسخ الأخرى ، ومنها بيت شعر يتم به ما حله ابن الأثير في إحدى رسائله ، وهو قوله أبي تمام :

وَيَزِدُّهَا مَرْ الْبَالِي جِلَّهُ

وَتَقَادُمُ الْأَيَامِ حُسْنَ شَبَابِ

وهو غير موجود في النسخ الأخرى ، وقد كتب داخل برواز في صدر صفحتها

(١) فهرس المخطوطات المصورة ٦ / ١٨٢ ، رقم ٢٤٢٥ .

الأولى : « تصنیف الشیخ الإمام العلامة القدوة سید البلغااء أوحد الفضلاء ؛ ضیاء الدين أبي نصر الفتاح بن نصر الله بن عبد الكریم المعروف بابن الأثیر تغمدہ الله برحمته ». .

اما الصفحة الأخيرة فقد کتب : « تم الكتاب بحمد الله و منه ، والحمد لله رب العالمین ، وصلواته على سیدنا محمد نبیه ، وأله وأصحابه وعترته الطاهرين وسلم تسليماً کثیراً . ولم يحدد تاريخ للنسخ ، لكنها حسب المتعارف عليه ومن خلال تلك الدائرة الموجودة في آخر الفقر ، والنقطة الموضوعة داخلها نسخة جيدة ، نستنتج أنها تمت مقابلة بنسخة أخرى ، أو نسخة آخر . وقد رممت لها بالحرف « ط ». .

رابعاً : نسخة موجودة في أدب مصطفی كامل تحت رقم ١٣٢ ، بها تصحیف وتحریف وخروم ، ولكنی اعتمدتھا أيضاً وقابلت علیھا ، وفي صدر صفحتها الأولى تملیک : « ملک أفندي حاج إبراهیم محمد عسکر ». .

وقد کتب في صدر صفحتها الأولى بخط ردىء : « هذه الأوراق تشتمل على كتابین الأدب ، الكتاب الأول الوشی المرقوم في حل المنظوم سیدی محمد بن محمد بن عبد الكریم الجزری المعروف بابن الأسیل . والكتاب الثاني ... ». . وفي الصفحة الأخيرة کتب : « بلغ مقابله حسب الطاقة في خامس عشر محرم الحرام سنة ست وألف ، أحسن الله عاقبتھا بخير وقد رممت لهذه النسخة بالحرف « م ». .

خامساً : نسخة مصورة من مکتبة عارف حکمت بالمدینة النوریة ، أدام الله نورھا بمرقد الرسول الکریم ﷺ ، ورضی عن الصحابة الأولین . أرسلها مشکوراً الأخ الفاضل مرزوق على إبراهیم . وقد کتب في صفحتها الأولى : « الوشی المرقوم في حل المنظوم . صنعة الوزیر الكامل أبي الفتاح نصر الله بن محمد بن عبد الكریم الجزری رحمه الله تعالى ، وله کتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ». .

وعلى هذه النسخة تمليلات ، وكتب في دائرة ختم : « مما وفقه العبد الفقير إلى ربه المغنى أحمد عارف حكمة الله بن عصمة الله الحسيني في مدينة الرسول الكريم عليه وعلى آله الصلاة والتسليم ، بشرط ألا يخرج عن خزائنه والمؤمن محمول على أمانته » .

ومكتوب في نهاية الصفحة الأخيرة : « تم الكتاب بعون الله تعالى وحسن توفيقه في الخميس غرة ذى الحججة سنة ثلاثة ستمائة ، والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد وأله » ويدو أن رقما سقط بين ثلاثة ستمائة . وقد رمزت إليها بالحرف « ع » .

وهناك نسختان آخرتان لم أعتمد هما في المقابلة .
أولاًهما : مكتوب في خاتم بيضاوي بالصفحة الأولى : « وقف هذا الكتاب ورثة المغفور له سليمان باشا أبااظة بالجامع الأزهر سنة ١٣١٦ هـ » .
وكتب : « هذا كتاب في الأدب المسمى باللوشى المرقوم في حل المنظوم ، تأليف العالم العلامة البحر الفهامة الأريب الأديب سيدى محمد بن محمد عبد الكريم الجزرى المعروف بابن الأثير رحمة الله تعالى أمين » .
وفي الصفحة الأخيرة : « تم الكتاب ، والحمد لله وحده ، والصلاحة والسلام على من لا نبي بعده ، وكان تمامه في يوم الخميس غاية محرم سنة ١٢٩٦ هـ » .
ولم أعتمد هذه النسخة لأنها بالمقارنة بنسخة مصطفى فاضل التي سبقت الإشارة إليها ، تنقل عنها مع الأخطاء التي وردت بها ، وزادت على هذه الأخطاء عبوبا أخرى تصحيفا وتحريفا وخرما .

النسخة الثانية : موجودة في مكتبة بلدية الإسكندرية يقول عنها د. يوسف زيدان في كتابه « نوادر المخطوطات بمكتبة بلدية الإسكندرية » الصادر عن الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية سنة ١٩٩٥ م نموذج رقم (٣٢) : « نسبها الناسخ على الغلاف لبديع الزمان الهمذاني ، وهى في الحقيقة من تأليف ابن الأثير الجزرى (ضياء الدين

نصر الله بن محمد المتوفى سنة ٦٣٧ هـ) ، وهى محفوظة تحت رقم (١٩٦٦ د) أدب ، وتقع فى خمس وستين ورقة مقاس ١٤ فى ١١ سم . وقد كتبت فى القرن الثامن الهجرى تقديرًا ، وباولها مطالعة مؤرخة بسنة ٩٨٦ هـ » .

وكان من الواجب الاعتماد عليها فى التحقيق نظراً لقدمها ، وقربها من عصر مؤلفها ، غير أن المخطوطة متحجرة ، وفي حالة لا تسمح بالتصوير ، ومن ثم فقد تعذر الحصول على صورة منها .

سادساً : نشرة قام على طبعها إبراهيم بن الأحدب الطرابلسي سنة ١٢٩٨ هـ - ١٨٨٠ م . وقد طبعت بمطبعة ثمرات الفنون في بيروت ، وقد طبعت طبع الحجر في ١١٢ صفحة .

وقد كتب في صدر صفحتها الأولى : « هذا كتاب الوشى المرقوم في حل المنظوم ، تصنيف الوزير الأجل العالم الفاضل ضياء الدين أبي الفتح نصر الله بن محمد الشهير بابن الأثير ، تغمده الله برحمته أمين . وبهذه النسخة توضيح بعض معانى الكلمات . »

ورغم ما في هذه النشرة من عيوب التصحيح والتحريف والخرم فإنها جهد مشكور ومحمود لمن قام على طباعتها متمثلاً في إمكانات هذه الفترة . وأعتقد أنه يتيسر له أكثر من نسخة في مرحلة المقابلة ، إذ من الممكن أن يكون قد تيسر له ما لم يتيسر لنا من النسخ المخطوطة ؛ يتضح ذلك في انفراد هذه النسخة ببداية النوع العاشر التي أشير إليها في بقية النسخ بأنه مكانه بياض في الأصل . وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف « ن » .

نشرة المرحوم الدكتور جميل سعيد

كتب في رأس الصفحة الأولى لهذه النشرة مطبوعات المجمع العلمي العراقي . ثم كتب بشكل واضح : الوشى المرقوم في حل المنظوم ، ضياء الدين بن الأثير . يلى هذا في متصرف الصفحة : تحقيق الدكتور جميل سعيد الأستاذ بكلية الآداب بجامعة بغداد ، عضو المجمع العلمي العراقي .

ومن خلال هذا التعريف الموجز بشخص د. جميل سعيد رحمة الله عليه تتضح لئا مكانته وقيمه العلمية . ولهذه المكانة والقيمة كان لابد من التوقف عن مواصلة تحقيق هذا الكتاب القيم ، خاصة بعد أن أعلمته صديقى وزميلى بتمهيدى الماجستير وبأخبار اليوم الأستاذ حمدى حامد بأن د. جميل سعيد قام بتحقيق هذا الكتاب . لذا قرر أستاذى الدكتور أبو همام أن أبحث عن نسخة الكتاب المشكلة أو أن أبحث عن موضوع آخر .

توقفت باحثا عن إحدى نسخه عليها تشفى ظمى بالاستمرار في طريق تحقيق هذا الكتاب ، اتصلت بصديقى الأستاذ جمال عبد الحى المحرر بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، فأخبرنى أن هذا الكتاب تم طبعه سنة ١٩٨٩ م ، وقد انقطعت مطبوعات المجمع العلمي العراقي عن مجمع القاهرة لخلافات سياسية

وبالمصادفة التقيت بالدكتور فيصل الحفیان الدبلوماسي السوري بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية ؟ فسألته لعله يعلم أين أجده ضالتي ، فأخبرنى أن هذا الكتاب غالبا سوف يكون عند الدكتور عرفة حلمى عباس المدرس وقتها بكلية الآداب جامعة القاهرة .

توجهت إلى د. عرفة الذى لم يتوان فى تقديم هذه النسخة النادرة التى طبعت سنة ١٩٨٩ م من هذا الكتاب لى ، فقمت بتصويرها واطلعت عليها ، ورغم الجهد المشكور لناشرها د. سعيد فالأخطاء كثيرة ، لذا رأيت أن أفصل لماذا كان القرار بالاستمرار في تحقيق هذا الكتاب ؟ .

بداية يبرر د. سعيد إعادة نشره الكتاب الذي أجمع كثيرون على أهميته بأنه «طبع بـمطبعة ثمرات الفنون سنة ١٢٩٨ هـ ، ومن بعيد جداً نفذت نسخه ، وأصبح من غير الميسور الحصول على نسخة منها»^(١)

وهذا كلام طيب جداً . وإذا كان ينطبق على النشرة الأولى التي طبعت منذ ما يزيد على مائة وعشرين عاماً لهذا الكتاب ؟ فإنه من الأحرى أن ينطبق على نشرة د. سعيد التي طبعت سنة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م ، وعثرت عليها بشق الأنفس شاكراً للدكتور عرفة حلمي عباس إعارتها لى حتى يتسلى لى تصويرها .

ويقول د. سعيد : « وطبعته هذه لم يتفضل ناشرها بذكر اسمه ، ولا بذكر الأصل الذي اعتمدته في النشر ، كما أنها خالية من الفهارس ، بل هي خالية حتى من فهرس لموضوعات الكتاب ، وناشرها لم يأخذ نفسه بشرح ماعساه بحاجة إلى الشرح منها »^(٢)

وكان د. سعيد لم يكن يعرف أن ذكر اسم المحقق والشرح والفهرسة لم تعرف ولم تتخذ منهجاً إلا في العصر الحديث إذ « كان التحقيق في هذه الآونة يدور حول مقابلة النسخ المتعددة للمخطوطة الواحدة ، وتصحيح النص على هذا الأساس ؛ أي أساس المقابلة بين النسخ ، وقد يشير المصحح في بعض الأحيان إلى اختلاف النسخ فيقول : وفي نسخة كذا دون أن يذكر لنا ما هي هذه النسخة ، ولا من أين هي ، ولا يعطي لنا مقدمة دراسة الكتاب ومخطوطاته وتصيفه »^(٣)

ولأن هذه الفترة الباكرة في تاريخ نشر التراث العربي لم يكن لها منهج واضح ، وإنما غيرة من أولئك الذين شاقهم نشر الغرب تراثنا ؛ فعمدوا إلى نشر هذا التراث بدلاً من نشره متفرنجاً في فهمه وطباعته فقد « كانت مهمة المصحح أن يشرح بعض اللغويات ، ويدرك بعض المقابلات ، لكنه غير مضطر إلى تخريج الأحاديث النبوية والآيات القرآنية ، ولا يترجم للأعلام ، ولا يعرف بالبلدان ، ولا يضع الفهارس

(١) نشرة د. جميل سعيد / ٢٨

(٢) السابق / ٢٨

(٣) تحقيق التراث العربي : منهجه وتطوره ، د. عبد المجيد دياب ص ١١١

الفنية ! كل هذا لم يوجد عند الشيخ محمد عبده ، ومن عاصروه من العلماء العرب فيما وقع لنا من كتب »^(١)

وهذا ما ينطبق على عصر نشرة سنة ١٢٩٨ هـ . وكأنه - د. سعيد - لم يقرأ مقدمة شيخنا محمود محمد شاكر لكتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ؛ تعليقاً على نسخة الشيخ محمد رشيد رضا رحمة الله عليه المطبوعة سنة ١٣٢١ هـ - والفتراء بينها وبين كتاب الوشى المرقوم المطبوع سنة ١٢٩٨ هـ تقريراً ثلاثة وعشرون عاماً - حيث يقول الشيخ شاكر يرحمه الله : « فهذه المطبوعة إذن لها ثلاثة أصول مخطوطة لا أعرف عنها شيئاً ، ولكن لما لها من منزلة التقدم ؛ ولأن الذين تولوا نشرها ثلاثة من كبار علمائنا في هذا العصر ، فقد جعلتها أصلاً ثالثاً ، واتبعها ترتيبها ، حتى لا تختل معرفة الناس بهذا الكتاب الجليل الذي بقى في أيديهم على صورته هذه أكثر من ثمانين سنة »^(٢)

ويضيف د. جميل سعيد : « وأفهم من هذا كله أن الذي نُشِرَ ؟ إنما هو بعض الكتاب ، وليت الناشر الكريم في نشر هذا البعض عمداً إلى التلخيص أو الاختصار ، ولكنه تجنب هذا إلى شيء لا نرى أمانة العلم ترتضيه ، وهو أن ينظر في النص تكون فيه لفظة غير واضحة الخط ، أو غير واضحة المعنى فيطرحها ، وقد يطرح الجملة كلها بسببيها ، وقد يرى نصاً فيه بعض الصعوبة فيطرحه كله أيضاً ، وسار هذه السيرة في نصوص الكتاب »^(٣)

ورغم اتهام الدكتور جميل لهذا الناشر بعدم الأمانة والجهل ، فإنني وللأمانة أؤكد أن إحدى النسخ التي تحت يدي ، وهي نسخة مصطفى فاضل ، وقد اعتمدت بها في المقابلات ؟ تتفق إلى درجة كبيرة مع نشرة ثمرات الفنون في هذه الأجزاء المحدودة ، ويبدو أن ما وقع لهذا الناشر الكريم الذي يكفيه شرف السبق إلى نشر هذا الكتاب مع قلة الإمكانيات المتاحة ، من نُسخ فيها هذا السقط دون أن يُطْرَح ، وليس لجهل أو لعدم أمانة كما يدعى عليه د. سعيد .

(١) السابق / ١١٣

(٢) مقدمة دلائل الإعجاز ، تحقيق الشيخ محمود محمد شاكر ص ٩ .

(٣) نشرة د. سعيد / ٢٨ و ٢٩ .

أما وصفه له بالجهل ؛ فهذا منافي للحقيقة إذ إن هذا الرجل لم يكن جاهلا ، ولو اطلع د. سعيد على الأعلام للزركلى لعلم مكانته . يقول الزركلى عنه : « إنه شاعر واديب ، ولد (١٢٤٠ - ١٣٨٠ هـ / ١٨٢٤ - ١٨٩١ م) في طرابلس الشام ، ونصب مستشارا في الأمور الشرعية لحاكم مقاطعة الشوفين في لبنان سنة ١٢٦٧ هـ ، ولما نشبت فتنة النصارى والدروز في لبنان سنة ١٢٧٦ هـ عاد إلى طرابلس ، وطلب إلى بيروت سنة ١٢٧٧ هـ ، فجعل نائبا في المحكمة الشرعية ، ثم كاتبا أول فيها . وتولى تحرير جريدة « ثمرات الفنون » ، ثم انتخب عضوا في مجلس المعارف في بيروت ، وتقلد كثيرا من الرتب السلطانية ». ^(١)

ورغم انها د. سعيد لهذا الرجل بعدم الأمانة ؛ فإنه قد وقع تحت يدي نسخة من تلك التي اعتمدتتها في المقابلات ، وهي نسخة مصطفى فاضل الموجوده في دار الكتب المصرية - وقد سبق الحديث عنها - تتفق في كثير من مواضع الخرم فيها مع نشرة إبراهيم بن الأحدب الطرابلسى . ويتبين من المقارنة بين النسختين - نشرة ثمرات الفنون ومحفوظة مصطفى فاضل - أن ما وقع لهذا الناشر الكريم الذي يكفيه شرف السبق ، مع قلة الإمكانيات المتاحة بالنظر لتلك الفترة الباكرة في تاريخ نشر التراث العربي لم يكن لجهل أو لعدم أمانة . فهو لم يطرح شيئا موجودا ؛ إنما هو ناقل كريم لما وجده في تلك النسخ .

إن د. سعيد الذى اتهم هذا الرجل بعدم الأمانة ، أخذ عنه ما يقرب من عشرين سطرا دون أن يعزو ممن أخذ هذه الأسطر التي تؤكد النسخة التي تحت يديه - وكذلك التي تحت يدي - أنها بياض فى الأصل ^(٢)

السؤال الملحق الآن : إن لم يكن د. سعيد قد أخذ هذه السطور من نشرة ثمرات الفنون ؟ فعمّن نقلها ؟.

هذا بالإضافة إلى أنه اعتمد نسخة تيمور أصلا . وقد اكتشفت أن بها خرما بمقدار صفحتين من خلال النسخة التي صورتها عن الميكروفيلم الذى صور عنه

(١) الأعلام للزركلى ١ / ٥٥ ، ط ١٢ - ١٩٩٧ م .

(٢) راجع نشرة د. سعيد ص ٨٤ و ٨٥ ، ونشرة ثمرات الفنون ص ٣١ و ٣٢ .

معهد مخطوطات جامعة الدول العربية - ومازالت حتى الآن موجودة لدى المعهد ، وبها هذا الخرم - كما أخذت عنه أيضاً مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب جامعة بغداد - وهي النسخة التي اعتمدتها د سعيد - ، وهم حسب ترقيم المخطوط (١٥٢ و ١٥٣) وتأكدت من ذلك حين تفضل الصديق العزيز مصطفى عبد السميع المحقق بمركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية بمعاينة أصل المخطوط ؛ فوجد أن الصفحتين تقعان فيه ؛ وأن نسخة الميكروفيلم التي تم تصويرها سنة ١٩٦٣ م هي المعيبة لعدم تصوير هاتين الصفحتين ، فقام بنسخهما حتى لا يضيع وقتى سدى

ولأننى مقتنع أن تحقيق التراثأمانة في أعنافنا ، أصررت على أن يعاد تصوير هذا المخطوط مرة أخرى أو أن يتم تصوير الصفحتين^(١) وبالفعل تمت إعادة تصويرهما ، وهما لدى الآن . مع بقاء هذا العيب في مصورة معهد المخطوطات ومصورة د سعيد

وهنا سؤال آخر تشيره هاتان الصفحتان وهو : من أين رتق د . سعيد هذا الخرق الذي لم نجد أى إشارة في نشرته لهذا الموضوع ؟

ورغم الجهد المشكور الذي قام به د . سعيد ، وكلله المجمع العلمي العراقي بتحمل نفقات نشر كتاب الوشى المرقوم ؛ فإننى وجدت به من الأخطاء ما لا أحصيه . لكننى آثرت أن أرصد في الصفحات التالية بعضها منها وأذكّر أن د سعيد اعتمد ثلاثة نسخ هي تيمور أصلا ، ونور عثمانية التي رمز لها بالحرف ن ، وعارف حكمت التي رمز لها بالحرف ع للمقابلة . وسألت بعض هذه الأخطاء حسب ترقيم نشرته .

* في ص ٥٧ كتب : و كنت سافرت إلى مصر سنة ست و تسعين و خمسين .
وكتب في الهاشم في ن و ع ست و تسعين .

- فما وجه الخلاف إذن بين النسخ الذي يدعوا إلى كتابة فرق في الهاشم

(١) انظر الصفحتين في هذا الكتاب من قوله : « وغرامه في ص ٣٤٩ ٠٠٠ حتى قوله : « ياقدام عمرو وسماحة حاتم » في ص ٣٥١

والفرق هو أن نسخة تيمور التي اعتمدتها أصلاً تقول : سنة ست وسبعين . وهو خطأ فادح وقع فيه ناسخها ولم يشر إليه د . سعيد . لأن ابن الأثير في هذا التاريخ لم يكن قد ~~يخرج~~ بعد من مسقط رأسه جزيرة ابن عمر ، في حين أنه سافر فعلاً إلى مصر سنة ست وسبعين لما ملك مخدومه الملك الأفضل نور الدين على بن صلاح الدين يوسف بن أيوب مصر .

* وفي حين تجمع نسخه الثلاث على أن قول المتنى :

لعل عتبك محمود عوافته

- فلا أدرى من أين أثبتها في متن نشرته ص ٥٩ « قوله » .

* في ص ٦٠ قوله تعالى « ومما يوقدون عليه في النار » ؛ فقد رقم الآية في الهاشم ب (١٦) في حين أن الرقم الصواب هو (١٧) . إضافة إلى ذلك أن لهذه الآية قراءة أخرى أثبتتها نسخة تيمور وهي « توقدون » . فلماذا يوهم د . سعيد القارئ أن نسخه الثلاث تتفق على هذه القراءة؟ ! .

* في ص ٦٩ ، رغم أن نسخه الثلاث ورواية ديوان أبي تمام تتفق على :

فإن يك جرم عنَّ

فإنني لا أدرى من أين أثبتها عَزَّ؟ ! .

ما سبق كان تزرا يسيرا ، وليس كل ما وقع من أخطاء في هواشم نشرة د . جميل سعيد . وفيما يلي نرصد أخطاء التخريج :

* في ص ٦٠ يكتفى د . سعيد بتخريج مثل واحد من بين ستة بها .

* في ص ٦٢ « وفيه معنى خبرين آخرين من الأخبار النبوية ؛ أحدهما قوله ﷺ : قال الله تعالى : وجبت محبتى للمتحابين فئ ، والآخر قوله ﷺ : رب وائى خجل » ، فإنه لم يخرج الحديث القدسى الأول . والثانى ليس حديثاً للرسول ﷺ ؛ إنما هو مثل ~~خرجناه~~ في موضعه .

* وفي ص ٦٩ لم يخرج قول البخترى :

فتى دفعوا بخل الزمان بجوده

- * لم يخرج حديث الرسول في ص ٧١ : ما خلق الله داء . . .
 - * ولم يخرج حديث : إن أخي استطلق بطنه . . .
 - . ولا قول الشاعر : « وهل يفرس الليث الطلا وهو رابض .
 - * في ص ٨٢ لم يترجم للشاعر الغزى ، ولم يخرج بيته .
 - * ص ٨٦ لم يخرج بيت الحماسة : يعيش المرء . . . ، ولم يترجم للتهامى .
 - * ص ٩٠ روایة بيت البحترى أثبتها : فيض المزن ، في حين أنها في الديوان : صوب المزن .
- * ص ٩٤ لم يخرج قول الشاعر : إذا مرضتم . . .
 - . ولا قول مسلم : ركنت إلى نفس . . .
- * ص ٩٥ لم يخرج قول أبي تمام : أرى فضل مال المرء . . . وهو لابن الرومي
- * ص ٩٦ لم يخرج قول الشاعر : يا طالب الرزق . . .
 - * ص ٩٧ لم يخرج قول أوس بن حجر : دان مسف . . . واكتفى بما أورده الجاحظ في كتاب الحيوان ٦ / ١٣٢
- * ص ١٠١ لم يخرج قول الآخر : أضاءت لنا أحسابنا
- * ص ١٠٣ لم يخرج قول البحترى : في نظام من البلاغة . . .
 - * ص ١٠٥ لم يخرج : في طلعة البدر ما يغريك عن زحل .
 - * ص ١٠٦ لم يخرج : وليس يعرف لي فضلي . . .
- * ص ١٠٨ كتب بين معقوفين هكذا [بياض في الأصل] إشارة إلى بيته القاضى الأرجانى ؟ فمن أين ملا هذا البياض ؟ !.
- * ص ١١٤ من أول الصفحة حتى قوله : وأن أطأ التراب وأنت فيه . خرم وقع في نسخة نور عثمانية لم يشر إليه .
- و لم يخرج قول الشاعر : أرادوا ليحفوا قبره . . .
- و لم يخرج قول الشاعر : برغمى أن أعنف . . .
- * ص ١٢١ خرم وقع في نسخة نور عثمانية من قوله « وكذلك قلت

- أيضاً . . . إلى قوله فعال قط أوضح من فعاله « لم يشر إليه . . . »
- * ص ١٢٥ يوجد في نسخة نور عثمانية بيتان لم يشر إليهما
 - * ص ١٢٨ لم يخرج قول أبي تمام : الصبر كاس
 - * ص ١٣٤ لم يخرج قول الشاعر :
فعلى الصبا مني السلام ولو عة
 - * ص ١٤٠ لم يخرج قول بشار : سلبيه يد المدائح
ولم يخرج بيت الحماسة : ألا إن خير الود
 - * ص ١٤١ يقول إنه لم يجد بيته أبي نواس في ديوانه ، وهما في ديوان مسلم ابن الوليد .

ولم يخرج قول البحترى : خل عننا فإنما أنت

- * ص ١٤٧ لم يخرج قول البحترى : فأكون طوراً مشرقاً
- * ص ١٦٢ لم يخرج قول الشاعر : لست أدرى من رقة
- * ص ١٦٩ لم يخرج بيته أبي تمام : أرى فضل مال المرء وهما لابن الرومي .

- * ص ١٧١ لم يخرج قول أبي تمام : الشكر بالمؤمل
- * ص ١٧٢ لم يخرج قول ديك الجن : ودافعت في صدر الزمان
- * ص ١٧٥ لم يخرج قول الشاعر : أذني عن الفحشاء صما
- * ص ١٧٧ في جميع النسخ المخطوطة خطأ في قوله تعالى : وإذ تبرئ الأكمة . ولم يشر د . سعيد إلى هذا الخطأ .

- * ص ١٧٩ لم يخرج قول النبي ﷺ : الأيم أحق بنفسها
- * ص ١٨٧ لم يخرج قول النبي ﷺ : أول بيت وضع للناس
- * ص ١٩٦ لم يخرج قول الشاعر : والسيف ما لم يلف فيه
- * ص ١٩٧ لم يخرج قول النبي ﷺ : إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً
ولم يخرج قول النبي ﷺ : ما دخلت هذه دار قوم
- * ص ١٩٨ لم يخرج قول النبي ﷺ : المسائل كدوح
- * ص ١٩٩ لم يخرج قول النبي ﷺ : يد الله مع الجماعة ، ومن شد

- * ص ٢٠٠ لم يخرج قول النبي ﷺ : ابغوني ضعفاءكم فإنما
- * ص ٢٠١ لم يخرج قول النبي ﷺ : حديث قصة هلال بن أمية ...
- * ص ٢٠٢ لم يخرج قول النبي ﷺ : اغربوا ...
- * ص ٢٠٣ لم يخرج قول النبي ﷺ : داروا ...
ولم يخرج قول النبي ﷺ : رؤيا المؤمن ...
- و لم يخرج قول النبي ﷺ : إن النبي ابْنَاعْ فَرَسًا مِنْ أَعْرَابِي
- * ص ٢٠٥ لم يخرج قول النبي ﷺ في عمير بن الحمام ...
ولم يخرج قول النبي ﷺ : ألا إن سلعة الله ...
ولم يخرج قول النبي ﷺ : ما من كلام يكلم ...
- * ص ٢٠٦ لم يخرج قول النبي ﷺ : ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه ...
ولم يخرج قول النبي ﷺ : قلب المؤمن بين لمة ملك ولمة شيطان ...
ولم يخرج قول النبي ﷺ في ذكر الغلول ...
- * ص ٢٠٧ لم يخرج قول النبي ﷺ في حديث الدجال وعيسي بن مرريم ...
- * ص ٢٠٨ لم يخرج قول النبي ﷺ : قلوب بني آدم بين إصبعين ...
ولم يخرج قول النبي ﷺ : عينان لا تنسهما
ولم يخرج قول النبي ﷺ : للمجاهد أجر ...
- * ص ٢٠٩ لم يخرج قول النبي ﷺ : ابن آدم سر مكتون تظهره القدرة ...
ولم يخرج قول النبي ﷺ : من اجتهد ...
ولم يخرج قول النبي ﷺ : وقع رجل بأبي بكر الصديق رضى الله عنه ...
- * ص ٢١٠ لم يخرج قول النبي ﷺ : إن امرأتي لا ترد يد لامس ...
ولم يخرج قول النبي ﷺ : من حفر لأخيه قليبا
ولم يخرج قول الشاعر : فالذى تبت البلاد سرور ...
- * ص ٢١١ لم يخرج قول النبي ﷺ في فضل مكة ...
ولم يخرج قول الشاعر : يا من إذا قلت يامن لا شبيه له ...
ولم يخرج قول النبي ﷺ : اللهم وال من والاه ...
- * ص ٢١٢ لم يخرج قول النبي ﷺ : جبت القلوب ...

- و لم يخرج قول النبي ﷺ : إن هذا ابنى
- * ص ٢١٣ لم يخرج قوله ﷺ : لعن الله الواصلة
- و لم يخرج قول النبي ﷺ : القضاة ثلاثة
- و لم يخرج قول النبي ﷺ : من كنت مولاه :
- * ص ٢١٤ لم يخرج قول النبي ﷺ : فقال لها : أين الله
- و لم يخرج قول النبي ﷺ : أحب الأسماء
- * ص ٢١٥ لم يخرج قول النبي ﷺ : أرحنا بها يا بلال

وأخيراً : فإن ما تم رصده لم يكن كل ما وقع للدكتور جميل سعيد من أخطاء في التخريج . بل إن هناك الكثير والكثير من الأخطاء التي تمثل في الزيادة على ما هو موجود بالنسخ المخطوطة ، والحذف لما هو موجود في هذه النسخ بالفعل ، دون أن يقدم أي مبرر لهذه الزيادة ، أو لذلك الحذف .

أضف إلى ذلك عدم إشارته لتعليقات الناسخ في مخطوط تيمور الذي استخدمه أصلاً ، كذلك لم يعر اهتماماً للأحاديث ؛ فلم يبين لنا أيها صحيح ، وأيها ضعيف ، وأيها موضوع . ولم يشغل باله بتبيان الاختلاف بين القراءات القرآنية ، ولا الأخطاء التي وقعت في بعض الآيات .

كما تجدر الإشارة إلى العديد من الأخطاء المطبعية التي وقعت في أبيات الشعر مما أدى إلى ظهور الخلل العروضي في أوزان هذه الأبيات ، ولم نشر إلى ذلك ، وإلى الكثير من الأخطاء الأخرى ، واكتفينا بما تم رصده ليتبين الدافع الرئيسي وراء تحقيق هذا الكتاب المهم .

نسبة الكتاب إلى مؤلفه

« الوشى المرقوم فى حل المنظوم » هو مجموعة متعددة لمقتضيات اختيارها ابن الأثير من رسائله المختلفة ، لتكون نموذجا يحتذى به لمن يريد أن يتخذ من الكتابة سبيلا .

والأهمية لهذا الكتاب فإن الكثير من المصادر تؤكد نسبة لضياء الدين بن الأثير ، كما ثبت أن هذا العنوان هو عنوانه الذى اختاره له ،

نبأ هذا التوثيق من خلال كتابات ابن الأثير نفسه إذ يقول : « وقد بسطت القول فى هذا الموضوع وكشفت عن دفائه فى الكتاب الذى وسمته بـ « الوشى المرقوم فى حل المنظوم » وهو كتاب مفرد فى هذا الفن خاصة »^(١)

ويقول فى موضع آخر من كتابه « المثل السائر » : « وهذا المعنى المشار إليه فى وصف القلم أوردته بعبارة أخرى على وجه آخر ، ونبهت عليه فى كتاب « الوشى المرقوم فى حل المنظوم » وهذا كتاب ألفته فى صناعة حل الشعر وغيره »^(٢)
هذا ما كتبه ابن الأثير ، أما ما كتبه غيره ؛ فنجد منهم من أورد عنوان الكتاب منسوبا له ، أو أورد فقرا منه على سبيل الاستشهاد .

من ذلك قول القزوينى : « وكقول صاحب الوشى المرقوم فى حل المنظوم يصف قلمَ كاتب : فلا تحظى به دولة إلا فخرت على الدول ، وغنت به عن الخيل والخَوْل »^(٣)

وفى قول عن أهم الكتب المؤلفة فى صناعة الإنشاء : « ومنها كتاب « المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر » لابى الفتح ابن الأثير الجزري وهو فى مجلدين ، وله كتاب « الوشى المرقوم فى حل المنظوم » و « ديوان الترسل »^(٤)

(١) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر ١ / ١١٩ .

(٢) السابق ١ / ٣٢٣ . (٣) الإيضاح فى علوم البلاغة للقزوينى ١ / ٣٨٧ .

(٤) أبجد العلوم ٢ / ١١٦ ، راجع طبقات الحنفية ١ / ٤٤٢ ، والروضتين فى أخبار الدولتين ٢ / ١٨٣ ، ووفيات الأعيان ٥ / ٣٨٩ و ٣٩٢ ، وفي ترجمة الموفق بن الخال =

ويقول النواجي في كتابه « حلبة الكميّت » : « ومن رساله الشیخ الإمام العلامہ ضیاء الدین محمد بن الأثیر ، تغمدہ اللہ برحمته »^(١) ، ثم يقطع فقرة موجودة في كتابنا هذا .

كما أن هناك في ديوان رسائله كثيراً من هذه الفقرات التي اختارها ابن الأثير لتكون شاهداً على كيفية استخدامه للقرآن الكريم ، والأحاديث النبوية ، والأشعار . وبعد من الخطأ ما وقع فيه صاحب « مفتاح السعادة » ؛ فقد نسب الوشی المرقوم إلى شخص يدعى « موفق الدين » وجدير بالذكر أنه ليس من بين ألقاب ابن الأثير هذا اللقب^(٢)

وهذا التوثيق من خلال كتب التراجم ، والتاريخ ، وغيرها يجعلنا نزداد ثقة في نسبة هذا الكتاب إلى صاحبه أبي الفتح نصر الله محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزری ضیاء الدین . وكذلك في صحة عنوانه ، وهو « الوشی المرقوم في حل المنظوم » .

<

= ٢١٩ ، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، تأليف الإمام أبو أحد عبد الله بن أسد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي المتوفى سنة ٧٦٨ هـ ، في وفيات سنة ٦٣٧ هـ ، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة ، ط ٢ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .

(١) حلبة الكميّت في الأدب والنواجد والفكاهات المتعلقة بالخرميات ، لشمس الدين محمد بن الحسن النواجي / ٢١٠ و ٢١١ . ذخائر الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ١٩٩٨ م .

(٢) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ١ / ٢٠٥ و ٢٠٦ ، وفهارسه ٣ / ٦٥١ . تأليف أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زادة - دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .

منهج التحقيق

يسر الله لي قبل البدء في تحقيق كتاب «الوشى المرقوم في حل المنظوم» الاطلاع على عديد من الكتب التي تتناول التحقيق دراسة ومنهجا . ومن الطبيعي أن تكون الاستفادة من هذه القراءات - تستوى في ذلك قراءة الكتب التي ترصد عملية التحقيق نظريا ، أو الكتب التي قام على تحقيقها شيوخنا الأجلاء في هذا المجال - استفادة عظيمة ، وإن كانت هناك بعض الأمور التي ارتأيت أنها ستجعل قارئ هذا الكتاب أسرع منا لطلبته التي يبحث عنها

بداية قمت بمقابلة النسخ التي استطعت بشدید المعاناة أن أحصل عليها ، وبعد الانتهاء من هذه المرحلة الخاصة بالكتاب ، أخذت أنظر إلى أيسر الطرق التي تمكن قارئ هذا الكتاب من أي شيء ينشده فيه فمثلا

- بالنسبة للآيات فقد وضحت وجوه القراءات المختلفة لما وجدته منها يستدعي توضيحاً قراءة معينة استخدمها ابن الأثير . مع ترتيب سور حسب موقعها بالمصحف ، والأيات حسب أسبقيتها

- وبالنسبة للحديث ؟ لم أكتف بإثبات مكانه فقط ؛ إنما تعدى الأمر ذلك إلى إثبات عنوان كتاب الحديث الذي رجعت إليه ، ثم رقم الجزء ، يليه رقم الصفحة ، ثم رقم الحديث ، وذلك تيسيراً على القارئ

- وفي الشعر ؛ أثبتت في الهاشم ما ورد بالديوان مخالفًا لمن الكتاب الذي ذكره ابن الأثير وزيادة في التيسير ؛ كتبت اسم الديوان ، ثم رقم الجزء ، فرقم الصفحة التي يقع فيها بيت الشعر ، ثم أتبعت ذلك بذكر رقم القصيدة . وقد نسبت كثيراً من الأيات التي لم تكن منسوبة لقائلها ، أو وقع خطأ في نسبتها لصاحبها

- أما الأمثال فقد أرجعتها إلى كتب الأمثال التي وردت فيها ، مع توضيحة معنى المثل ومغزاه .

- وقد ترجمت للأعلام والشعراء الذين رأيت أنهم في حاجة إلى ترجمة ، خاصة إذا كانت هذه الترجمة تخدم دراسة الكتاب

- وقد أتبعت نص الكتاب برصد ثبت المصادر والمراجع التي انتفعت بها خلال دراستي ، أو تحقيقي هذا الكتاب
- وختمته بالفهارس العامة التي تشتمل على فهارس آيات القرآن الكريم ، وأخرى للحديث ، وقد قسمت فهرس الحديث حسب درجته ، بمعنى أتنى ذكرت أولاً الحديث القدسى الذى رواه الرسول الكريم عن رب العزة جل وعلا ، ثم الحديث النبوى ، ثم الموضوع ، ثم ما لم أجده له أصلا
- وقد قسمت فهرس الشعر إلى الأبيات الكاملة وأنصاف الأبيات ، مع كتابة رقم الجزء - إذا كان الديوان واقعاً فى أكثر من جزء - ثم الصفحة التى يقع فيها البيت ، يلى ذلك رقم التصيدة ، واضعاً للفهرس أربع خانات ، تبدأ أولاًها بذكر الكلمة القافية ، ثم وزن البيت عروضياً ، ثم اسم الشاعر ، ثم رقم الصفحة التى ورد بها . بادئاً بالقافية المضمومة ، ثم المفتوحة ، ثم المكسورة . مهتمياً بخطى الشيخ محمود شاكر فى تحقيقه كتاب « دلائل الإعجاز » لعبد القاهر الجرجانى .
- يلى فهرس الشعر فهارس الأمثال والقبائل ، ثم عينت للشعراء فهارساً خاصاً بهم نظراً لكثره ذكر أسمائهم فى الكتاب . أتبعته بفهرس للبلدان والأماكن ، وأخيراً للأعلام .

وقد قصدت بهذا العمل وجه الله الكريم أولاً ، وثانياً : أن أصبح ما وقع على ضياء الدين بن الأثير من ظلم بين سواء في الترجمة له ، أو في الأخطاء التي امتلاطت بها الشرتان السابقتان : نشرة ثمرات الفنون ١٨٨٠ م ، ثم نشرة د. جميل سعيد التي قام على طبعها المجمع العلمي العراقي . وحرصاً على ألا تكون هناك أخطاء مطبعية ؛ كتبت هذا الكتاب على الكمبيوتر الخاص بي مع ما تحمله في هذا الأمر من عظيم عناء . فإن تكن هناك أخطاء ، فأرجو المغفرة .

وعلى الله قصد السبيل .

الْوَسْوَلُ الْمَرْجُونُ
فِي حَلٍّ مَنْظُومٍ

نماذج من نسخ المخطوطات
التي رجع إليها المحقق

صفحة اتفاق نسخة نور عثمانية واسم الكتاب «وشي المرقوم» خطأ

وانت لغيرك انت لمن لا يرى انت لمن لا يرى
وانت لغيرك انت لمن لا يرى انت لمن لا يرى
وانت لغيرك انت لمن لا يرى انت لمن لا يرى
وانت لغيرك انت لمن لا يرى انت لمن لا يرى
وانت لغيرك انت لمن لا يرى انت لمن لا يرى
وانت لغيرك انت لمن لا يرى انت لمن لا يرى

الكتاب نور عثمانية دو دوري ط ٢٠١٩ (٢٠١٩)

دور نشر طيبة ٢٠١٩

مطبعة المكتب المركزي في مصر

اد. المؤلف اد. بهاء طه ا. ضياء الدين فضل الله محمد
وزير التعليم العالي. عطاء الله ثانية نقيب مهندسي مصر بشهادة
جامعة زايد على كتاب (٢٠١٩) - (٢٠١٩)

الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ

لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ إِنْ هُوَ بِكَ إِلَّا مُكْرِهٌ
 وَمَنْ يُعَزِّزُكَ إِلَّا أَنْتَ إِنْ هُوَ بِكَ إِلَّا مُكْرِهٌ
 شَفِيفٌ إِذْ تُرْبِي أَهْلَهُ بِغَلَّكَ وَجَعَ الْبَرِّ مِنْ سُبْطَهُ مِنْ أَهْلَهُ
 كُوْنُوكَ مِنْ كُوْنُوكَ شَرِّجَنَ وَالْمُلْكُ لِغَانَهُ وَمَنْ مِنْ قَدْمَهُ مِنْ يَقِيْبَهُ
 عَلَيْهِ رَحْمَةُ رَبِّهِ وَمَنْ مِنْ قَدْمَهُ مِنْ يَقِيْبَهُ
 أَمَانُهُ لِغَانَ لِدَابَّةِ الْأَشَابِيَّ وَفَشَارَ وَلَدَلَ طَنَرَ وَوَجَرَ الْأَنْسَ

يَهَا عَلَيْهِ قَرْبَكَ مِنْ كُوْنُوكَ لِلْمُرْدَنَ لِيَهَا
 وَفَرَعَتَ لِلْمُونَ كَمَكَ غَنْتَلَنَ قَهْلَلَ الشَّنِي لِلْمُوْرَدَهُ وَرَدَ

شَهَلَ الْأَدْنَهُ وَعَدَ وَالْمُعْنَى لِلْمُرْدَنَ لِيَهِ مَهْرَ

الْأَرْدَلَ الْأَرْدَلَ وَعَدَ وَالْمُعْنَى لِلْمُرْدَنَ لِيَهِ مَهْرَ

أَفْرَلَ الْأَوْمَوْنَ وَبَيْهِ اِشْلَانَ الْمُهَبَّ وَجَسَسَ لِمَوْنَهِ الْمُرْدَنَ

وَجَسَسَ حَمِيَّ الْمُهَبَّ مِنْ سَلَانَ الْمُرْدَنَ الْمُرْدَنَ وَعَدَ وَجَرَ

الْجَهَادَ الْجَهَادَ الْمُدَبَّدَ وَدَلَيْلَ الْمُدَدَّنَ لِلْمُدَدَّنَ لِلْمُدَدَّنَ

الْمُدَدَّدَ وَعَكَلَ الْمُرْدَنَ لِيَهِ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ

الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ
 الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ
 الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ
 الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 كَمَكَ شَهَهُنَّا وَلَدَلَ كَمَكَ شَهَهُنَّا لَكَمَكَ شَهَهُنَّا
 شَهَلَ الْمُهَبَّ لِيَهِ وَلَدَلَ شَهَهُنَّا وَلَدَلَ شَهَهُنَّا بِكَمَكَ شَهَهُنَّا
 الْأَرْتَهَنَهُ شَهَهُنَّا وَلَدَلَ شَهَهُنَّا وَلَدَلَ شَهَهُنَّا

كَمَكَ شَهَهُنَّا لَكَمَكَ شَهَهُنَّا وَلَدَلَ شَهَهُنَّا وَلَدَلَ شَهَهُنَّا
 وَلَدَلَ شَهَهُنَّا وَلَدَلَ شَهَهُنَّا وَلَدَلَ شَهَهُنَّا وَلَدَلَ شَهَهُنَّا
 الْأَرْتَهَنَهُ شَهَهُنَّا وَلَدَلَ شَهَهُنَّا وَلَدَلَ شَهَهُنَّا وَلَدَلَ شَهَهُنَّا
 شَهَلَ الْمُهَبَّ لِيَهِ وَلَدَلَ شَهَهُنَّا وَلَدَلَ شَهَهُنَّا وَلَدَلَ شَهَهُنَّا
 كَمَكَ شَهَهُنَّا لَكَمَكَ شَهَهُنَّا وَلَدَلَ شَهَهُنَّا وَلَدَلَ شَهَهُنَّا
 وَلَدَلَ شَهَهُنَّا وَلَدَلَ شَهَهُنَّا وَلَدَلَ شَهَهُنَّا وَلَدَلَ شَهَهُنَّا

الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ
 الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ
 الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ

الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ

الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ

الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ الْمُهَبَّ

أَنْجَمَ الْأَلْأَلْ — حِلْيَةُ الْكَوْكَبِيِّ مِنْ حِلَالِ الْأَيَّامِ

أَنْجَمَ الْأَلْأَلْ — حِلْيَةُ الْكَوْكَبِيِّ مِنْ حِلَالِ الْأَيَّامِ

الصَّفَعُ الْأَخْدُقُ مِنْ نَسْخَةِ الْأَصْلِ وَمِنْهُتِ الْمَاقِبَاتِ بِالْأَصْلِ الْمَقْرُوِّدِ عَلَى الْمَصْنُفِ

عَنْ قَدَرِ سَافَادَهُ لِلْمُؤْمِنِ كَمَا ظَاهِرًا
وَمَحْسُورًا مَثْلَهُ لِلْمُؤْمِنِ
بِسَارِ الْمُؤْمِنِيْهِمْ وَلِلْمُؤْمِنِيْهِمْ الْمُؤْمِنِيْهِمْ
أَنْجَمَ الْأَلْأَلْ — حِلْيَةُ الْكَوْكَبِيِّ مِنْ حِلَالِ الْأَيَّامِ

عَنْ قَدَرِ سَافَادَهُ لِلْمُؤْمِنِ كَمَا ظَاهِرًا
وَمَحْسُورًا مَثْلَهُ لِلْمُؤْمِنِيْهِمْ وَلِلْمُؤْمِنِيْهِمْ
أَنْجَمَ الْأَلْأَلْ — حِلْيَةُ الْكَوْكَبِيِّ مِنْ حِلَالِ الْأَيَّامِ

عَنْ قَدَرِ سَافَادَهُ لِلْمُؤْمِنِ كَمَا ظَاهِرًا
وَمَحْسُورًا مَثْلَهُ لِلْمُؤْمِنِيْهِمْ وَلِلْمُؤْمِنِيْهِمْ
أَنْجَمَ الْأَلْأَلْ — حِلْيَةُ الْكَوْكَبِيِّ مِنْ حِلَالِ الْأَيَّامِ

مُوَحَّشٌ كَمَكْبِلٍ

عَنْ قَدَرِ سَافَادَهُ لِلْمُؤْمِنِ كَمَا ظَاهِرًا
وَمَحْسُورًا مَثْلَهُ لِلْمُؤْمِنِيْهِمْ وَلِلْمُؤْمِنِيْهِمْ
أَنْجَمَ الْأَلْأَلْ — حِلْيَةُ الْكَوْكَبِيِّ مِنْ حِلَالِ الْأَيَّامِ

عَنْ قَدَرِ سَافَادَهُ لِلْمُؤْمِنِ كَمَا ظَاهِرًا
وَمَحْسُورًا مَثْلَهُ لِلْمُؤْمِنِيْهِمْ وَلِلْمُؤْمِنِيْهِمْ
أَنْجَمَ الْأَلْأَلْ — حِلْيَةُ الْكَوْكَبِيِّ مِنْ حِلَالِ الْأَيَّامِ

عَنْ قَدَرِ سَافَادَهُ لِلْمُؤْمِنِ كَمَا ظَاهِرًا
وَمَحْسُورًا مَثْلَهُ لِلْمُؤْمِنِيْهِمْ وَلِلْمُؤْمِنِيْهِمْ
أَنْجَمَ الْأَلْأَلْ — حِلْيَةُ الْكَوْكَبِيِّ مِنْ حِلَالِ الْأَيَّامِ

صورة غلاف التيمورية، ت، وعليها بعض التمليلات

عبد الرحمن

الطبعة

كتاب الصلوة

كتاب
الصلوة
لأمام
الإمام
الشافعى
الشافعى
الشافعى
الشافعى

وهو كل شئ يحيى من شئ في صدور المأهول صدقاً قوله

الآية المترددة

فيما لا يرى إلا باليقين يحيى ولا يحيى إلا باليقين

فهي التي تحيى بالليل وتحيى بالنهار فلما

يعد عرقلة عالمها ثم أراها لا تحيى

فأبا شاعر قد يحيى الثالث وألا يحيى

الأسفل

فقوله عالم الليل و أنها تحصل دوارة الأعلى والأسفل

فإن هبتو الأنفاط الأبدية من أهلاً داروا على ريش العظام

الجحوم لفترة المأهول التي هي في عالم الحشرات والغزلان والسماد

أبا هشيم يوم وعزم العجم ومن دونها أنها تحيى بالليل وفدي

والأشفاف وإنها في الليل لا تحيى

حالياً عن الآيات المأهولة في ضلالي

من قبل في الهدوء

وهي أداة نظر لمحمد إلى حيثية المشي من غيره الذي قال

البيهقي في تفسيره

نهاية

كتابه في قدر الماء

ويحيى ما يحيى هـ ما يحيى على هذه الأرض التي تحيى

تمثيل المثلية

البيهقي في تفسيره

وهو كل شئ يحيى من شئ في صدور المأهول صدقاً قوله

المورقان اللذان تتصورهما حدثياً وهم خوف في نفوسه وفلم التمودية الموجدة به العظوظات وفونسه الذي أخذ عنهـ جعيل سعيد

وقد أمعن في هذا الكتاب عاشر من الأعواد شيئاً فشيئاً
معيناً على ما كان الذي أدهى في سبوز فالمورقان قوله
في إقبال يقوله في سبوز المختار في وظيفة
والآخر في سبوز الأحجار في معرفة التي هي
إنساناً شاهداً في عيشه لذاته التي أنا
وهي لغيرها ولغيرها من سبوز المختار عبيدي اليماني
أو التي هي صدمة بمالها تجربة
لإذن وأمنة لم يفهم الكهود الذين يأتون
وألا فذلك الماء الذي ينزل على ما يدركه في
لبنة سبع العاق على ما يدركه في
اللهام والشوارع التي ينتهي لها بنظر غير الإنسان
ويجيء على ذلك الماء الذي ينتهي إلى قبور العين القديم
فهي تعيش بأقليد بحوالى ثمانين عاماً فإذا
جاءها عيشها في سبوز المختار العظومي
في سبوز الأحجار وهو قوله تعالى أصوات الله في السماء
السماء وهي سبوز العيش الذي ينزل إلى قبور العين
اللهام الذي ينتهي إلى قبور العين القديم
واللهام الذي ينتهي إلى قبور العين القديم
وأن يعيش الماء الذي ينتهي إلى قبور العين القديم
حيث على صدر المبارك ربنا رب الماء عز وجله طهـ

فعلم ذلك عذيب شبلـ لهـ ما دعـتـهـ منـ قـاتـلـهـ وـأـنـ هـيـهـ
كـسـنـ لـأـغـضـنـهـ وـأـصـامـتـ دـوـرـهـ اـصـفـرـهـ عـادـ زـيـةـ
فـيـ وـضـفـالـ شـجـرـ وـهـوـ حـصـلـ وـلـ كـلـ بـالـ خـادـمـ بـشـلـ لـحـارـ
الـمـنـالـكـ ظـلـ عـنـاـ معـاـ عـدـنـ لـمـطـ الـهـ عـنـاـ وـاصـحـ بـالـهـ
الـشـهـرـ مـعـاـ كـامـ لـعـنـهـ لـعـنـهـ مـاـ لـمـ اـخـلـ بـالـ شـهـارـ عـلـهـ
هـيـ اـنـمـلـ شـصـرـ وـقـهـ رـعـادـهـ لـمـعـيـ مـلـودـ مـنـ سـبـوزـ
فيـ سـبـوزـ الـهـ وـهـوـ قـوـلـهـ تـفـاعـلـ أـصـاحـاـ الـهـ وـقـوـلـهـ كـافـمـ
مـنـ اـسـعـاـهـ وـهـدـاـ الـمـعـيـ وـأـكـانـ مـلـحـوـدـ أـمـهـيـهـ
الـسـوـرـ هـيـ سـبـوزـ الـهـ وـهـدـاـ قـلـلـهـ عـنـ الـعـرـ
الـلـهـ وـهـدـاـ الـرـوـرـ الـمـعـيـ الـأـحـيـ الـأـحـيـ فـيـ سـبـوزـ
الـهـ وـهـيـ سـبـوزـ الـهـ وـهـيـ سـبـوزـ الـهـ وـهـيـ سـبـوزـ الـهـ

ورقان تبيان اضطراب البريق في الصحفات الالكترونية من التسويقة

وقد انتبه لها في مجتمع الملايين حيث اذالتها

لهم اذالتها في مجتمع الملايين حيث اذالتها

بِحَكْمَةِ
الْأَشْيَاءِ الْمُوْمَمَةِ

لِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَعْلَمُ

الْجَوَاهِرُ وَهُوَ أَكْلَمُ الْأَنْجَارِ

الْأَنْجَارُ لِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَعْلَمُ

الْأَنْجَارُ وَهُوَ أَكْلَمُ الْأَنْجَارِ

الْأَنْجَارُ لِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَعْلَمُ

الْأَنْجَارُ وَهُوَ أَكْلَمُ الْأَنْجَارِ

الْأَنْجَارُ لِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَعْلَمُ

الْأَنْجَارُ وَهُوَ أَكْلَمُ الْأَنْجَارِ

الْأَنْجَارُ لِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَعْلَمُ

الْأَنْجَارُ وَهُوَ أَكْلَمُ الْأَنْجَارِ

الْأَنْجَارُ لِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَعْلَمُ

فِي حَسْبِ الْمُطْلَقِ مِنْ دُوَافِعِ
وَلِعَنِ الْمُنْتَهَى بِالشَّرِّ الْمُجْهَمِ
مِنْ سَبَّهُ أَخْرَى فَجَبَرَهُ كَمَا
جَبَرَهُ

وَلِمُحَمَّدِهِ وَهُدَى وَصِلِّي اللَّهُ عَلَى
سَلَّمَهُ تَعَالَى هُوَ الْمَهْمَمُ
الظَّاهِرُ بِهِ وَسَمِّيَ الْكَاهِنُ
وَجَبَرَهُ الْمُهْبِرُ الْمُكَلَّكُ

الورقة الاخيره من التيموريه ولتفتح بها خطانا الطريق

الورقة الأولى من نسخة كتبخانة على طهران ط.

الجادل درجه الفرق بليل ودعى النبي تيمك للرباب اين ليلان

له مجعل باب الذر وجعل شهد بيه اقتل النور ونوره فهم

له من الادرين واصبح يلهم فشك المأوى فل وبيش حجي به

سب انتالا عن الوك الي اشتراك امش عصبي بجهي به

المحفظة ببابا فدا اولية ذات كمن غال

الناس ته سا على طبقي قد سع طلاقا و طلاق سعي شوكان

معيش شعوبه ضواله هم حس جه لحسونه باب الدهونه بابه

اما بش زد ارككانه الائما ما قرشنا اونظ ما دضا اونظ

شياق و طرق و حرك و طلاق بيك فالذرك اليه بجهن اهل الطلق

خرطبيه كسمه و خشمها ركاث مشادعنها اول كثفه

وزمات اللذى والاجاز الوجه فائ ذاك لم سوئه منها و ظاهره

عنها و منجها شماها و احال اصحابها ولستعنى بيل القشر

دمشلى الاماکار
بنى العجوز الذي بذك بشاشتها فاز بهن اشيا

كان عظيم

لؤلؤها شاهزاده اوداعنه مكتبه لمشي اشنينا

عن ذئبه

غلازى كشيمان انتارى شيشانها بقوله مشوي ولازال الارض
امان من عقدهم بجي بيوفقا لها اويقول شعرا و مقاله موبيها الا
والمنادى الي لا شل عليه لياد من المعاشر اولا الفش كباب الشل
الشارعه ادب الکافب والکاغن و فرش فشلادهه زغاف

المأكول

لأنه أصلانٌ ولبيها / العجلات وعده

لـ الله الرحمن الرحيم ربنا ورب النبي محمد عليه
بلاستكراه لهما فد اغفالا عليه بشهى مختار الراى ففله بيل
اللهم يا رب العالمين وفرزنا العزيز بسيه ورثون لسانه
في الوضي وسل الزئب منهم من سنتا يليان وهم متفرقون
في الشى والليل نغيرنا به وفهمت روى عنه وفهمت
أهقرهه علاقته بما كفر زمانه الهم بعد كل ما به استفاده
وتشرار علينا وغلوبه ووصوت الناس فيها على طريق
عاليها ولها نوابي ذلك حظن على عشاقه الشجاع
موده وور دهنه أكماله بنوى ولها عيشة هدوءا
ساقهه فتحه يخفى اليس لها آلامه محظى بها أدنا
عند المرض وصلحه بمن ألهها من ألمه
ووجههه وفتحه القلبه ودهه التي لا ينطلي
ووجههه وفتحه القلبه ودهه التي لا ينطلي

5
معكم الأمومة ان تصرف الله إلى كل الأذى وآيات العذاب
والآثار البينية في ذلك زينة عصمتها وخلاصها عصرها ونعمها
ووجههه قليل طلاقه والمعصمه الوجه معها أجيالها ساقهه ووجههه
عمرهه يحيى به كل ساقهه يحيى و كانت معاشرهها لا يرى كل ساقهه ووجههه
العن وسائل الإكافار ابوها مه
يش العبور الرزقي ذات لبا شهاده وبيان معاشرهها يحيى
في كلها من زهرها وأوجهها كالشمس شهاده وبيان معاشرهها يحيى
على كلها من زهرها وأوجهها كالشمس شهاده وبيان معاشرهها يحيى
المؤمن اما من من عقوله وعيه لوطنها كلها ونوعها كلها
يعود الى مومنها من عقوله وعيه لوطنها كلها ونوعها كلها
الآيات والآيات يرسخهه فهل منه على رحمة العبور
وايقظ وبها المعاشر والآيات كلها المعاشر
الآيات وحالها المعاشر التي تعمد الى الذهاب
ووجههه وفتحه القلبه التي تعمد الى الذهاب
والآن عندي اجل في موافقة منه على عقوله الكمال
والآن عندي اجل في موافقة منه على عقوله الكمال
ووجههه وفتحه القلبه الذي تعمد الى الذهاب

من الآثار النبوية وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم أصبه
الآيات والروايات في الله وعبد الرحمن وأصدقها عندنا هـ
 لما رأى عاصم والبغضىء عليه موسى وبرهون المقطاوة وكسرة في كتابه وفيه
 المخفي ودار من عزيره من المقطاوة وكسرة في كتابه وفيه
 التي أشار لها وردت في ذكره في ذكر الكتاب وغصينه
 وأذكوه هنا من تلك الأدلة شارحاً مما يحيى على هذين
 الباريد عازر وعاصم اللهم ما يحيى أذن المخفي
 وأذنه رقاب الآباء والباريد وحسب أبوه به فتن المخفي
 الاعظام والأبدال وصلة المخفي وطاعة من الآباء
 المتراء فهذا يختلف في التسمية ويتبع في الإفهام وهذا
 في الاستئناف في التسمية ويتبع في الإفهام وهذا
 بحال افتخاري فحال ولا ذات عطاياه مصنف
 لمعنى من نقله لم يحيى المخفي والباريد بالاتفاق ولا
 زال جدهما محيياً في أنا سؤال يعود للسائل إلا
 أرجعواهما إلى بلال فيقولون إن المخفي من الآثار النبوية
 وهو ما كانوا يحصرون الصراطة والأنبياء صار
 عليه وسلم بلال رضي الله عنه أرجعواهما إلى بلال
 بـ

أي يحصل بهما الكمال
 ولهم الله ورضي الله على بلال حجه بدار المخفي
 بـ
 بـ
 بـ
 بـ

محمد الحسيني سعيد زمان
 أحسنه عاصم تاج
 أمير العزيز وصالحة
 علي محمد وغفاره
 وسليمان

الورقة الأخيرة من نسخة مخطوطة فاضل

صفحة الغلاف لنشرة ثمرات الفنون «ن»

ربيع ثالث ١٤٩٢ نسخة موسمه ادب
عمر مسد نشرت في ١٤٩٣ هذا

كتاب الوشى المرقوم في حل المخطوط
نصبف الوزير الاجل العلام
الناضل ضياء الدين ابي الفتح
نصر الله ابن محمد الشهير

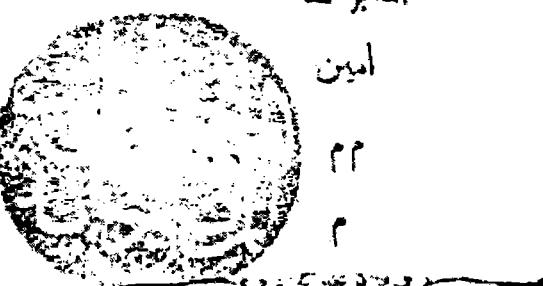
بابن الاثير تقدم

الشير حنه

امين

٢٢

م



طبع بطبعة ثمرات الفنون سنة ١٤٩٨

من المعنى هو غير ما ذهب إليه العزري لكن الناظم من الناح

卷之三

بن القيات التي أتت من نشر لفظها وهو كمل بيت يختصر معناه

卷之三

من الآيات التي يجوز تغيير لفظها وهو كل بيت لفظ من الماء
فراند في علم الأسد غيرها مذهب الحجت إذا أدلت بما يراد لها تدعى
بها البيت وإنهم معناه فمن ذلك قوله أمي الشيش
وفد أندبي الطير في وكالها بمجرد قيادة الأولاد محل
فإن الفاظه من وركات ومبردة لها ويكل فراند في مكالمه الأربع
تبليها بغير طلاق إذا زاد طلاقه وجب أن يحافظ على تلك الارادة وقد
حللته فنلت في وصف فرس الدعم وظلام انتطبق صور علم هدد
فنيبت عن شرق الكبيت من ذاته هدد بالربيع فغير في وجهها
دون شق غباره . إذا ظهر عليها رجحت حسرة في مصادره . نسب إلى
الاعوج وهو مستنقع في البر والمر وقد حنيبت عليه عيشه الشخص إذ
لما كان نرم ظله على الأرض لذرا من على الأدبار لها جسمه الصباح
بنائه . فعدا عليه وحاش ينتصب منه في أحواذه . وفديه عليه والطير
في دكانه فهل ينوي المجدلة . وإذا أطلقه الصد الوحيسي ربته على

**الورقة الثالثون والواحد والثلاثون التي افردت
لوز النسخ الأخرى بـالمزيد**

لبي بشهادة الشامت . وهذا ما يخزنه من قوله في عام
أحد وستين قد نظرت فلم أجد أحراً في شأن الأعنة
ومن ذلك ما ذكرت في وصف الحرب وهو فعل من كتاب مون
عليه مور المغازل . وبشاعم وهم رجال بالارض وذكر لهم ارض
بالرجال . ولقد ثبت الشاعر في ذمهما أن الحكى ظافت حسرة وشعيب النبي
منهم حتى تربض عليه وشرب الحرقى ود سكران ولم يبق الاسم في عدوه طـ
الاشتاء .. ولا عنده دين الا شنوة .. وبعض هذا ما يخزنه من شعره

وكم رجال بلا رُضْنَكِنْهُمْ * نُوكْ جمعِ أرضِ الْأَرْجَل
وعلى هذِ الْأَسْلَوْبِ جاْفُولِي في وصفِ المَحْرُوبِ إِضاً وَهُوَ اِذَا
أُنْتَمِ السَّبِيفُ مِنِ الْأَغَادِ . فَلَدَّ لِيْمَ الْأَلَادِ مِنِ الْأَبَآءِ . فَلَكَلِ الْأَبَآءِ
بِالْأَلَادِ ; فَلَبَرِي اِدْجُونِ الْأَهْوَى بِيَاضِهِ الْبَشِّيِّ . وَلِاسْمُرِمِ الْأَهْوَى بِعَدِّهِ
عُوْرَقٌ . وَلَا يَقْبَلُ سَعْيَ اِدْزُونِ حَرْمَ خَالِدَكَ الْبَلْقِينِ . فَهُوَ مَصْلَعِ النَّهْرِسِ
وَمَطَاعِ الْمَسْوِدِيَّةِ الْخَوْرِ . الْمَلَارِ الْقَدِ عَدِّتُ مِنْ فَلِ الْحَوْسِ وَأَرْضِ
هَذِهِ مَا خَرَدَ مِنْ شَعْرِيَّيِ الْمُطَبِّبِ الشَّنْجِيِّ

مُجْرِيَدَ الْأَقْبَلِ حِكْمَةً . وَفِيهِ زِيَادَةٌ عَلَيْهِ بِسْتُ مُرْئَى النَّبِيِّ حَلَّ بِسْتَ أَبْنَى
بَنَاءَهُ الْمَعْدِيِّ فِي وَصْفِ فَرْسِ ادْمَمِ مَجْلِلِهِ شَغَرَيْدَهَا وَوَرَفَوْهُ
وَكَانَ الْأَطْمَصْبَاحُ جِينَهُ فَاقْتَضَى مِنْهُ خَاصَّاتِهِ فِي احْشَائِهِ
وَعَيْثَ أَشْقَى بِالْأَتْوَلِ إِلَى هَاهُنَا وَهُنْهَا عَلَى هَذِهِ الْأَسْرَارِ الَّتِي حَفِيتَ عَلَى
كُثُرٍ مِنْ أَرْبَابِ هَذِهِ الْفَنَادِعَةِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ ذَلِكَ بَعْدَ إِثْنَانِيَّةٍ فِي حَلِ الشَّمْرِ
الْفَنَادِعِ (مِنْ ذَلِكِ) مَا ذَكَرْتُهُ فِي وَصْفِ الْحَمَامِ وَعَوْرِ الْمَبَارِكِيَّةِ . بِإِيمَانِ
أَنِّي وَجَهَ الْكَرْبَلَةَ بِوَقَائِهِ . وَوَوْلَهُ كَالْأَلَّا . الَّذِي يَبْقِي الْعُودَ بِيَابَانِهِ . وَهَذِهِ

نابغة من بنيت بمحاجة * يعيش المؤمن بالله عاصيَ
ومن ذلك ما ذكرته في انتقال الشهير من حال إلى حال ومن
أبادت دوام الدبور على حاتمها طلاقه الدارم . والأسأة ، فالمرأة فيه
جيالات المسلمين ، فما يتحقق لها أن توليه حداً أو لذاماً ، فما ذلك ينعقد له بذلك
ولابد وشكته ظلها ولاظلها . وهذا ما أخذت من شعر الشاعر
الأشهد الشعري في شارة ، يكتبه * قلوازرت دوام الوسائم بهم
ومن ذلك ما ذكرته في فصل كتاب يتضمن فقرة وهو شئ صورت
تلان العجيز لعبد العزير الثاني ، ولقد عللت في المصاب اجرأ ولكنك

三

(۲) آنچه در نهاد شرکت‌ها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَهْمَدَ اللَّهُ عَلَى فَضْلِهِ الظُّفُرِ وَبِيَانِ وَاعْلَانِ الْإِحْسَانِ بِمِنْ أَكْرَمِ
إِحْسَانِهِ وَأَصْلَى عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ الَّذِي فَضَلَّهُ عَلَى الْأَنْبِيَاِ بِجُزِّهِ فَرَاهُ وَفَرَادَ
النَّصْرُ بِحُسْنِيَّهُ وَغَرَبَ لِسَابَاتُهُ وَعَلَى الدُّوْلَةِ وَسَمْبَهِ الدِّينِ هُنَّا مِنْ سُبُقِ
بَيْعَانِهِ وَصَرَمِهِ مِنْ فَرْقِ بَيْنِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ بِفَرْقَانِهِ وَمِنْهُمْ مِنْ ضَيْ
عِنْهُ بِعِيَّهُ عَنْ جِهَدِهِ فَرَوَاهُ وَمِنْهُمْ مِنْ خَمْ أَخْرَزَهُ مِنَ الْخَلَافَةِ بَأَخْرَزِهِ مَا نَهَى
أَمَّا بَعْدُ فَإِنْ كُتِّبَ لَنَا بِالْإِنْشَارِ لِبَنَاءِ وَقُشْرَأَوْبَطَنَا وَظَهَرَأَوْجَدَتْ
النَّاسُ فِيهَا عَلَى طَرِيقِ قَدْبَجْمِ غَارِبَأَوْ طَرِيقَتْ حَتَّى اسْتَوَى فِي الْمَعْرُوفِ
بِهَا جَاهِلَهَا وَخَابِرَهَا وَفَانَّا فِي ذَلِكَ مَكِّنَ عَدْلُ عَنِ الْمَوْلَى اتَّشَى إِلَيْهِ
فَرَوَعَهُ وَوَرَدَ شَعْبُ الْمَأْرِدُونَ يَنْبُوْعَهُ وَمَا عَنِيَّتْ بِهِذَا الْفَنَّ
لَا مَسْتَهُ فَوْجَدَهُ خَشِنَ الْمَيْسُ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ مُخْنَى فِيهِ ادْبَأَ الْمَحْصُلَ بِأَدْبَأِ
الدَّرْسِ وَجَعَلَ عَنْهُ فِي أَفْضَلِ مِنَ الْيَوْمِ وَيَوْمِي فَضْلُلِ مِنَ الْأَمْسِ
كَالَّذِي قَالَ وَجَهَتْ وَجْهِي لَمْ يَبْعَدْ أَنْفَالَهُ عَنِ الْكَوْكَبِ إِلَى الْفَغْرِ
الْمِنَ الشَّمَرِ وَبِنَدَهُ حَلَّ دِرْجَهُ الْأَجْتَهَادِ لَادْرَجَهُ التَّقْلِيدِ ثُوْغَيْ اَنْتِي
لَا يَمْكُنْ بِجَهَدِهِ اَنْ اَخْلَاقَ رِدَائِهَا اِبْحَدَهُ وَعَدَّ الْأَمْرَ فِيهَا اَنَّ
تَصْفُهُ اِلَهُ اِلَّا حَلَّ الشَّعْرُ وَآيَاتُ الْقُرْآنِ وَالْأَذْيَارُ اِلَيْنَا يَوْمَهُ كَانَ ذَلِكَ
هُوَ زِيَّدَ مَحْضَرًا وَخَلَاصَ مَحْضَرًا وَبِخَوْجِمِ سَعَائِهَا وَجَيَالِ اِرْضَاؤِلِئِنْ
سَبَقَنِي إِلَى جَلِّ الشَّعْرِ سَابِقِ وَطَرِيقَ وَرَوَدَهُ قَبْلِي طَارِقَ فَانَّرَكَتْ
الْمَحْمَنَا لَا تَجِدُنَا اَمَّا ظَنِّ خَوَاطِرِهِ فَهِيَ كَمَعَ بَعْرَهُ وَكَانَتْ قَنَّا

كتاب [الوشى] ^(١) المرقوم فى حل المنظوم ^(٢)

لضياء الدين نصر الله بن محمد المعروف بابن الأثير الجزرى
نور الله مرقه

(١) على غلاف الأصل : « وشى » وما أتبه من متن الأصل ، ومن ت ، وط ، وم ، ون ،
وع .

(٢) في ت : « الوشى المرقوم فى حل المنظوم ؛ تأليف الوزير العالم الكامل ضياء الدين
نصر الله بن محمد بن عبد الكريم رحمة الله عليه ». - في ط : « غير واضحة فى مصورة المخطوط » ؛ تصنيف الشيخ الإمام العلامة القدوة سيد
البلغاء أوحد الفضلاء ؛ ضياء الدين أبي نصر الفتح بن نصر الله بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير
تغمده الله برحمته » .

- في م : « بخط ردي » : « هذه الأوراق تشتمل على كتابين الأدب : الكتاب الأول :
الوشى المرقوم فى حل المنظوم سيدى محمد بن عبد الكريم الجزرى المعروف بن الأثير » ،
وعلى رأس هذه العبارة كتب : « ملك أفنديم حاج إبراهيم محمد عكر » .

- في ن : « كتاب الوشى المرقوم فى حل المنظوم ؛ تصنيف الوزير الأجل العالم الفاضل
ضياء الدين أبي الفتح نصر الله بن محمد الشهير بابن الأثير تغمده الله برحمته أمين . طبع بمطبعة
ثمرات الفنون - بيروت ١٢٩٨ هجرية .

- في ع : « الوشى المرقوم فى حل المنظوم ؛ صنعة الوزير الكامل أبي الفتح نصر الله بن
محمد بن عبد الكريم الجزرى رحمه الله تعالى .

[مُقَدِّمةُ المؤلِّف]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . رَبُّ يَسْرٍ وَأَعْنَنَ^(١)

أَخْمَدُ^(٢) اللَّهُ عَلَى فَضْيَلَةِ الْفُطْقِ وَبَيَانِهِ ، وَأَغْلَمُ أَنَّ الْإِخْسَانَ بِهِ مِنْ أَكْرَمِ إِخْسَانِهِ ، وَأَصْلَى عَلَى نَيْبِهِ مُحَمَّدُ الدِّى فَصَلَةُ [الله]^(٣) عَلَى الْأَتَيَاءِ بِمُعْجَزَةِ فَرَازِهِ ، وَقَرَنَ التَّضَرُّ بِحَدْ سَيْفِهِ ، وَغَرَبُ^(٤) لِسَانِهِ ، وَعَلَى أَلِيهِ وَصَخْبِهِ الَّذِينَ^(٥) مِنْهُمْ مَنْ سَبَقَ بِيَابِسَانِهِ ، وَمِنْهُمْ^(٦) مَنْ فَرَقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ بِفُرْقَانِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ رُضِيَ^(٧) عَنْهُ بِمَغْيِبِهِ عَنْ بَيْعَةِ رِضْوَانِهِ ، وَمِنْهُمْ^(٨) مَنْ حُتَّمَ أَخْرُ زَمَنِ الْخِلَافَةِ^(٩) بِآخِرِ زَمَانِهِ .

أَمَا بَعْدُ . .

فَإِنَّ لِكِتَابَةِ الْإِنْشَاءِ لَبَا وَقَشْرَا ، وَبَطْنَا وَظَهْرَا ، [وَقَدْ]^(١٠) وَجَدْتُ النَّاسَ فِيهَا عَلَى طَرِيقِ قَدْ سَمْجَ عَابِرُهَا ، « وَطَرَقْتُ حَتَّى اسْتَوَى فِي الْمَغْرِفَةِ بِهَا^(١١) جَاهِلُهَا وَخَابِرُهَا^(١٢) » ، وَكَانُوا فِي ذَلِكَ كَمَنْ عَدَلَ عَنْ أَصْوُلِ الشَّئْءِ إِلَى فُرُوعِهِ ، وَوَرَدَ

(١) في ت، وم: « وما توفيقى إلا بالله »، وفي ط: « وهو حسبي وكفى »، وفي ن: « وبه ثقنى وعليه توكلى ».

(٢) في الأصل: « الحمد لله ». وما أثبته من ت و ط و م و ن و ع .

(٣) الزيادة من ط .

(٤) غرب اللسان: حذته . « اللسان في مادة غ رب » .

(٥) في م: « وصحبه وسلم الذي » ، خطأ .

(٦) في م: « ومن من فرق بين الحق والباطل » .

(٧) التشكيل من ت .

(٨) « بمعيده عن بيعة رضوانه » غير موجودة في م .

(٩) في م: « خلافه » خطأ .

(١٠) الزيادة من ن . وفي الأصل وت و ط و م و ع : « ووجدت » .

(١١) « بها » غير موجودة في ت ، وم .

(١٢) « وطريقت حتى استوى في المعرفة بها جاملها و خابرها » غير موجودة في م .

شَعْبَ^(١) الْمَاءِ دُونَ يَتَبَعِّعُهُ^(٢) . وَلَمَّا عَيْنَتْ^(٣) بِهَا الْفَنْ لَامَسَتْهُ فَوَجَدَتْهُ^(٤) خَشِنَّاً
اللَّمْسَ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ مَنَحَنِي^(٥) فِيهِ أَذْبَابًا لَا يُحَصِّلُ إِلَّا بَأْدَابِ الدَّرْسِ . وَجَعَلَ غَدِيَ فِيهِ
أَفْضَلَ مِنِ الْيَوْمِ ، « وَيَوْمِي [فِيهِ]^(٦) أَفْضَلُ مِنِ الْأَمْسِ » . « وَأَصْبَحْتُ فِي
مَعْرِفَتِهِ^(٧) كَالَّذِي قَالَ : وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّهِ بَعْدَ اِتْقَالِهِ عَنِ الْكَوَاكِبِ^(٨) إِلَى الْقَمَرِ ،
إِلَى الشَّمْسِ »^(٩) .

وَهَذِهِ هِيَ دَرَجَةُ^(١٠) الْاجْتِهادِ لَا دَرَجَةَ التَّقْليِيدِ . وَهِيَ الْتِي لَا يَتَمَكَّنُ الْجَدِيدَانِ
مِنِ إِخْلَاقِ رِذَايْهَا الْجَدِيدِ . وَعُمْدَةُ الْأَمْرِ فِيهَا أَنْ تُصْرِفَ^(١١) الْهِمَةَ إِلَى : حَلُّ
الشَّغْرِ ، وَآيَاتِ الْقُرْآنِ ، وَالْأَخْبَارِ النَّبُوَّيَّةِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ^(١٢) زِيَّدَةُ مَخْضُبَهَا ،
وَخُلاصَةُ مَخْضُبَهَا ، وَنُجُومُ سَمَائِهَا ، وَجِبَالُ أَرْضِهَا . وَلَيْشَنْ سَبَقَنِي إِلَى حَلِّ الشَّغْرِ
سَابِقُ ، وَوَرَدَ وِزْدَهُ قَبْلِي طَارِقٌ ؛ فَإِنَّهُ رَكِبٌ إِلَيْهِ هَجَيْنَا لَا هِجَانًا^(١٣) . وَظَنَّ حَوَاطِرَهُ
فِيهِ سَمِيعَةٌ بَصِيرَةٌ ، وَكَاثِتٌ صُمَّاً وَعُمْيَانًا^(١٤) . وَلَيْسَ كُلُّ بَيْضَاءَ شَحْمَةً^(١٥) ،
وَلَا كُلُّ بَيْانٍ بِحِكْمَةٍ .

(١) غير مقرودة في م ، وفي ن : « ثَغْبٌ » تحريفاً .

(٢) في م : « نَبُوَّهُ » تحريفاً .

(٣) في ت : « عَيْنَتْ » .

(٤) في م : « فَوَجَدَتْهُ » تحريفاً .

(٥) الزيادة من ط .

(٦) « وأَصْبَحْتُ فِي مَعْرِفَتِهِ » غير موجودة في ع .

(٧) في ت ، و ط ، و م ، و ن ، و ع : « الْكَوَكْبُ » .

(٨) ما بين التنصيصين سقط من م .

(٩) في م ، و ن : « وَهَذِهِ دَرْجَةٌ » . (١٠) في ت : « يَصْرِفُ » .

(١١) في م : « فَإِنَّ ذَلِكَ زِيَّدَةُ مَخْضُبَهَا » ، وفي ع : « كَانَ ذَلِكَ هُوَ » .

(١٢) الْهَجِينُ مِنَ الْخَيْلِ : الَّذِي أَبْوَهَ خَيْرَ مِنْ أَمْهٰ ، وَالْهَجَانُ مِنَ الْأَشْيَاءِ : أَجْوَدُهَا وَأَكْرَمُهَا ،
وَمِنَ الْإِبْلِ : الْبَيْضُ الْكَرَامُ .

(١٣) يشير إلى قوله تعالى : « وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَنِّهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا »
الفرقان / ٧٣ .

(١٤) ما كل بيضاء شحمة ، ولا كل سوداء تمرة ، وهو مثل يضرب في اختلاف أخلاق
الناس وطاعهم . المستحسن في أمثال العرب ٢ / ٣٢٨ ، ومجمع الأمثال ٢ / ٢٨١ ، وجمهرة
الأمثال ٢ / ٢٢٦ .

وَمَا مَثَلُ مِنْ سَبَقَنِي فِي هَذَا الْفَنِ^(١) وَمَثَلِي إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو تَعَامُ^(٢) :
 مِثْلُ الْمَجْهُوزِ الَّتِي وَلَّتْ بَشَاشَتُهَا
 وَبَيَانُ عَنْهَا شَبَابٌ كَانَ يُخْظِبُهَا
 لَرَتْ بِهَا ضَرَّةً رَهْرَاءً وَاضْحَاهَةً
 كَالشَّمْسِ أَخْسَنُ مِنْهَا عِنْدَ رَأْيِهَا^(٣)

عَلَى أَنَّ كُلَّاً مِنَ النَّاسِ يَأْسِتُ خَسَانَهُ مَا يَقُولُهُ مُغَرِّي ، وَلَا يَرَأُ الْمَزْءُونَ فِي أَمَانٍ مِنْ
 عَقْلِهِ حَتَّى يُؤَلِّفَ كِتَابًا ، أَزِ يَهُولَ شِغْرًا . وَهَذَا هُوَ مَعيَارُ الْأَفْكَارِ ، وَالْمِضْمَارُ الَّذِي
 لَا تَسْلُمُ^(٤) فِيهِ الْجِيَادُ مِنَ الْعِتَارِ . وَلَمَّا أَلْفَتْ كِتَابَ : الْمَثَلُ السَّائِرُ فِي أَدَبِ الْكَاتِبِ
 وَالشَّاعِرِ^(٥) ؛ فَصَرَّتْ فَضْلًا مِنْهُ عَلَى ذِكْرِ هَذِهِ الطَّرِيقِ ، وَأَتَيْتُ فِيهَا بِالْمَعْانِي الْجَلِيلَةِ

(١) فِي م : « سَبَقَنِي إِلَى هَذَا الْفَنِ » .

(٢) أَبُو تَعَامُ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ قَيسِ الطَّائِنِ . أَسْلَمَ وَكَانَ نَصْرَانِيَا ، وَشَعْرُهُ فِي
 النَّرْوَةِ . احْتَاجَ أَهْلُ الصُّنْعَةِ عَلَى حَسْنِ نَظْمِهِ ؛ وَاخْتِيَارِهِ بِكِتَابِ الْحَمَاسَةِ . وَقَدْ وَرَدَ أَبُو تَعَامُ
 قَزْوِينُ . وَلِدَ ١٩٠ هـ جُرْجِيَّةً وَقِيلَ غَيْرُهُ وَأَخْتَلَفَ فِي تَارِيخِ وَفَاتِهِ ، وَمَاتَ بِالْمُوْصَلِ سَنَةُ ٢٢٨
 قَزْوِينُ . ٢٣٢ هـ . رَاجِعٌ سِيرُ أَعْلَامِ الْبَلَاءِ ٦٣ / ١١ وَمَا بَعْدُهَا ، الْبَدَائِيَّةُ وَالنَّهَايَةُ ١٠ / ٢٩٩ وَمَا بَعْدُهَا ،
 وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ٢ / ١١ وَمَا بَعْدُهَا ، التَّجْرِيمُ الزَّاهِرَةُ ٢ / ٢٦١ وَمَا بَعْدُهَا ، وَالتَّدْوِينُ فِي أَخْبَارِ
 قَزْوِينِ ٢ / ٣٨٥ ، وَتَارِيخُ بَغْدَادِ ٨ / ٢٤٨ وَمَا بَعْدُهَا ، وَالْوَفَيَاتُ لِلْقَسْنَطِيِّ صِ ١٦٨ ، وَتَارِيخُ
 الطَّبَرِيِّ ٥ / ٢٧٤ ، وَالْفَهْرِسُ ١ / ٢٣٤ .

(٣) فِي ع : « مِنْهَا غَدَرَأَيْهَا » هَكَذَا تَحْرِيفًا .

وَالْبَيَانُ مِنَ الْبَسِطِ فِي الْدِيْوَانِ ٤ / ٤٣٨ ، ق ٤٢٤ وَرَوَايَتَهُما :

وَبَيَانُ عَنْهَا كَمَالٌ وَلَتْ شَبَيْتُهَا لَرَتْ

دِيْوَانُ أَبِي تَعَامِ بِشَرْحِ الْخَطِيبِ التَّبَرِيزِيِّ ، تَحْقِيقُ مُحَمَّدِ عَبْدِهِ عَزَامٍ . دَارُ الْمَعَارِفِ ، ط٥
 سَنَةُ ١٩٨٧ م .

(٤) فِي ت ، وَم : « لَايْسِلَمُ » .

(٥) اشْتَهِرَ بِهِ أَبْنَ الْأَئْمَرِ ، وَطَبَعَ عَدْدًا طَبَعَاتٍ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ لِعِلْ أَشْهَرُهَا الَّتِي قَامَ عَلَى
 تَحْقِيقِهَا الدَّكْتُورُانُ أَحْمَدُ الْحَوْفِيُّ وَبِدْوَى طَبَانَةُ الصَّادِرَةِ عَنْ نَهْضَةِ مَصْرُ ، بِدُونِ تَارِيخٍ . وَتَلَكُ الَّتِي
 قَامَ عَلَى تَحْقِيقِهَا الشَّيْخُ مُحَمَّدُ مُحَمَّدُ الدِّينِ عَبْدِ الْحَمِيدِ ، الصَّادِرَةُ عَنِ الْمَكْتَبَةِ الْمُصْرِيَّةِ فِي بَيْرُوتِ
 سَنَةُ ١٩٩٥ م .

التي تفتقر^(١) إلى الفهم الدقيق . غير أنني أحلت في موضع منه على هذا الكتاب ، وجعلت لذلك رمزاً اختصاراً ؛ ولهذا مكافحة^(٢) الإسهاب . وقد وسنت به « الوشي المزقوم في حل المنشوم » . وبنته على مقدمة وثلاثة فصول :

- الفصل الأول : في حل الشفر .

- الفصل الثاني : في حل آيات القرآن .

- الفصل الثالث : في حل الأخبار التبوية .

فمن مَحَّة الله طبعاً سليماً ، ورَأَمَ أَنْ يأتِي بالحكمَة في بيانه حتى يُعَدَ قلمه^(٣) حكيمًا ؛ فليلقتنين من ثوره ، وليلطلب الهداية من جانب طوره ، وليندمن النظر في حل^(٤) زمزده ، ولنعلم أن الغنى^(٥) من هذا الفن في ثروة كثوزه . وأول^(٦) ما أبدأ به :

(١) في ت ، و م : « يفتقر » تصحيفاً ، وبها لا يستقيم المعنى .

(٢) في ت : « مكافحة » خطأ ، وفي م : « وجعلت ذلك رمزاً لاختصار هذا مكافحة الأسهاب » وهي عبارة مضطربة الشكل والمعنى .

(٣) « قلمه » غير موجودة في ع .

(٤) في ت ، و ط ، و م ، و ن ، و ع : « خفايا » .

(٥) في ع : « الفتاء » .

(٦) في الأصل : « فأول » وما أثبته من ت ، و ط ، و م ، و ن ، و ع .

مُقْدِمَةُ الْكِتَابِ

فَأَقُولُ : أَعْلَمُ أَنَّ الْكَاتِبَ يَخْتَاجُ إِلَى التَّشْبِيْثِ بِكُلِّ فَنٍ ، وَالنَّظَرِ فِي كُلِّ عِلْمٍ ، وَإِذْ صَادَ السَّمْعَ لِمُحَاوِرَاتِ النَّاسِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْدِمُ مِنْ ذَلِكَ قَائِدَةً ؛ فَإِنَّ الْكَلِمَةَ^(١) الْحِكْمَةَ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ ، فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا^(٢) . وَقَدْ تَبَعَّثَ^(٣) أَفْوَانُ النَّاسِ فِي مُحَاوِرَاتِهِمْ ؛ فَاسْتَقْدَمْتُ بِذَلِكَ فَوَائِدَ كَثِيرَةَ حَتَّى مِنْ أَكَارِ^(٤) وَفَلَاحَ وَعَجَمَى^(٥) مِنَ الْأَغْجَامِ الْأَغْنَامِ^(٦) وَمَنْ يَخْرِي مَجْرَاهُمْ ، وَقَدْ تَضَدَّرَ الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ^(٧) مِنَ الْجَاهِلِ بِمَكَانِهَا . وَرَبُّ رَمْيَةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ^(٨) وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَإِنَّ^(٩) صَاحِبَ هَذِهِ الصُّنْعَاءَ يَتَبَعِّي لَهُ أَنْ يَعْلَمَ مَا تَقُولُهُ التَّأْدِيَةُ فِي الْمَائِمَةِ^(١٠) ، وَمَا تَقُولُهُ الْمَاثِيَّةُ عِنْدَ جَلْوَةِ الْمَرْوِسِ ، وَمَا تَقُولُهُ الْمُتَادِي فِي السُّوقِ عَلَى السُّلْعَةِ ، فَلَدَعَ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ . وَلَيْسَ فَنُ الْكِتَابَةِ كَعِيْرَةٍ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ^(١١) فَإِنَّ كُلَّ عِلْمٍ لَهُ حَاصِرٌ^(١٢) وَضَابِطٌ ، وَيَرْجِعُ صَاحِبُهُ فِيهِ إِلَى الْمَسْطُورِ ، فَتَرَى الْفَقِيْهَ

(١) فِي ن : « كَلِمَةُ الْحِكْمَةُ » .

(٢) الْحَدِيثُ فِي سِنْنِ التَّرمِذِيِّ ٥ / ٥١ ، وَسِنْنِ ابْنِ مَاجَهٍ ٢ / ١٣٩٥ .

(٣) فِي م : « تَبَعَّتْ » .

(٤) الْأَكَارُ : الْعَرَاثُ (لِسَانُ الْعَرَبِ)

(٥) فِي ن : « وَأَعْجَمِيْ » ، وَالْأَعْجَمِيُّ غَيْرُ الْعَرَبِيِّ .

(٦) فِي م : « وَالْأَغْنَامُ » ، الْأَغْنَمُ الَّذِي لَا يَفْصَحُ شَيْئًا (اللِّسَانِ) .

(٧) فِي ن : « كَلِمَةُ الْحِكْمَةِ » .

(٨) يَضْرِبُ لِمَنْ جَدَ فِي أَمْرٍ إِمَّا انْهَزَاماً [إِمَّا غَيْرُ ذَلِكَ] ، مَجْمُوعُ الْأَمْثَالِ ١ / ٢٩٩

(٩) « فَإِنَّ » غَيْرُ مَوْجُودَةٍ فِي ت .

(١٠) فِي بَتْ ، وَطَ ، وَمَ ، وَنْ : « الْمَائِمَةُ » .

(١١) فِي ع : « الْعِلُومُ »

(١٢) فِي ع : « خَاصِرٌ » تَصْحِيفًا .

المذهبين^(١) أو الجدل^(٢) إما أن ينتقل مسألة يُستفتى فيها ، وإما أن يجادل في مسألة . فعلى أن يتقن^(٣) نقل المسطور^(٤) إن كان مذهبًا ، أو أن يجيد^(٥) في المجادلة بتحسيين الكلام إن كان جدلاً . وكذلك^(٦) ترى التخوئي فيما يدرس^(٧) من علم^(٨) العربية وكذلك الحاسب والطيب^(٩) وغيرهما . وأما الكاتب فإنه لا حاصر^(١٠) له فيما يحتاج إليه في فن^(١١) الكتابة ؛ لأنه مكلف أن يأتي بما يقوله من ذات خاطره .

والمعاني المستخرجة من الخواطر كعدد الرمل إخباراً ، والقطر^(١٢) إذرازاً . فيتبغى له على ذلك أن يطلع في هذه^(١٣) العلوم جميعها . ولا أريد بذلك أن يكون عالماً بها^(١٤) ، فإن هذا غير ممكناً ؛ وإنما يتبعى له أن يشم رائحة كل علم و^(١٥) يتسبّب منه بشيء يدخل به^(١٦) في صناعته ، والخطب في هذا كثير . لكن وجدت خلاصة ما يحتاج إليه الكاتب^(١٧) ثلاثة أشياء :

(١) في ن : « فن المذهب » .

(٢) في م : « يتقن المسطور » .

(٣) في ن : « يجيده » .

(٤) في ن : « فلذلك » .

(٥) في م : « يدرسها » .

(٦) في ن : « في علم » .

(٧) في ع : « والطيب » تعريفاً .

(٨) في ع : « الكاتب فلا حاصر » .

(٩) في ت : « يحتاج إليه من الكتابة » ، وفي ن ، وع : « من فن الكتابة » .

(١٠) في ن : « أو القطر » .

(١١) في م : « هذا العلم » خطأ .

(١٢) في م ، ون : « أن يكون عالماً فإن هذا غير ممكناً » وهي عبارة مضطربة المعنى .

(١٣) في ن : « أو » .

(١٤) في ت ، و ط ، و م ، و ن ، و ع : « يدخل في صناعته » .

(١٥) في ن : « ما يحتاج الكاتب إليه » .

(١٦) في ن : « ما يحتاج إلى » .

(١٧) في ن : « ما يحتاج الكاتب إليه » .

- الأول : حفظ القرآن الكريم .

- الثاني : حفظ ما يتبعى له حفظه من الأخبار البُوَيْة ، على أن الأخبار لا تُمْكِن^(١) الإحاطة بحفظها كما تُمْكِن^(٢) الإحاطة بحفظ القرآن ، وإنما يؤخذ^(٣) منها ما يدخل في هذه الصناعة . وهذا يحتاج إلى فضل معرفة ، وثاقب نظر حتى يؤخذ منه ما يؤخذ ، ويترك منه ما يترك^(٤) ، وكنت أتعجب^(٥) نفسى زماناً في ذلك حتى جمعت فيه كتاباً^(٦) يشتمل على أكثر من ثلاثة آلاف حديث^(٧) من الأخبار البُويَّة ، كلها يحتاج إليه^(٨) فى أسباب الكتابة . وكنت أزلم مطالعة ذلك الكتاب لزوم المختليل ، ولا أزال فى مطالعته كالحال المزاجل ، حتى صار لدى منضداً ، وفي لسان قلمى معقoda^(٩) وكذاك يتبعى للمترشح ليهذى الصناعة .

- الثالث « من الثلاثة التي يحتاج إليها الكاتب أشد الاحتياج »^(١٠) : حفظ الأسعار الكثيرة التي لا يحصرها عدّ ممّا^(١١) يكون كل بيت منه في الجودة بمثابة قصيدة^(١٢) من غيره . ومن الناس من ذهب إلى الإكتار من حفظ الخطيب والرسائل لمن تقدمه^(١٣) ، وإنما لا أرى ذلك لأمررين : أحدهما ألا يغلق بالخطير شئ مما

(١) في ت : « لا يمكن » غير منقوطة ، وفي ط ، وم ، ون ، وع : « يمكن » .

(٢) في ت : « يمكن » غير منقوطة ، وفي ط ، وم ، ون ، وع : « يمكن » .

(٣) في ن : « يأخذ » .

(٤) في ط ، وم ، ون : « ويترك ما يترك » .

(٥) في م : « أتعب نفسى » وبها لا يستقيم المعنى .

(٦) في م : « جمعت فيه كل كتاب » وهى عبارة مضطربة المعنى .

(٧) في ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « خبر » .

(٨) في ت ، وم : « إليها » . (٩) في ن : « وبلسان » .

(١٠) ما بين علامتى التنصيص غير موجود في ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(١١) في م : « بما يكون » .

(١٢) في ن : « قصيدة » .

(١٣) في ط ، وم : « يقدمه » خطأ .

سبق إليه غيره^(١) من أزنايب الكلام المنشور^(٢). الآخر : أن المعنى في الكلام المنشور^(٣) إذا نقل إلى معنى في كلام منشور^(٤) فربما يبقى شيء من ألفاظ المعنى الأول فيما يصوغه الآخر من ألفاظه . ولقد حظرت على تفسي « أن أحفظ شيئاً من رسائل الناس وخطبهم . حتى أني حظرت على تفسي حفظ شيء »^(٥) من مقامات الحريري^(٦) ، وخطب ابن نباتة^(٧) . وهما عكازاً^(٨) أهل الزمان من متعاطي هذه الصناعة . وكل هذا فعنته فرازاً أن يغلق بخاطري شيء من تلك الألفاظ والمعانى . السؤال^(٩) : فإن قيل : لم منعت من حفظ الكلام المنشور^(١٠) وحشمت على حفظ الأشعار ، والذي فعلت ذلك من أجله في أحد الطرفين بلرتك مثله في الطرف الآخر ؟ فالجواب^(١١) عن ذلك أني^(١٢) أقول : أمما الشغف فإنه أكثر من الكلام

(١) في ن : « غيري ». (٢) في ع : « المنشور » تحريفا .

(٣) في ع : « المنشور » تحريفا .

(٤) في ع : « منشور » تحريفا .

(٥) ما بين علامتي التصيص غير موجود في م .

(٦) أبو القاسم على بن محمد الحريري بصرى المولد والمنشا من بنى ربيعة الفرس . إمام في اللغة والنحو وله عدة مصنفات منها المقامات . ولد في حدود ٤٤٦ بيلد قريب من البصرة ، ومات بها سنة ٥١٥ وقيل ٥١٦ هـ . أبجد العلوم ٣/٦٣ وما بعدها ، سير أعلام النبلاء ١٩/٤٦٠ - ٤٦٥ ، وفيات الأعيان ٤/٦٣ - ٦٧ ، البداية والنهاية ١٢/٩١ وما بعدها .

(٧) الإمام البليغ الأوحد خطيب زمانه أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباتة الفارقي ؛ صاحب الديوان الفائق في الحمد والوعظ ، كان خطيباً بحلب للملك سيف الدولة واجتمع بالمتني . توفي بعيافارقين سنة ٣٧٤ هـ . سير أعلام النبلاء ١٦/٣٢١ - ٣٢٣ ، وفيات الأعيان ٣/١٥٦ - ١٥٨ ، البداية والنهاية ١١/٣٠٣ ، النجوم الزاهرة ٤/١٤٦ .

(٨) في م ، ون : « عكازاً » .

(٩) « السؤال » غير موجودة في ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(١٠) في ع : « المنشور » تحريفا .

(١١) في ت ، وط : « والجواب » ؛ وفي الأصل كتب كلمة : « الجواب » بخط كبير .

(١٢) في ت : « أن » .

المُشَوَّر^(١) بِأَضْعَافِ مُضَاعِفَةٍ . وَلَيْسَ نِسْبَةُ أَخْدِهِمَا إِلَى الْآخَرِ نِسْبَةً قَلِيلًا إِلَى كَثِيرٍ ، فَضْلًا عَنْ نِسْبَةِ كَثِيرٍ إِلَى كَثِيرٍ . بَلْ هُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ كَالرُّفْقَةِ^(٢) فِي ذِرَاعِ الدَّابَّةِ^(٣) أَوْ كَالشَّامَةِ^(٤) فِي جَنْبِ الْبَعِيرِ .

وَالْكَلَامُ الْمَنْظُومُ هُوَ الَّذِي كَانَ دِيوَانَ أَهْلِ^(٥) الْفَصَاحَةِ فِي الزَّمَنِ الْقَبْلِينَ . وَإِذَا^(٦) عَدَدْتَ مِنْهُمْ مِائَةً شَاعِرًا لَا يُمْكِنُكَ أَنْ تَعْدَ حَطِيطًا وَاحِدًا ، ثُمَّ اسْتَمَرَ الْأَمْرُ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا ، فَاسْتَغْرَقَ^(٧) الْكَلَامُ الْمَنْظُومُ جَمِيعَ الْمَعَانِي ؛ فَكَانَ الْأَخْدُ مِنْهُ أَوْلَى . وَهُوَ الَّذِي وَصَفَ اللَّهُ أَهْلَهُ بِأَنَّهُمْ يَهِيمُونَ فِي كُلِّ وَادٍ . وَالَّذِي يَعْنِي^(٨) عَلَى الْإِنْكَابِ عَلَى حِفْظِ الشِّعْرِ ؛ دُونَ الْخُطُوبِ وَالرَّسَائلِ ؛ أَنِّي إِذَا أَخْدُتُ مَعْنَى مِنْ مَعَانِي الشِّعْرِ وَأَوْدَعْتُ رَسَائِلِي كُنْتُ قَدْ نَقَلْتُ مِنْ ضِدٍ إِلَى ضِدٍ ، وَهُوَ أَخْفَى وَأَسْتَرٌ . وَلَوْ فَعَلْتُ ذَلِكَ فِي الْكَلَامِ الْمَشْوَرِ^(٩) لَكَانَ^(١٠) نَقْلًا مِثْلًا إِلَى مِثْلٍ ، وَذَلِكَ أَشَهُرٌ وَأَظْهَرٌ^(١١) ، فَبِاعْتِي إِذَا عَلَى حِفْظِ الْأَشْعَارِ دُونَ الْكَلَامِ الْمَشْوَرِ^(١٢)

(١) فِي ع : « المُشَوَّر » تحرِيفا .

(٢) فِي ع : « الدَّابَّةِ » تصحِيفا .

(٤) فِي ن : « أَوْ الشَّامَةِ ». وَفِي الْحَدِيثِ : مَا أَنْتُ إِلَّا كَالرُّفْقَةِ فِي ذِرَاعِ الدَّابَّةِ ، أَوْ كَالشَّامَةِ فِي جَنْبِ الْبَعِيرِ . سِنَنُ التَّرمِذِيِّ ٣٢٢٢ / ٥ ، ٣٢٢٣ ؛ رَقْمُ ٣١٦٨ ، ٣١٦٩ ، وَالْمُسْتَدِرُكُ عَلَى الصَّحِيحِيْنِ ٨١ / ١ ، رَقْمُ ٧٨ .

(٥) « أَهْلٌ » غَيْرُ مُوجُودَةِ فِي ت . وَفِي ع : « هُوَ الَّذِي دِيوَانٌ » بِسَقْطِ « كَانَ » .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « إِذَا » وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ت ، وَط ، وَم ، وَع ؛ وَفِي ن : « إِذَا عَدَدْتَ » .

(٧) يَقْبَلُ هَذِهِ الْكَلْمَةُ فِي هَامِشِ « ع » كَلَامٌ مُقْطَعٌ مِنَ التَّصْوِيرِ كَعْنَوَانٍ : « اسْتَغْرَاقُ الْكَلَامِ الْمَنْظُومِ جَمِيعَ الْمَعَانِي » .

(٨) فِي ع : « يَعْنِي » تصحِيفا .

(٩) فِي ع : « المُشَوَّر » تحرِيفا .

(١٠) فِي م : « كَانَ نَقْلٌ مِثْلٌ » .

(١١) فِي ت : « وَأَعْظَمُ » ، وَفِي م : « أَظْهَرَ وَأَشَهَرَ » .

(١٢) فِي ع : « المُشَوَّر » تحرِيفا ..

كثرة^(١) الشُّغْرِ وَاسْتِغْرَافُ لِلْمَعَانِي^(٢) وَلَاَنَّ الْأَخْذَ مِنْهُ أَسْتَرُ وَأَخْفَى . وَقَدْ دَلَّتْكَ أَيْهَا الْمُرْتَشِحُ^(٣) لِهَذِهِ الصُّنَاعَةِ عَلَى مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ نَفْسِي وَهَذَا دَأْبٌ^(٤) دُوِيُّ الْأَذْيَانِ . وَبِهِ وَصَفَ رَسُولُ اللَّهِ « ﷺ »^(٥) حَقِيقَةَ الإِيمَانِ .

وَاغْلَمْ أَنَّ هُنَّا بَايِعُنَا عَلَى مَا نَصَضْتُ عَلَيْهِ هُوَ أَنْوَى مِنَ الْبَاعِيْنِ الْأَوَّلَيْنِ . وَذَلِكَ^(٦) أَنَّ مُرَادِي مِنْ صِنَاعَةِ الْكِتَابَةِ إِنَّمَا هُوَ طَرِيقُ الْاجْتِهَادِ لَا طَرِيقَ التَّقْلِيدِ ، وَإِذَا قَصَرْتَ نَظَرِي عَلَى النَّظَرِ فِي مُكَاتِبَاتِ^(٧) مَنْ تَقَدَّمَ فَكَائِنًا أَكُونُ قَدْ حَذَوْتُ حَذَوْهُمْ ، وَهَذَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِي وَلَا أَرْبِي . وَإِنَّمَا الْأَرْبُ كُلُّهُ فِي طَرِيقَةِ عَذْرَاءِ لَمْ تُفْتَرِعْ^(٨) ، وَمَذَهِبُ غَرِيبٍ لَمْ يُتَنَدَّعْ .

وَقَدْ قَلَبْتُ هَذَا الْفَنَّ ظَهَرًا لِلْيَطْنِ ؛ فَلَمْ أَجِدِ السُّلُوكَ إِلَى هَذِهِ الطَّرِيقِ إِلَّا بِتَخْصِيلِ هَذِهِ الْأَسْبَابِ الْثَّلَاثَةِ : وَهِيَ : حَفْظُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَجِفْنُوتُ مَا يُقَارِبُ حَجْمَهُ مِنَ الْأَخْبَارِ التَّبَوِيَّةِ الَّتِي تَدْخُلُ فِي بَابِ الْاسْتِغْمَالِ - وَأَهْلُ مَكْهُ أَغْرِفُ بِشَعَابِهَا^(٩) - وَحِفْظُ الْأَشْعَارِ الْكَثِيرَةِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ . فَإِذَا حَصَّلَتْ^(١٠) هَذِهِ الْأَسْبَابُ الْثَّلَاثَةُ ، وَأَتَقْنَتْ تَخْصِيلَهَا أَخْدَ صَاحِبِهَا فِي فَنِ الْكِتَابَةِ فَصَارَ يَهُبُ^(١١) وَيَزْكُدُ ، وَيَقُومُ وَيَقْعُدُ ،

(١) فِي مِنْ : « وَكْرَةٌ » خَطَا .

(٢) فِي مِنْ : « وَاسْتِغْرَافُ الْمَعَانِي » .

(٣) فِي نِتْ : « الْمُرْتَشِحُ » خَطَا ، وَفِي عِنْ : « الْمُرْتَشِحُ » تَصْحِيفًا .

(٤) فِي تِنْ : « أَدْبُ » .

(٥) « ﷺ » غَيْرِ مُوجَودَةِ فِي تِنْ ، وَفِي طِنْ : « وَصَفَ اللَّهُ حَقِيقَةَ الإِيمَانِ » .

(٦) فِي تِنْ ، وَطِنْ ، وَعِنْ : « وَذَاكُ » ، وَفِي مِنْ : « ذَلِكُ » .

(٧) فِي مِنْ : « إِذَا قَصَرْتَ نَظَرِي مِنْ مُكَاتِبَاتِ » وَهِيَ عَبَارَةٌ مُضطَرِبَةٌ .

(٨) « تُفْتَرِعْ » : افْتَرَعَ الْبَكَرُ افْتَضَهَا (الْبَلْسَانُ مَادَةٌ فِرَعُ) .

(٩) فِي تِنْ ، وَطِنْ ، وَمِنْ ، وَنِنْ : « أَخْبَرَ شَعَابِهَا » . لَمْ أَجِدْهُ فِيمَا تَحْتَ يَدِي مِنْ مَصَادِرِ .

(١٠) فِي الْأَصْلِ ، وَتِنْ : « حَصَّلَتْ » ، وَفِي مِنْ ، وَنِنْ بِدُونِ تَشْكِيلِ .

(١١) فِي مِنْ : « فِي فَنِ الْكِتَابَةِ فِي ذَهَبٍ وَيَرْكَدٍ » وَهِيَ عَبَارَةٌ مُضطَرِبَةٌ .

وَيُضْلِرُ وَيُورِدُ ، وَيَخْلُطُ الصَّحِيحَ بِالسَّقِيمِ ، وَيَمْشِي مُكْبًا عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ عَلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ ^(١) . وَفِي أَوَّل ^(٢) الْأَمْرِ لَا يَرَى إِلَّا صُعُوبَةً وَوُعُورَةً وَطَرِيقًا مُشَكَّلَةً الْمَدَاهِبِ ؛ كَثِيرَةً الشَّعَابِ ؛ فَإِذَا أَكْرَهَ حَاطِرَةً عَلَى سُلُوكَهَا ، وَشَجَعَةً عَلَى تَوْرِدِهَا ^(٣) فَمَا تَمْضِي بِهِ إِلَّا هُنْيَةً ^(٤) حَتَّى تَسْتَمِرَ بِهِ الطَّرِيقُ وَتَتَضَعُ ^(٥) لَدَنِيهِ . وَأَخْلَقَ بِتِلْكَ الطَّرِيقِ أَنْ تَكُونَ بِدِيْعَةً عَرَبِيَّةً ؛ لَا تُشَبِّهُ شَيْئًا مِنْ طُرُقِ ^(٦) الْمُتَقَدِّمِينَ . وَمَكَذَا قَعَلَتْ أَنَا فِي قَنْ ^(٧) الْكِتَابَةِ . وَرَبِّمَا سَلَكَ هَذِهِ الطَّرِيقَ قَوْمٌ بَعْدَ تَخْصِيلِ مَا أَشْرَتْ إِلَيْهِ مِنْ حِفْظِ الْقُرْآنِ [الْكَرِيمِ] ^(٨) ، وَالْأَخْبَارِ التَّبَوِيَّةِ ، وَالأشْعَارِ ؛ ثُمَّ تُظْلِمُ ^(٩) فِي وُجُوهِهِمْ ^(١٠) فِي ^(١١) مِبْدَأِ الْأَمْرِ ، قَيْعَدُوْنَ عَنْهَا . وَلَا بُدُّ [لَكَ] ^(١٢) دُونَ الْحَلَاوَةِ مِنْ مَرَازَةٍ . وَالْتَّعَبُ عَلَى مَنَالِ الْعَلِيَّاتِ أَمَارَةً ^(١٣) .

« وَلَسْتُ أُرِيدُ بِحَلِّ الْقُرْآنِ ^(١٤) ، وَالْأَخْبَارِ التَّبَوِيَّةِ ، وَالأشْعَارِ أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ

(١) اقتباس من قوله تعالى : « أَقْمَنْ يَمْشِي مُكْبًا عَلَى وَجْهِهِ أَهْذَى أَنْ يَمْشِي سُوِّيًّا عَلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ » ، الملك / ٢٢ .

(٢) في م : « وَفِي الْأَوَّلِ الْأَمْرِ » وهي عبارة مضطربة .

(٣) في ع : « تَوَارِدُهَا » تحريفاً .

(٤) في ت : « لَهِ إِلَّا هُنْيَةً » ، وفي م : « يَمْضِي بِهِ هُنْيَةً » خطأ .

(٥) في ن ، وع : « حَتَّى يَسْتَمِرَ بِهِ الطَّرِيقُ وَيَتَضَعُ » .

(٦) في الأصل : « طَرِيقٌ » ، والتوصيب من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٧) « قَنْ » غير موجودة في م .

(٨) الزيادة من م .

(٩) في ط : « وَجْوَجِهِمْ » خطأ .

(١٠) في ط : « غَيْر مُوجَودَةٍ فِي طِ » ، وفي ن : « مِبْدَاءٌ » خطأ .

(١١) في « غَيْر مُوجَودَةٍ فِي طِ » ، وفي ن : « مِبْدَاءٌ » خطأ .

(١٢) الزيادة من م ، وفي ن : « وَلَا يَدْرُونَ الْحَلَاوَةَ مِنْ مَرَازَةً » وهي عبارة مضطربة .

(١٣) في ع : « وَالْتَّعَبُ عَلَى مَنَالِ الْعَلِيَّاتِ أَمَارَةً » وهي عبارة أصابها التضييف والتحريف فاضطربت واختلط المعنى .

(١٤) في ت ، وط : « بِحَلِّ مَعْانِي الْقُرْآنِ » .

مُرْتَبِطاً بِهَا بِحِينَثُ لَا يَنْطَقُ إِلَّا عَنْهَا ، وَلَا يَأْخُذُ إِلَّا مِنْهَا . لَأَنَّهُ لَوْ فَعَلَ ذَلِكَ لَمَّا كَانَ يَفْرُغُ مِنْ كِتَابٍ ^(١) وَاجِدٌ فِي زَمَانٍ طَوِيلٍ . وَإِنَّمَا أَرَدَتُ أَنْ تَحْصُلَ ^(٢) لَهُ الْمَلْكَةُ ، وَتَكْثُرَ لَدَنِيهِ الْمَعَانِي ، وَيَطْلُبُ عَلَى الدَّقَائِقِ وَالدَّقَائِقِ ، وَيَسْتَشْجُ ^(٣) مِنْ حَاطِرِهِ أَشْيَاءَ يَسْتَعِيْنَ عَلَيْهَا بِهَذِهِ الْأَسْبَابِ الْثَّلَاثَةِ . [وَمَتَّ] ^(٤) حَصَلَتْ لَهُ الْمَلْكَةُ ؛ وَتَمْكَنَ مِنْ حَاطِرِهِ جَاءَتْهُ الْمَعَانِي مِنْ غَيْرِ أَنْ [يَتَعَبَ] ^(٥) فِي طَلَبِهَا كُلُّ التَّعَبِ ، ^(٦)

* * *

(١) فِي ط ، وَع ، : « مِنْ كُلِّ كِتَابٍ وَاحِدٍ » خَطَا .

(٢) فِي ط : « يَحْصُلُ » تَصْحِيفًا .

(٣) فِي ط : « وَيَسْتَشْجُ » خَطَا .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « الَّتِي » تَحْرِيقًا ، وَفِي ت : « وَمِنْ » ، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ ط ، وَع .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « تَعَبٌ » وَمَا أَتَيْتُهُ مِنْ ت ، وَط ، وَع .

(٦) مِنْ أَوْلَى : « وَلَسْتُ أُرِيدُ التَّعَبُ » غَيْرُ مُوجَدٍ فِي م ، وَن .

الفصل الأول

في حل الشغف

الفَضْلُ الْأَوَّلُ : فِي حَلِّ الشُّغْرِ

قَدْ قَدَمْنَا^(١) الْقَوْلَ بِأَنَّ صَاحِبَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ يَحْتَاجُ إِلَى حَفْظِ دَوَائِينَ كَثِيرَةِ
لِفَحْولِ الشُّعْرَاءِ . فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَلَيْدُنْ فِي حَلِّ الْأَبْيَاتِ الشِّعْرِيَّةِ زَمَانًا طَوِيلًا حَتَّى
تَحْصُلَ^(٢) لِهِ الْمَلَكَةُ ؛ لِيَكُونَ إِذَا كَتَبَ كِتَابًا ، أَوْ حَطَبَ حُطْبَةً جَاءَتْهُ^(٣) الْمَعْانِي
سَانَحَةً^(٤) وَبِارَحةً ، وَوَاتَّهُ^(٥) السَّرْعَةُ^(٦) فِيمَا يُشَكُّهُ مِنْ^(٧) ذَلِكَ ، وَلَا يَحُولُ بَيْهُ
وَبَيْهُ الْإِبْطَاءُ . وَهَذَا شَيْءٌ حَصَلَ لِي^(٨) بِالْتَّجْرِيَّةِ . فَخُذْ فِي^(٩) ذَلِكَ مَا قُتِلَتْهُ^(١٠)
الْتَّجْرِيَّةُ عَلَمًا لَا مَا نَقْلَتْهُ^(١١) الْأَلْسُنَةُ إِخْبَارًا ..

وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ عَلَيْنِ الْبَيْسَانِي^(١٢) رَحْمَةُ اللَّهِ بِمَدِينَةِ دِمْشَقِ فِي سَنَةِ ثَمَانِ

(١) فِي نَ : « قَدْ قَدَمْتَ » . (٢) فِي طَ : « تَحْصُلُ » خَطَا .

(٣) فِي نَ : « جَاءَتْهُ » خَطَا .

(٤) فِي طَ : « سَابِحَةً » تَصْحِيفًا ، وَفِي مَ : « سَانَحَةً » تَحْرِيفًا .

(٥) فِي مَ : « وَاتَّهُ » خَطَا .

(٦) فِي نَ : « السَّرْعَةُ » تَحْرِيفًا .

(٧) « مِنْ » غَيْرِ مُوجَودَةٍ فِي نَ .

(٨) « لِيًّا » غَيْرِ مُوجَودَةٍ فِي مَ ، وَنَ .

(٩) فِي تَ ، وَطَ : « مِنْ ذَلِكَ » .

(١٠) فِي نَ : « مَا قُتِلَتْهُ » تَصْحِيفًا .

(١١) فِي نَ : « مَا قَالَتْهُ » .

(١٢) الْقَاضِي الْفَاضِلُ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ عَلَيْنِ الْبَيْسَانِي وَلِدَ فِي ٥٢٩ هِجْرِيَّةِ صَاحِبِ دِيْوَانِ
الْإِنشَاءِ الصَّلَاحِيِّ ، أَخْذَ الصَّنْعَةَ عَنِ الْمَوْقِفِ بَنِ الْخَلَالِ ، وَاسْتَخْلَصَهُ صَلَاحُ الدِّينِ الْأَيُوبِيُّ لِنَفْسِهِ ،
تَوْفَى لِيَلَةَ سَاعِمِ رَبِيعِ الْآخِرِ ٥٩٦ هـ . سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٢١ / ٣٣٨ وَمَا بَعْدُهَا ، وَتَكْمِيلَةِ الإِكْمَالِ ١
/ ٤٣٨ رَقْمِ ٧٣٤ ، وَفِيَاتِ الْأَعْيَانِ ١٥٨ / ١٦٣ ، الْبَدَائِيَّةُ وَالنَّهَايَةُ ٢٤ / ١٣ - ٢٦ ، الرَّوْضَيْنِ
فِي أَخْبَارِ الدُّولَيْنِ ٤ / ٤٨١ - ٤٨٢ ، الدَّارِسُ ١ / ٦٧ : ٦٩ ، طَبَاقَاتُ التَّافِعِيَّةِ ٢ / ٣١ ، ٣٢

وثمانين وخمسمائة - وكان إذ ذاك كاتب الدولة الصلاحية - فقال^(١) : كان فن الكتابة بمصر في زمن الدولة العلوية غضا طرياً ، وكان لا يخلو ديوان المكتبات من رئيس^(٢) يرأس^(٣) مكاناً وبياناً ؛ ويقيم لسلطاته بقلمه سلطاناً . وكان من العادة أن كلّاً من أرباب الدواوين إذا نشأ له ولد وشدا شيئاً من علم^(٤) الأدب أحضره إلى ديوان المكتبات ليتعلّم فن^(٥) الكتابة ، ويتدرّب ، ويزى ، ويسمع^(٦) . قال : فارسلنى والدى - وكان إذ ذاك قاضياً بغير^(٧) عسقلان^(٨) - إلى الديار المصرية في أيام الحافظ^(٩) وهو أحد خلفائه وأمرني بالمضي إلى ديوان المكتبات ، وكان الذي يرأس به في تلك الأيام رجلاً^(١٠) يقال له : ابن الخلال^(١١) . فلما حضرت

(١) في ع : « قال » .

(٢) في ن : « رئيس » .

(٣) في ن : « ترأس » خطأ .

(٤) في ن : « إذ إنشاء له ولد رشيد في علم » وهي عبارة مضطربة .

(٥) في م : « من الكتابة » .

(٦) في م : « ويسمع ويرى » .

(٧) في ع : « ثغر » خطأ .

(٨) عسقلان : من أعمال فلسطين ، عروس الشام بقيت في أيدي الإفرنج ٣٥ سنة حتى استنقذها منهم صلاح الدين الأيوبي ، وفي عسقلان وفضائلها أحاديث مأثورة . معجم البلدان / ٤ / ١٢٢ . ومعجم ما استعجم ٢ / ٥٥٦ ، وتاريخ دمشق الكبير لابن عساكر ١ / ٩٦ - ٩٧ .

(٩) الحافظ للدين أبو العيمون عبد العميد بن محمد بن المستنصر بالله العبدي الرافضي صاحب مصر يوم مصرع ابن عمه الأمر فاستولى عليه أحمد بن الأفضل أمير الجيوش وضيق عليه فعمل عليه الحافظ وجهز من قتله واستقل بالأمور وعاش سبعاً وسبعين سنة وكانت دولته عشرین سنة إلا خمسة أشهر ؛ ولد ستة ٤٦٧ هـ بعسقلان ، ومات في خامس جمادى الأولى ٥٤٤ هـ . شذرات الذهب ٢ / ١٣٨ ، البداية والنهاية ١٢ / ٢٢٦ ، تاريخ الخلقاء ١ / ٥٢٤ ، سير أعلام النبلاء ١٥ / ١٩٩ .

(١٠) في م ، ون : « رجل » .

(١١) الأديب البلغى موقف الدين أبو العجاج يوسف بن محمد بن الخلال المصرى كاتب =

الديوان ؟ ومثلت بين يديه ، وعرّفته من أنا ، وما طلبتني ، رحّب بي وسقّي ؟ ثم قال : ما الذي أعددت لفن الكتابة من الآلات ؟ فقلت : ليس عندي شيء سوى أنني أحفظ القرآن [الكريم] ^(١) ، وكتاب الحماسة . فقال : في هذا بلاغ . ثم أمرني بملازمتو . فلما ترددت إليه ، وتركت بين يديه ؛ أمرني « بعد ذلك أن أخل شعر الحماسة ؛ فحللت من أوله إلى آخره . ثم أمرني » ^(٢) بأن ^(٣) أخلّمرة ثانية فحللته .

وأعلم أيها الطالب لهذا الفن أن هذه الحكاية تحقق عندك ما أشرت إليك به . وكنت حفظت من الأشعار القديمة والمحدثة ^(٤) ما لا أحصيه كثرة ، ثم اقتصرت بعد ذلك كلّه ^(٥) على شعر الطائين : حبيب ^(٦) بن أوس ، وأبي عبادة البختري ، وشعر أبي الطيب المتنبي ؛ فحفظت هذه الدواوين الثلاثة ، وكنت أكرر عليها بالدرس مدة سنين ؛ حتى تمكنت من صوغ المعانى ، وصار الإدمان ^(٧) لي خلقاً وطبعاً . فلا تنفع ^(٨) أيها الخائفون في هذا البحر الذي لا ساحل له إلا بأن تفعل ما فعلته ، وتسلك ما سلكته . إلا أنني ^(٩) [لا أنص ^(١٠)] عليك بحفظ هذه الأشعار

= السر للحافظ العبيدي ، قال القاضي الفاضل : تدررت بين يديه وكانت قد حفظت كتاب الحماسة فأمرني أن أخل أشعار الكتاب ففعلت ذلك مرتين . مات سنة ٥٦٦ هـ . وفيات الأعيان ٢١٩ / ٧ وما بعدها ، البداية والنهاية ١٢ / ٢٦٤ ، الروضتين في أخبار الدولتين ٢ / ١٨٣ ، النجوم الزاهرة ٣٣٧ / ٧ ، سير أعلام النبلاء ٢٠٥ / ٥٠٥ .

(١) الزيادة من ت . (٢) ما بين علامتي التنصيص سقط من ع .

(٣) في ت ، و م ، و ن : « أنـ أـ حلـه » ، و في ط : « بـانـ بـانـ » سهوا .

(٤) في ن : « القديمة المحدثة » .

(٥) « كلـه » غير موجودة في ت ، و ط ، و م ، و ن ، و ع .

(٦) في الأصل : « حـبـ » خطأ . (٧) في م : « الأمـانـ » تحريفاً .

(٨) في ع : « ولا تنفع » .

(٩) في ت ، و ط ، و م ، و ن ، و ع : « إلاـ أـ نـيـ » .

(١٠) في الأصل : « إلاـ أـ نـيـ أـ نـصـ عـلـيـكـ » ، وما أثبته من ت ، و ط ، و م ، و ن ، و ع .

الثلاثة بعينها ؛ فإن في الأشعار [كثرة]^(١) ، ولكل نظر واجتهاد ، وإنما ذكرت لك ذلك لتعلم وعورة^(٢) هذه^(٣) الطريق وطولها ؛ فتأخذ للأمر أهبة ، وتوفّي رتبة . والله الموفق وبه الحول والقوّة . وهذا الموضع لا بد من إمحاض^(٤) التصيحة فيه لل المتعلّم^(٥) .

وذاك أنّى قلب الأشعار تقلّب السماسرا للمنعّ ، وزنّها بالقيراط ، وكلّتها بالمدّ والصاع ، وما عدلت إلى الطائين والمتنبي^(٦) إلا عن نظر ، ولا آثر لهم^(٧) إلا أخذًا بالعين لا بالأثر . « ولرّبّما أحيبت^(٨) التصریح لك^(٩) بهذه التصيحة وقلت : فما باعث لك^(١٠) على اختيار^(١١) هؤلاء الثلاثة دون غيرهم من الشعراء ؟ .

[وسألول لك في هذا ما تعلم^(١٢) صحته : وذاك أن الغرض إنما هو معرفة المعانى والألفاظ . ولم يشتمل شعر أحد من الشعراء المفلقين : قديما ، وحديثا

(١) في الأصل : « كثيرة » ، وما أبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٢) في م : « دائرة » .

(٣) في الأصل ، وط ، وم ، وع : « هذا » ، وما أبته من ت ، ون .

(٤) في ع : « محاضن » تحريفا .

(٥) في الأصل : « المتعلّم » ، وما أبته من ت ، وط ، وم ، وع . وفي ن : « وهذا الموضع التصيحة فيه للمتعلّم » .

(٦) « والمتنبي » غير موجودة في ت .

(٧) في ت : « وما آثرتهم » .

(٨) في ت ، وط : « أحبيب » خطأ ؛ لأن المعطوف عليه : « وقلت » ، وفي ع : « أحبيب تصحّينا » .

(٩) « لك » غير موجودة في ع .

(١٠) « لك » غير موجودة في ت ، وفي ع : « فما لك الباعث » وهي عبارة مضطربة .

(١١) في ط : « على اختيارهم هؤلاء الثلاثة » سهوا .

(١٢) في الأصل : « وسألول في هذا ما تعلم صحته » ، وفي ت : « وسألول لك ما تعلم صحته » وما أبته من ط ، وع .

على المعانى التى اشتملَ^(١) عليها شعرُ أبي تمامِ ، وأبى الطيّبِ المتنبئِ ؛ فإنّهما
غواصاً المعانى . وإنما الألفاظُ فى سبکِها ودياجتها فلم أجذ أحداً يسامي^(٢)
أبا عبادةً البحترى فيها . ولما كانَ الأمرُ كذلكَ اختزتْ شعرَ هؤلاءِ الثلاثةِ فحفظتهُ
فاقتبسَ من أبي تمامِ وأبى الطيّبِ المعانى والغوصَ عليها ومن أبي عبادة
[البحترى]^(٣) سبکَ الألفاظِ^(٤) .

و كنتُ سافرتُ إلى مصرَ سنةَ ستٍ وسبعينَ^(٥) وخمسماهٍ ، ورأيتُ الناسَ
مكبيّن على شعرِ أبي الطيّبِ المتنبئِ دونَ غيره ؛ فسألتُ جماعةً من أدباءِها عن سبکِ
ذلكَ ؟ . وقلتُ : إنَّ كأنَّ لأنَّ^(٦) أبا الطيّبَ^(٧) دخلَ مصرَ ؛ فقد دخلَها قبلَهُ من هو
مقدّمٌ عليه ، وهو أبو نواس^(٨) الحسنُ بنُ هانئٍ ، فلم يذكروا لي في هذا^(٩)
شيئاً . ثمَّ إنَّى فاوضتُ عبدَ الرَّحيمِ بنَ عليِّ اليسانى^(١٠) - رَحْمَةُ اللهِ - في هذا
قالَ : إنَّ أبا الطيّبِ ينطّقُ عن خواطرِ الناسِ ؛ ولقدْ صدَقَ فيما قالَ . وأذكرني
بقولِه هذا كلاماً كنتُ جاريَتْ فيه بعضَ الأدباءِ بالموصلِ . وقد سألهُ عن الكاتبِ
من هو ، ومن الذي يستحقُ^(١١) هذا الاسمَ ؟ . قلتُ لهُ : الكاتبُ عندي من

(١) في ط : « اشتملت » سهراً .

(٢) في ع : « سامي » .

(٣) الزيادة من ط .

(٤) من قوله في الصفحة السابقة : « ولربما أحبت ... سبک الألفاظ » سقط من م ، ون .

(٥) في ت : « سنة ست وسبعين » خطأ .

(٦) في ط ، وم : « إنَّ كأنَّ أبو الطيّب » .

(٧) في ن : « الطيّب » تحريفاً .

(٨) في ن : « أبو النواس » .

(٩) في ت : « في ذلك شيئاً » .

(١٠) في ط : « عبد الرَّحيم اليسانى » .

(١١) في م : « تستحق » خطأ ، وفي ع كتبت عبارة : ما الكاتب الذي يطلق عليه اسم الكتابة .

إذا^(١) كلفتَهُ أَنْ يَكْتُبَ عَنْكَ كِتَابًا^(٢) فِي أَمْرٍ مِنَ الْأَمْوَارِ ، وَأَنْفَضَتَ إِلَيْهِ بِالْمَعْنَى
فِيهِ^(٣) جَمْلَةً أَخْذَهُ^(٤) ، وَقَصْلَهُ ، وَأَتَى بِهِ عَلَى وَجِهِ إِذَا تَأْمَلْتَهُ قُلْتَ : هَكُذا^(٥) كَانَ
فِي نَفْسِي ، وَلَكُنْيَ^(٦) لَمْ أَقْدِرْ أَنْ أَعْبِرَ عَنْهُ . فَهُوَ يَنْطَقُ عَنْ^(٧) حَاطِرِكَ بِمَا لَا
تَقْدِرْ^(٨) أَنْ أَنْ^(٩) تَنْطَقَ بِهِ . فَهَذَا هُوَ الْكَاتِبُ الَّذِي يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ الْكِتَابَةِ^(١٠) ؛
فَاسْتَحْسَنَ ذَلِكَ^(١١) مِنْ غَايَةِ الْاِسْتِحْسَانِ .

وَحِيثُ انتَهَى القُولُ بِنَا إِلَى هَهُنَا^(١٢) فَلِيَأْخُذْ^(١٣) فِي يَبْيَانِ حَلِ الشِّعْرِ ، وَتَفْصِيلِ
أَسْمَاهِ فَنَقُولُ : حَلُ الشِّعْرِ يَتَقْسِيمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَفْسَامٍ :

(١) فِي عِ : « إِذْ » تَحْرِيفًا .

(٢) فِي طِ : « أَنْ يَكْتُبَ كِتَابًا » .

(٣) فِي تِ ، وَنِ : « بِالْمَعْنَى جَمْلَةً » .

(٤) فِي مِ ، وَنِ : « جَمْلَةً وَاحِدَةً » .

(٥) فِي تِ ، وَمِ : « هَذَا كَانَ فِي نَفْسِي » .

(٦) فِي مِ ، وَنِ : « وَلَكِنْ » .

(٧) فِي نِ : « عَلَى » .

(٨) فِي مِ : « بِمَا لَمْ تَقْدِرْ » .

(٩) « أَنْ » غَيْرِ مُوجَوَّدةٌ فِي مِ .

(١٠) فِي نِ : « اسْمُ الْكَاتِبِ » .

(١١) « ذَلِكَ » غَيْرِ مُوجَوَّدةٌ فِي نِ .

(١٢) فِي طِ ، وَعِ : « وَحِيثُ انتَهَى بِنَا القُولُ إِلَى هَا هَنَا » ، وَفِي مِ : « وَحِيثُ انتَهَى القُولُ
بِنَا إِلَى هَنَا » .

(١٣) فِي مِ : « فَلِيَأْخُذْ » خَطَا .

القسم الأول

القِسْمُ (١) الْأَوَّلُ وَهُوَ أَذْنَاهَا مَرْتَبَةً :

أَن تَحْلُّ (٢) الشُّغْرَ بِلَفْظِهِ ، وَهَذَا لَا فَضْيَلَةُ فِيهِ . وَقَدْ يَجِدُ مِنْهُ مَا عَلَيْهِ مَسْحَةٌ مِنْ جَمَالٍ ، وَذَلِكَ (٣) نَزْرٌ يُسِيرٌ إِلَّا أَنَّ الْعَالَبَ عَلَى مَا يُحْلِلُ بِلَفْظِهِ أَنْ يَأْتِي غَثْنًا بَارِدًا عَلَيْهِ قَرَّةً (٤) الْبَلَلِ وَفَتْرَةُ الْخَجَلِ (٥) ، وَمِثَالُهُ (٦) كَمَنْ هَدَمَ بَنَاءً ثُمَّ أَخْدَى تِلْكَ الْآلاتِ الْمَهْدُومَةَ فَأَنْشَأَ (٧) بِهَا بَنَاءً آخَرَ ؛ فَإِنَّهُ يَجِدُ مُخْلُوقَ الْبَنَاءِ لَا مَحَالَةً . وَكَانَ الْأَوَّلَيْنَ بِهِ أَنْ تَرَكَ (٨) تِلْكَ الْآلاتِ ، وَاسْتَجَدَ (٩) آلاتٌ أُخْرَى لِتَكُونَ (١٠) أَحْسَنَ مِنْهَا وَأَجْمَلَ . وَهَذَا لَا أَعْدَهُ (١١) مِنْ صَنَاعَةِ حَلُّ الشُّغْرِ فِي شَيْءٍ عَلَى أَنَّهُ أَجِيزَةٌ لِلْمُبْتَدِئِينَ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ (١٢) إِلَّا ذَلِكَ ، فَأَمَّا إِذَا حَصَلَ لَهُ الْإِدْمَانُ ، وَسَاعِدَهُ الْإِمْكَانُ ؛ فَإِنَّهُ أَخْتَرُ عَلَيْهِ مَا أَجْزَتُهُ لَهُ (١٣) أَوْلًَا . وَأَفْتَيْهُ بِأَنَّهُ لَا يَبْغِي (١٤) لَهُ حَلُّ الْمَعْانِي الشَّعْرِيَّةَ بِلَفْظِهَا بَعْيَنِهِ ، وَأَنْسَرُ مَا فِي ذَلِكَ (١٥) مِنْ الْعِيبِ

(١) فِي م : « النَّوْعُ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ ، وَتِلْكَ الْأَعْجَامُ غَيْرُ وَاضْعَفَ ، وَفِي م ، وَغُ : « يَحْلُّ » ؛ وَمَا أَبْتَهُ مِنْ ط ، وَنِ .

(٣) فِي م : « الثَّانِي » بَدْلًا مِنْ : « وَذَلِكَ نَزْرٌ » تَحْرِيفًا .

(٤) قَرَّةُ الْبَلَلِ : بِرُودَتِهِ (اللِّسَانِ) . (٥) فِي ن : « الْخَمَلُ » تَحْرِيفًا .

(٦) فِي م : « وَمِثْلُهُ » . (٧) فِي ن : « فَأَنْشَأَهَا » .

(٨) فِي الْأَصْلِ : « يَتَرَكُ » وَمَا أَبْتَهُ مِنْ ت ، وَط ، وَم ، وَن ، وَغُ .

(٩) فِي ن : « وَاتَّخَذَ » .

(١٠) فِي ت ، وَم : « لِيَكُونُ » ، وَفِي ط بَدْوِنِ إِعْجَامٍ .

(١١) فِي م : « لَا عَدَهُ » خَطَا .

(١٢) فِي م : « لَا تَسْتَصِيبُ » تَحْرِيفًا .

(١٣) فِي الْأَصْلِ : « وَأَجْزَتُهُ » ، وَمَا أَبْتَهُ مِنْ ت ، وَط ، وَن . وَفِي م : « مَا أَجْزَتُهُ أَوْلًَا » . وَفِي غُ : « مَا أَجْرَتُهُ » تَصْحِيفًا .

(١٤) فِي ن : « لَا يَجُوزُ » .

(١٥) فِي ط : « مَا فِي ذَلِكَ مَا فِي ذَلِكَ » سَهْرا .

أَنَّهُ^(١) يُنادِي عَلَى نَفْسِهِ بِالسُّرْقَةِ ، لَا سِيَّما إِذَا كَانَ الشِّعْرُ مِنَ الْأَشْعَارِ السَّائِرَةِ ؛ فَإِنَّهُ
بِذِكْرِ لِفْظِ الْأَيَّاتِ الْمُحَلَّوَةِ مِنْهُ يُغَلِّمُ مَكَانَهُ .

وَلَمَّا طَالَتْ مُمَارَسَتِي لِهَذَا الْفَنِّ عَقَدْتُهُ ، وَحَلَّتْهُ^(٢) ، وَانْكَشَفَتْ لِي خَفَايَاهُ^(٣)
لِكْثَرَةِ^(٤) مَاغْرِبَتِهِ ، وَنَخْلَتِهِ . وَقَدْ وَجَدْتُ مِنَ الْأَشْعَارِ مَا لَا يَجُوزُ تَفْيِيرُ لِفْظِهِ .
وَهُوَ عَشْرَةُ^(٥) أَنْوَاعٍ :

[النَّفْعُ]^(٦) الْأَوَّلُ

كُلُّ بَيْتٍ تَضَمَّنَ^(٧) مَثَلًا مِنَ الْأَمْثَالِ إِذَا أَرِيدَ حَلُّهُ لَزِمَّ مِنْهُ أَلَا يَخْرُجَ عَنِ الْلِفْظِ
«إِلَّا أَنْ يُغَكِّسَ الْمَعْنَى» ؛ [فَإِنَّ ذَلِكَ مَمَّا يُورَدُ]^(٨) عَلَى صُورَتِهِ^(٩) ؛ فِيمَنْ ذَلِكَ
قُولُ أَبِي تَمَّامٍ :

لَقَدْ [أَسْفَ] ^(١٠) الْأَغْدَاءَ مَجْدُ ابْنِ يُوسُفِ

وَفُو التَّقْصِنِ فِي النَّبِيَا بِذِي الْقَضْلِ مُولَعٌ

وَمُثْهَ^(١١) قُولُ أَبِي الطَّيْبِ الْمُتَّبِّيِّ :

(١) فِي مِنْ : «أَنْ» .

(٢) فِي نِ : «وَصْلَابَتِهِ» تحريفاً .

(٣) فِي مِنْ : «إِيَاهُ» خطأ ، وَفِي نِ : «خَبَايَاهُ» .

(٤) فِي عِ : «لَكْثَرُ» خطأ .

(٥) فِي نِ : «عَدَدُ» .

(٦) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَيْنِ زِيَادَةً يَقْتَضِيهَا السِّيَاقُ غَيْرُ مَوْجُودَةِ فِي جَمِيعِ النَّسْخِ ، عَدَاعٌ وَفِيهَا :
«أَنْوَاعُ أَوَّلُ» خطأ .

(٧) فِي نِ : «يَتَضَمَّنُ» .

(٨) فِي الْأَصْلِ : «فَإِنْ قِيلَ كَمَا يُورَدُ» ، وَقَوْنِي تِ ، وَعِ : «فَإِنْ ذَلِكَ كَمَا يُورَدُ» ، وَمَا أَبْتَهِ
اَفْرَدَتْ بِهِ طِ .

(٩) مَا بَيْنَ عَلَامَتِي التَّعْصِيْصِ سَقْطٌ مِنْ مِنْ وَنِ .

(١٠) فِي الْأَصْلِ ، وَتِ ، وَمِ ، وَنِ : «أَسْفَ» ، وَمَا أَبْتَهِ مِنْ طِ ، وَعِ ، وَهِيَ رَوَايَةُ
الْدِيْوَانِ ٢/٣٢٥ قِ ٩١ . وَالْبَيْتُ مِنَ الطَّوِيلِ .

(١١) فِي تِ ، وَطِ ، وَمِ ، وَنِ ، وَعِ : «وَمِنْهَا» خطأ .

لَعْلُ عَنْتَكَ^(١) مَخْمُودَ عَوَاقِبَةَ

وَرَبِّنَا^(٢) صَحَّتِ الْأَجْسَادُ بِالْعَلَلِ

[وَكُلُّ مَا]^(٣) يَأْتِي عَلَى^(٤) هَذَا الْمَنْهَاجِ فَإِنَّهُ لَا يَجْوَزُ حَلَّهُ إِلَّا بِلِفْظِهِ ، وَهُوَ الْأَحْسَنُ ، وَذَلِكَ لِأَمْرِينِ : أَحَدُهُمَا : شَيْءَ الْمَعْكُلِ ، وَإِلَفُ النَّاسِ^(٥) . وَالآخَرُ : لِأَنَّ^(٦) الْأَمْثَالُ لَا تَرِدُ فِي الْكَلَامِ إِلَّا قَلِيلَةً جَدًا ، وَإِذَا ظَفَرَ الشَّاعِرُ الْمُفْلِقُ بِشَيْءٍ مِّنْهَا عَسَرَ عَلَى غَيْرِهِ أَنْ يَأْتِي بِمَثَلِهِ ، وَإِنْ وَاحَاهُ^(٧) فِي الْمَعْنَى عَسَرَ عَلَيْهِ أَنْ يَوَافِيهِ فِي الْلَّفْظِ ؛ فَلَهُذَا اخْتَرَثَ حَلَّ أَيْيَاتِ الْأَمْثَالِ بِلِفْظِهَا لَا سِيمَاءَ أَمْثَالُ الْأَخْبَارِ النَّبِيَّةِ ؛ كَقُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ]^(٨) وَسَلَّمَ : إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِخْرَة^(٩) ، وَقُولِهِ : لَا يَجْعَلُ

(١) فِي مِ : « صِبْرَكَ » .

(٢) فِي نِ : « فَرِبِّنَا » ، وَالْبَيْتُ مِنَ الْبَسِطِ فِي دِيْوَانِهِ / صِ ٣٣١ ، وَرَوَايَتِهِ :

وَرَبِّنَا صَحَّتِ الْأَجْسَادُ بِالْعَلَلِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ ، وَتِ ، وَمِ ، وَنِ ، وَعِ : « وَكُلُّمَا » ، وَمَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَيْنِ أَنْتَهُ مِنْ طِ .

(٤) فِي مِ : « مِنْ هَذَا » .

(٥) فِي نِ : « شَائِعُ الْمَثَلِ ، وَأَلْفَةُ النَّاسِ » .

(٦) فِي مِ : « أَنَّ الْأَمْثَالِ » .

(٧) وَاحَاهُ لِغَةٌ ضَعِيفَةٌ فِي آخَاهُ (اللِّسَانِ) .

(٨) الْزِيَادَةُ مِنْ طِ .

(٩) صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ / ٥ ١٩٧٦ رَقْمُ ٤٨٥١ ، وَ ٥ / ٢١٧٦ رَقْمُ ٥٤٣٤ . دَارُ ابْنِ كَثِيرِ ، بَيْرُوت ، تَحْقِيقُ دِ . مُصْطَفَى دِيبِ الْبَغَا ، طِ ٣ ، ١٤٠٧ - ١٩٨٧ .

- وَسَنْ أَبِي دَاوُدَ / ٤ / ٣٠٢ رَقْمُ ٥٠٠٧ ، ٥٠٠٩ ، دَارُ الْفَكْرِ ، تَحْقِيقُ مُحَمَّدِ مُحَمَّدِ الدِّينِ عَبْدِ الْحَمِيدِ .

وَ- صَحِيحُ أَبِي حِيَانَ / ١٣ / ١١٢ رَقْمُ ٥٧٩٥ ، مَؤْسَسَةُ الرِّسَالَةِ ، بَيْرُوت ، تَحْقِيقُ شَعِيبِ الْأَرْنَاؤُوطِ ، طِ ٢ ، ١٤١٤ - ١٩٩٣ .

- سَنْ أَبِي الْيَهُونِ الْكَبِيرِ / ٧ / ٤٤٩ رَقْمُ ١٥٣٦٦ ، وَ ٩ / ١٢٤ رَقْمُ ١٨٠٧٧ ، دَارُ الْبَازِ ، مَكَّةُ الْمُكَرَّمَةِ ، تَحْقِيقُ مُحَمَّدِ عَبْدِ الْقَادِرِ عَطَا ، ١٤١٤ - ١٩٩٤ .

لأمري يؤمن بالله واليوم الآخر أن ينسني ماء رزغ غيره ^(١) . وهذا مثل ضربه للنساء الحبلى . وقوله : مثل الجليس الصالح ، وجليسسوء مثل حامل المسك ، ونافع الكبير ؛ فحامل المسك إما أن يبيعك ، أو ^(٢) يخذلك ^(٣) ، أو تجد منه ريحًا طيبة ، ونافع الكبير إما أن يحرق ثوبك ، وإنما أن تجد منه ريحًا خبيثة ^(٤) . وأشباه هذا ^(٥) كثير في الكلام الثبوى . وأمثال القرآن الكريم تجري ^(٦) هذا المجرى ، كقوله تعالى : « وَاضرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءَ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاجْتَلَطَ بِهِ تَبَاثُ الْأَرْضِ فَأَضْبَحَ هَشِيمًا تَذَرُوُ الرِّيَاحُ » ^(٧) ، الآية . وكقوله تعالى : أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَرْضِيَةَ بِقَدْرِهَا فَاخْتَلَطَ السَّبَلُ زَيْدًا رَّابِيًّا وَمَمَا يُوقِدُونَ ^(٨) عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلْيَةَ أَوْ مَتَاعَ زَيْدٍ مَّثَلُهُ ^(٩) ، الآية ^(١٠) وأمثال هذا في القرآن كثيرة ^(١١) .

(١) سنن الترمذى ٣ / ٤٣٧ ، رقم ١١٣١ ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، تحقيق أحمد محمد شاكر وأخرين ، وسنن أبي داود ٢ / ٢٤٨ ، رقم ٢١٥٨ .

(٢) في م ، ون : « وإنما أن » . (٤) في ن : « يجديك » تصحيفا .

(٣) - صحيح مسلم ٤ / ٢٠٢٦ ، رقم ٢٦٢٨ ، دار إحياء التراث العربى - بيروت - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . وروايته : ... والجليسسوء ... فحامل المسك إما أن يخذلك ، وإنما أن تجد منه ريحًا طيبة ... - صحيح البخارى ٥ / ٢١٠٤ ، رقم ٥٢١٤ .

- مسند الشهاب ٢ / ٢٨٨ ، رقم ١٣٨٠ ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٧ - ١٩٨٦ ، تحقيق حمدى بن عبد المجيد السلفى .

(٥) في م : « ذلك » . (٦) في م : « يجري » تصحيفا .

(٧) سورة الكهف / ٤٥ .

(٨) في ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « تقدون » . الرعد / ١٧ و « يقدون » قراءة حمزة والكسائى ومحض عن عاصم ، و « تقدون » قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو ... وروى على بن نصر عن أبى عمرو : « يقدون » ، ويقرأ أيضًا بـ « تقدون » والغالب عليه : « تقدون » بالباء . السبعة في القراءات لابن مجاهد ، دار المعارف ، ط ٣ ، ١٩٨٨ ، تحقيق د . شوقي ضيف . وراجع تفسير القرطبي ٩ / ٣٠٦ ، وتفصيل الجلالين ص ٣٢٥ .

(٩) في الأصل : « أو متاع زيد » خطأ . (١٠) « الآية » غير موجودة في م ، ون .

(١١) في الأصل ، ون ، ون ، وع : « كثير » وما أثبته من ط .

واغلُّم أنَّ أمثالَ العَرَبِ لَا تَغْيِيرٌ^(١) الفَاظُهَا أَيْضًا ؛ كَقُولِهِمْ إِنْ تَسْلَمَ الْجَلَةُ فَالنِّيْبُ هَذِرٌ^(٢) . وَكَقُولِهِمْ^(٣) : أَنْ تَرِدُ^(٤) الْمَاءُ بِمَاءِ أَكِيسٍ^(٥) ، وَهُوَ مَثَلٌ يُضَرِّبُ فِي الْحَزْمِ^(٦)

وَكَقُولِهِمْ : إِنْ كُنْتَ رِيحًا فَقَدْ لَاقَتْ إِعْصَارًا^(٧) . وَكَقُولِهِمْ^(٨) : بَيْضُ قَطَّاءٍ يَخْضُّنَهُ أَجْدَلُ^(٩) ، وَهُوَ مَثَلٌ يُضَرِّبُ لِلرَّجُلِ الشَّرِيفِ يَرْضَى بِالْأَمْرِ الْوَضِيعِ ، وَمَا جَرَى^(١٠) هَذَا الْمَعْرَى^(١١) »

وَكَقُولِهِمْ : الْيَوْمَ خَمْرٌ ، وَغَدَأْ أَمْرٌ^(١٢) . وَكَقُولِهِمْ : كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَّا^(١٣) وَأَشْيَاهُ هَذَا أَيْضًا كَثِيرَةٌ^(١٤)

(١) فِي ن : « لَا يَتَغَيِّرُ الْفَاظُهَا » خَطَا ، وَفِي ع : « لَا يَغْيِيرُ » تصحِيفًا .

(٢) مجمع الأمثال للميداني ١ / ٢٣ دار المعرفة - بيروت تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد ، والجلة جمع جليل ؛ يعني العظام من الإبل ، والنبيب جمع ناب ؛ وهي الناقة المبستة ؛ يعني إذا سلم ما يتضمن به هان ملا يتضمن به .

(٣) فِي ن : « وَقُولِهِمْ ». (٤) فِي ع : « نَزَدْ » تصحِيفًا .

(٥) وهو مثل يضرب للاحتياط ، والأخذ بالثقة . مجمع الأمثال ١ / ٣٢ ، وجمهرة الأمثال لل العسكري ١ / ٧٩ دار الفكر ، ط ٢ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، عبد العميد قطامش .

(٦) مثل يضرب للمدلل بنفسه إذا صلني ومن هو أدهى منه وأشد . مجمع الأمثال ١ / ٣٠ ، وجمهرة الأمثال ١ / ٣١ ، ٣٧ / ٢ ، ٣٧ / ٣ ، والاستقصى في أمثال العرب للزمخشري ١ / ٣٧٣ دار الكتب العلمية - بيروت ط ٢ ، ١٩٨٧ .

(٧) فِي الْأَصْلِ : « وَكَقُولِهِ » خَطَا ، وَمَا أَبْتَهُ مِنْ ت ، وَط ، وَع .

(٨) مجمع الأمثال ١ / ١٠٩ وروايته : بَيْضُ قَطَّاءٍ يَخْضُّنَهُ أَجْدَلُ . وَالْأَجْدَلُ : الصقر ، والحضران : الحضانة ؛ أَنْ يَحْضُنَ الطَّائِرَ بِيَضِّهِ تَحْتَ جَنَاحِهِ ، وَهُوَ يُضَرِّبُ لِلشَّرِيفِ يُؤْوِي إِلَيْهِ الْوَضِيعَ ، لَمْ أَجِدْ لَهُ شَرْحًا آخَرَ يُوَافِقَ مَا قَالَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ .

(٩) فِي ت : « أَوْ مَا جَرَى ». (١٠) ما بين علامتي التنصيص سقط من م ، ون .

(١١) مجمع الأمثال ٢ / ٤١٧ ، والمستقصى في أمثال العرب ١ / ٣٥٨ وهو لامرئ القيس بن حجر الكنتى الشاعر ومعناه اليوم خفض ودعة وغداً جد واجتهد .

(١٢) فِي ع : « الْفَرَاءُ » ، وَهُوَ مَثَلٌ يُضَرِّبُ فِي الْوَاحِدِ الَّذِي يَقُومُ مَقَامَ الْكَثِيرِ لِعَظَمَهِ . مجمع الأمثال ٢ / ١٣٦ ، وجمهرة الأمثال ٢ / ١٦٢ ، ١٦٣ ، ٢٢٤ / ٢ ، ٢٢٥ ،

(١٣) فِي الْأَصْلِ : « وَأَشْيَاهُ هَذَا كَثِيرٌ » وَمَا أَبْتَهُ مِنْ ت ، وَط ، وَن ، وَع . وَفِي م : « وَأَشْيَاهُ هَذَا كَثِيرَةٌ » .

وقد ثرث هذه الأشياء^(١) المشار إليها جميعها على التوالى . فمن ذلك قول النبي ﷺ^(٢) : إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِخْرَا ؛ فقلت في حليه - وهو^(٣) فصل يتضمن وصف كلام بالحسن . - : إذا أَبْرَزَ وجوهَ كُلِّيهِ قَطَعَتْ أَيْدِيهِ بَنَاثُ الْأَفْكَارِ ، وقام عنْهُ المُعْرَمُ بِهَا وفِي مِثْلِهَا تَقُومُ^(٤) الْأَعْذَارُ ؛ فهُوَ يصوّرُ أَشْكالَهَا كَمَا يُشَاءُ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ، وَكُلُّ مِنْهَا يَقَالُ فِيهِ بِقُولِ السُّسُورَةِ : مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ^(٥) ، وَلَرِبِّنَا جَاءَ بِهَا فَقَالَ النَّاسُ : لَوْ شِئْتَ لَأَتَخْذَلَتْ عَلَيْهِ^(٦) أَجْرًا^(٧) ، وَإِذَا كَانَ مِنَ الْبَيَانِ مَا هُوَ سِحْرٌ ؛ كَانَ بِيَانُهِ كُلُّهُ سِحْرًا .

فانظر كيف فعلت في هذا المثل ؛ فإني لم أقنع بذلك وحده حتى أضفت إليه معانٍ آيات من القرآن في سورة^(٨) يوسف عليه السلام ، وسورة الكهف . ولا بد من التصرف في [مثل]^(٩) هذا وأشباهه ، وما يجري مجرأه ؛ بأن يجعل للكلام أول وأخر^(١٠) ، ويضاف إليه ما ليس منه حتى تنظم^(١١) المعاني ، ونأتي مكذا^(١٢) كما أرّتناك في هذا المثل .

ومن ذلك قول النبي ﷺ^(١) : لا يَجْعَلُ لَأْمِرِيَّةً يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْقِي

(١) في ت ، و ط ، و م ، و ن ، و ع : « الأمثال » .

(٢) في ط : « عليه عليه وسلم » سهوا .

(٣) في ن : « من فصل » .

(٤) في ع : « يقوم » تصحيفا .

(٥) يوسف / ٣١ .

(٧) الكهف / ٧٧ .

(٨) في ن : « صورة » تحريفا .

(٩) الزيادة من م .

(١٠) في م : « أولاً وأخراً » ، وفي ع : « الكلام أول وأخر » .

(١١) في م : « يتنظم » ، وفي ن : « تتنظم » تصحيفا .

(١٢) في م : « ويأتي هذا » تحريفا ، وفي ن : « ويأتي مكذا » تصحيفا .

مَاءَةً^(١) رَزْعَ غَيْرِهِ . وقد حَلَّتْ [فَقْلُثُ]^(٢) - وهو فَصْلٌ يتضمنُ وَصْفَ كَرِيمٍ - يغَارُ من جُودِ غَيْرِهِ إِذَا جَادَ ، وَبِرَى^(٣) الْأَفْضِيلَةَ^(٤) فِي الْمَكَارِمِ [إِلَّا فِي وَحْلَةِ الْإِنْفَرَادِ]^(٥) ، فَإِذَا سَمِعَ بِمُنْتَعِمِ شَرِكَةَ فِي نِعْمَاهُ ، وَخَالَفَ نَصَّ الْخَبْرِ فِي سُقْيِ زَرِيعِ غَيْرِهِ بِمَاِهِ .

وَفِي هَذَا مِنَ الصُّنْعَةِ مَا هُوَ أَحْسَنُ مِنَ الْأَوَّلِ^(٦) ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} ذَكَرَ هَذَا الْمَثَلَ ، وَضَرَبَهُ لِلنِّسَاءِ الْجَبَالَى^(٧) . وَلَوْ أَرْدَتُ أَنَا^(٨) أَنْ أُورَدَهُ عَلَى مَعْنَاهُ لَمَّا فَعَلْتُ شَيْئًا ، وَلَكُنْيَتُ نَقْلَتُهُ إِلَى مَعْنَى آخَرَ يَنْظَرُ^(٩) إِلَيْهِ ، وَيَلْتَمِسُ بِهِ كَمَا أَرَيْتُكَ . وَهَكَذَا^(١٠) يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلَ فِيمَا هَذَا^(١١) سَبِيلُهُ مِنَ الْمَعْنَى إِلَّا أَنَّهُ عَزَّ^(١٢) عَلَى الْمُتَصَدِّيِّ لَهُ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ [النَّبِيِّ]^(١٣) : مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ ، وَجَلِيسِ السُّوءِ ؛ مَثَلُ حَامِلِ الْمُسْكِ ، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ ؛ فَحَامِلُ الْمُسْكِ إِمَّا أَنْ يَسْعِكَ ، أَوْ يُخْلِيَكَ^(١٤) ، أَوْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً . وَنَافِخُ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرَقَ ثُوبَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا

(١) فِي نِ : « مَاءَةٌ » خَطَا .

(٢) الْزيادةُ مِنْ تِ ، وَطِ ، وَمِ ، وَنِ ، وَعِ .

(٣) فِي نِ : « وَبِرَوِيٍّ » تَحْرِيفًا .

(٤) فِي تِ : « فَضْلَيَةٌ » خَطَا .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « إِلَّا لِوَحْدَةِ الْإِنْفَرَادِ » ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ تِ ، وَطِ ، وَمِ ، وَنِ ، وَعِ : « الْإِنْفَادِ » تَحْرِيفًا .

(٦) فِي عِ : « أَوْلَى » . (٧) فِي عِ : « الْجَبَالِيَّ » تَصْحِيفًا .

(٨) « أَنَا » سَقَطَتْ مِنْ مِ . (٩) فِي طِ : « تَنْظَرٌ » تَصْحِيفًا .

(١٠) فِي مِ : « وَهَذَا » تَحْرِيفًا .

(١١) فِي تِ ، وَنِ : « يَفْعُلُ » ، وَفِي مِ : « يَفْعُلُ فِي مِثْلِ مَا هَذَا سَبِيلِهِ » .

(١٢) فِي تِ ، وَطِ ، وَمِ ، وَنِ ، وَعِ : « عَسْرٌ » .

(١٣) فِي الْأَصْلِ : « وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلِهِ » ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ تِ ، وَطِ ، وَمِ ، وَنِ ، وَعِ .

(١٤) فِي نِ : « يَجْدِيكَ » تَصْحِيفًا .

خيثة . وقد حللت هذا المثل - وهو فصل^(١) يتضمن وصف حُلْةٍ وصَدَاقَةٍ - «فقلت : صديقك من بذل لك صدق الضمير ، وحاسب نفسك على الفتيـل والتقـير ، وكان في صحبته إياك كحامـل المسـك لا كنافـخ الكـير ؛ فذلك^(٢) الذي تجـب مـحبـة^(٣) اللهـ في وـدـهـ ، ولا يـتعـدـي الخـجلـ إلىـ الثـقةـ بـعـهـدـهـ» .

هذا الفصل فيه هذا المثل ، وفيه معنى خبرين آخرين من الأخبار النبوية : أحـدـهـماـ قولـ [الـنـبـيـ] ^(٤) ﷺ : قالـ اللـهـ تـعـالـىـ : وـجـبـتـ مـحـبـتـيـ ^(٥) لـلـمـتـحـابـيـنـ فـيـ ^(٦) ، وـالـآخـرـ قولـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ : رـبـ وـاتـيـ خـجلـ ^(٧) . وإذا نظرت إلى ما أوردهـةـ في حلـ هذا المثلـ وـجـدـتـنـيـ قدـ أـخـذـتـهـ ^(٨) ، وأـضـفـتـ إـلـيـهـ هـذـيـنـ الـخـبـرـيـنـ ، وـسـبـكـتـ مـنـ الـجـمـيعـ مـاـ أـبـرـزـهـ ^(٩) فـيـ هـذـاـ الـلـبـاسـ ^(١٠) العـجـيبـ . وهذا لاـيـتـهـأـ إـيـرـادـهـ عـلـىـ هـذـاـ الـوـجـهـ إـلـاـ بـكـثـرـةـ الـمـحـفـوظـ مـنـ الـأـخـبـارـ

(١) في الأصل : «وصف» ، وما أثبته من تـ ، وـطـ ، وـنـ ، وـعـ ، وـفـيـ مـ : «ـ وـهـ يـتضـمنـ» .

(٢) في تـ : «ـ فـذـاكـ» .

(٣) «محبة» سقطت من طـ .

(٤) في الأصل ، وتـ ، وـطـ ، وـمـ ، وـعـ : «ـ قولـ صـلـىـ» ، وما أثبتـهـ من نـ .

(٥) في عـ : «ـ مـحـبـةـ الـمـتـحـابـيـنـ» خطـأـ .

(٦) الأحاديث القدسية ١ / ٢٥٩ / الحديث رقم ٢٦٢ ، مكتبة إحياء الكتب الإسلامية - بيـرـوـتـ . وـصـحـيـحـ اـبـنـ جـانـ ٢/٣٣٥ـ ، رقم ٥٧٥ـ . وـمـوـطـاـ مـالـكـ ٢/٩٥٣ـ ، رقم ١٧١١ـ ، دار إـحـيـاءـ التـرـاثـ ، مصرـ ، تـحـقـيقـ مـحـمـدـ فـؤـادـ عـبـدـ الـبـاقـيـ . وـمـسـنـدـ أـحـمـدـ ٥/٢٣٣ـ ، رقم ٢٢٠٨٣ـ ، مؤـسـسـةـ قـرـطـبـةـ - مصرـ . وـرـوـاـيـتـهـ : وـجـبـتـ مـحـبـتـيـ لـلـمـتـحـابـيـنـ فـيـ ، وـالـمـتـجـالـسـيـنـ فـيـ ، وـالـمـتـزاـوـرـيـنـ فـيـ ، وـالـمـتـبـاذـلـيـنـ فـيـ .

(٧) «ـ رـبـ وـاتـيـ خـجلـ» ليس حـدـيـثـاـ نـبـوـيـاـ ؛ إنـماـ هوـ مـثـلـ مـوـجـودـ فـيـ قـرـىـ الـضـيـفـ ١/٤٣٢ـ ، وـمـجـمـعـ الـأـمـثـالـ ١/٣١٨ـ .

(٨) في نـ : «ـ وـجـدـتـنـيـ أـخـذـتـهـ» .

(٩) في تـ : «ـ مـاـ أـورـدـتـهـ» .

(١٠) في نـ : «ـ الـلـبـاسـ» تـحـرـيفـاـ .

النبوية؛ فإنها ركناً من أركان علم البيان^(١) في فن الفصاحة والبلاغة . وأهل الخطابة عنها في غفلة .

ومن ذلك قوله تعالى : وأضرب لهم مثلاً الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فاصبح هشيمًا تذروه الرياح . وقد أوردت هذا المثل في فصل يتضمن ذم الدنيا فقلت : الدنيا أصناف أحلام ، ودار رحلة لا دار مقام ، ولا يزال^(٢) صفوها مشويا بقذتها ، وكلنا ينافس^(٣) فيها . وما مثا إلا شاك من أذاها ؛ فلا ترى دمعا يسيل من وقع خطوبها ؛ إلا وهو على فوات مطلوبها ، فلو أعطينا^(٤) رشدًا لما كنا [نأسى]^(٥) على ما يختلف على تغييره المساء والصبح ، وكان كماء أنزل^(٦) من السماء ، فاختلط به نبات الأرض ، فاصبح هشيمًا تذروه الرياح .

ومن ذلك قوله تعالى : أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرهما . الآية^(٧) ، وقد حللت ذلك في فصل يتضمن وصف بلاغة فقلت : إذا أنزلت من سماء فكري ماء سالت أودية بقدرها ، واهتزت رياض بزهريها ، وليس الأودية إلا [خواطر]^(٨) الأفهام ، ولا الرياض إلا وشائع الأقلام ، وهذا أقوله والفضل شاهد ، والحسود غير جاحد ؛ فمن رام لحاقى فليقف حيث أوقفه^(٩) القذر ،

(١) في ن : « أركان البيان » .

(٢) في ت ، وط ، ون ، وع : « فلا يزال » .

(٣) في ت : « نافس » .

(٤) في ت ، وط ، وع : « ولو أعطينا » .

(٥) في الأصل : « ناسبو » خطأ ، وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع .

(٦) في ت : « نزل » ، وفي ط ، ون : « أنزلناه » .

(٧) « الآية » غير موجودة في ن .

(٨) في الأصل بخط مغایر : « جواز » ، وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع .

(٩) في ط : « موقفه » ، وفي ع : « أوقفه » تصحيحا .

وَلَيَعْرِسْنَ^(١) حِيثُ أَدْرَكَهُ الْفَجْرُ . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْعَرَبِ : إِنْ تَسْلِمِ الْجِلَةَ فَالثَّبِيبُ هَذَا . وَقَدْ حَلَّتْ ذَلِكَ - وَهُوَ فَصْلٌ مِنْ كِتَابٍ يَتَضَمَّنُ تَعْزِيزَهُ وَالِّي بُولِيهُ - : وَفِي الْآبَاءِ عَوْضٌ عَنِ الْأَبْنَاءِ ، وَفِي الْأُسْنَ^(٢) خَلْفُ لِمَا يُسْتَهْدَمُ مِنْ شَرْفَاتِ^(٣) الْبَنَاءِ . وَقَدْ^(٤) قِيلَ : إِنَّ فِي سَلَامَةِ الْجِلَةِ هَذِهِ لِلثَّبِيبِ^(٥) ، وَإِذَا سَلَمْتَ طَلْعَةَ الْبَلْرِي فَأَهْوَنَّ بِالْأَنْجَمِ إِذَا انْكَدَرْتَ لِلْمَغِيبِ . وَمَا دَامَ ذَاكَ^(٦) الْمَعْدُنُ باقِيَا فَالْقَضْبُ كَثِيرٌ وَإِنْ أَوْدَى [مِنْهَا]^(٧) قَضِيبٌ ..

وَلَا بَأْسَ^(٨) بِتَقْدِيمِ الْلَّفْظِ وَتَأْخِيرِهِ فِي الْمَثَلِ إِذَا أَوْرَدَ عَلَى فَصْبُ وَنَصْبِهِ ؛ كَمَا قَدْ فَعَلَتْ^(٩) هَهُنَا فِي هَذَا^(١٠) الْمَوْضِيعِ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْعَرَبِ : أَنْ تَرَدَّ الْمَاءُ بِمَاءِ أَكِيسِ . وَقَدْ حَلَّتْ^(١١) قَلْتُ فِي فَصْلٍ يَتَضَمَّنُ ذَكْرَ^(١٢) الرَّجُلِ الْحَازِمِ ، وَهُوَ : قَدْ خَبَرَ الدَّهَرَ فِي حَلَبِ^(١٣) أَفَارِيقِيهِ ، وَنَفَضَ^(١٤) مَوَاثِيقِهِ ، فَهُوَ لَا يَرِدُ الْمَاءَ إِلَّا بِمَاءِ ، وَلَا يَهْتَدِي فِي مَسَرَّى أَرْضِ بَنْجُومِ^(١٥) سَمَاءِ . وَمِنْ شَائِئِهِ أَنْ يَرُودَ الْأَمْوَارَ بِرَأْيِهِ وَلَا يَبْعَثُ فِيهَا رَائِدًا .

(١) « يَعْرِسْ » يَتَزَلُّ أَوْلُ الْلَّيلِ . اللِّسَانُ مَادَةُ (عَرْسٌ) .

(٢) فِي نِ : « الْأَبْنَاءِ » تَحْرِيفًا . (٣) فِي نِ : « شَرْفَاتِ » تَحْرِيفًا .

(٤) نَهَايَةُ خَرْمٍ وَقَعَ فِي مِيدَانِ السُّطْرِ الثَّانِي فِي صِ ١٩٤ مِنْ قَوْلِهِ : « قَلْتَ صَدِيقَكَ مِنْ بَنْلِ ... حَتَّى قَوْلُهُ : « مِنْ شَرْفَاتِ الْبَنَاءِ ، وَقَدْ ». (٥) فِي مِ ، وَنِ ، وَعِ : « هَذِهِ لِلثَّبِيبِ » خَطَا .

(٦) فِي نِ : « ذَلِكَ » .

(٧) الْزِيَادَةُ مِنْ تِ ، وَطِ ، وَمِ ، وَنِ ، وَعِ .

(٨) فِي نِ : « لَا بَأْسَ مِنْ تَقْدِيمِ ». (٩) فِي طِ : « كَمَا فَعَلْتَ ». (١٠) « هَذَا » سَقَطَتْ مِنْ مِ .

(١١) فِي تِ ، وَمِ ، وَنِ : « وَقَدْ حَلَّتْ ذَلِكَ ». (١٢) فِي مِ : « ذَكْرَهُ » تَحْرِيفًا . (١٣) فِي طِ : « حَلَبِ » خَطَا .

(١٤) فِي مِ : « نَفَضَ » تَصْحِيفًا ، وَفِي عِ : « وَبَعْضُ » تَحْرِيفًا .

(١٥) فِي مِ : « إِلَّا بَنْجُومِ ». (١٦) فِي مِ : « بَنْجُومِ » .

وإذا ^(١) قيل : إنَّ فلاناً ذُو ^(٢) كيد . قال : من الكيد ألا تُدعى ^(٣) كائداً .
 ولا يأس بحذف لفظة من الفاظ ^(٤) المثل كما فعلت ههنا ؛ لكن على شريطة ألا
 يذهب من معنى المثل شيء ^(٥) ، فإن ذهب ^(٦) من معناه شيء ^(٧) فلا يجوز الحذف .
 ومن ذلك قول العرب ^(٨) : إنْ كنتَ ريحَا فقد لاقتِ إعصاراً ، وقد حللتُه
 فقلتُ في فصل من كتاب يتضمن هزيمة ، وهو : لقونا ^(٩) وقد أشرعوا الأسئلة التي
 شاركُتهم في الأسماء ، وإذا وردت أزوائهم من غليل الحقد كما ترَوْي ^(١٠) من
 شرب الدماء . لكن ذادها عن الورزد ^(١١) ما هو أصلُب منها عوداً ، في يد من هو
 أمضى منهم حداً ^(١٢) وأسعد جدوذاً ، وإذا لاقتِ الريح إعصاراً زالت عن طريقه ،
 وضاق ذرعها بمضيقه .

في هذا الفصل من المعاني اللطيفة ^(١٣) مala خفاء به .

(١) في ط ، وع : « فإذا » .

(٢) في م : « ذا » خطأ ، وفي ع : « فلاناً وكيد » وهي عبارة مضطربة .

(٣) في م ، ون : « يدعى » ، وفي ت بدون إعجام .

(٤) في م : « الألفاظ » تحريفاً .

(٥) في م : « شيئاً » خطأ .

(٦) في م : « ذهب » خطأ .

(٧) في م : « شيئاً » ، وسقطت من ن .

(٨) بدلية خرم في م ، ون يبدأ من قوله : « إنْ كنتَ ريحَا ... ويتهى عند قوله : « عكس
 معنى المثل ؛ في متصرف الصفحة القادمة حيث انتقلت عين الناسخ .

(٩) في الأصل : « فاتونا » بخط مغاير ، وما أثبته من ت ، وع حتى يستقيم المعنى ،
 وهو لقونا سقطت من ط .

(١٠) في ط : « تروي » .

(١١) في ت ، وط ، وع : « الورود » .

(١٢) في الأصل ، وـ ت : « جداً » ، وما أثبته من ط .

(١٣) في ط : « اللطيفة » تصحيفاً .

ومن ذلك قول العرب : ييُضْنُقطاً يَخْضُنُه أَجْدُلُ ، وقد عكست هذا المعنى فيه^(١) ، وأوردته في جملة^(٢) كتاب ذكر فيه ملكاً كبيراً يدبره^(٣) من ليس أهلاً له ، وهو : رأيَتْ أَجَمَّةً ؛ ولا ليث يحمى تلك الأَجَمَّةَ ؛ بل رأيَتْ ييُضْنُ عقاب تحضنه رحمة^(٤) ، وليس المُشار^(٥) إليه إلا نائماً في صورة يقطان ، وهو كزير وعمرو إذ تجري عليهمما الأفعال وما لا يشعرون .

وفي هذا معنى غرِيبٌ مع عكسِ معنى المثل^(٦) :

ومن ذلك قول العرب : الْيَوْمَ خَنْزُ ، وغَدَا أَمْرُ . وقد حلت ذلك ؛ فقلت : إذا هم جعل الرأي دُبْرَ أَذْنِه^(٧) ، ووضعَ جَفْنَ السيفِ تلقاءً جَفْنِه ، ولم يُعرِجْ على لَهُو فيقول : الْيَوْمَ خَنْزُ ، وغَدَا أَمْرُ . ولا يُصْغِي إلى مُشِيرٍ فِيأخذُ يقول زيد ولا عمرو ؛ فهو مُطْلِلٌ على بَعْنَاتِ الأمورِ ؛ غير حافل بِتَامِ الأَعْقَابِ إذا تَمَّتْ [له الصُّدُورُ]^(٨)

ومن ذلك قول العرب^(٩) : كُلُّ الصَّنِيدِ فِي جَوْفِ الْقَرَّا^(١٠) . وقد حللت فقلت : الغناء^(١١) يَخْفُ بِكَثِيرٍ مِنَ الْأَوْزَانِ ، والنَّظَرُ فِي هَذَا إِلَى الْأَثْرِ لَا إِلَى

(١) في ت ، وط ، وت : « عكست المعنى فيه » .

(٢) في ع : « جلة » تحريفاً .

(٣) في ع : « يدبره » .

(٤) في ع : « تحضنه رجمة » تصحيفاً .

(٥) في ت : « وليس هذا المشار إليه » .

(٦) في ت : « مع عكسِ المثل » وهنا يثنى الخرم الذي بدأ من الصفحة السابقة .

(٧) في ت : « دُبْرَ » خطأ ، وفي ع : « بِراذْنَه » تحريفاً .

(٨) ما بين المعقوفين محموم الأصل ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٩) « قول العرب » سقطت من ن . (١٠) في م : « القراء » .

(١١) في ط : « العناء » ، وفي م : « العنا » تصحيفاً .

العيان ، ولا عجب^(١) أن يوزن الواحد بجميع الورى ، ولهذا قيل : كُلُّ الصَّينِدِ فِي جَوْفِ الْقَرَا .

وإذ انتهى^(٢) بنا القول إلى هُنَا ؛ فلتتبَّعْنَهُ بِمَا يَؤْيِدُهُ ، ويقرَّرُ مِنْ بنائِهِ^(٣) ؛ فنقول^(٤) : إذا أردتَ أَنْ تَحْلَّ [مثلاً من]^(٥) الأمثالِ الشِّعْرَيَّةِ بِلِفْظِهِ^(٦) ؛ فيجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تواخِّي بَيْهُ وَبَيْنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تضْمِنُهَا^(٧) إِلَيْهِ ، وَتَبْنِيهَا عَلَيْهِ . وَفِي ذَلِكَ صَعْوَدَةٌ إِلَّا عَلَى^(٨) مِنْ يَسِّرَةِ عَلَيْهِ الإِدْمَانُ ، وَآتَاهُ اللَّهُ طَبْعًا مَجِيئًا ، وَأَقْدَرَهُ عَلَى اجْتِلَابِ^(٩) الْمَعْانِي مِنْ مَوَاطِنِهَا ، وَنَحْتِ الْأَلْفَاظِ مِنْ مَعَادِنِهَا^(١٠) . وَقَدْ نَشَرَتْ هَذِينِ الْبَيْتَيْنِ الْمَقْدِيمَ^(١١) ذَكْرُهُمَا . أَمَّا بَيْتُ أَبِي تَمَّامٍ فَقَلَّتْ فِي نَثَرِهِ مَا ذَكَرُهُ وَهُوَ : الشَّرْفُ الرَّفِيعُ يَغْرِيُ الْأَعْدَاءَ بِإِطْلَاقِ الْأَلْسُنَةِ ، وَجَعَلَ السَّيِّئَةَ مَكَانَ الْحَسَنَةِ . وَلَمْ يَزُلْ ذُوو^(١٢) التَّقْصِ مُولَعِينَ بِذُوِّ الْفَضْلِ ؛ وَلَرُبَّ نَابِلٍ^(١٣) يَظْهُرُ الإِصَابَةَ وَهُوَ الْمَصَابُ بِمَا يَرْسُلُهُ مِنَ النَّبِيلِ . وَأَمَّا بَيْتُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَتَّبِ^(١٤) ؛ فَلَوْنَى حَلَّتُهُ فَقَبَّلَ :

(١) فِي ت ، وَم ، وَن : « فَلَا عَجْبٌ » .

(٢) فِي ت ، وَن ، وَع : « إِذَا انتَهَى » ، وَفِي ط : « إِنْذَا انتَهَى » ، وَفِي م : « إِذَا انتَهَى بِنَا » .

(٣) فِي ن : « نَبِيَّهُ » تحرِيفًا .

(٤) فِي م : « فَيَقُولُ » ، وَفِي ع : « فَنَقُولُ » خَطَا .

(٥) الْزِيَادَةُ انْفَرَدَتْ بِهَا ط .

(٦) فِي الْأَصْلِ ، وَت ، وَم ، وَعَ تَرَبَّ عَلَى سَقْطَهُ : « مثلاً مِنْ » تَبْدِيلُ كَلْمَةِ « بِلِفْظِهِ » إِلَى « بِلِفْظِهَا » ، وَفِي ن : « بِالْأَلْفَاظِهَا » .

(٧) فِي م : « خَنْمَهَا » تحرِيفًا .

(٨) « عَلَى » سَقْطَتْ مِنْ م .

(٩) فِي ط : « اجْتِلَابٌ » تحرِيفًا .

(١٠) فِي هَامِشِ كَلَامٍ مُقطَّعٍ : « نَحْتَ الْمَعْانِي مِنْ مَعَادِنِهَا . مَا عَلَى إِذَا لَمْ يَفْهَمْ الْبَقْرَ » .

(١١) فِي ن : « الْمَتَقْدِمُ » .

(١٢) فِي ع ، وَن : « ذُو » خَطَا .

(١٣) فِي ط ، وَع : « نَابِلٌ » تَصْحِيفًا .

(١٤) فِي ط ، وَع : « نَابِلٌ » تَصْحِيفًا .

العتاب وإن ألمت له النفس^(١) ؛ فإنه يشفى من ألم الوداد^(٢) ، وكثيراً ما يصبح بالعلل مرض الأجساد^(٣) .

فانتظر كيفَ فعلت في [حل^(٤)] هذين البيتين . أمّا بيت أبي تمامٍ ؛ فموضع المثل منه : وذو التّقْصِ في الدُّنْيَا بِذِي الْفَضْلِ مُولَعٌ وأمّا بيت أبي الطّيّب [المتنبي^(٥)] ؛ فموضع المثل منه : وَرَبِّيْما صَحَّتِ الأَجْسَادُ^(٦) بِالْعَلَلِ .

وكلا هذين البيتين قد ذكرته بلفظه فإذا^(٧) شئت أن تحلّ أبيات الأمثال^(٨) فحافظ على ألفاظها^(٩) كما أردتَك في هذا الموضوع ، وقد يمكن تبديل ألفاظها بما هو في معناها كقولنا في بيت أبي تمام : والوضيع بالشريف مولع « أو الجاهل^(١٠) » بالعالم مولع^(١١) « أو غير ذلك ، وكقولنا^(١٢) في بيت أبي الطّيّب [المتنبي^(١٣)] : وقد تصحّ الأجسام^(١٤) بالأمراض أو : وقد^(١٤) تشفى الأجساد^(١٥) بالأنسقام ؛ إلا أنَّ ذلك لا يحسنُ بل الحسن^(١٦) في [مثل^(١٧)] هذا الموضوع الجمود على ألفاظ

(١) في ت ، ون : « العتاب وإن ألم فإنه يشفى » ، وفي م : « العتاب وإن فإنه يشفى » هكذا .

(٢) في ت ، ون ، ون : « من أمراض الوداد » .

(٣) الزيادة من ت ، وط ، ون ، ون ، وع .

(٤) الزيادة من ت ، وط ، ون ، ون ، وع .

(٥) في ن : « الأجسام » ، وفي ع : « الأَحْسَادُ » تصحيحاً .

(٦) في ن : « وإذا » .

(٧) في م ، وع : « أمثالها » .

(٨) في ط : « كقولنا » .

(٩) ما بين علامتي التصيص سقط من ع .

(١٠) في ط : « كقولنا » .

(١١) الزيادة من ت ، وط ، ون ، ون ، وع .

(١٢) في ط ، ون : « الأجساد » .

(١٣) في م : « الأجسام » .

(١٤) « بل الحسن » سقطت من م ، ون .

(١٥) الزيادة من ت ، وط ، ون ، ون ، وع .

(١٦) الزيادة من ت ، وط ، ون ، ون ، وع .

(١٧) الزيادة من ت ، وط ، ون ، ون ، وع .

المثل المذكور في **الشَّغْرِ**^(١) لأنَّها قد شاعت في أيدي الناس ودارث على ألسنتهم فإذا غُيَّرَتْ وَجَىءَ بما هو في معناها لم يكن المثل ذلك المثل . والغرض إنما هو المثل بعينه لا غيره .

النَّوْعُ الثَّانِي مِنَ الْأَبْيَاتِ الَّتِي لَا يَجُوزُ تَغْيِيرُهُ لَفْظَهَا :

وهو كُلُّ بيتٍ يتضمنَ^(٣) ذكرَ قصَّةً مشهورة ؛ فينبغي^(٤) أن يُحافظَ على ألفاظها [عند^(٥)] خَلْهَا ؛ فمن ذلك ما وردَ في شعرِ أبِي تمامٍ ، وهو قوله :

لِحِقَّنَا بِأَخْرَاهُمْ وَقَدْ حَوَّمَ الْهَوَى
قُلُوبِنَا عَهِنَّا طَبِيرَهَا وَهَنِّي وَقَعَ
فَرَدَثَ عَلَيْنَا الشَّفَسُ وَاللَّبَلُ رَافِعُهُ
بِشَفَسٍ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ الْخَذِيرِ^(٦) تَطْلُعُ
نَضَّا ضَرْوَهَا صِنَعَ الدُّجَّةُ وَانْطَوَى^(٧)
لِبَهْجَتِهَا ثَوْبُ السَّمَاءِ الْمُجَرَّعُ

(١) في ن : « هذا الموضع لوجوب المحافظة في الشعر » وهي عبارة مضطربة أصابها التحريف .

(٢) في م : « تغير » .

(٣) في م : « يتضمن » ، وفي ع : « يضمن » خطأ .

(٤) في الأصل ، وـت ، وـط ، وـن ، وـع : « وينبغي » ؛ وما أثبته من م .

(٥) في الأصل : « وعند » خطأ ، وما أثبته من ت ، وـط ، وـم ، وـن ، وـع .

(٦) في م : « قائم » تحريفا ، وفي ن : « زاغم » تصحيفا .

(٧) « الخدر » غير واضحة في الأصل ، وغير منقوطة في ت ، وفي ع : « الخدر » تصحيفا ، وما أثبته من ط ، وـم ، وـن .

(٨) في ت : « وانضوى » تحريفا ، وفي ع ، والديوان : « فانطوى » .

فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي الْأَخْلَامُ ثَائِمٌ

الْمَتْ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرَّكْبِ^(١) [يُوشَعُ]^(٢)

وهذه الآيات من إحسان أبي تمام المعروف ؛ وقصة يوشع عليه السلام مشهورة^(٣) في أنَّ الله تعالى رَدَّ له الشمس ؛ فإذا أَرِيدَ حلُّ البيت المضمن^(٤) ذِكْرَ^(٥) هذه القصة فينبغي أَلَا يُحَلَّ^(٦) إِلَّا بهذا اللفظ . وقد حللت ذلك ، فقلت : كُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَمْسٍ تَخْجُلُ لَهَا شَمْسُ السَّمَاءِ ، وَتَضَاءُلُ لَدِينَهَا تَضَاءُلَ^(٧) الْإِلَمَاءِ ، وَتَعْلَمُ أَنْ لِيَسَ لَهَا مِنْ مَحَاسِنِهَا إِلَّا الْمُشَارِكَةُ فِي الْأَسْمَاءِ ، وَلِرُبَّمَا طَلَعَتْ فِي الْلَّيلِ فَقَالَ النَّاسُ هَلْ^(٨) اسْتَوَى بِيَاضِ النَّهَارِ وَسُوادِ الظَّلَمَاءِ ، وَلَا عَجَبٌ لِلْعَيْوَنِ وَقَدْ رَأَيْهَا^(٩) أَنْ تَظَنَّ ذَلِكَ فِي أَحْلَامِ النَّوْمِ ، أَوْ أَنْ يُخَيِّلَ إِلَيْهَا أَنْ يُوشَعَ قَدْ كَانَ فِي الْقَوْمِ :

(١) في م ، ون ، وع : « القوم » .

(٢) « يوشع » مسموة في الأصل ، وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع . الآيات من الطويل في ديوان أبي تمام ٢١٩ / ٣٢٠ و ٣٢٠ / ٩١ .

وهو يوشع بن نون فتى موسى الذي كان معه صاحب أمره ، ونبأ الله في زمان موسى عليه السلام ؛ فكان بعده نبيا ، وهو الذي فتح أريحا ، وقتل من كان بها من الجبارية ، واستوقفت له الشمس ، وقال ابن عباس : كان علم التجوم من النبوة ؛ فلما حبس الله تعالى الشمس على يوشع ابن نون أبطل ذلك . وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : لم ترد الشمس منذ رُدَتْ على يوشع بن نون ليالي سار إلى بيت المقدس .

القرطبي ٩ / ٢٧٠ ، و١٥٢ / ٩٢ ، ومعتصر المختصر ١ / ١٠ ، والمعجم الأوسط للطبراني ٦ / ٣٥٣ رقم ٣٥٣ ، وفتح الباري ٦ / ٢٢١ رقم ٢٩٥٦

(٣) في م : « معروفة » .

(٤) « ذكر » سقطت من ت .

(٥) في ت : « تحل » .

(٦) في م : « إِلَيْهَا نَصَالٌ » تحريفا ، وفي ن : « تضاءل » خطأ .

(٧) « هل » سقطت من ت .

(٨) في ت ، ون ، وع : « إِذَا رَأَيْهَا » ، وفي ط : « إِذْ رَأَيْهَا » .

وهذا الموضع من غريب ما يأتي [في [١) حل الشعر ، والتصريف فيه ؛ وفي الذي ذكرته زيادة كثيرة على ما ذكره الشاعر .

النوع الثالث من (٢) الآيات التي لا يجوز تغيير لفظها :

وهو كُلُّ بيتٍ تضمن (٣) ذكر الفاظ يختص (٤) بها علمٌ من العلوم من نحو حساب أو طب أو غير ذلك ؛ فمما ورد منها قول أبي الطيب المتنبي :

ولقيث كُلُّ الفاضلين كائنا

رَدَ (٥) إِلَهُ نُؤْسَهُمْ وَالْأَعْصَرَا (٦)

تُسْقُوا لَنَا نَسَقَ الْجِسَابِ مُقْدَمًا

وَأَتَى (٧) « فَذِلِكَ » (٨) إِذْ أَتَيْتَ مُؤْخِرًا (٩)

وكذلك قوله :

إِذَا كَانَ مَا تَشَوِيهِ فِعْلًا مُضَارِعاً

مَضَى قَبْلَ أَنْ تَلْقَى عَلَيْهِ الْجَوَازِمُ (١٠)

وكقول أبي تمام :

(١) في الأصل ، وـت ، وـن ، وـع : « من » ، وما أبته من ط ، وـم .

(٢) في م : « في » تحريفا .

(٣) في م : « يتضمن » ، وفي ع : « يضمن » .

(٤) في ن : « يخص » .

(٥) في ع : « جمع » .

(٦) في م : « والأعضا » تصحيفا .

(٧) في م : « وأتى » تصحيفا .

(٨) في م : « بذلك » تحريفا .

(٩) الآستان من الكامل في ديوان المتنبي ص ٥٤١ .

(١٠) البيت من الطويل في ديوان المتنبي ص ٣٧٦ .

فَإِنْ يَكُ جُزْمٌ عَنْ^(١) أَوْ تَكُ هَفْوَةً
عَلَى حَطَأٍ مِنْيَ فَعَلَرِي عَلَى عَمْدِ^(٢)

وكقول البختري :

فَتَيْ دَفَعُوا^(٣) بَخْلَ^(٤) الرَّمَانِ بِجُودِهِ
وَلَا طِبَّ حَتَّى يَذْفَعَ^(٥) الضُّدُّ بِالضُّدِّ^(٦)

وقد حللت هذه الأبيات ؛ أمّا بيتا^(٧) أبي الطيب المتنبي فإنه قيل في حلها^(٨) ما ذكره ، وهو^(٩) : ولقد رأيته فرأيت العالم في واحد ، وعلمت أنَّ الدهر للناسِ ناقدٌ . وما أقول إلا أنَّ الله ردَّ به الأفضل إلى معاد ، ومثلهم بأعداد الحسابِ ثمَّ وضعه موضع « فَذَلِكَ » من جملة الأعداد . وهذه لفظة « فَذَلِكَ » هي من ألفاظ الحساب وهي الجملة الكبرى الواردة^(١٠) في آخر الجمل . كأنَّ^(١١) الحاسب^(١٢) يقدم^(١٣) ذكر الأعداد المجملة أولاً ؛ ثُمَّ يقول^(١٤) : فذلك كذا وكذا^(١٥) . أى

(١) في ن : « عز » تحريقاً ، وفي ع : « حُزْمٌ » تصحيفاً .

(٢) البيت من الطويل في ديوان أبي تمام ٢ / ١١٧ ، ق ٥٦ .

(٣) في م : « قد أمنوا » تحريفاً .

(٤) في م ، وع : « نجل » تصحيفاً .

(٥) في م : « تدفع » تصحيفاً .

(٦) البيت من الطويل في ديوان البختري ٢ / ٧٤٩ / ق ٢٩٠ .

(٧) في م ، وع : « بيت » خطأ .

(٨) في ن : « حله » خطأ .

(٩) وهو « غير موجودة في ن » .

(١٠) في م : « الوارد » ، وفي ع : « الوارة » وكلاهما تحريف .

(١١) في الأصل : « وإن كان » ، وفي ط ، وم ، ون : « كان » ؛ ومأبته من ت ، وع .

(١٢) في ع : « الحساب » خطأ .

(١٣) في م : « تقدم » .

(١٤) في م : « تقوّل » .

(١٥) في ن : « فذلك كذلك أي فالجمع » وهي عبارة مضطربة المعنى .

فالجميع كذلك . ولهذا يقول العالِسُ : قد فَذَلْكُتْ حَسَابِي أَنِّي أَجْمَلُهُ^(١) ، وفرغت منه وَسَمِّيَ الفَذَلَكَةُ^(٢) .

وأَمَّا^(٣) بَيْثُ أَبِي الطَّيْبِ الْمَفْرُدِ ؛ فَإِنَّى نَثَرَهُ فِي فَصْلٍ مِنْ كِتَابٍ إِلَى بَعْضِ^(٤) الْمُلُوكِ وَهُوَ أَحْمَدُ الْمَسَاعِي مَا خَدْمَتْهُ جَدُودُ الْإِقْبَالِ^(٥) ، وَغَدَثَ لَهُ بِمَنْزِلَةِ السَّلاَحِ فِي أَيْدِي الرِّجَالِ ، وَمَنْ رَأَمَ أَنَّ السَّعْيَ يُغْنِي مَنْ يُغْنِي مِنْ غَيْرِ^(٦) جَدٌ فَقَدْ رَامَ أَنَّ تَمْضِي^(٧) زَبِرَةُ الْحَدِيدِ فِي يَدِهِ مِنْ غَيْرِ حَدٍ^(٨) وَاللَّهُ يُخْدِمُ^(٩) السَّعَادَةَ لِمُولَانَا^(١٠) فِي كُلِّ مَقَامٍ ، وَيَجْعَلُ لَهُ عَلَى عِدَاءِ رَصَدِينِ مِنْ ضَوْءِ^(١١) الصَّبْحِ وَالْإِظْلَامِ حَتَّى يُرَى^(١٢) وَقَدْ تَصَرَّفَتْ بِأَمْرِهِ^(١٣) أَفْعَالُ الزَّمَانِ ، وَأَصْبَحَتْ أَعْتِشَهَا فِي يَدِهِ يُشَنِّيَها^(١٤) شَفَى الْعَنَانِ ؛ فَإِذَا عَزَّمَ سَارَعَتْ إِلَى تَلْبِيةِ عَزْمِهِ ، وَأَمْضَتْ مُرَادَهُ^(١٥) فِي مُسْتَقْبَلٍ كُلِّ

(١) فِي مٍ : « قَدْ جَمَلَهُ » .

(٢) فِي عٍ : « وَفَرَغَتْ وَكَدْ الفَذَلَكَةُ » وَهِيَ عَبَارَةٌ مَضْطَرِبَةٌ .

(٣) فِي نٍ : « فَأَمَّا » . (٤) فِي طٍ : « بَعْضٌ » تَصْحِيفًا .

(٥) فِي تٍ : « وَجْهَ الْإِقْبَالِ » . (٦) فِي عٍ : « عَنْ غَيْرِ » خَطَا .

(٧) فِي مٍ ، وَنٍ : « يَمْضِنَ » . (٨) فِي عٍ : « جَدٌ » .

(٩) التَّشْكِيلُ مِنْ تٍ ، وَطٍ .

(١٠) فِي مٍ : « مُولَانَا » .

(١١) فِي تٍ ، وَطٍ : « الْأَعْدَاءِ » ، وَفِي مٍ : « وَيَجْعَلُ لَهُ رَصَدِينِ » ، وَفِي نٍ : « وَيَجْعَلُ عَلَى الْأَعْدَاءِ رَصَدِينِ » ، وَفِي عٍ : « الْأَعْدَاءِ رَصَدِينِ ضَوْءٌ » وَهِيَ عَبَارَةٌ مَضْطَرِبَةٌ .

(١٢) التَّشْكِيلُ مِنْ تٍ . وَضَوْءُ الصَّبْحِ وَالْإِظْلَامِ مَحْلُولٌ مِنْ قَوْلِ أَشْجَعِ السَّلْمِيِّ :

وَعَلَى عَدُوْكَ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصَدَانِ ضَوْءُ الصَّبْحِ وَالْإِظْلَامِ

فَإِذَا تَنَبَّهَ رُغْتَهُ وَإِذَا عَفَّا سَلَّتْ عَلَيْهِ سَبِيْفَكَ الْأَخْلَامُ

تجريد الأغانى القسم الثانى / ٢ / ١٩٤٩ ، والبيان والتبيين / ٣ / ٣٢٥ .

(١٣) فِي مٍ : « بِهِ » .

(١٤) فِي طٍ : « تَشَنِّيَها » .

(١٥) فِي مٍ : « أَمْرَهُ » .

أمرٍ حتى يمضى قبل حزمه^(١) ؛ فلا يستبعد^(٢) من المطالب بعيداً ، ولا يستصعب منها شديداً^(٣) ، ولاتزال غاياتها منحطة دون مبلغه ، فلا يسأل^(٤) مزيداً .

وأمام بيت أبي تمام ؛ فإني حللتُه ؛ فقلتُ : إن^(٥) كان ذنبي خطأً ، فقد جاءت^(٦) معدري عمداً ، ولاعقوبة مع الاعتذار وإن كان^(٧) الذنب شيئاً إدعاً . والمقدرة لا تُسيغ لكريم^(٨) أن يُمضي غيظاً أو يُطیح حقداً . فلفظة الخطأ^(٩) ، ولفظة العمد من أخصّ ألفاظ الفقهاء لأنّهما يدوران على لسان الفقيه أكثر مما يدوران على لسان غيره . وإذا^(١٠) كان الأمر كذلك فلا بدّ من ذكرهما كما ورداً^(١١) في الشعر من غير تبديل .

وأمام بيت أبي عبادة البحترى فإني ثرثه فقلتُ في نثره - وهو فصلٌ من كتاب إلى بعض الملوك - : الأحوال شبيهة بالأبدان في عوارض سقّمها ، وكل داعٍ من أدواتها^(١٢) له علاج إلا ما كان من سامها^(١٣) وهو منها ؛ وقد قيل : إنَّ الطلب [هو]^(١٤) معالجة الأضداد ، ولهذا لا يُطب^(١٥) سقُم الأحوال إلا بجود الأجواد .

(١) في ط ، وم ، ون ، وع : « جزمه ». (٢) في م ، وع : « ولا يستبعد » .

(٣) في ن : « سديداً ». (٤) في ط ، وع : « ولا يسأل » .

(٥) في ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « لأنَّ كان » .

(٦) في ن : « جاءت » خطأ .

(٧) في ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « ولو كان » .

(٨) في ط : « الكريم » ، وفي ن : « للكريم » .

(٩) في ن : « الخطاء » خطأ .

(١٠) في ع : « وإن » .

(١١) في الأصل ، وت ، وط : « ورد » ؛ وما ثبته من ن ، وع ؛ وفي م : « وردو » خطأ .

(١٢) في ع : « دَائِي من أدَائِها » خطأ .

(١٣) في ع : « سَائِها » . والسام : الموت . اللسان في مادتي : س م م ، وس و م .

(١٤) الزيادة من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(١٥) في ت : « ولا يطب » .

ومولانا^(١) هو الججادُ الذي^(٢) يشفى بعطايَاه أَمْلَاً وَإِذَا شَكَّا^(٣) إِلَيْهِ شَكٌ سَفَاهُ من جوادِ عَسْلَاءَ .

وهذا الموضع من محسن ما يذكر في حلِّ الشعر؛ فإنَّ لم أكتُب بشرٍ هذا البيت المشار إليه حتَّى قرأتُه بخبرين من الأخبار النبوية وهمَا^(٤) مناسبان لمعنىه^(٥) الذي هو الطلب والعلاج . أمَّا الخبر^(٦) الأول فقول النبي ﷺ^(٧): مَاحَلَّ اللَّهُ دَاءُ إِلَّا وَخَلَقَ لَهُ دَوَاءً إِلَّا [السَّامَ]^(٨) وَالْهَرَمَ . وأمَّا الخبر الثاني : فإنَّ جاءَ رجُلٌ إلى رسول الله^(٩) ﷺ فقال إنَّ أخِي استطلق^(١٠) بطنه فقام رسول الله^(١١) فلم يزدُه إلا استطلاقًا . فقال [له]^(١٢) ثلَاثَ مراتٍ . ثُمَّ جاءَ^(١٤) الرابعة فقال اسْقِه عَسْلَاءَ فقال

(١) في ع : « مولانا » .

(٢) في ت : « هو الذي » .

(٣) في ع : « اشتكي » .

(٤) في ت ، و م ، و ن : « هما » .

(٥) في ط : « لمعبه » تحريفاً .

(٦) في م : « الجزو » تحريفاً .

(٧) في ت : « صلَى اللهُ عَلَيْهِ » .

(٨) في الأصل : « السَّامَ » ؛ وما أثبتته من ت ، و ط ، و م ، و ن ، و ع . والحديث في المعجم الكبير ١٥٣ / ١١ / رقم ١١٣٣٧ ، و صحيح ابن حبان ١٣ / ٤٢٨ / رقم ٦٠٦٤ ، الأحاديث المختارة ١٧١ / ٤ / رقم ١٣٨٥ ، و علل الدارقطني ٦ / ٢٨ / رقم ٩٥٨ باختلاف في الرواية .

(٩) في ت ، و ط ، و م ، و ن ، و ع : « إِلَى النَّبِيِّ » .

(١٠) استطلق بطنه أَيْ كثُر خروج ما فيه، يزيد الإسهال . النهاية في غريب الحديث ٣ / ١٣٦ واللسان في مادة (ط ل ق) .

(١١) « عَسْلَاءَ » غير موجودة في ت ، و ط ، و ع ، و فـ ن : « فَقَالَ النَّبِيُّ » .

(١٢) « عَسْلَاءَ » غير موجودة في م ، و ن .

(١٣) الزيادة من ت ، و ط ، و م ، و ن ، و ع .

(١٤) في ت ، و ن ، و ع : « جَاءَهُ » ؛ وفي م كثر الناسخ عبارة : « إِنِّي سَقَيْتُهُ فَلَمْ يَزِدْهُ إِلَّا استطلاقًا » ؛ وسقط منه : « الرابعة فقال اسْقِه عَسْلَاءَ » .

لقد ^(١) سقيته . فلم يزده إلا استطلاقاً . فقال رسول الله ^(٢) ﷺ صدقَ اللَّهُ ^(٣)
وكذبَ بطنُ ^(٤) أخيك ؛ فسقاةُ فبرئ ^(٥) .

ولمثيل هذا الموضوع ^(٦) أمرت المتصدّى ^(٧) لصناعة الكتابة أن يكتّب من
حفظ ^(٨) الأخبار النبوية كما يكتّب من حفظ الأشعار . ولو لا ثروةُ البقاعية من هذا
الفن ^(٩) وإلا ^(١٠) لم آت في شرِّيبيت أبي ^(١١) عبادةً البحترى ^(١٢) بهذين الخبرين
ال المناسبين لمعناه . والخطب فى مثل هذا كبير ، والترقى إليه عسير ، ولا بد من
التعب وهجر الراحة فى تحصيله .

وَهَلْ يَفْرِسُ اللَّبِثُ الطَّلَّا وَهُوَ رَابِضٌ ^(١٢) .

(١) في ن : « قد » .

(٢) في ع : « فقال النبي » .

(٣) في ع تدخل الناسخ وأثبتت : « وهو قوله تعالى يخرج من بطونها شراب . الآية » .

(٤) في ط ، ون : « كذب بطن » والبطن مذكر ؛ والتائית لغة . اللسان (ك ذ ب) .

(٥) في ط : « فبرا » وهي لغة أهل الحجاز ؛ اللسان (ب ر أ) . والحديث فى صحيح البخارى ٢١٦١ / ٥٣٨٦ ، رقم ١٧٣٦ / ٢٢١٧ ، وسنن الترمذى ٤ / ٤٠٩ ، رقم ٢٠٨٢ ، وسنن البيهقيى الكبيرى ٣٤٤ / ٩ ، رقم ١٩٣٤٨ باختلاف فى الرواية .

(٦) اضطراب فى الأوراق فى م .

(٧) في م : « للمتصدّى » والفترات مضطربة .

(٨) « حفظ » غير موجودة فى م .

(٩) « وإلا » غير موجودة فى ن .

(١٠) في م : « أنى » تصحيفاً .

(١١) « البحترى » غير موجودة فى ت :

(١٢) في م : « رابض » تصحيفاً . وهذا عجز بيت من الطويل لأبي تمام وصدره :

أرادت بأن يحوى الرغيبات وادع

ديوانه ج ٢ / ص ٢٩٧ ، ق ٨٧ . والطلّا : الصغير من كل شيء ، وقيل : ولد الظيبة ساعة
تضمه ، وجمعه : طلوان . اللسان فى : ط ل ي .

النوع الرابع من الأبيات التي لا يجوز تغيير لفظها :

وهو كُلُّ بيتٍ تضمنَ^(١) ذكرَ قبيلةٍ من القبائلِ أو بيتٍ من البيوتِ المشهورةٍ فإذا ورَدَ^(٢) مثلُ ذلكَ في الشعرِ فلا يَرِدُ^(٣) إلَّا لفائدةٍ اقتضى ذكره فينبغي أنْ يُذكَرَ كما جاءَ في الشعرِ . أمَّا القبائلُ فَكَبَّنِي ثُلِّي وَاشْتَهَارُهُمْ^(٤) بالإصابةِ في الرُّؤْمِيِّ . وأمَّا البيوتُ فَكَبَّنِي عَنْدَ الْمَدَانِ^(٥) في الاشتهرَ بالتقدُّمِ والرِّئاسَةِ فيجبُ على النَّاثِرِ أنْ يُورِدَ هذا وما يجرِي مُجراه على هيتهِ . لكنَّ ينبعُ له أنْ يتصرَّفَ في صوغِ الألفاظِ^(٦) بالتقديمِ والتأخيرِ والزيادةِ فيها على حسْبِ ما يراهُ . ولا بدَّ هُنَا^(٧) من ذكرِ مثالٍ واحدٍ يستدلُّ^(٨) به على أمثلَه وأشباهِه ، فمِنْ ذلكَ قولُ الفرزدقِ وهو :

وَلَنْ أَنِّي بِلِبِّيْتِ بِهَاشِمِيْ خَوْلَتَهُ^(٩) بَنُو عَنْدَ الْمَدَانِ
لَهَانَ عَلَيَّ مَا أَلَقَى وَلَكِنَّ تَعَالَوْا فَانظُرُوا بِمَنِ ابْنَلَانِي^(١٠)

(١) في ع : « يضمّن ». (٢) في ع : « أورد » .

(٣) في م ، وع : « ولا يرد » ، وفي ن : « فلا يرد » تصحيفاً .

(٤) في ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « في اشتهرهم » ؛ وثُلِّ موضعٌ بتجددٍ وهو ماءٌ لبني قوله قرب سجا والأغرايب في ديار كلاب . معجم ما استعجم ١/٢٤١ ، ومعجم البلدان ٢/٧٩ ، ولسان العرب في (ث ع ل) .

(٥) المدان وادٍ في قضاعة بناحية حرة الرجالاء ؛ وقد بني كعبة نجران بنو عبد المدان مضامنة للküمة . معجم البلدان ٥/٧٤ ، ٥/٢٦٨ ، ولسان العرب في (ب ي ت) .

(٦) في م : « مصوغ » تحريفاً ، وفي ع : « صوغُ ألفاظٍ خطأً » .

(٧) في ت : « لا بدَّ هنا » .

(٨) في ن : « فيستدلُّ » ، وفي ع : « مستدلٌ » خطأً .

(٩) في ن : « خَوْلَتَهُ » تحريفاً .

(١٠) البيتان للدعيل بن على الخزاعي من الواقف في ديوانه ؛ ص ٤٢٩ ، ق ٦٥ صنعة د . عبد الكريم الأشتر ؛ دمشق ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ؛ وليسَا للفرزدق كما نسبهما ابن الأثير ؛ وروايتهما :

ولو

صبرت على عداوه ولكن تعالي فانظرى بمن ابتلاني

وقد نشرت هذا المعنى ^(١) الذي تضمنه هذان البيتان . فقلت : ظلم السادات لا تعده النفوس من ظلمها ولربما كلام السوار يدا ^(٢) فذهب فخر زيتها بألم كلهمها ، ولهذا هانت جنائية بنى عبد المدان ، وضررت بها المثل في شرف المكان والناس ^(٣) في المنازل ضروب وأطواز ، فمنهم أنجاد ومنهم أغواز .
فانظر كيف فعلت في نثر هذين البيتين ^(٤) ، وكيف تصرفت في معناهما وأمش على هذا الأثر ، وأغلمن أن هذا الموضوع مهم من مهمات هذه الصناعة .

التنوع الخامس من الآيات التي لا يجوز تغيير لفظها :

وهو كُلُّ بيت تضمن ^(٥) ذكر معنى من معاني التشبيه . وذلك لأنَّ التشبيه ^(٦) الوارد فيها يكون بالفظ مخصوص؛ دالٌ على معنى مخصوص؛ وإذا غير لفظه زال ذلك المعنى ^(٧) فمما جاء منه قول أمير القيس
 كأن قلوب الطيور رطبة ويابسا
 لدى وذكرها الغناب والحسف البالى ^(٨)

(١) في ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « نثر المعنى » .

(٢) في م : « يدى » . وهو ينظر إلى قول ابن زيدون في رسالته العجيدة : « هل أنا إلا يد أدمها سوارها » ، راجع ديوان ابن زيدون ، معه رسائله وأخباره ، شرح وتحقيق محمد سيد كيلاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر / ص ٢٢٦ و ٢٢٧ . وفي الأدب الأندلسي ، ٥ .
 جودت الركابي ، دار المعارف / ٢٦٧ ، ١٩٨٠ .

(٣) في ع : « وللناس » . (٤) « اليتيم » غير موجودة في ن .

(٥) في م : « يتضمن » ؛ وفي ع : « يضمن » .

(٦) في ت ، ون : « وذاك » ؛ وفي ط : « وذاك أن » ؛ وفي ع : « وذاك التشبيه » .

(٧) في م : « زال إلى ذلك المعنى » .

(٨) أمرق القيس بن حبْرِ الكندي الأمير الشاعر الجاهلي المشهور . البداية والنهاية ٢ / ٢١٨ ، ٢١٩ . والبيت من الطويل في ديوانه ص ٣٨ ، ق ٢٠ . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ؛ ط ٤ ؛ ١٩٨٤ .

فقوله : قلوب الطير ورطبا^(١) وبابا والعتاب والخشف البالى لا بد^(٢) من ذكره ، كما^(٣) ذكره امرأ القيس^(٤) ؛ لأنّه تشيبة مخصوص بألفاظ مخصوصة فلا بدّ من ذكر ذلك ولا^(٥) يمكن تغيير الفاظه .

وقد نثرت هذا البيت فقلت : وأشهد تغحر السوابق^(٦) بأنّها له سمية ، وترتمي^(٧) الطير في جو^(٨) السماء وهى له رمية . كائناً يجلو^(٩) القدى^(١٠) عن عقيقتين ، ويظلّ من توخيشه وإنسانيه بين خليقتين . ومن أدنى صفاته أن يقال : هذا خلق من الرياح في صورة ذى منسرا^(١١) وجناح . قد^(١٢) لقب بالبازى لكثره وثوبه ، وما غدا^(١٣) لمطلب صيد فقاته شىء من مطلوبه . ولقد تكاثرت قلوب الطير لديه في كل حال ، حتى شبه^(١٤) رطبا وبابها بالعتاب والخشف البال . إلا أنّ امرأ القيس^(١٥) أراد العقاب وأنا نقلته إلى البازى ، ولا مشاحة في ذلك . فتأمل ما أتيت به^(١٦) من هذه المعانى الشريفة زيادة على ما اقتضاه معنى البيت .

(١) في ت : « قوله رطبا » ؛ وفي ط : « قوله قلوب الطير رطبا » .

(٢) في الأصل : « فلابد » وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٣) في م : « ذكر » . (٤) في ع : « امرأ القيس » خطأ .

(٥) ما بين علامتى التفصيص سقط من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٦) في ع : « تغحر السوابق » تصحيفا .

(٧) في ط ، وم : « وترتمي » ؛ وفي ن : « ترقى » .

(٨) « جو » غير موجودة في ن .

(٩) في م : « نجلو » خطأ . (١٠) في ع : « القذ » تحريفا .

(١١) في م : « بشر » تحريفا . والمنسر : منقار الطائر . اللسان مادة (ن س ر) .

(١٢) في ت ، وم : « لقد » .

(١٣) في ط : « وما عدا » تصحيفا ؛ وفي ن : « وما عدا » .

(١٤) في ن : « حال شيء رطبا » عباره مضطربة .

(١٥) في ع : « امرأ القيس » خطأ .

(١٦) « به » غير موجودة في ع .

وهكذا^(١) فليكن نثراً ما جرى هذا المجرى من الأبيات الشعرية حتى تسلم لك
المبابي ، وتحسن لدبك المعانى ، ويترك لقولك قول فلان والقول الفلانى .
ومن هذا الأسلوب ما ذكرته فى نثر بيت من^(٢) شعر أبي تمام^(٣) يتضمن
وصف السحاب وهو

فَسَقَاهُ مِنْكَ الْطَّلْلُ كَافُورُ الصَّبَا^(٤)

وَانْحَلَّ فِيهِ خَيْطٌ كُلُّ سَمَاءٍ^(٥)

« قوله^(٦) : مسک الطلّ وكافور^(٧) الصبا لا يغير^(٨) لفظه وكذلك قوله :
وانحلّ فيه^(٩) خيط كلّ سماء . وقد ثرته فقلتْ وانحلّ^(١٠) بها^(١١) خيط
السماء حتى استوفى^(١٢) رأى بطنونها الظماء والميئه للريح التي حبتة بما حبّا ولم^(١٣)
يُكُنْ مِسْكُ الْطَّلْلُ مُعَنَّصِرًا^(١٤) إلَّا من كافور الصبا
فانظر أيها المتأمل كيف نثرت هذا البيت^(١٥) ولم أخلّ من لفظه بشيء لكن^(١٦)

(١) في م : « وهذا » تحريفا . (٢) « من » غير موجودة في ن .

(٣) في ن : « لأبي تمام » .

(٤) في الأصل : « كافور الندى » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٥) البيت من الكامل في ديوان أبي تمام ١/٢/٢٥ ص

(٦) في ن : « قوله » .

(٧) في ت ، وط : « مسک الطلّ كافور » .

(٨) في ن : « لا يتغير » .

(٩) مابين علامتي التنصيص سقط من ع .

(١٠) في م : « قلتْ في انحلّ بها » خطأ .

(١١) في ن : « وانحلّ فيها » .

(١٢) في ن : « استوى في » .

(١٣) في م : « ولمن » تحريفا .

(١٤) في ت ، وط ، وم ، ون : « مسک طله » ؛ وفي ع : « ولم يكن طله معتصرا » .

(١٥) في الأصل : « في هذا البيت » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(١٦) في ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « لكنى » .

أضفت إليه ما حَسْنَتُه وَرَبَّتُه ، ويُكْفِي من ذلك قَوْلِي : إِنَّ مَسْكَ الْطَّلْلُ مُعْتَصِرٌ^(١) من كافور الصَّبَا .

وكذلك نشرت بيتاً من شعر أبي عبادة البحترى في وصف الدروع إذا خالطتها^(٢)
أَسْنَةُ الرُّمَاجِ^(٣) وَهُوَ :

وَإِذَا^(٤) الْأَسْنَةُ خَالَطَتْهَا^(٥) خَلَتْهَا
فِيهَا خَيَالُ كَوَافِرِ^(٦) فِي مَاءِ^(٧)
وَقَدْ قَلَتْ^(٨) فِي نَثِيرِ مَا أَذْكُرُهُ ، وَهُوَ : وَلَقَدْ سَنُوا^(٩) دَرَوعَ الْحَدِيدِ عَلَى
مِثْلِهَا ؛ وَلَوْلَا اتَّقَاءُ الْبَغْيِ لَرَأَوْا حَمْلَ الْعَارِ فِي حَمْلِهَا ؛ فَإِذَا صَافَحَتْهَا أَسْنَةُ الْخَرْصَانِ
رَأَيْتَ أَشْخَاصَ الْكَوَافِرِ فِي عُذْرَانِ . وَهَذَا أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى ، فَإِذَا^(١٠) شَتَّتَ أَنْ
تَشَرَّ^(١١) شَعْرًا ؛ فَلَيْكُنْ هَكَذَا^(١٢) ، وَإِلَّا فَدَعَ^(١٣)

(١) في الأصل : « مُعْتَصِرٌ » خطأ ; وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٢) في ن : « خالطتها » .

(٣) في ت : « الرُّمَاجِ » تصحيفا .

(٤) في ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « فإذا » .

(٥) في م : « خالطتها » تصحيفا .

(٦) في م : « كَوَافِرِ » تصحيفا .

(٧) البيت من الكامل في ديوان البحترى ١ / ١١ / ق ١

وروايته فإذا

(٨) في ع : « وَقَلَتْ » .

(٩) في ن : « لَبْسَا » .

(١٠) في ن : « فَلَانْ » .

(١١) في ع : « تَفَشَّ » تصحيفا .

(١٢) في م : « هَذَا » تصحيفا .

(١٣) في ط كتب في أعلى الصفحة اليسرى جملة : بلغ مقابلة .

النوع السادس^(١) من الأبيات التي لا يجوز تغيير لفظها :

وهو كُلُّ بيت صيغ بالفظ بـأَلْغَى الغاية القصوى في ^(٢) البلاغة فإذا أُبْدِلَ ذلك ^(٣)
بغيره من الألفاظ أفسد ^(٤) ، لأنَّه لا يأتي إلا مُشَحَّطاً عنه ونازلاً دونه . وهذا
لاتكاد ^(٥) تراه في الشعر إلا قليلاً ؛ فإن ^(٦) الشاعر المُفْيق قلَّ ما يصح له ذلك ،
وربما كان في شطري بيت ولا يكون بيتاً كاملاً ، كقول أبي الطيب المتنبي :

أطاعن خيلاً من ^(٧) فوارسها الدَّهْرُ

وَجِيدًا وَمَا قَولَى ^(٨) كَلَّا وَمَعَ الصَّبَرِ ^(٩)

فإن صدر [هذا] ^(١٠) البيت فرد في البلاغة [و] ^(١١) إذا ثُبَرَ لا يمكن أن يؤتى
بِمَا هو أعلى منه ، وأماماً عَجَزَ البيت فإنه سخيف جداً .

وقد ثرث أبياتاً في هذا الموضوع الذي نحن بصدده ذكره . فمنها قول مسلم بن
الوليد :

دَاوَى فِلَسْطِينَ مِنْ أَذْوَانِهَا بَطْلُ
فِي صُورَةِ الْمَوْتِ إِلَّا أَنَّهُ رَجُلٌ
مِنْ بَعْدِ مَاهَظَمَتْ فِي الدِّينِ شَوَّكَتْهَا
وَاسْتَدَأْبَثَ شَائِهَا وَاسْتَأْسَدَ الْوَعْلُ ^(١٢)

(١) الأوراق والقرارات مضطربة في م .

(٢) في ط : « من » .

(٣) « ذلك » غير موجودة في م .

(٤) في ط : « فَسَدَ » .

(٥) في م : « لَا يَكَادُ » خطأ .

(٦) في م : « لأن » .

(٧) في م : « عن » خطأ .

(٨) في م : « وقول » خطأ .

(٩) البيت من الطويل في ديوان المتنبي ص ١٧٤ .

(١٠) الزيادة من ت ، وط ، وع ؛ وفي ن : « وإن ثُر فإنه لا يمكن » .

(١١) الزيادة من ت ، وط ، وم ، وع ؛ وفي ن : « وإن ثُر فإنه لا يمكن » .

(١٢) « الوعل » غير موجودة في م . والبيان من البسيط في شرح ديوان صربع الغوانى مسلم
ابن الوليد الأنصارى ؛ ص ٢٥٢ / ق ٤٠ ، عن بتحقيقه والتعليق عليه د. سامي الدهان ؛ دار
المعارف بمصر .

فقوله : استذابت^(١) شائتها من القول الفصل الذي يُقرّطسُ في البلاغة بإصابته ، وتأنس^(٢) به الأسماع على^(٣) غرابته . وقد نثرت ذلك في فصل من كتاب ، فقلت : وَرَدَ الْبَلَادَ وَقَدْ اسْتَذَابَتْ نِقَادُهَا^(٤) واستجلبتِ هادها ، ووردت وعولها بحيث تَرِدُّ أَسَادُهَا ؛ فَعِلْمَ أَنَّ ذَلِكَ جَهْلٌ^(٥) لَا يَرْتَعُ^(٦) مِنْهُ عَنْفُ الْمَلَامَةِ ، وَدَاءُ^(٧) لَا يَكْفِي فِي تَقْلِيلِ دِمَهُ الْفَصَدُ^(٨) وَالْحِجَامَةِ . بَلْ لَا يَدْرِي مِنْ وَضْعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ الْعَصَمِ وَمِنْ عَمَى الْضَّلَالِ^(٩) مَا لَا يَتَصَرَّ إِلَّا بِسْفَكِ^(١٠) الدَّمِ ، وَمِنْهُ مَا يَتَصَرَّ بِتَسْبِيحِ الْحَصَىِ .

فأثغم نظرك أيها الناظر في كتابي هذا^(١١) وتذبذب هذه الكلمات الواردة في ثر هذين البيتين ؛ فإن موضع البلاغة منها الذي^(١٢) قَصَرَتْ عَلَيْهِ نَظَرِي ؛ إنما هو قول الشاعر : « استذابت شائتها فغيَّرتْ لفظة الشاة بلفظة التَّقادِ ، وهي في معناها ؛

(١) في ط : « واستذابت » . (٢) في ت : « وتأنس » .

(٣) في م : « عن » .

(٤) التَّقاد بالتحريك جُنُسٌ من الغَنَمِ قصار الأَرْجَلِ قبَاحِ الْوُجُوهِ تكون بالبخرين ، انظر اللسان في مادة (ن ق د) .

(٥) في الأصل : « جهلاً » خطأ ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ؛ وفي ع : « حهل » تصحيفا .

(٦) في ن : « لا يرتع » تحريفا .

(٧) في م : « للفصد » خطأ .

(٨) في ت ، وط ، وم ، وع : « فيه » ؛ وفي « غير موجودة في ن ، يشير إلى قول المتنبي :

وَوَضْعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَاءِ
مُضِرٌّ كَوْضِعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى

ديوان أبي الطيب / ٣٦١ .

(٩) في م : « الخديعة » .

(١٠) الأوراق والفقرات مضطربة في م ؛ وفي ع : « بسيفك » تحريفا .

(١١) « هذا » غير موجودة في ن .

(١٢) في م : « منها للذى » خطأ .

ثُمَّ قَلْتُ : وَاسْتَجَبْلَتْ وَهَادِهَا وَهُوَ فِي الْحُسْنِ وَالْغَرَابَةِ كَقُولِ الشَّاعِرِ «^(١) بِلْ أَحْسَنْ وَأَجْمَلْ .

وَمِنْ شَرْطِ^(٢) هَذِهِ الصِّنَاعَةِ^(٣) أَنْ يُواخِي النَّاثِرُ بَيْنَ الْفَاظِ الشَّاعِرِ وَالْفَاظِ^(٤) وَقَدْ تَقْدَمَ الْقَوْلُ عَلَى ذَلِكَ . وَأَمَّا ذَكْرُ تَسْبِيحِ الْحَضْرَى هَهُنَا [فَإِنَّهُ مَعْنَى لَطِيفٍ]^(٥) يَحْتَاجُ الْوَاقِفَ عَلَيْهِ^(٦) إِلَى تَأْمُلٍ .
وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ الْبَحْتَرِي :

وَلَيْلَةَ هَوَّمْنَا عَلَى الْعَيْسِ أَرْسَلْتَ

بِطَيْفِ خَيَالِ يَشْبِهُ الْحَقَّ بَاطِلَةَ^(٧)

«فَعَجَزَ هَذَا الْبَيْتِ لَا يَخْسُنُ^(٨) تَغْيِيرُ لَفْظِهِ وَهُوَ قَوْلُهُ : يَشْبِهُ الْحَقَّ بَاطِلَةَ»^(٩)؛
فَإِنَّهُ قَدْ حَوَى طَرَقَيِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ^(١٠) لِفَظًا وَمَعْنَى . وَقَدْ نَثَرَتْهُ فَقَلْتُ فِي نَثَرِهِ :
وَكُنْ لَطِيفُ الْخَيَالِ مِنْ يَدِ يَذْلِلُهَا وَصَاحِبِهِ^(١١) يَمْنَعُهَا ، وَلَطَالِمَا سَمَحَ^(١٢) بِرَؤْيَةِ
عَيْنِ لَا يَرَاهَا وَتَجْوَى حَدِيثَ لَا يَسْمَعُهَا فِي الْأَيَّالِ مِنْ بَاطِلٍ أَشْبَهَ فِي مَزَارِهِ حَقًّا ،
وَأَوْعَمَ الْقَلْبَ أَنَّهُ دَاؤَهُ وَمَا دَاؤَى وَالْغَلِيلَ أَنَّهُ أَنْقَاهُ وَمَا أَنْقَى .

(١) مَا بَيْنَ عَلَامَتِي التَّنْصِيصِ سَقطَ مِنْ نِ .

(٢) فِي عِ : « وَشَرْطٌ » .

(٣) « الصِّنَاعَةُ » غَيْرُ مُوجَودَةِ فِي تِ .

(٤) فِي عِ : « وَمِنْ أَلْفَاظَهُ » تَصْحِيفًا .

(٥) الْزِيَادَةُ مِنْ تِ ، وَطِ ، وَمِ ، وَنِ ، وَعِ .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « الْوَاقِفُ عَلَيْهِ هَهُنَا » .

(٧) الْبَيْتُ مِنْ الطَّرْوِيلِ فِي دِيْوَانِ الْبَحْتَرِيِ ٣ / ١٦٠٧ / ق ٦٣٢

(٨) فِي نِ : « لَا يَمْكُنْ » .

(٩) مَا بَيْنَ عَلَامَتِي التَّنْصِيصِ سَقطَ مِنْ مِ .

(١٠) « وَالْبَلَاغَةُ » غَيْرُ مُوجَودَةِ فِي مِ .

(١١) فِي طِ : « وَصَاحِبِهَا » خَطَا .

(١٢) فِي مِ : « سَمَحْتَ » خَطَا .

« وهذا ^(١) من الحُسْنِ على ما لا خفاءٍ به . وليس في هذه الأنواع العشرة الواردة في كتابي هذا أغلى مَحَلًا من هذا ^(٢) النوع ولا أوعُرُ مسلكًا ؛ وذاك لأنَّ الناشر يتعرَّضُ [فيه] ^(٣) لمماثلة الفاظ ظَفَرَ بها الناظم المُقلِّق في لُمَعٍ من شعره لمكان فصاحتها وبلغتها . وقد وَجَدْتُ ذلك في شعر البُخْتَرِي أكثرَ من غيره . فمَن ذلك قوله ^(٤) :

قَلْبٌ يُبَطِّلُ عَلَى أَفْكَارِهِ وَيَدُ
ثُمَضِيَ الْأَمْوَارَ وَنَفْسٌ ^(٥) لَهُوَا التَّقْبُ ^(٦).

فقوله : قلبٌ يُبَطِّلُ على أفكاره من الكلام الفصل ^(٧) الذي يَمْرُّ عليه الناسُ ولا يعطونه حَقَّهُ من التَّأْمِيلِ . ومُراده بذلك أنَّ الأفكارَ لا تستغرق قلبَه ولا تملأ جوانبه ، أى أنَّ قلبه واسعٌ لا تبلغُ الأفكارُ مَدَى أقطارِهِ . إِلَّا أَنَّهُ عَبَرَ عن ^(٨) ذلك بقوله : يُبَطِّلُ على أفكارِهِ ، وهذا تعبيرٌ يَعِزُّ على غيرِهِ أَنْ يأتِيَ بِهِ . وقد نَثَرَتْ ^(٩) هذا البيتَ فقلتُ : قليلُ الاحتفال ^(١٠) بالخطوبِ المُخْتَلِفةِ ^(١١) ، وإذا انتقلتْ ^(١٢)

(١) مداية خرم وقع في م ، ونبدأ من قوله : « وهذا من الحسن ويتهى بنهایة النوع السادس في الصفحة القادمة ؛ وقد كتب الناشر في م : « النوع السادس النوع السابع » واضطربت الأوراق والفترات في هذا الموضوع .

(٢) في ع : « هذه » خطأ .

(٣) كتب بخط مغایر في الأصل : « هو » وبها لا يستقيم المعنى ؛ وما أثبته من ت ، وط ،
وع .

(٤) قوله « غير موجودة في ط . (٥) » ونفس « غير موجودة في ع .

(٦) البيت من البسيط في ديوان البختري ١/١٧٢ ق ٥٧ .

(٧) في ط : « الفضل » تصحيفا . (٨) « عن » غير موجودة في ع .

(٩) في ع : « تشرت » . (١٠) في ع : « الاحفال » تحريفا .

(١١) في ع : « المختلفة » تحريفا .

(١٢) في ع : « تقللت » .

بِهِ (١) أحوالُ الزمانِ كانتَ حالهُ غيرَ متنقّلة ؛ فقلبهُ يُطَلِّ علىَ أفكارِهِ ، ويرىُ الأمْرَ (٢)
الخفي من خلفِ أستارِهِ ، ولا تبلغُ (٣) الأنجادِ والأغوارِ مدَى أنجادِهِ وأغوارِهِ .
وهوَ (٤) اليقظُ الذي ينهجُ النجمَ وهوَ لا ينهجُ (٥) ، والماضيُ الذي يجنحُ السيفُ
وهوَ (٦) لا يجنحُ ، والمعافيُ (٧) المضروبُ لِمَمْلُوكٍ بِأَنَّهُ لا يخدعُ (٨)
فانظرُ كيَفَ أخذَتُ تلكَ الكلماتِ الأربعَ المُشارِ إليها وواخْتَيَّتها بما يلائمُها ومنَ
لم يُسْطِعْ (٩) المواخَّةَ فلا يغْرِضُ إلى ما يجريُ هذا المجرَى (١٠) .

النَّفْعُ السَّابِعُ مِنَ الْأَبْيَاتِ الَّتِي لَا يَجُوزُ تَعْبِيرُ لَفْظَهَا

وهوَ كُلُّ بيتٍ استُغْمِلَ فيهِ التَّجَنِّيسُ (١١) ، وهوَ الْأَفْاظُ الْمُشَتَّكَةُ الَّتِي
يَكُونُ (١٢) لَفْظَهَا واحِدًا وَمَعْنَاهَا مُخْتَلِفًا . فِيهِنَّ ذَلِكَ مَا ذَكَرْتُهُ فِي السَّيَادَةِ وَهُوَ :
رَيْعَانُ الشَّبَابِ (١٣) يُشَتَّرُكُ فِي نَهْضَةِ (١٤) الْأَجْسَامِ وَالْهَمَمِ (١٥) ، ولهذا كانَ شبابُ

(١) في ع : « أمر » .

(٢) في ط : « غير موجودة في ط .

(٣) في ت : « ولا يبلغ » .

(٤) في ت : « فهو » .

(٥) في ع : « ولا ينهج » بدون « هو » .

(٦) في ع : « ولهم » خطأ .

(٧) في ع : « والمعاني » تحريفاً .

(٨) في ع : « بأنه يخدع » تحريفاً .

(٩) في ت ، وع : « لم يستطع » ؛ وفي ط : « لم يستطيع » خطأ .

(١٠) نهايةُ الخرم في م ، ون . الذي بدأ من أول الصفحة السابقة .

(١١) في ع : « التَّجَنِّسُ » خطأ .

(١٢) في م ، وع : « تكون » خطأ .

(١٣) في ت ، وم ، ون ، وع : « ريعان العمر » ؛ وفي ط : « ريعان الشباب العمر » .

(١٤) في ن : « نحيف » .

(١٥) في م : « أو الهمم » .

العلا في الشباب وهرمها في الهرم . وما أقول إلا أن^(١) بين سواد الشعر والسواد
غيرأسا كما أن بيتهما في الاسمية جناسا ؛ وما تشابهها في اللفظ إلا لتشابههما^(٢) في
المعنى ، وكلاهما ذو رونق في حسنه فإذا اجتمعوا زادا حسنا .
وبعض هذا اللفظ^(٣) مأخوذ من شعر أبي عبادة البحترى :

بلغ السيادة في افتتاح شبابه
إن السواد^(٤) مطئة للسواد^(٥)

فقوله : السواد والسواد من التجنيس ، وقد ذكرتهما ولم أغير شيئا من اللفظ .
بل زدت فيه زيادة حسنة يعلمها المتأمل له .

ومن هذا النوع ما ذكرته في وصف رجال الحرب ، وهو فصل^(٦) من كتاب
فقلت من كل بطل يزخم^(٧) غرب^(٨) الأحوال بغاربه ، ويلقى وجهها
الكريهة^(٩) لقاء جائه ، وطالما كافحها حتى نقضت وقائعها غازيا على ذواهيه ؛
 فهو يقدم فيها إقدام من ليس^(١٠) له أجل ، ولا يرى للخد الأسليل حسنا إلا بخذل من
الأسل .

(١) « أن » غير موجودة في م .

(٢) في ع : « تشابههما » خطأ . والغراس بالكسر فسيل النخل وهو أيضا وقت الغرس .
اللسان في (غ رس) .

(٣) في م : « هذا الشعر » . (٨) في ت : « إن الشباب » .

(٤) البيت من الكامل في ديوان البحترى ٢٧٣ / ٦٩٠ ق ; وروايته

في بدءه مطئة

(٥) في م : « وهو وصف » .

(٦) في الأصل ، وط : « يرحم » تصحيفا ؛ وما أثبته من ت ، وم ، ون ، وع .

(٧) في ط : « غروب » تحريفا . وغرب كل شيء حده و الغارب ما بين النهار إلى العنق .
اللسان في (غ رب) .

(٩) « ليس » غير موجودة في م . (٨) في ن : « وجهها الكريهة » .

ويعضُّ هذا اللفظ مأخوذه^(١) من شعر أبي تمام :

ما زال للصاري المغلى عقيرته

غوث من الغوث تخت العادث الجل^(٢)
يُكُلُّ أَبْيَضَ يَجْلُو مِنْهُ سَائِلَةً
خَدًا أَسِيلًا بِهِ خَدًا مِنَ الْأَسِيلِ^(٣)

« قوله : الخُدُّ الأَسِيلُ وَخَدُّ^(٤) من الأَسِيلِ لَا بُدُّ مِن ذِكْرِهِمَا كَمَا ذُكِرُوا فِي
الشِّعْرِ^(٥) لِمَكَانِ التَّجْنِيسِ فِيهِمَا .

التَّوْعُ الثَّامِنُ مِنَ الْأَبْيَاتِ الَّتِي لَا يَجُوزُ تَغْيِيرُ لَفْظِهَا

وهو كُلُّ بَيْتٍ اسْتَعْمَلْتُ فِيهِ الْأَفَاظَ^(٦) الْمُطَابِقَةُ كَالْلَفْظِ الدَّالُّ عَلَى « المعنى
وَاللَّفْظِ الدَّالُّ عَلَى »^(٧) ضَدِّهِ ، مِثْلَ^(٨) السَّوَادِ وَالْبَيْاضِ وَالضَّحْكِ وَالبَكَاءِ
وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهُ .

فِينَ ذَلِكَ مَا ذُكْرَهُ فِي الشَّغْرِ^(٩) ، وَهُوَ : تِمَاثِلُ عَقُودِ فِرَائِدِهَا وَثَغُرُهَا ، فَلَا

(١) « مأخوذه » غير موجودة في ت.

(٢) في م : « الجدل » تحريفاً .

(٣) البيت من البسيط في ديوان أبي تمام ٩٧/٣ ق ١٢٧ ؛ ورواية البيت الثاني :

من كل

(٤) « وَخَدُّ » غير موجودة م ؛ وفي ن : « قوله خدا أَسِيلًا وَخَدُّ » .

(٥) مأين علامتي التنصيص سقط من ع .

(٦) في م : « الألفاظ ». و يقابل هذه الفقرة في هامش صفحة الأصل : بلغ ابن الدحبي معارضه بأصله المنقول منه المقرؤه على مصنفه .

(٧) مأين علامتي التنصيص سقط من ن .

(٨) « مِثْلَ » غير موجودة في ن .

(٩) في م : « السغر » تحريفاً ؛ وفي ن : « التغور » .

يُذَرِّى أَنْظَمَتْ حِلْيَةً تَخْرِهَا فِي مَبْسِمَهَا أَمْ حِلْيَةً مَبْسِمَهَا فِي تَخْرِهَا ؟ فَلَوْ انتَرَثْتَ تَلْكَ الْفَرَائِدُ فِي الْلَّيلِ الْبَهِيمِ لِالْتَّقِطُتْ حَبَّاتُ الْعَقِدِ الشَّبِيرِ فِي ضَوْءِ الْعَقِدِ النَّظِيمِ .
وَيَعْصُ هَذَا الْلَّفْظُ مَا خُوذَ مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ الْمَعْرُوفِ بِالْعَرْيِ (١) :

[حَتَّى إِذَا طَاحَ عَنْهَا الْبَرْزُطُ مِنْ دَفْشِ
وَانْحَلَّ بِالضَّمْ سِلْكُ الْعَقِدِ فِي الظُّلْمِ] (٢)
بَسَّمَتْ فَأَضَاءَ اللَّيلَ (٣) فَالْتَّقِطُتْ

حَبَّاتُ مُنْتَشِيرٍ فِي ضَوْءِ مُنْتَظِمٍ

فَالْمُقَابِلَةُ هَهُنَا بَيْنَ الْمُتَشَرِّ وَالْمُمْتَنَمِ لَا بُدُّ مِنْهَا لِأَنَّهُ مِنْ الصَّنَاعَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ (٤) فِي ذَكْرِ الشَّيْءِ وَضَدِّهِ . « وَالَّذِي أَتَيْتُ بِهِ فِي تَشِيرِ هَذِينَ الْبَيْتَيْنِ هُوَ زِيَادَةٌ عَلَى مَا تَضَمَّنَاهُ وَكَانَهُ شَرْخٌ لَهُمَا » (٥)

وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرْتُهُ فِي تَذْكِيَّ الشَّابِ - وَهُوَ فَصْلٌ مِنْ كِتَابٍ - فَقُلْتُ : جِدَّتِهِ (٦) أَخْلَقَتْ ، وَثَرَوْتُهُ أَمْلَقَتْ ، وَصَفَوْتُهُ تَكَدَّرَتْ ، وَبِشَاشَتُهُ تَنَكَّرَتْ ، وَأَحْوَالُهُ التَّيْ
قَيلَ (٧) إِنَّهَا لَا تَتَغَيِّرُ تَغَيِّرَتْ . فِي عِجَابِهِ (٨) إِقْبَالِهِ وَإِعْرَاضِهِ . وَلَقَدْ كَانَتْ أَيَامُهُ

(١) الْعَرْيُ هُوَ : إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَثْمَانَ الْأَشْهَبِيُّ الغَزِيُّ ؛ أَبُو إِسْحَاقِ الْكَلْبِيِّ وَلِدَ ٤٤١ هـ بِغَزَّةَ ؛
وَتَوَفَّى ٥٢٤ هـ . انْظُرْ تَرْجِمَتَهُ وَالْبَيْتَيْنِ ، وَهُمَا مِنْ الْبَسِيطِ فِي : أَبْجَدِ الْعِلُومِ ٣/٨٦ ، ٨٧ . سِيرَةٌ
أَعْلَامِ الْبَلَاءِ ١٩/٥٥٤ ، ٥٥٥ . الْبَدَائِيَّةُ وَالنَّهَايَةُ ١٢/٢٠١ . وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ١/٥٧ وَمَا بَعْدُهَا .
تَارِيخُ دِمْشِقَ الْكَبِيرِ لَابْنِ عَسَكِرٍ ٧/٥١ وَمَا بَعْدُهَا .

(٢) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَيْنِ غَيْرُ مُوجُودٍ بِالْأَصْلِ ؛ وَأَثْبَتَهُ لِارْتِبَاطِهِ الْوَثِيقِ بِالْبَيْتِ الَّذِي يَلِيهِ مِنْ تِـ ،
وَطِـ ، وَمِـ ، وَنِـ ، وَعِـ . وَيَعْدِهِمَا كِتَابُ نَاسِخٍ نِـ : « وَنَسَبَ بَعْضَهُمْ هَذِينَ الْبَيْتَيْنِ إِلَى الشَّرِيفِ
الرَّضِيِّ أ.هـ » فِي الْمَتنِ .

(٣) فِي مِـ : « فَأَضَاءَ الْجَوِّ » . (٤) فِي مِـ : « الْمَعْنَوِيُّ » خَطَا .

(٥) مَا بَيْنَ عَلَامَتِي التَّنْصِيصِ سَقطَ مِنْ مِـ ، وَنِـ .

(٦) « جِدَّتِهِ » غَيْرُ مَقْرُورٍ ةَ فِي مِـ .

(٧) فِي مِـ ، وَنِـ : « قَيلَ فِيهَا إِنَّهَا » .

(٨) فِي مِـ : « مِنْ » .

ييضاً بسوادِ الشعير فأصبحت سوداً ببياضه؛ ولطالما غداً^(١) صاحبه وقد صادث نبله، وفازت خصله^(٢)، وأطاعه الحسن وأهله. وشىء من هذا اللفظ مأخوذ من شعر أبي عبادة البحترى :

إِنَّ أَيَّامَةَ مِنَ الْبَيْضِ يُبَيِّضُ مَا رَأَيْنَ^(٣) الْمَفَارِقَ السُّوَادَ سُوَادَ^(٤)
فَذَكْرُ السُّوَادِ وَالْبَيْضِ لَا بُدُّ مِنْ لِمَكَانِ الْمَطَابِقَةِ بَيْنَهُمَا . والذى ذكرته من المعنى هو غير^(٥) ما ذهب إليه البحترى لكن اللفظ من^(٦) اللفظ .

النوع التاسع من الآيات التي لا يجحور تغيير لفظها

وهو كلُّ بيت ينحصر^(٧) معناه في مقصيد من المقاصيد كقول أبي الطيب المتنبى :

فَتَبِّعَا لِدِينِ عَبْدِ النَّجْمُومِ
وَمَنْ يَدْعُى^(٨) أَنَّهَا تَنْقِيلٌ
وَقَدْ عَرَفْتَكَ فَمَا بَالَّهَا
تَرَاكَ^(٩) تَرَاهَا وَلَا تَنْزِلُ^(١٠)

(١) في بـ : « عدا » .

(٢) في مـ ، وعـ : « حصله » تصحيفاً؛ وفي نـ : « نصله » . وفازت خصله : غالب على الرهان اللسان في (خـ صـ لـ) .

(٣) في عـ : « ما رأينا » خطأ .

(٤) البيت من الخفيف في ديوان البحترى ١ / ٥٩٠ / قـ ٢٤٧ .

(٥) في عـ : « هو وغيره » خطأ .

(٦) « من » غير موجودة في مـ .

(٧) في عـ : « ينحصره » خطأ .

(٨) في مـ : « يدغى » تصحيفاً؛ وفي عـ : « وما يدعى » .

(٩) في عـ : « ترال » تحريفاً .

(١٠) في الأصل : « تراها تراك ولا تنزل » ؛ وفي طـ : « تراك تراها فلا تنزل » ، وما أثبته من تـ ، ومـ ، ونـ ، وعـ .

وَلَوْ بِثِمَا عِنْدَ قَذَرِنُكُمَا
لَبِتْ وَأَغْلَاكُمَا الْأَسْفَلْ^(١)

فقوله : عيده النجوم وأنها تعقل . وقوله : الأعلى والأسفل ؛ فإن هذه الألفاظ لا بد من إيرادها كما ذكرت ؛ إذ لو غيرنا لفظة ^(٢) التنجوم بلفظة الكواكب التي هي في معناها لما حسّن ذلك ؛ إذ الاشتهر إنما هو للنجوم وعلم النجوم ومن يقول إنها تعقل أو لا تعقل ، وكذلك ^(٣) الأعلى والأسفل ؛ فإن هاتين اللفظتين ^(٤) لا يتناقض عنهما بما هو مثلهما .

وقد حللت هذه الآيات الثلاثة في فصل من كتاب إلى ديوان الخلافة ، وهو : إذا نظر الخادم إلى حسيبه المفتني ^(٥) من خدمة الديوان العزيز لم يختج إلى أولية مجده قديم ، ولا إلى فضيلة سعي كريم ؛ فالحظوظ مقتسمة ^(٦) في تلك الأبواب بلش التراب ^(٧) . ولو عقلت النجوم ^(٨) كما يزعم قوم لنزلت ^(٩) إليها خاضعة الرقاب ، وقامت لتعظيم خدمتها ^(١٠) قيام ^(١١) العبيد لخدمة ^(١٢) الأربع ، وقالت لها ^(١٣) : أنت أولى بمكان السماء الذي منه مطلع الأنوار وتشع ^(١٤) السحاب ولو شئت أن أنقل هذا المعنى عن ^(١٥) هذا الوجه إلى وجه آخر لنقلته ولكن هذا

(١) الآيات من المقارب في ديوان المتنبي ص ٢٩٨ .

(٢) في ت : « لفظ » .

(٣) في ت : « تعقل وكذلك » ؛ وفي ع : « تعقل ولا تعقل » .

(٤) في ن : « فإن هذين اللفظين » . (٥) في م : « المفتني » تصحيفا .

(٦) في ت : « فالحظوظ » تصحيفا ، وفي م : « فالحظوظ مقسمة » .

(٧) في ط : « الثراب » تصحيفا . (٨) في ع : « كالنجوم » .

(٩) في ط : « لنزلت » تحريفا .

(١٠) في ت : « حرمتها » ؛ وفي ع : « حدمتها » .

(١١) في ت : « مقام » . (١٢) في ع : « بخدمة » .

(١٣) « لها » غير موجودة في م . (١٤) في م : « ونشر » .

(١٥) في ع : « من » .

القدر كافٍ في هذا الموضوع ، لأنَّه كتابٌ تعليمٌ وتمثيلٌ^(١) ، لا كتابٌ تكبيرٌ^(٢) وتطويلٌ .

النَّوْعُ الْعَاشِرُ مِنَ الْأَبْيَاتِ الَّتِي لَا يَجُوزُ تَغْيِيرُ لَفْظَهَا :

وهو كُلُّ بيتٍ^(٣) [تَضَمِّنَ الْفَاظًا فَرَائِدًا فِي مَحْلِهَا ، لَا يَسْدُغُهَا مَسْدَهَا بِحِيثِ إِذَا بُدُّلَتْ بِمَا يَرَادُهَا تَدَاعَى بَنَاءُ الْبَيْتِ ، وَانْهَدَمَ مَعْنَاهُ ؛ فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ امْرَىءِ الْقِيسِ :

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالْطَّينِرُ فِي وُكُنَّاتِهَا
بِمُنْجَرِدِ قَبِيدٍ^(٤) الْأَوَابِدِ هَيْكَلٍ^(٥)

فَإِنَّ الْفَاظَةَ مِنْ وُكُنَّاتٍ وَمُنْجَرِدٍ وَأَوَابِدٍ وَهَيْكَلٍ فَرَائِدٌ فِي مَكَانِهَا لَا يُسْوَغُ تَبْدِيلُهَا بِغَيْرِهَا ، بَلْ إِذَا أَرِيدَ حَلُّهُ ، وَجَبَ أَنْ يُحَافظَ عَلَى تَلْكَ الْفَرَائِدِ . وَقَدْ حَلَّتْهُ ؛ فَقُلْتُ فِي وَضْفِ فَرَسِ أَذْهَمْ : وَطَالَمَا امْتَطَبْتُ صَهْوَةً مُطْهَمَ نَهَدْ ، فَغَنِيْتُ عَنْ نَشْوَةِ الْكُمَبَّتِ مِنْ ذَاتِ نَهَدْ . يُسَابِقُ الرِّيحَ فَيَغْبَرُ فِي وَجْهِهَا دُونَ شَقْ غَبَارِهِ ، وَإِذَا ظَهَرَ عَلَيْهَا رَجَعَتْ حَسَرَى فِي مَضْمَارِهِ . تُسَبِّبُ إِلَى الْأَعْوَجِ وَهُوَ مُسْتَقِيمٌ فِي الْكَرْ وَالْفَرْ ، وَقَدْ خَنِقَتْ عَلَيْهِ عَيْنُ الشَّمْسِ إِذَا لَا يَمْكُثُهَا أَنْ تَرْسُمَ ظَلَّهُ عَلَى الْأَرْضِ إِذَا مَرَ ، لَيْلَى

(١) « وَتَمَثِيلٌ » غَيْرُ مُوجَودَةِ فِي تِ .

(٢) فِي مِ : « تَكْبِيرٌ » .

(٣) كَتَبَ فِي هَامِشِ الْأَصْلِ : « كَذَا وَقَعَ هَذَا الْبَيْاضُ » ؛ وَفِي تِ : « كَذَا وَجَدَ فِي هَذَا الْبَيْاضُ » ؛ وَفِي طِ : « لَمْ يَشْرِ النَّاسَخَ إِلَى شَيْءٍ » وَكَتَبَ : « وَهُوَ كُلُّ بَيْتٍ (بَيْاضٌ) وَحِيثُ انتَهَى الْقُولُ إِلَى هَهْنَا » ؛ وَفِي مِ خَرَمْ بَدَأَ مِنْ « تَكْبِيرٍ وَتَطْوِيلٍ » ، وَيَتَهَى فِي الصَّفَحَةِ الْمُقْبِلَةِ بِ « وَحِيثُ انتَهَى بَنَا الْقُولُ » ، وَلَمْ يَشْرِ النَّاسَخَ إِلَى بَيْاضٌ فِي الْأَصْلِ الَّذِي نَسَخَ عَنْهُ ؛ وَفِي عِنْ تَرْكِ الْبَيْاضِ دُونَ إِشَارَةِ بَيْنِ قُولِهِ : « وَهُوَ كُلُّ بَيْتٍ » وَقُولِهِ : « الشِّعْرُ بِلَفْظِهِ » .

(٤) فِي نِ : « قَبِيدٌ » تَصْحِيفًا .

(٥) الْبَيْتُ مِنَ الطَّوْبَلِ فِي دِيوَانِ امْرَىءِ الْقِيسِ صِ ١٩ / قِ ١ .

الإهاب لَطَمْ جَيْنَهُ الصَّبَاحُ بِهَايَهُ ، فَعَدَا عَلَيْهِ وَخَاصَّ يَقْتَصُّ مِنْهُ فِي أَحْشَائِهِ . وَقَدْ أَغْتَدَى عَلَيْهِ وَالظِّيرُ فِي وُكُنَّاتِهَا فَلَا يَفْوَتُنِي الْأَجْدَلُ ، وَإِذَا أَطْلَقَهُ لِصِيدِ وَحْشِ رَأْيَشِي
عَلَى مُنْجَرِدِ قِيدِ الْأَوَابِدِ هِيَكَلُ . وَفِيهِ زِيَادَةٌ عَلَى بَيْتِ امْرَأِ الْقَيْسِ حَلُّ بَيْتِ ابْنِ نَبَاتَةِ
السَّعْدِيِّ فِي وَصْفِ فَرَسِ مُحَجَّلٍ لَهُ غَرَّةٌ بِيَضَاءٍ وَهُوَ قَوْلُهُ :

وَكَانَمَا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَيْنَهُ

فَاقْتَصَّ مِنْهُ فَخَاصَّ فِي أَحْشَائِهِ (١)

وَحِيثُ انتَهَى بِنَا القَوْلُ إِلَى هَهُنَا ، وَنَبْهَنَا عَلَى هَذِهِ الْأَسْرَارِ الَّتِي خَفَيَتْ عَلَى .
كَثِيرٌ مِنْ أَرْبَابِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فَلَتَشْبِعَ ذَلِكَ بِتَمْثِيلِ أَمْثَلَةِ [٢) فِي حَلِّ الشِّعْرِ بِلِفْظِهِ .
فِيمَ ذَلِكَ (٣) مَا ذَكَرْتُهُ فِي وَصْفِ الْحَيَاءِ ، وَهُوَ : الْحَيَاءُ لِبَاسُ يَقْنِي وَجْهَ (٤)
الْكَرِيمِ بِوَقَائِهِ ، وَهُوَ لَهُ كَالْلَحَاءُ الَّذِي يَتَّقَى الْعُودُ بِيَقَائِهِ .
وَهَذَا مَأْخُوذٌ مِنْ أَبْيَاتِ الْحَمَاسَةِ :

يَعِيشُ الْمَزَءُ مَا اسْتَخْيَا بِخَيْرٍ

وَيَتَّقَى الْعُودُ مَا يَقْنِي الْلَّحَاءَ (٥)

وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرْتُهُ فِي (٦) اِنْتِقَالِ الدَّهْرِ مِنْ خَالٍ إِلَى حَالٍ ، وَهُوَ : لَوْ أَرَدْتَ
دَوَامَ الدَّهْرِ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ لَمَّا دَمَ ، وَالْبَأْسَاءُ وَالضُّرَاءُ فِيهِ (٧) خِيَالَاتُ (٨) أَحْلَامُ ؛

(١) ابن نباتة السعدي أبو نصر عبد العزيز بن عمر ، وهو غير ابن نباتة الفارقي الخطيب الذي سبقت ترجمته ، ولد سنة ٣٢٧ هـ ، وتوفي ثالث شوال ٤٠٥ هـ ببغداد . ترجمته وبيت الشعر من الكامل في شذرات الذهب ٢/١٧٥ ، ووفيات الأعيان ٣/١٩٣ وما بعدها ، وأعلام النبلاء ١٧/٢٣٤ و ٢٣٥ ، وذيل مولد العلماء ١/١٣٤ .

(٢) الزيادة من بداية الصفحة السابقة حتى هنا انفردت بها ن .

(٣) في ن : « (فِيمَ ذَلِكَ) بَيْنَ قَوْسَيْنِ هَكُذَا .

(٤) في ت : « يَتَّقَى وَجْهَ » ؛ وفي م : « يَقْنِي » ؛ وفي ع : « يَتَّقَنَّ » .

(٥) البيت من الوافر في الحماسة ١/٢٩٧/١ رقم ٣٣٩ . وديوان أبي تمام ٤/٢٩٧/٤ ق ٣٤٢ .

(٦) في م : « مِنْ » .

(٧) في ع : « فِيهِ » تصحيفاً .

(٨) في م : « خِيَالَاتُ » تصحيفاً ؛ وفي ع : « خِيَالَاتُ خِيَالَاتُ » وسقطت « أَحْلَامُ » .

فَمَا يَبْغِي لَكَ^(١) أَنْ تُولِيهِ حَمْدًا وَلَا ذَمَّا ؛ فَإِنَّكَ تَتَّهَمُ لَهُ يَدًا وَلَا يَدًا^(٢) وَتَشْكُو مِنْهُ
ظُلْمًا وَلَا ظُلْمًا ؛ وَهذا مَا خُودُ^(٣) مِنْ شِعْرِ التَّهَامِي^(٤) :

لَا تَخْمَدِ الدَّفَرَ فِي بَأْسَاءِ يَكْشِفُهَا

فَلَوْ أَرَدْتَ دَوَامَ الْبُؤْسِ^(٥) لَمْ يَدْمِ^(٦)

وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرْتُهُ فِي فَصْلٍ مِنْ كِتَابٍ يَضْمَنُّ تَعْزِيَةً ، وَهُوَ : وَلَأَنْ صَبَرْتُ
فَلَأَنْ^(٧) الْجَزَعَ لَا يَقِيدُ رَدَّ الْفَائِتِ ، وَلَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ لِلْمُصَابِ أَجْرًا وَلَكِنْ^(٨)
لَا يَقِنُ^(٩) بِشَمَائِتِ الشَّامِتِ^(١٠) .

وَهذا مَا خُودُ مِنْ قِولِ أَبِي تَمَّامٍ :

أَجْرٌ وَلَكِنْ قَدْ نَظَرْتَ فَلَمْ أَجِدْ

أَجْرًا يَفْيِي بِشَمَائِتِ الْأَعْدَاءِ^(١١)

(١) لَكَ » غَيْر مُوجَودَةٍ فِي تِ . وَفِي عِ : « فَمَا يَبْغِي » .

(٢) فِي نِ : « وَلَا يَدٌ » .

(٣) فِي مِ : « مَا خُودُ » تَصْحِيفًا .
(٤) التَّهَامِي : أَبُو الْحَسْنِ عَلَى بْنُ مُحَمَّدٍ التَّهَامِيُّ الشَّاعِرُ الْمُشْهُورُ ؛ قُتِلَ فِي سُجْنِ الْقَاهِرَةِ
الْمُحْرُوسَةِ سَرَا فِي تَاسِعِ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ ٤١٦ هـ . وَفِيَاتُ الْأَعْيَانِ ٣٧٨/٣ وَمَا بَعْدُهَا ،
وَالنُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٢٦٣/٤ .

(٥) فِي الأَصْلِ بِخَطَّ مُخْلَفٍ : « الشَّيْءُ » ؛ وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ طِ . وَمِ ، وَنِ ، وَعِ ؛ وَفِي تِ :
فَلَوْ طَلَبْتَ دَوَامَ الْبُؤْسِ لَمْ يَدْمِ » .

(٦) الْبَيْتُ مِنَ الْبَسِطِ فِي دِيْوَانِ التَّهَامِيِّ صِ ٣٣٧ مِنْ قُصْبِيَّةٍ يَمْدُحُ بِهَا الْأَمِيرَ نَصْرَ الدُّولَةِ بْنِ
مَرْوَانَ بِمِيافَارِقِينَ ، شَرْحٌ وَتَحْقِيقٌ دِ . عَلَى تَجْيِيبِ عَطْوَى ، دَارُ وِمَكْتَبَةِ الْهَلَالِ ، بَيْرُوتَ - لَبَّانَ
١٩٨٦ مِ ، وَفِي النُّجُومِ الزَّاهِرَةِ ٣٤٥/٧ ، وَرَوَايَتُهُ :

لَاتْسَلُ الدَّهْرَ فِي الْبَأْسَاءِ يَكْشِفُهَا فَلَوْ سَأَلْتَ

(٧) فِي تِ : « قَانٌ » .

(٨) فِي تِ ، وَطِ ، وَمِ ، وَنِ ، وَعِ : « وَلَكَهُ » .

(٩) فِي عِ : « لَا يَقِنُ » تَحْرِيفًا .

(١٠) فِي مِ : « بِشَمَائِتِ الْأَعْدَاءِ وَلِلشَّامِتِ » .

(١١) الْبَيْتُ مِنَ الْكَاملِ فِي دِيْوَانِ أَبِي تَمَّامٍ ١/١٧ قِ ١ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرْتُهُ^(١) فِي وَصْفِ الْحَرْبِ ، وَهُوَ فَصْلٌ مِنْ كِتَابٍ : مَرَزَنَا عَلَيْهِمْ
مُرَوِّزٌ^(٢) إِلَمْحَالٍ ، وَلَقِينَاهُمْ وَهُنَّ رِجَالٌ بِلَا أَرْضٍ^(٣) ، وَتَرْكَانَاهُمْ وَهُنَّ أَرْضٌ بِلَا
رِجَالٍ . وَلَقَدْ مَسَّتِ الْمَنَائِيَا فِي دِمَائِهِمْ^(٤) حَتَّى ظَلَّتْ^(٥) حَسْرَى^(٦) ، وَشَيْعَ السَّيْفِ
مِنْهُمْ حَتَّى تَمَرَّدَ بِطْنَةً^(٧) ، وَشَرَبَ الرَّمْخَ حَتَّى تَأَوَّدَ سُكْنَرَا^(٨) ؛ فَلَمْ^(٩) يَقِنْ لِلْإِسْلَامِ
فِي عَدُوِّهِ غَلَّ^(١٠) إِلَّا شَفَاءً ، وَلَا عِنْدَهُ دَيْنٌ إِلَّا [اسْتَوْفَاهُ] .

وَبَعْضُ [] هَذَا مَأْخُوذٌ مِنْ شِعْرِ أَبِي الطَّيْبِ الْمُتَنبِّيِ فِي قَوْلِهِ

وَكُنْ^(١٢) رِجَالٌ بِلَا أَرْضٍ لِكَثْرَتِهِمْ

تَرَكْتَ جَنَاحَمُ أَرْضًا بِلَا رَجُلٍ^(١٣)

وَعَلَى هَذَا^(١٤) الْأَسْلُوبِ جَاءَ قَوْلِي فِي وَضْفِ^(١٥) الْحَرْبِ أَيْضًا ، وَهُوَ : إِذَا
أَيْتَمْ^(١٦) السَّيْفَ مِنَ الْأَغْمَادِ ؟ فَقَدْ أَيْتَمَ الْأُولَادَ مِنَ الْآبَاءِ وَأَنْكَلَ الْآبَاءَ

(١) فِي ط : « مَا وَصَفْتَهُ » . (٢) فِي ن : « مَرَرَ » خَطَا .

(٣) فِي ن : « رِجَالٌ بِالْأَرْضِ » خَطَا .

(٤) فِي ن : « ذَمَانِهِمْ » .

(٥) فِي م : « طَلَّتْ » تَصْحِيفًا .

(٦) فِي ع : « حَرَا » تَحْرِيفًا . (٧) فِي ت : « بِطْنَهُ » .

(٨) فِي الْأَصْلِ : « سَكْرَانٌ » ؛ وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ت ، وَط ، وَم ، وَن ، وَع .

(٩) فِي ت ، وَط ، وَم ، وَن ، وَع : « وَلَمْ » .

(١٠) « غَلَّ » غَيْرُ مُوجَودَةٍ فِي م ؛ وَفِي ن : « دَاءٌ » .

(١١) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَيْنِ مَسْحٌ فِي الْأَصْلِ ؛ وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ت ، وَط ، وَم ، وَن ، وَع .

(١٢) فِي الْأَصْلِ : « جَحْمٌ » خَطَا ؛ وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ت ، وَط ، وَم ، وَن ، وَع .

(١٣) الْيَتِ مِنَ الْبَسِطِ فِي دِيْوَانِ الْمُتَنَبِّيِ ص ٢٦٧ .

(١٤) فِي ع : « هَذِهِ » خَطَا .

(١٥) فِي ت : « صَفَةٌ » .

(١٦) فِي الْأَصْلِ بَخْطٌ مُخْلَفٌ : « وَلَمَا يَنْمِ » وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ت ، وَط ، وَم ، وَن ، وَع حَتَّى يُسْتَقِيمُ الْمَعْنَى .

بالأولاد^(١) ؛ فَلَا^(٢) يُرَى أَدْهَمْ تَقْعِ^(٣) إِلَّا وَهُوَ بِيَاضِهَا أَبْلَقْ^(٤) ، وَلَا أَخْمَرْ دَمْ^(٥)
إِلَّا وَهُوَ بِحَدَّهَا مُهْرَقْ^(٦) ، وَلَا قَيْنَقْ^(٧) جَمْعِ إِلَّا وَقَدْ هُزِمْ بِهَا^(٨) ذَلِكَ الْقَيْنَقْ^(٩) ،
فَهُنَّ مَصَارِعُ التَّفَوْنَ^(١٠) ، وَمَطَالِعُ السُّعُودِ وَالثُّحُوسِ^(١١) ، وَالثَّارُ الَّتِي [قَدْ]^(١٢)
عَيْدَثْ مِنْ قَبْلِ الْمَجْوَسِ^(١٣) .

وَيَعْضُ هَذَا مَأْخُوذٌ مِنْ شِعْرِ أَبِي الطَّيْبِ الْمُتَّبِّعِ :

يُرَوَى بِكَافِرْصَادَ^(١٤) فِي كُلِّ غَارَةِ
يَتَامَى مِنَ الْأَغْمَادَ^(١٥) بِيَضَا وَيَؤْتَمْ
يَشْقَى بِلَادِ الرُّومِ وَالنَّفْعُ أَبْلَقْ^(١٦)
بِأَشْيَافِهِ وَالْجَوْ بِالنَّفْعِ أَدْهَمْ^(١٧)

وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرْتُهُ فِي فَصْلٍ مِنْ كِتَابِ « كِتْبَتِهِ عَنِ الْمَلِكِ الْأَفْضَلِ عَلَى بْنِ
يُوسَفَ بْنِ أَيُوبَ^(١٨) إِلَى ابْنِ عَمِّهِ الْمَلِكِ الْأَشْرِيفِ مُوسَى بْنِ أَبِي بَكْرٍ [بْنِ

(١) فِي عَ : « وَأَنْكَلَ الْأَبَاءَ مِنَ الْأَوْلَادَ » .

(٢) فِي مَ : « وَلَا » . (٣) فِي مَ : « يَقْعَ » تَصْحِيفًا .

(٤) فِي عَ : « أَبْلَقْ » تَصْحِيفًا . (٥) دَمْ^(١) غَيْرُ مُوجَودٌ فِي مَ .

(٦) فِي نَ : « مُهْرَقْ » تَحْرِيفًا ؛ وَفِي عَ : « عَدْهَا مُهْرَقْ » تَحْرِيفًا .

(٧) فِي نَ : « لَهَا » . (٨) مَا بَيْنَ عَلَامَتِي التَّصْبِيصِ سَقْطٌ مِنْ عَ .

(٩) فِي تَ : « لِلْتَّفَوْنَ » . (١٠) الْزِيَادَةُ مِنْ طَ ، وَنَ .

(١١) مَا بَيْنَ عَلَامَتِي التَّصْبِيصِ سَقْطٌ مِنْ مَ .

(١٢) فِي مَ : « بِكَافِرْصَادَ » . وَالْفَرْصَادُ: الْثُوْثُ، وَقَيْلَ حَمْلُهُ وَهُوَ الْأَحْمَرُ مِنْهُ .
وَالْفَرْصَادُ: الْحُمْرَةُ . الْلِسَانُ فِي (فَ رَصْ دَ) .

(١٣) فِي عَ : « الْأَعْمَادَ » تَصْحِيفًا . وَرَوَاهُ الْبَيْتُ الْأَوَّلُ : ٠٠٠٠٠٠٠٠٠ . تَنْضِي فَوْتَمْ .

(١٤) الْبَيْتُانُ مِنَ الطَّوِيلِ فِي دِيْوَانِ الْمُتَّبِّعِ صِ ١٠٥ . وَالنَّفْعُ: الْغَبَارُ . الْلِسَانُ (نَ قَعْ) ،

وَأَبْلَقْ: فِيهِ سَوَادٌ وَبَيْاضٌ . الْلِسَانُ (بَ لَ قَ) ، الْأَدْهَمْ: الْأَسْوَدُ . الْلِسَانُ (دَ هَ مَ) .

(١٥) الْأَفْضَلُ هُوَ: أَبُو الْحَسْنِ عَلَى نُورِ الدِّينِ بْنِ صَلَاحِ الدِّينِ الْأَبُوئِي؛ وَلَدٌ بِمَصْرٍ لِيَلَةَ عِيدِ

الْفَطَرِ سَنَةَ ٥٦٥ هـ؛ تَسْلَطَنَ بِدِمْشَقَ . وَتَوْفَى فَجَأَةً بِسَمْبَسَاطٍ فِي صَفَرِ سَنَةَ ٦٢٢ هـ . =

أئوب [١] ، وهو إذ ذاك صاحب مدينة حَرَانَ [٢] وما والاهَا من الْبَلَادِ الْفَرَاتِيَّةِ [٣] ، وكان غاب [٤] عنها في سَفَرٍ طالَتْ مُدْتَهُ ، وجاء الشتاء وَوَقَعَ المطرُ قَبْلَ عُودِهِ ؛ فأصدَرَتْ هَذَا الْكِتَابَ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْمَعْنَى [٥] ، وهو : الْكَرِيمُ تَحْسَدُ [٦] الْبَلَادَ عَلَى مَوَاطِئِ قَدَمِهِ ، وَتَشْتَاقُ [٧] إِلَيْهِ شَوَّقَ [٨] الرُّوضِينَ إِلَى عَقَاتِ [٩] دِيمِهِ ، كَمُولَاتِا فَلَا [١٠] يَجِدُ أَرْضًا إِلَّا حَلَّتْهَا النَّعْمَاءُ ، وَحَسَدَتْهَا السَّمَاءُ ، وَأَصْبَحَتْ [١١] حَدِيثًا فِي الْآفَاقِ حَتَّى يُقَالَ : فَالْقَصْرُ [١٢] فَالْخَلُّ فَالْجَمَاءُ [١٣] . وقد أَلْقَتْ [١٤] أَرْضُ الْجَزِيرَةِ أَنْ يَمُرَّ بِهَا مَرْوَرُ السَّحَابِ وَيُخَفَّفَ عَنْهَا [١٥] ثَقَلَ مِنْهُ ، وَمِنْ عَادَةِ الْمِنَّ

= انظر ترجمته في : سير أعلام البلاء / ٢١ ٢٩٤ وما بعدها ، وفيات الأعيان ٤١٩/٣ وما بعدها ، البداية والنهاية ١٣/١٠٨ ، الكامل ٤٤٥/١٠ ، النجوم الزاهرة ٢٦٣/٦ .

(١) صاحب دمشق السلطان الملك الأشرف مظفر الدين أبو الفتح موسى شاه أرمن بن الملك العادل ؛ ولد في القاهرة ٥٧٦ هـ ؛ ومات رابع المحرم ٦٣٥ هـ ، انظر ترجمته في : سير أعلام البلاء ٢٢/١٢٢ وما بعدها ، وفيات الأعيان ٥/٣٣٠ وما بعدها ، شذرات الذهب ٣/١٧٥ ، مأثر الإنابة ٢/٨٤ وما بعدها ، النجوم الزاهرة ٦/٣٠٠ وما بعدها .

(٢) «مدينة» غير موجودة في ت ؛ وحران : مدينة عظيمة مشهورة ؛ فتحت أيام عمر بن الخطاب على يد عياض بن خشم ، وينسب إليها جماعة كثيرة من أهل العلم . معجم البلدان ٢/٢٣٥ وما بعدها ، معجم ما استجم ١/٤٣٥ ، تاريخ الطبرى ١/١٨٨ .

(٣) في ع : «الحرانية» ؛ وفي ط : «القرانية» .

(٤) «غاب» غير موجودة في ت .

(٥) ما بين علامتي التنصيص الذي بدأ في متصرف السطر قبل الأخير في الصفحة السابقة حتى هنا سقط من م ، ون .

(٦) في م : «يتحسد» .

(٧) في م : «ونشاق» ؛ وفي ع : «نشناق» .

(٨) في ع : «السوق» خطأ .

(٩) في ن : «عقائل» .

(١٠) في ن : «لا» .

(١١) في ن : «وأصبحت» .

(١٢) في ع : «القصر» .

(١٣) في ط : «ألقت» تصحيفا .

(١٤) «عنها» سقطت من م .

(١٥) «عنها» سقطت من م .

إنقال الرقاب ، ولما غاب عنها في هذا العام جادها^(١) الغيث قبل نداء ، ونابت عن يديه الكريمتين يداه . فله حيتى^(٢) أن يفخر^(٣) على أشباهه من الغيب وأمثاله ، وأن يسأجل^(٤) فيض البحر بفيض سجاله .

وفي هذا الكلام مواضع^(٥) مأخوذة من الشعر ؛ فمن ذلك قول أبي الطيب المتنبي^(٦) :

تَحَاسَدَتِ الْبِلَدَانِ حَتَّى لَوْ أَنَّهَا
نُفُوسُ لَسَارَ الشَّرْقَ وَالْغَربَ نَحْوَكَى^(٧)

ومن ذلك قول أبي عبادة البختري :

مَا كَانَ فَيْضُ الْمُزْنِ يَطْمَعُ قَبْلَهَا
[فِي]^(٨) أَنْ يَجِيءَ نَدَاءَهُ قَبْلَ نَدَائِكَى^(٩)

ومن ذلك قول أبي قطيفة ، وهو صوت يعني به مشهور بين الناس^(١٠) :

(١) في م : « جادلها » تحريفا .

(٢) في م ، ون : « يفخر » .

(٣) في ع : « يساحل » تصحيفا .

(٤) في ع : « مواضع » خطأ .

(٥) « أبي الطيب » غير موجودة في ت .

(٦) البيت من الطويل في ديوان المتنبي ص ١٣٧ وروايته :

نُفُوسُ لَسَارَ الْغَربَ وَالشَّرْقَ نَحْوَكَى

(٧) في الأصل : « من » ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع . وهي رواية الديوان .

(٨) البيت من الكامل في ديوان البختري ١٥٦٩/٣ / ق ٦١٥ وروايته :

مَا كَانَ صَوْبُ الْمُزْنِ يَطْمَعُ قَبْلَهَا

(٩) « مشهور » غير موجودة في ت ؛ وأبو قطيفة هو عمرو بن الوليد بن حقبة بن أبي

معيط ؛ ويقال له أبو قطيفة الأموي ، نزهة الألباب في الألقاب ٢٠٣/١ و ٢٧٠/٢ ، ومعجم

ما استعجم ٩٣٢/٣

فَالْقَضَرُ فَالثَّخْلُ فَالْجَمَاءُ بَيْنَهُمَا ^(١)

أَشَهِي إِلَى الْقَلْبِ ^(٢) مِنْ أَبْوَابِ جَنِيرُونِ ^(٣)

وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرْتُهُ فِي مُصَاحِبَةِ اللَّثِيمِ ، وَهُوَ : إِذَا جَارَى الْكَرِيمُ لِشِيمًا عَدْ لَثِيمًا ، وَلَمْ ^(٤) يُعْنِيهِ إِنْ كَانَ كَرِيمًا ؛ فَإِنَّ الْقَرِينَ بِقَرِينِهِ ، وَدِينُهُ مَعْدُودٌ مِنْ دِينِهِ .
وَهَذَا مَأْخُوذٌ مِنْ شِعْرِ أَبِي تَمَّامٍ فِي قَوْلِهِ ^(٥) :

إِذَا جَارَيْتَ فِي خُلْقِ لَثِيمًا فَأَتَتْ وَمَنْ تُجَارِيهِ سَوَاء ^(٦)

ثُمَّ ذَكَرْتُ هَذَا الْمَعْنَى مُكَرَّرًا ، فَقُلْتُ : إِذَا مَا شَيَّطَ اللَّثِيمَ فِي طُرُقِهِ ، فَقَدْ سَاوَيْتَهُ فِي خُلْقِهِ وَكَذَلِكَ قُلْتُ : إِذَا اتَّخَذْتَ اللَّثِيمَ خَلِيلًا ، فَقَدْ صَبَرْتَ لَهُ عَدِيلًا . ثُمَّ تَصَرَّفْتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى فَضَرَبْتُ لَهُ مِثَالًا ^(٧) ، وَذَلِكَ قَوْلِي : مَعْجَارَةُ اللَّثِيمِ تَسِيمُ وَجْهَ الْحَسَبِ ، وَتُلْجِحُ التَّبَعَ بِالْغَرَبِ ^(٨) ؛ فَإِنَّ الْخُلْقَ السَّيِّئَ ^(٩) يُسْتَعِيْعُ الْحَسَنَ عَلَى أَثْرِهِ ، وَكَدَرُ المَاءِ لَا يُغْلِبُ بِصَفْوِهِ ^(١٠) ، وَصَفْوُهُ مَغْلُوبٌ بِكَدْرِهِ .
وَهَذَا لَيْسَ مِنْ هَذَا ^(١١) الْفَصْلِ الَّذِي هُوَ حُلُّ الشِّعْرِ بِلِفْظِهِ ، وَإِنَّمَا ذَكَرْتُهُ هَهُنَا

(١) فِي عِ مَكَانٍ : « فَالْجَمَاءُ بَيْنَهُمَا » كَشْطٌ ؛ وَفِي الْهَامِشِ مَكْتُوبٌ : « الْمَهْمَانُ » .

(٢) فِي تِ كَتَبِ النَّاسِخِ كَلْمَةُ : « النَّفْسُ » ؛ وَكَتَبَ فَوْقَهَا : « الْقَلْبُ » وَكَلْمَةُ : « صَحْ » بِجَوارِهَا ؛ وَلَمْ يَمْعِيْعْ كَلْمَةُ : « النَّفْسُ » .

(٣) الْبَيْتُ مِنَ الْبَسِيطِ فِي تَعْجِيدِ الْأَغْنَى الْقَسْمُ الْأَوَّلُ / الْجُزْءُ الْأَوَّلُ / ص ١٤ ؛ وَرَوَايَتُهُ :

القصْر من أَكْنَافِ

(٤) فِي طِ : « إِذَا جَارَى الْكَرِيمُ لَثِيمًا فَلَمْ يَغْنِهِ إِنْ كَانَ كَرِيمًا » وَهِيَ عِبَارَةٌ مُضْطَرِبَةٌ .

(٥) فِي عِ : « مَنْ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ فِي شِعْرِهِ » .

(٦) الْبَيْتُ مِنَ الْوَافِرِ فِي دِيْوَانِهِ ٤/٢٩٦ / ق ٣٤٢ ؛ وَرَوَايَتُهُ :

إِذَا جَارِيتَ فِي خَلْقِ دُنْيَا

(٧) فِي مِ : « أَمْثَالًا » .

(٨) الْغَرَبُ : الْمَاءُ السَّاَلِ بَيْنَ الْحَوْضِ وَالْبَثَرِ ، الْلِسَانُ (غَرَب) .

(٩) فِي نِ : « السَّنَى » خَطَا .

(١٠) فِي مِ : « لَا يُغْلِبُ صَفْوَهُ » .

(١١) « هَذَا » سَقَطَتْ مِنْ نِ .

لأنه من أقران^(١) هذا^(٢) المعنى . والأقوال تُسْتَعِنُ^(٣) في حل بعض الشعر دون بعض^(٤) ، وهذا يجيء في الأقسام الثلاثة : من حل لفظه ، وحله ببعض لفظه ، وحله بغير لفظه ، إلا أن وجوده في القسمين^(٥) الآخرين^(٦) أكثر من وجوده في القسم^(٧) الأول .

والسبب^(٨) في ذلك أن حل الشعر « بلفظه لا يتمكّن من التصرُّف فيه ، وغاية المتصلّى له أن يقدم اللفظ ويؤخره^(٩) ، ولا [يكاد]^(١٠) يجيء ذلك إلا في مثال واحد أو مثالين . وأماماً حل الشعر^(١١) ببعض لفظه والتصرُّف في البعض بلفظ آخر ؛ أو حله^(١٢) بغير لفظه ، فإنّ المجال يتسع فيه ، ولا يتعيّد فيه بقييد .

ومن هذا الباب الذي هو حل الشعر^(١٣) بلفظه ما ذكرته في وصف الكرم^(١٤) ، وهو : ولا يكون الكريم كريماً ، حتى يكون لمعنىيه غريماً^(١٥) ؛ فإن العطائيا

(١) في ع : « أقرب » تحريفاً .

(٢) في م : « هذه » خطأ .

(٣) في ن : « تتبع » تحريفاً .

(٤) في ع : « في حل بعض الشعر دون بعض الشعر دون بعض » .

(٥) في ن : « وجود القسمين » .

(٦) في م : « الآخرين » .

(٧) في ن : « وجود القسم » .

(٨) في ع : « والأسباب » خطأ .

(٩) في م : « أو يؤخره » .

(١٠) في الأصل : « ولا يجيء » ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، وع .

(١١) ما بين علامتي التنصيص سقط من ن .

(١٢) في ت ، وط ، وم ، وع : « وحله » .

(١٣) في ط : « الشغر » تصحيفاً .

(١٤) في ط ، وم ، ون : « الكريم » .

(١٥) في م : « غريماً » تصحيفاً .

حقوق^(١) واجبة على أقوام ، وإذا^(٢) لمن يجذب الغمام بما فيه فأئد في كثرة ماء الغمام .

وهذا مأخوذ من شعر أبي تمام في قوله^(٣) :

أعطيتني دية القتيل وليس لي عقل ولا حق عليك قدِيم
إلا ندى كالدين حل قضاة إن الكرِيم لمغفِيه غريم^(٤)
ومن ذلك ما ذكرته في إكمال المطلب^(٥) وإخفاق المنسع ، وهو : توانى عنه
وشيك النجاح ، ووكلت به عزمه أوقفته^(٦) على رجل وأنهضته بجناح ، ويمتعه من
الإياب^(٧) على عجل أن القضاء على مهل .

وهذا مأخوذ من قول أبي تمام :

تowanى^(٨) وشيك التبجح عنه ووكلت
به عزمات أوقفته^(٩) على رجل
ويتمتعه^(١٠) من أن يكون زمامه
على عجل أن القضاء^(١١) على رسول^(١٢)

(١) في ن : « فإن للعطاء حقوقا ». (٢) في ع : « إذا » خطأ .

(٣) في ن : « وهو قوله » ؛ و « في قوله » سقطت من ع .

(٤) البيان من الكامل في ديوان أبي تمام ٢٩٢/٣ ق ١٦٠ .

(٥) في ن : « الطلب » ؛ وفي ع : « المطالب » .

(٦) في م : « أوقفته » تصحيفا .

(٧) في ط : « الأنات » تصحيفا .

(٨) في ن : « تولى » . (٩) في : « أوقفته » تصحيفا .

(١٠) في م : « وتمتعه » . (١١) في ن : « القضايا » .

(١٢) البيان من الطويل في ديوان أبي تمام ٤٦٨ / ٥٢٣ ق ، وروايتهما :

به عزامات

ببيت زمامه

ومن ذلك ما ذكرته في المعاة^(١) ، وهو إن تأثرت كثبي عن فلان فالاعذار^(٢) عنها ظاهرة ، والأحوال^(٣) فيها عاذرة . وقد علِمَ أن مرض الأيام كمرض الأجسام ، والعيادة فيهما سنة ماجورة ، ومكرمة ماثورة^(٤) . « ومع هذا فنحن المرضى ونحن العواد ، وكل داد لا يدوم على ذلك فليس بوداد »^(٥) وهذا مأخذ من شعر أبي الطيب المتنبي وغيره ، أما أبو الطيب قوله^(٦) : وكل^(٧) داد لا يدوم على الأدى دوام داد للأمير ضعيف^(٨) وأما غير أبي الطيب قوله

إذا مرضتم^(٩) أتيناكم نعوذكم وتدنبون فتأتيكم فتعذرون^(١٠)

ومن ذلك ما ذكرته^(١١) في تهذيب النفس ، وهو : هدب^(١٢) نفسي حتى

(١) في ن : « المعاة » تحريفا . وفي هامش عنوان جانبي : « في العذر عن تأثر الكتابة » .

(٢) في م : « الأعذار » ؛ وفي ع : « فالأعذار » خطأ .

(٣) في م : « الأحوال » تحريفا .

(٤) « ومكرمة ماثورة » سقطت من ن .

(٥) ما بين علامتي التنصيص سقط من ع .

(٦) في الأصل : « مأخذ من شعر أبي الطيب قوله » ؛ وفي ت ، وط : « مأخذ من شعر أبي الطيب في قوله » ؛ وفي م : « مأخذ من شعر أبي الطيب المتنبي قوله » ؛ وفي ع : « ومع هذا مأخذ من شعر أبي الطيب المتنبي قوله » ؛ وما أتبه من ن حتى يستقيم السياق .

(٧) في ت : « فكل » .

(٨) البيت من الطربيل في ديوان المتنبي / ٢٤١ ، وروايته :

للحسين

(٩) في ن : « مرضنا » .

(١٠) في ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « وتعذر » . والبيت من البيط في المستطرف في كل فن مستطرف ٤١٢/١ ، و٥٧١/٢ . ومنسوب لمحمد بن حمير الهمذاني ولم أغث له على ديوان .

(١١) في ن : « ذكرنه » خطأ .

(١٢) في م : « هدب » تصحيفا .

تَهَذِّبُ ، وَغَرَبَتْهَا مِنَ الْجَسَدِ^(١) قَبْلَ [تَغْرِيْهَا]^(٢) فَغَرَبَتْ ، وَبِالنَّدْرِيجِ أَوْصَلَتْهَا إِلَى هَذِهِ الدَّرْجَةِ [فَتَوَضَّلَتْ]^(٣) ، وَذَلِكَ مِنْ فَقَهِ الرَّجُلِ مَيْتَتَهُ^(٤) وَقَدْ كَانَتْ أَمَارَةً ثُمَّ صَارَتْ لَوَامَةً ، وَهِيَ الآنَ مَطْمَثَةً . فَأَنَا أَصْرِفُهَا^(٥) كَمَا أَشَّهِيْ ، وَآمْرَهَا وَأَنْهَا هَا فَتَأْمِرُ^(٦) وَتَسْتَهِيْ وَمِنْ صَفَاتِهَا أَنَّهَا لَا تُنْعَى مِنْ غَيْرِهَا بِزَاجِرٍ ، وَقَدْ اسْتَوْتَ حَالَتَهَا^(٧) فِي بَاطِنِ مِنَ الْأَمْرِ وَظَاهِرِ^(٨)

وَمِنْ^(٩) هَذَا الْكَلَامِ مَا هُوَ^(١٠) مُؤْخَرٌ مِنْ قَوْلِ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ

رَكَنْتُ إِلَى نَفْسِ^(١١) كَفَنْتُنِي عِنَابَهَا

وَلَمْ تُنْعَنِ مِنْ نَفْسِ^(١٢) سَوَاهَا بِزَاجِرِ^(١٣)

وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرْتُهُ فِي ذَمِ الْبُخْلِ^(١٤) ، وَهُوَ : جَمْعُ الْمَالِ فَقْرٌ لَا غَنَىٰ ، وَهُوَ

(١) في ن ، وع : « الحسد » تصحيفا .

(٢) موجودة في هامش صفحة الأصل : لكنها مقطوعة ولا تقرأ ، وما أثبتته من ت ، وط ، ون ، وع ؛ وفي م : « تعريتها فتعربت » .

(٣) زيادة يقتضيها السياق انفردت بها ط .

(٤) هذه الكلمة غير مقروءة في م ؛ وط ؛ وفي ن : « من فقه الرجل سنن ». ومتى الرجل : بيان منه ، وخلق به . اللسان (م أن) .

(٥) في ط ، وع : « أَصْرِفُهَا » .

(٦) في ع « فَتَأْمِرُ » .

(٧) في م : « حَالَتَهَا » .

(٨) في ن « والظاهر » .

(٩) « من » سقطت من ع .

(١٠) « ما هو » سقطت من ع .

(١١) في ن : « نَفْسِي » .

(١٢) في ن : « نَفْسِي » .

(١٣) البيت من الطبريل ولم أجده في ديوان مسلم بن الوليد .

(١٤) في م : « النجل » تصحيفا .

كشحرة لا ظل لها ولا جنى ؛ وصاحبها لا يستفيد به إلا ذمًا ؛ ولا يستزيد بالسغى
[له] ^(١) إلا همًا ؛ فهو له عبد يخدمه ولا يئلمه ^(٢) ، بل ألم تزبعة ولا تقطعه ،
ويأوله ألم يعلم أن اليسار على هذه الحال هو عن الإلماق ، وأن الحجر
والذهب ^(٣) سواء ؛ إذا لم تصرف فيه يد الإنفاق ! وقد قيل إن فضلة المال ^(٤) داء
للأعراض ^(٥) كما أن فضلة الزاد ^(٦) داء للأجساد ^(٧) ، وعلاجهما شيء واحد في
الوقوف على درجة الاقتصاد .

ومن هذا الكلام ما هو مأخوذ من شعر أبي تمام ، ومنه ما هو ^(٨) مأخوذ من
شعر أبي الطيب المتنبي ؛ أما أبو تمام قوله :

أَرَى فَضْلَ مَالِ الْمَزَءُ دَاءَ لِعَزْضِهِ كَمَا أَنْ فَضْلَ الرَّازِ دَاءَ لِجَسْمِهِ ^(٩)
وأما قول أبي الطيب المتنبي ^(١٠) :

وَمَنْ يَنْفَقُ السَّاعَاتِ فِي جُنْحٍ ^(١١) مَالِهِ
مَخَافَةَ فَقْرٍ فَالَّذِي فَعَلَ الْفَقْرُ ^(١٢)

(١) زيادة من ط ، ورم ، ون .

(٢) الثلم : الكسر . اللسان (ث ل م) .

(٣) في ت ، وط ، ون ، وع : « الذهب والحجر » .

(٤) في م : « الماء » .

(٥) في ت : « الأعراض » .

(٦) في ع : « كما لفضلة الزاد » .

(٧) في ت : « الأجساد » .

(٨) « ما هو « غير موجودة في ط ، ورم .

(٩) البيت من الطويل في ديوان ابن الرومي ٦١/٦ / ق ١٦٨٩ ، شرح وتحقيق عبد الأمير
على منها ، دار ومكتبة الهلال - بيروت ١٤١١هـ - ١٩٩١ م . وقرى الضيف ١/١٧١

(١٠) في ن : « وأما قول أبي الطيب المتنبي قوله » .

(١١) في ع : « جميع خطأ يؤدي إلى كسر في الوزن ، ويخلل في المعنى .

(١٢) البيت من الطويل في ديوان المتنبي / ص ١٧٥

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ مَا ذَكَرْتُهُ فِي وَضْفِ الصَّنَائِعِ ، وَهُوَ : وَصَنَائِعُ^(١) الْمَعْرُوفِ وَإِنْ أُورِثَتْ مِنْ^(٢) الثَّنَاءِ خَلُودًا^(٣) ، وَكَانَتْ لِغَيْرِ ذُو الْجَدُودِ جَدُودًا ؛ فَإِنَّهَا تُبْتَقَى^(٤) بِمَا يَقْنَى وَلَا يَتَقَى . وَتَرَقَى بِصَاحِبِهَا إِلَى مَنَالَ^(٥) التَّجْمِ وَهُوَ لَا يَرَقَى . وَالسَّعِيدُ مَنْ جَعَلَ مَالَهُ نَهَبَةً^(٦) لِلْمَعَالِي لِلْلَّيَالِي^(٧) ، وَعَزْضَةً لِلْمَأَاثِيرِ ، لَا لِلْذَّخَائِرِ^(٨) . وَمَنْ نَالَ الدُّنْيَا فَأَشَرَّى آخِرَتَهُ بِيَعْصِيمَهَا ، وَأَفْرَضَ اللَّهَ مِنْ مَوَاهِبِهِ الَّتِي دَعَاهُ إِلَى قَرْضِهَا ؛ فَذَلِكَ^(٩) الَّذِي فَازَ بِالْدَارِينَ ، وَحَظِيَ فِيهِمَا^(١٠) بِرْفَعِ الْمَنَارِينَ .

وَبَعْضُ^(١١) هَذَا الْكَلَامِ مَا خُوذُ^(١٢) مِنْ شِعْرِ أَبِي تَمَامٍ فِي قَوْلِهِ :

سَلَفُوا يَرَوْنَ الذِّكْرَ عَقْبَى صَالِحًا

وَمَضُوا^(١٣) يَعْدُونَ الثَّنَاءَ خَلُودًا^(١٤)

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ :

(١) فِي ط ، وَمِنْ : « صَنَائِعُ » .

(٢) فِي ت : « فِي » .

(٣) فِي ع : « جَلُودًا » تَصْحِيفًا .

(٤) فِي ط : « لَا تُبْتَقِى » ؛ وَفِي ن : « فَإِنَّهَا تَبْقَى وَلَا يَقْنَى » .

(٥) فِي ن : « مَنَازِلُ » .

(٦) « نَهَبَةً » سَقَطَتْ مِنْ ن .

(٧) فِي ع الْلَّيَالِي « تَصْحِيفًا .

(٨) فِي ع : « لَا لِلْذَّخَائِرِ » تَحْرِيفًا .

(٩) فِي ت ، وَطِّ : « فَذَلِكَ » ، وَفِي م : « وَذَلِكَ » .

(١٠) فِي م : « فِيهَا » ، وَفِي ع : « وَحَظِيَ فِيهِمَا » تَصْحِيفًا .

(١١) « بَعْضُ » سَقَطَتْ مِنْ ع ..

(١٢) فِي الْأَصْلِ : « وَبَعْضُ هَذَا الْكَلَامِ (كَثْط) مِنْ شِعْرٍ » ، وَفِي ت : « هَذَا مَا خُوذَ مِنْ » ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ط ، وَمِنْ ، وَنِنْ .

(١٣) « وَمَضُوا » غَيْرَ مَقْرُوءَةٍ فِي ع .

(١٤) الْبَيْتُ مِنَ الْكَاملِ فِي دِيْوَانِ أَبِي تَمَامٍ ٤٢١/١ ق ٤٠ .

**تَوَى مَالَة نَهَبَ الْمَعَالِي^(١) وَأَوْجَبَتْ
عَلَيْهِ زَكَاةُ الْجُود^(٢) مَا لَبَسَ وَاجِبًا^(٣)**

وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرْتُهُ فِي إِجْمَالِ الْطَّلْبِ ، وَهُوَ : يَنْبَغِي لِلْمَرءِ أَلَا يَحْرَصُ فِي^(٤)
طَلْبِ رِزْقِهِ ، بَلْ يَكُلُّ إِلَى اللَّهِ [تَعَالَى]^(٥) الَّذِي تَوَلَّ^(٦) الْفَسَدَةَ فِي خَلْقِهِ ؛ فَإِنَّ
النَّسَرَ يَأْكُلُ بَعْثَفَهُ وَالنَّحْلُ يَرْعَى الشَّهَدَ بِرِفْقِهِ .
وَهَذَا مَا خُوذَ مِنْ قَوْلِ بَعْضِهِمْ :

**بَا طَالِبِ الرُّزْقِ السَّنَنِ بِقُوَّةِ هَيَّاهَا أَنْتَ بِبَاطِلٍ مَشْغُوفُ^(٧)
أَكَلَ الْعَقَابَ بِقُوَّةِ حِيفٍ^(٨) الْفَلاَ وَرَعَى الْذَّبَابُ الشَّهَدَ وَهُوَ ضَعِيفُ^(٩)**
وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرْتُهُ فِي وَضْفِ سَحَابٍ ، وَهُوَ^(١٠) : سَارِيَةٌ تَمْشِي^(١١) لِثَقلِهَا

(١) فِي عٌ : «الليلالي» .

(٢) فِي ط كتب فوق كلمة «الجود» كلمة : الحمد .

(٣) فِي عٌ : «واحِيَا» تصحيفاً . والبيت من الطويل في ديوانه ١٤٤/١ ق ١٠ ، وروايته :

فَأَوْجَبَتْ

(٤) فِي نٌ : «عَلَى» .

(٥) الزِّيادةُ مِنْ مٌ ..

(٦) «تَوَلَّ» غير موجودة في عٌ .

(٧) فِي طٌ : «مَشْغُوفٌ» ، وفِي مٌ ، وفِي نٌ : «مَشْغُوفٌ» .

(٨) فِي عٌ : «حِيفٌ» تصحيفاً .

(٩) البيت الثاني موجود في ديوان الإمام الشافعي / ١٢٩ ، جمعه وحققه وعلق عليه زهدى يكن ، دار الثقافة - بيروت . وفي قرآن الضييف / ٥ ٣١ الآياتان منسوبيان للمخزومي ، ولم أعثر له على ترجمة فيما تحت يدي من مصادر ، وهما من الكامل ، وروايتهما :

أَتْجَاؤلُ الْحَظِّ السَّنَنِ بِقُوَّةِ

هَيَّاهَا أَنْتَ بِبَاطِلٍ مَشْغُوفُ

رَعَتِ الْعَقَابَ بِقُوَّةِ حِيفِ الْفَلاَ

وَرَعَى الْذَّبَابُ النُّورَ وَهُوَ ضَعِيفٌ

(١٠) «وَهُوَ» غير موجودة في طٌ .

(١١) فِي عٌ : «يَمْشِي» .

مَشِّيٌّ^(١) الرَّدَاحِ^(٢) ، وَيَكَادُ يَلْمُسُهَا^(٣) مَنْ قَامَ بِالرَّاحِ ، وَمَا تُتَجَّثُ نَتَاجًا إِلَّا أَسْرَتْ فِي ضِمْنِيهِ^(٤) حَمْلَ لِقَاحِ^(٥) ، وَمَا أَظْلَمْتَ^(٦) إِلَّا أَضَاءَ الْبَرْقُ فِي جَوَانِبِهَا فَتَمَلَّثَ لِيَلَّا فِي صَبَاحٍ ؟ فَهِيَ مُسْنَوَّدَةٌ مُنْيَضَّةٌ الْأَيَادِ ، مُقِيمَةٌ وَهِيَ مِنَ الْغَوَادِ ، نَوَامَةٌ عَلَى طَبُولِ سَهْرِهَا بِالْوَهَادِ^(٧) ؛ فَكُنْ فِي قَطْرِهَا مِنْ دِيَاجِةٍ لَمْ تُضْعِفْ أَفْوَافُهَا ، وَلَوْلَوْلَهُ لَمْ تُشْقِ^(٨) عَنْهَا أَصْدَافُهَا ، وَمِنْكَةٌ^(٩) لَمْ تُخَالِطْ سَرَرَ الْغَرْلَانِ أَعْرَافُهَا ؛ فَمَا مَرَّتْ بِأَرْضٍ إِلَّا أَحْيَتْهَا بَعْدَ مَمَاتِهَا ، وَوَسَّمَتْهَا بِأَحْسِنِ سِمَاتِهَا ، وَغَادَرَتْ عُذْرَانَهَا فَائِضَةً مِنْ جَمَاتِهَا^(١٠) وَمَثَلَتْهَا وَالبَيْتُ^(١١) مُطَيِّفٌ بِهَا بِالْأَقْمَارِ الْمُتَلَفِّعَةِ بِأَزْدِيَّةِ ظَلْمَاتِهَا .

وَيَعْصُمُ هَذَا الْكَلَامُ [مَأْخُوذٌ^(١٢) مِنْ شِعْرِ أَوْسَ بنِ حَبْرٍ^(١٣)] :

دَانِ مُسِيفٌ فُوَيْقَ الْأَرْضِ هَبَنْدَبَهُ
يَكَادُ يَلْمُسُهَا مَنْ قَامَ بِالرَّاحِ^(١٤)

(١) فِي م : « تَقل » ، وَفِي ع : « شَى » تَحْرِيفًا .

(٢) الرَّدَاحُ : الثَّقِيلَةُ الْعَظِيمَةُ ، اللِّسَانُ (رَدَحُ) .

(٣) فِي ع : « مَلْمَسُهَا » تَحْرِيفًا .

(٤) فِي ط : « أَسْرَتْ » ، وَفِي ت ، وَع : « أَسْرَتْ » ، وَفِي ن : « أَسْرَتْ ضِمْنَهُ » ، وَفِي ط : « صِمْنَهُ » .

(٥) فِي ن : « الْلَّقَاحُ » ، وَفِي ع : « جَمْلَ لِقَاحُ » تَصْحِيفًا .

(٦) فِي ت ، وَط ، وَم ، وَع : « وَلَا أَظْلَمْتُ » ، وَفِي ن : « وَلَا أَظْلَتُ » تَحْرِيفًا .

(٧) فِي ن : « بِالْوَادِ » . (٨) فِي ت : « يَشْقِ » ، وَفِي ن : « تَشْقِ » .

(٩) فِي ع : « وَمَكَةٌ » تَحْرِيفًا . (١٠) فِي ن : « قَابِضَةُ حَمَاتِهَا » تَحْرِيفًا .

(١١) فِي م : « وَالبَيْتُ » تَحْرِيفًا .

(١٢) الْزِيَادَةُ مِنْ ت ، وَط ، وَم ، وَن ، وَع .

(١٣) فِي م : « شَعْرَأَبِي أَوْسَ » خَطَا . وَأَوْسَ بنَ حَبْرٍ « أَبُو شَرِيعٍ » شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ ؛ الإِكْمَالُ لِابْنِ مَاكُولَا ٤/٢٨٢ .

(١٤) الْبَيْتُ مِنَ الْبَسِطِ فِي دِيَوَانِ أَوْسَ بنَ حَبْرٍ ص ١٥ / ق ٥ ؛ تَحْقِيقٌ وَشَرْحٌ : د . مُحَمَّدٌ يُوسُفٌ تَجْمُ ، ط ٢ ، دَارُ صَادِرٍ بِبَرْوَنْ . وَرِوَايَةُ شَطْرَهُ الثَّانِي :

يَكَادُ يَدْفَعُهُ مَنْ قَامَ بِالرَّاحِ

ومن شعر أبي تمام ، وهو قوله :

سَارِيَةٌ مُسْمَحَةٌ^(١) الْقِيَادِ

مُسْنَدَةٌ مُبَيَّضَةٌ الْأَبَادِيِّ

سَهَادَةٌ نَوَامَةٌ بِالْوَادِي^(٢)

« ومن ذلك ما ذكرته في استطراف الملك ، وهو فصل من كتاب ، فقلت : لا يقوم بخلق^(٣) الملك إلا من خلق عزمه من حجارة أو حديد ، ولم ينتبهن في سعيه^(٤) بطالع ميلاد قديم ولا بطالع وقت جديد ؛ فهو من أبناء الحروب الذين نشأوا في حجرها ، وأيسوا بملاءبة بضمها وسمرها ، وصاهروا^(٥) المنايا حتى صاروا أحقر بنسبيها وصهرها ؛ فلقاء الأعداء عندهم كلقاء الإخوان ، والطعن في الهيجاء كالطعن في الميدان . فإن حُصّت أكفهم بالسماحة ، ووجوههم بالصباحة ؛ قيل : كُثُرَت المعاني والصور ، وجاءوا المعالي^(٦) على قدر ؛ فإذا استلأموا^(٧) الدروع رأيت بحوزا في ضمن سُحب ، وإذا تقلّسوا البيض رأيت بدورا من تحت مطالع شهب وמן كانت هذه صفاتهم فإنه خليق^(٨) باستئاج ملك عقيم ، واستحداث التقدُّم غيره وارث له عن قديم ، ولا مرأة في أن^(٩) الأبوة للمساعي لا للأنساب ، وأن الاعتزاء إلى الذكر الباقى لا إلى التراب . وإذا كشفت عن الأخبار

(١) في ن : « وسمحة » خطأ .

(٢) البيان من الرجل في ديوان أبي تمام ٤٥١٢ / ق ٤٦٣ ورواية البيت الثاني :

سَهَادَةٌ نَوَامَةٌ بِالْوَادِي

كثيرة التعريس بالوهاد

(٣) في ت : « بحق ». (٤) في سعيه « سقطت من ع .

(٥) في ت : « وساهروا ». (٦) في ع : « المعاني » تحريفا .

(٧) في ت : « استلماوا ». (٨) في ع : « يطيق » تحريفا .

(٩) في ت : « ولا مرأة أن » ، وفي ط : « والأمراء في أن » تحريفا .

السالفة ، ونظرت إلى الأحوال الآنفة لم تجد مقيمي الدول إلا رجالاً من أطراف الناس ، ولا يظفر بذلك إلا من هانث عليه وجوه الإنفاق^(١) ومن الجملة إنفاقُ الراسِ ، وقد قيل : إنَّ المُلْكَ كأَنْفَ الأَسْدِ وَحَنْكَ الْأَفْغَنِ [ودونهما^(٢) من الخطرِ أنداد^(٣) ، واليد الممتدة إليهمَا لا يتقدّمُها رأْيٌ قبل الامتداد . ولهذا^(٤) كان الرأيُ بعيداً عن الخطر^(٥) فلا يجتمعان ، ولا يُستعانُ في مثلِ هذا^(٦) المقام بالنظرِ في العاقبةِ بل باللهِ المستعان وعلى كل حال فإنَّ المخاطرة^(٧) لمن يعلمُ أنَّ له أمداً^(٨) من العمر فهو يتبعُ إلى أمده ، وابنُ الخمسين لا يموت وهو ابنُ عشرين لأنَّ ذلك دونَ عدده ، وإذا جفتُ الأقلامُ بما هو كائن ، فلا يجبن^(٩) عن مواقفِ الحَيْنِ إِلَّا حَائِنَ^(١٠)

هذا الفصل يشتمل على معانٍ ذات براعةٍ وشجاعةٍ^(١١) وكأنها مُكتسبةٌ بحد سيف^(١٢) لا يُطَرَّفُ يَرَاعَةً . ومنها ما هو مأخوذ^(١٣) من الشعرِ كقول أبي الطيبِ المتنبي^(١٤) :

(١) في ت : « هان عليه الإنفاق » .

(٢) في الأصل ، وت ، وع : « دونهما » ، وما أثبته من ط .

(٣) في ت ، وط ، وع : « إسداد » .

(٤) في ع : « وبهذا » . (٥) في ت : « الحظر » .

(٦) في ط : « في هذا مثل » خطأ .

(٧) في ع : « للخاطرة » تحريراً .

(٨) في ع : « أمد » خطأ .

(٩) في ط : « فلا يجبن » .

(١٠) في ت : « إلا من هو حائن » .

(١١) في ت : « ذات شجاعة وبراعة » .

(١٢) في ت : « بحد السيف » .

(١٣) في الأصل : « مأخذوا » خطأ ، وما أثبته من ت ، وط .

(١٤) في ت : « كقول المتنبي » ، وفي ط : « كقول أبي الطيب » .

وَالْطَّغْنُ فِي الْهِيَاجِ^(١) غَيْرُ الطَّغْنِ فِي الْمَيْدَانِ^(٢)

وَكَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :

كَائِنُوهُمْ وَقَائِسِي الْبِيْضِ فَوْقُهُمْ

بَزَمِ الْهِيَاجِ بُلُوزُ قَلْبِسْتَ شَهِيَا^(٣)

ومن ذلك ما ذكرته في دعاء كتاب ، وهو : **أَلْبَسْهُ^(٤)** الله من النعم أَوْقَى^(٥) ثيابها ولا استخفَّبت الأيام جَدَّتها بمروِّرِ أحْقَابِها ، ولا زالت أيامها متفاوتة في سمائها وألقابها ؛ ومعاليه متماثلة في شرف أحسابها واطراد أنسابها ، وأراوه وعزائمها متقابلة في أثاء تَكَفِّلُها^(٦) وطيش شبابها ، ومجدُه مُسْتَمَدٌ من بذل يده وسعى هميـه ، فله من هذه سَكْبٌ^(٧) جُودُها ومن هذه سَبْقُ سَكَابِها .

بعض^(٨) هذا الكلام مأخوذ من شعر أبي تمام ، ومن شعر^(٩) رجل من بنى تميم في أبيات^(١٠) الحماسة . أما أبو تمام قوله في أول قصيدة :

قَدْ نَابَتِ الْجِرَعَ مِنْ أَرْوَاهَةِ التُّوبِ

وَاسْتَخْفَبَتِ جِدَّةٌ مِنْ رَيْغَمَهَا الْحَقْبُ^(١١)

(١) في ع : « الهيـاء » خطأ أخل بالوزن والمعنى .

(٢) البيت من الكامل في ديوان المتنبي / ٤١٣ ، وأوله :

وَتَوَهَّمُوا الْلَّعِبَ الْوَغْيَ

(٣) البيت من البسيط في ديوان أبي تمام / ١ / ٢٣٥ ق ١٧ . وهنا ينتهي خرم وقع في م ، ون ؛ بينما من قوله : « ومن ذلك ما ذكرته في استطراف الملك ... » ص ٢٤٠ .

(٤) في ط : « أَلْبَسْهُمْ » خطأ . (٥) في ن ، وع : « أَوْقَى » .

(٦) في م : « تَكَفِّلُهَا » تحريفا . (٧) في ع : « سَلْب » تحريفا .

(٨) في ت : « ويعض » .

(٩) في ع : « وشعر » .

(١٠) في م : « وهـيـاء » ، وفي ن : « في كتاب » ، وفي ع : « من أبيات » .

(١١) البيت من البسيط في ديوان أبي تمام / ١ / ٢٣٩ ق ١٨ .

« وكذلك قوله في قصيدة آخر ^(١) :
كَهْلُ الْأَنَاءِ فَتَى الشَّدَّاءِ إِذَا خَدَا
لِلْحَرْبِ كَانَ الْقُشْمَ الْغَطْرِيفَاً ^(٢) »
وأما شعر الرجل التميمي الوارد في كتاب الحماسة ، فهو :
أَبَيَتِ اللَّغْنَ إِنْ سَكَابَ عِلْقَ نَفِيسَ ^(٣) **لَا يَتَابُ وَلَا يَعْاَزُ** ^(٤) .
ومن ذلك ما ذكرته في دعاء كتاب أيضا ، وهو ^(٥) : أرضاء الله بما هو واهبه ،
وأعز جانبا هو صاحبه ، ولا أغتر جوادا هو راكبه ، وأناله بعيدات المطالب التي ^(٦)
يقال فيها : **أَنْصَرَ الرَّؤْضِ عَازِيه** ^(٧) ، وجعل حسبة من الأحساب التي أضاءت دجى
الليل حتى نظم الجزع ثائقه .
وهذا مأخذ من الشعر ، فمهما هو ^(٨) مأخذ من شعر ^(٩) أبي تمام :
وَقَلَّلَ نَأِيَ مِنْ خَرَاسَانَ جَائِشَهَا
فَقُلْتُ : اطْمَئِنْتِي أَنْصَرَ الرَّؤْضِ عَازِيه ^(١٠)

(١) في ط ، وم : « في قصيدة أخرى » .

(٢) في الأصل : « العطريفا » ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، وع ، وما بين علامتي التنصيص سقط من ن . والبيت من الكامل في ديوان أبي تمام ٢/٣٨٢ / ق ٩٧ . وسَكَاب اسما فرس عَبَيْدَة بن ربيعة وغيره . اللسان في (س ك ب) .

(٣) في م : « يفيس » تصحينا .

(٤) في ع : « لاتغار ولا تباع » . وهي رواية الحماسة من الواقر ٦٦ / رقم ٤٩ منسوبة لعبيدة بن ربيعة بن قحفان بن ناثرة .

(٥) « أيضا وهو « سقطت من م » .

(٦) في م : « الذى » خطأ .

(٧) في ع : « غازيه » تصحينا .

(٨) « ما هو « سقطت من ع » .

(٩) في ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « قول » .

(١٠) البيت من الطويل في ديوان أبي تمام ١/٢٢٠ / ق ١٦ . المخاطبة هي العاذلة ، والجاش : القلب ، وغازيه : البعيد الذي يزهد بعده الناس في التلمل منه .

ومنه مَا هُوَ ^(١) مأخوذٌ مِنْ قُولِ الآخِرِ ، [وَهُوَ] ^(٢) :
 أَضَاءَتْ لَنَا أَخْسَابَنَا وَجَدُودَنَا ^(٣)
 دُجَى اللَّيلَ حَتَّى نَظَمَ الْجِزْعَ ثَاقِبَةً ^(٤)

(١) ما هو « سقطت من ط ، ون ، وع . »

(٢) في ن : « ووجوهاً » .

(٤) البيت من الطويل في الحماسة ٥٢٢ / ٢ / رقم ٧٠٩ منسوباً لأبي الطمحان القيني وروايته :

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابَهُمْ وَوَجْهَهُمْ دُجَى اللَّيلَ حَتَّى نَظَمَ الْجِزْعَ ثَاقِبَةً
 وفي وفيات الأعيان ١/٦٠ ، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ٨ / ٩٥ ، تأليف عبد
 القادر بن عمر البغدادي (١٠٣٠ - ١٠٩٣) ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، الناشر مكتبة
 الخانجي بالقاهرة .

القسم الثاني

القسم الثاني

في حل الشعر ببعض لفظه

وهذا هو الطريقة الوسطى ، وهو عندي أصعب مناً من الطريقة العلية التي هي حلُّ الشِّعْرِ بغير لفظِهِ ؛ وسبب ذلك : أَنَّكَ إِذَا أَخْذَتِ^(١) شِعْرَ شَاعِرٍ مُجِيدٍ قد تَقْعَدُ الْفَاظَةُ وَزَيَّبَهَا ، وَأَجَادَ^(٢) فِي دِيَاجَةِ سَبَكِهَا ؛ فَإِذَا تَصْدَيَّتْ لِفَظُّ نَظَامِهِ^(٣) ؛ فَقَدْ التَّزَمَتْ أَنْ تَوَاهِي لِفَظُّهُ بِمَثَلِهِ^(٤) فِي الْحُسْنِ وَالْجُودَةِ ، وَهَذَا لَا يُسْمِرُ إِلَيْهِ إِلَّا مِنْ عَذَّى^(٥) بِلَيَانِ^(٦) الْفَصَاحَةِ مُرْضِعًا ، « وَعَرَفَ مَوَاضِعَهَا فَلَمْ يَجِهِ مِنْهَا مَوْضِعًا »^(٧) . وَإِذَا لَمْ يَأْتِ^(٨) بِالْمَمَاثِلِ وَالْمَوَاحِدِ بَيْنَ لِفَظِهِ وَلِفَظِ الشَّاعِرِ فَقَدْ كَشَفَ عَنْ مَقْتِلِهِ لِنَابِلِهِ^(٩) ، وَعَرَضَ لَحْمَهُ لِآكِلِهِ . وَإِذَا^(١٠) حَلَّ الشِّعْرُ بغير لفظِهِ فقد أَمِنَ^(١١) هَذِهِ الْعُورَةَ وَقَدْ أُورَدَتْ هَهُنَا مَمَاثِلًا مِنْ هَذَا الْقُسْمِ لِتَكُونَ^(١٢) قَدْوَةً لِلْمُتَعَلِّمِ .

فِيمَنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرْتُهُ فِي وَصْفِ الْقَلْمِ فِي فَصْلٍ مِنْ^(١٣) كِتَابِ إِلَى بَعْضِ

(١) فِي ت ، وَط ، وَم ، وَنْ : « حَلَّتْ » ، وَفِي ع : « ذَلِكَ إِذَا حَلَّتْ » .

(٢) فِي ع : « وَأَجَارَ » تَعْرِيفًا . (٣) فِي م : « نَظَامٌ » .

(٤) فِي ع : « كَمَثَلَهُ » .

(٥) فِي ت : « غَدِي » .

(٦) فِي م : « بَلْسَانٌ » .

(٧) مَا بَيْنَ عَلَامَتِي التَّنْصِيصِ سَقْطٌ مِنْ م .

(٨) فِي ط : « لَمْ تَأْتِ » .

(٩) فِي ن : « عَنْ عَرْضِهِ لِغَائِلَهُ » .

(١٠) فِي ن : « وَإِنْ » .

(١١) فِي ن : « آمِنٌ مِنْ » .

(١٢) فِي م ، وَنْ : « لِيَكُونُ » .

(١٣) « مِنْ » سَقَطَتْ مِنْ ن .

الإخوانِ، وهو وقلمه هو اليراعُ الذي نَفَتَ الفصاحَةُ فِي رُوعِهِ، وَكَمْنَتِ
الشجاعةُ بَيْنَ ضلوعِهِ؛ فإذاً قال أراكَ كيفَ تَسْتَقِي^(١) الفريدِ فِي الأجيادِ؛ وإذاً صالَ
أراكَ كيفَ^(٢) اختلافُ الرماحِ بَيْنَ الآسادِ^(٣). وله خصائصُ أخْرَى يَبْدِعُهَا إِبْدَاعًا،
وإذاً^(٤) لَمْ يَأْتِ بَهَا غَيْرُهُ تَضَعُّفًا أَتَى هُوَ بَهَا صَنَاعَةً^(*)، فَطُورًا يَرَى نَحْلَةً تَجْنِي
عَسَلاً، وَطُورًا يَرَى شَفَةً^(٥) تُثْمَلِي قُبْلاً، وَطُورًا^(٦) يَرَى إِمامًا يُلْقِي دَرْساً^(٧)،
وَطُورًا يَرَى مَاشِطَةً تَجْلُو عِزْسَا^(٨)، وَطُورًا يَرَى وَرقاءً^(٩) تَصْدُحُ بَيْنَ الْأَوْرَاقِ،
وَطُورًا يَرَى جَوَادًا^(١٠) مُخْلِقًا بِخَلْوَقِ السَّبَاقِ؛ وَطُورًا يَرَى أَفْعَوَانًا مُطْرِقًا، وَالْعَجْبُ
أَنَّهُ لَا يُرَاهِي^(١١) إِلَّا عَنْدَ الإِطْرَاقِ؛ وَلَطَالَمَا نَفَثَ سِحْراً، وَجَلَبَ عِطْرَاً، وَأَدَارَ^(١٢)
فِي الْقَرْطَاسِ حَمْرَاً، وَتَصْرِفَ فِي وِجْهِهِ الغَنَاءَ^(١٣) فَكَانَ فِي الْفَتْحِ عَمَرَ وَفِي الْهَذِي
عَمَارًا، وَفِي الْكَيْدِ^(١٤) عَمَرًا؛ فَلَا تَحْظَى بِهِ دُولَةٌ إِلَّا فَخَرَتْ عَلَى الدُّولَ، وَغَيَّثَتِ

(١) في م : « نسبق » تحريفاً.

(٢) في ع : « ليف » تحريفاً.

(٣) في ن : « كيف الاختلاف بين الآساد ». .

(٤) في ن : « فإذا ». .

(*) والصناع : الحاذق بالعمل . اللسان في (ص ن ع) .

(٥) في ن : « شفقة » خطأ .

(٦) في ع : « وظورا » تصحيفاً .

(٧) في م : « دروسا ». .

(٨) في م : « عروسًا ». .

(٩) في م : « أوراقا »؛ وفي ع : « ورقا » تحريفاً.

(١٠) في ط : « جوابا » تحريفاً.

(١١) في ع : « لا يبهي » تحريفاً .

(١٢) في م : « ودار ». .

(١٣) في ن : « المعانى ». .

(١٤) في ن : « المكر ». .

بِهِ عَنِ الْخَيْلِ وَالْخَوْلِ ، وَقَالَتْ : أَعْلَى الْمُمَالِكِ مَا يُبَتِّنُ عَلَى الْأَقْلَامِ لَا مَا يُبَتِّنُ عَلَى
الْأَسْلِ .

وَلِرَبِّمَا لَقِيَ هَذَا القَوْلَ قَوْمٌ^(١) بِإِعْظَامِ النَّكِيرِ ، وَقَالُوا مِنْ أَيْنَ لِلْقَصَبَةِ الْفُسُوقَةِ هَذَا
الْخَطَرُ الْكَبِيرُ ، وَلِلْبَاهِمِ عَذْرٌ لَا تَعْرِفُ مِنْ مَلَادَ الْأَطْعَمَةِ غَيْرَ الشَّعِيرِ وَلَزْ أَنْصَفَ^(٢)
هَؤُلَاءِ لَقَالُوا^(٣) : إِنَّ الْقَلْمَ هُوَ مَزْمَازٌ^(٤) الْمَعْنَى ؛ كَمَا أَنَّ أَخَاهُ فِي النَّسْبِ مَزْمَازٌ
الْأَغَانِي ؛ فَهَذَا يَأْتِي بِغَرَائِبِ الْحِكْمَ ؛ كَمَا يَأْتِي ذَاكَ بِغَرَائِبِ النَّعْمَ^(٥) ، وَكَلَامُهَا شَيْءٌ
وَاحِدٌ فِي الْإِطْرَابِ ، غَيْرَ أَنَّ أَحَدَهُمَا يَلْعَبُ بِالْأَسْمَاعِ ، وَالآخَرُ يَلْعَبُ بِالْأَلْبَابِ .
فِي هَذَا الْكَلَامِ مَعَانٍ مَأْخُوذَةٌ مِنَ الشِّعْرِ ، وَمَعَانٍ مُبَتَّدِعَةٌ لَمْ يَسْبُقْنِي إِلَيْهَا شَاعِرٌ
وَلَا كَاتِبٌ ؛ فَأَمَّا التِّي مِنْ^(٦) الشِّعْرِ ؛ فَمِنْهَا قَوْلُ أَبِي عِبَادَةَ الْبَحْرَى ، [وَهُوَ]^(٧) :
فِي نِظَامٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ مَا شَدَ شَكْ امْرُؤُ أَنَّهُ نِظَامٌ فَرِيدٌ^(٨)
وَمِنْهَا^(٩) قَوْلُهُ أَيْضًا :

طَعَانٌ بِأَطْرَافِ الْقَوَافِيِّ كَانَهُ طَعَانٌ بِأَطْرَافِ الْقَنَاتِ الْمُتَكَسِّرِ^(١٠)

(١) فِي الأَصْلِ : « لَقِي هَذَا القَوْلُ فِي قَوْمٍ » ، وَفِي تِ : « لَقِي هَذَا القَوْلُ قَوْمٌ » ، وَفِي نِ
سَقْطَتْ كَلْمَةً : « قَوْمٌ » ، وَمَا أَبْتَهَ مِنْ طِ ، وَمِ ، وَعِ حَتَّى يَسْتَقِيمَ الْمَعْنَى .

(٢) فِي مِ : « أَنْصَفُوا » خَطَا .

(٣) فِي تِ ، وَطِ ، وَمِ ، وَعِ : « لَعِلْمُوا » ، وَفِي نِ : « لَعِلْمٌ » .

(٤) فِي تِ ، وَمِ : « الْقَلْمَ مَزْمَازٌ » ، وَفِي عِ : « مَزْمَازٌ » تَصْحِيفًا .

(٥) فِي مِ : « النَّعْمَ » تَصْحِيفًا .

(٦) فِي تِ : « فِي » . (٧) الْزِيَادَةُ مِنْ نِ .

(٨) الْبَيْتُ مِنَ الْخَفِيفِ فِي دِيوَانِ الْبَحْرَى / ١ / ٦٣٦ / ٢٥٩ ، وَرَوَايَتِهِ :

فِي نِظَامٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ مَا
شَكْ امْرُؤُ أَنَّهُ نِظَامٌ فَرِيدٌ

(٩) فِي تِ : « وَمِنْهُ » .

(١٠) الْبَيْتُ مِنَ الطَّوِيلِ دِيوَانِ الْبَحْرَى / ٢ / ٨٩٠ / قِ ٣٥٠ ، وَرَوَايَتِهِ :

ومنها قول أبي تمام في وصف شعره^(١) :

عِبَقَاتٍ بِالسَّمْعِ تُبَدِّي وُجُوهاً كَوْجُوهِ الْكَوَاعِبِ الْأَتَرَابِ ^(٢)

ومنها قول أبي الطيب المتنبي :

أَغْلَى الْمَمَالِكَ مَا يَنْتَيْ عَلَى الْأَسْلِ وَالظُّفْرُ عِنْدَ مُحِبِّيهِنَّ كَالْفَقِيلِ ^(٣)

وأما الذي ابتدعته ، ولم أسبق إليه ؛ فهو أنني جعلت القلم مزمار المعاني ، كما أن أخيه في النسـب مزمار الأغانـي ، وذلك^(٤) لأن كلـيـهما قصـبةـ ، ولـهـذا جـعـلـتـ المـزـمـارـ المـوـضـوعـ لـلـغـنـاءـ^(٥) أخـاـ القـلـمـ فـيـ النـسـبـ ، وجـعـلـتـ معـانـيـ هـذـاـ كـنـعـمـ^(٦) هـذـاـ . وـأـمـاـ الـأـوـصـافـ^(٧) الـبـاقـيـةـ التـيـ ذـكـرـتـهـ فـيـ كـوـنـهـ تـخلـةـ وـشـفـةـ إـمـامـاـ ، فـإـنـيـ لـمـ أـسـمـعـهـاـ ، وـإـنـ كـنـتـ قـدـ سـبـقـتـ^(٨) إـلـيـهـاـ . وـهـذـهـ الـأـوـصـافـ الـمـجـمـوـعـةـ هـهـنـاـ فـيـ ذـكـرـ القـلـمـ لـاـ تـجـدـهـاـ فـيـ كـلـامـ آخـرـ غـيـرـ هـذـاـ الـكـلـامـ .

وقد أورذت في وصف القلم فصلاً آخر من كتاب آخر^(٩) إلى بعض الإخوان ، وهو : قوله^(١٠) هو القلم الذي إذا قذف بشعب بيانه رأيت نجوما ، وإذا ضرب ب شيئاً حده^(١١) رأيت كلوما ، وإذا^(١٢) صور المعاني في الفاظها رأيت أرواحا

(١) في ن : « شعر » خطأ .

(٢) البيت من الخيف في ديوان أبي تمام ٣٠٩ / ٤ ق ٣٤٨ .

(٣) البيت من البسيط في ديوان المتنبي ص ٢٥٦ .

(٤) في ت ، وط ، ون ، وع : « وذاك » .

(٥) في ن : « للقتان » .

(٦) في م : « كنعم » تصحيفا .

(٧) في ع : « الأوضاف » تصحيفا .

(٨) في م : « أسبقت » .

(٩) « آخر » غير موجودة في ت ، وط ، وم ، ون ، وع . وفي هامش ع أعلى الصفحة عنوان : « في وصف القلم » .

(١٠) في ن : « قلمه » .

(١١) في الأصل : « شبا حده » ؛ وما أتبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(١٢) في ن : « فإذا » .

وَجُسُوماً ، وَقَدْ شَرَفَ اللَّهُ دُولَةً يَجْلِسُ^(١) فِي حَفْلَاهَا ، وَيَخْطُبُ^(٢) عَنْ أَهْلِهَا ؛ فَهُوَ لَهَا فِي الْحُسْنِ طِرَازٌ ، وَفِي الذُّبُّ عَضْبٌ^(٣) جِرَازٌ ، وَلِطَالِمَا قَالَ فَاسْتَخْفَ مُؤْفَرًا وَكَسَا وَقَارَا ، وَأَطَالَ فَوْجَدَتْ إِطَالَتَهُ بَحْلَوَتَهَا^(٤) إِقْصَارَا ، وَادْعَى الْإِنْفَرَادُ بِهَذِهِ الْمَزِيَّةِ فَأَقْرَأَتْ لَهُ الْأَعْدَاءِ إِقْرَارَا ، وَكُلُّ هَذَا فَضْلٌ لِلْقَلْمِينِ^(٥) غَيْرُ مَدْفُوعٍ ، وَشَاهِدَهُ مَرْئَيَّهُ لَدِيهِ ؛ وَإِنْ عَدَا قَبْلَهُ^(٦) ، وَهُوَ مَسْمُوعٌ .

وَفِي طَلْعَةِ الْبَنْرِ مَا يَغْنِيكَ عَنْ^(٧) رُّحْلِ^(٨)

وَأَقْوَالُ^(٩) غَيْرِهِ مُسْتَقْلَةُ عَنْ أَوَّلِ إِلَى آخِرٍ ، وَالَّذِي يَقُولُهُ لَمْ يَقُلْ ، فَهُوَ^(١٠) رَبُّ الْمَعْانِي الْمُخْتَرَعِ يَسْتَخْرُجُهَا مِنْ قَلْبِهَا^(١١) ، وَبِيرْزُهَا فِي ثُوبِهَا الْقَشِيبِ وَلَيْسَ خَلْقُ الْأَثْوَابِ كَفْشِيبِهَا^(١٢) ، وَقَدْ أَنْسَكَ^(١٣) الْقَلْمَ قَوْمَ رَضُوا مِنَ الْكَتَابَةِ بِتَحسِينِ السُّنُطُورِ ، وَإِذَا أَتَى أَحَدُهُمْ بِشَيْءٍ مِنَ السُّجُعِ فَذَلِكَ^(١٤) هُوَ الْكَاتِبُ الْمَشْهُورُ .

(١) فِي مِنْ : « تَجْلِسُ ». (٢) فِي مِنْ : « تَخْطُبُ » .

(٣) فِي عِنْ : « غَصْبٌ » تَصْحِيفًا ، وَالْعَضْبُ : السِّيفُ الْقَاطِعُ لِلْلُّسَانِ فِي (عِنْ ضِبْ) ، وَالْجِرَازُ : السِّيفُ الْمَاضِيُّ لِلْلُّسَانِ فِي (جِرَازُ) .

(٤) فِي طِنْ ، وَمِنْ ، وَنِعْ : « لَحْلَوَتَهَا » .

(٥) فِي مِنْ : « فَضْلُ الْقَلْمِينِ » . (٦) فِي مِنْ : « وَإِنْ قَبْلَهُ » .

(٧) (عَنْ) غَيْرُ مُوجَودٍ فِي عِنْ .

(٨) عَجَزُ بَيْتٍ مِنَ الْبَسِطِ فِي دِيْوَانِ الْمَتَنِيِّ صِنْ ٣٣٠ وَرِوَايَةُ الْبَيْتِ :

خُلِدَ مَا تَرَاهُ وَدَعَ شَيْئًا سَمِعْتُ بِهِ

فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يَغْنِيكَ عَنْ رُّحْلِ

(٩) فِي نِنْ : « فَأَقْوَالُ » . (١٠) فِي مِنْ : « وَهُوَ » .

(١١) فِي طِنْ : « قَلْبِهَا » تَحْرِيفًا . وَالْتَّلِيلُ : الْبَنْرُ مَا كَانَتْ . وَالْتَّلِيلُ : الْبَنْرُ ، قَبْلَ أَنْ تُطْوَى . الْلُّسَانُ فِي (قِلْ بِبِ) .

(١٢) فِي طِنْ : « كَفْشِيبِهَا » .

(١٤) فِي مِنْ : « فَذَاكُ » ..

وهو لاءٌ فَصَرُوا هِمَّهُمْ عَلَىٰ^(١) الْزِيفِ دُونَ الْلُّبَابِ ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْقَسْرَ لِأَهْلِ^(٢)
الْقَسْرِ ، وَالْلُّبَابُ لِذَوِي الْأَلْبَابِ . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ مِنَ الْأَقْلَامِ رَحْمَةً فِي كَفْ
رَحْمَةٍ^(٣) ، وَعَقَابًا فِي كَفْ عَقَابٍ^(٤)

هذا فصلٌ مِنَ الْكَلَامِ قَدْ اغْتَرَفَ مَعَانِيهِ مِنْ بَخِيرٍ ، وَنَجَّحَتْ الْفَاظُهُ^(٥) مِنْ صَخْرٍ ، بَلْ
فَتَّقَتْ^(٦) مَعَانِيهِ مِنْ صُوَارِ مِسْكٍ ، وَأَخْذَتْ الْفَاظُهُ مِنْ فَرِيدِ سِلْكٍ ، بَلْ جَنَّثَتْ مَعَانِيهِ مِنْ
ثَمَرَاتِ مُخْتَلِفٍ طَغْمَهَا ، وَتَسْجَنَتْ الْفَاظُهُ مِنْ دِيَابِيجٍ^(٧) مُؤْتَلِفٍ رَقْمَهَا .

فَانظُرْ أَيْهَا الْمَتَأْمِلُ إِلَيْهَا نَظَرَ الْمُتَعَجِّبِ بِمَا فِيهَا مِنَ الْإِعْجَابِ ، وَاسْجُدْ لَهَا فَإِنَّ
لِلْبَلَاغَةِ سَجْدَةً^(٨) كَسْجُودَةِ الْكُتَابِ .

وَفِي^(٩) بَعْضِ مَا أُورَدَهُ مِنْ هَذَا^(١٠) الْفَصْلِ مَعَانٍ مَأْخُوذَةً^(١١) مِنَ الشِّعْرِ ؛
فِيمَنْ ذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ الرُّومِيِّ^(١٢) :

(١) فِي مٌ : « عن الزيف ». (٢) فِي نٌ : « للنوى » .

(٣) فِي عٌ : « رَحْمَةٌ فِي كَفْ رَحْمَةٍ » تَصْحِيفًا . الرَّحْمُ : نَوْعٌ مِنَ الطِّيرِ ، وَاحِدَتْ رَحْمَةً ،
وَهُوَ مَوْصُوفٌ بِالْعَدْرِ وَالْمُوقِّعِ ، وَقِيلُ بِالْعَدْرِ . الْلِسَانُ فِي (رَخْ مٌ) .

(٤) يَقْبَلُ هَذَا الْكَلَامُ فِي هَامِشِ صَفْحَةِ الْأَصْلِ : « بَلَغَ ابْنِ الدِّحْمِيِّ عَرْضاً بِالْأَصْلِ
الْمَقْرُوءِ عَلَى الْمَصْنُفِ أَيْدِيَ اللَّهِ تَعَالَى » .

(٥) فِي عٌ : « وَنَحْنَتْ الْفَاظُهُ » تَصْحِيفًا . وَالْفَتَّقُ : الْخِضْبُ ، الْلِسَانُ فِي (خٌ صٌ بٌ) ،
وَالصُّوَارُ : وَعَاءُ الْمِسْكٍ ، وَالصُّوَارُ : الرَّائِحةُ الطَّيِّبَةُ . وَالصُّوَارُ وَالصُّوَارُ : الْقَلِيلُ مِنَ الْمِسْكٍ ،
وَقِيلُ : الْقَطْعَةُ مِنْهُ ، وَالْجَمْعُ أَضْوَرَةٌ ؛ فَارْسِيٌّ . الْلِسَانُ فِي (صٌ وَرٌ) .

(٦) فِي مٌ : « وَفَتَّقَتْ » ، وَفِي نٌ : « فَتَّقَتْ » .

(٧) فِي عٌ : « دِيَابِيجٌ » خَطَا . (٨) فِي نٌ : « وَاسْجُدْ لَهَا فَلِلْبَلَاغَةِ سَجْدَةً » .

(٩) فِي نٌ : « فِي » . (١٠) « هَذَا » غَيْرُ مُوجَرَدَةٌ فِي عٌ .

(١١) فِي مٌ : « مَأْخُوذٌ » خَطَا .

(١٢) فِي مٌ : « لِابْنِ الرُّومِيِّ » . وَابْنُ الرُّومِيِّ هُوَ : عَلَى بْنِ الْعَبَاسِ بْنِ جَرِيجِ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ حَمْسٍ ؛ يَعْرُفُ بِابْنِ الرُّومِيِّ أَحَدُ الشَّعَرَاءِ الْمُكْثِرِينَ الْمَجْوُدِينَ فِي الغَزْلِ وَالْمَدِيْحِ وَالْهَجَاءِ
وَالْأَوْصَافِ وَلَدْ ٢٢١ هـ ، وَمَاتَ لِلْيَتَمِّينِ بِقِيَّاً مِنْ جَمَادِيِّ الْأَوْلَى ٢٨٣ هـ وَقِيلُ ٢٨٤ هـ .

وَحَدِيثُهَا السُّخْرُ الْخَلَالُ لَوْ أَنَّهُ
لَمْ يَعْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ
إِنْ طَالَ لَمْ يَنْمَلْ ^(١) ، وَإِنْ هِيَ أَزْجَرَتْ
وَدَ الْمُحَدِّثُ أَنَّهَا لَمْ تُوجِزِ ^(٢)

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي الطَّيْبِ الْمُتَنبِّيِّ
أَنَّ الْقَائِلُ الْهَادِي إِلَى مَا أَقُولُهُ
إِذَ الْقَوْلُ قَبْلَ الْقَائِلِينَ مَقُولُ ^(٣)

وَأَمَّا مَا سِوَى ^(٤) هَذِهِ ^(٥) الْمَعْانِي الْمَأْخُوذَةِ مِنَ الشِّعْرِ ، فَإِنَّهُ مِنْ بَنَاتِ ^(٦)
الْخَاطِرِ ، الَّتِي ^(٧) لَمْ أَخْذُ فِيهَا حَذْرًا ^(٨) وَقَوْعِ الْحَافِرِ عَلَى الْحَافِرِ ^(٩) ، وَلَا أَدْعُ فِي
ذَلِكَ دَرْجَةَ الْإِبْدَاعِ بَلْ هُوَ مَمَّا تَنَاقَّتْهُ الْأَيْدِي وَتَدَالَّتْهُ ^(١٠) الْأَسْمَاعُ غَيْرَ أَنَّ لَيْ فِضْلَةَ
إِخْرَاجِهِ فِي هَذَا الْمَخْرَجِ ، وَحَوْكِهِ عَلَى هَذَا ^(١١) الْمَشَّاجِ :

= سير أعلام النبلاء ٤٩٥/١٣ ، وفيات الأعيان ٣٥٨/٣ : ٣٦١ ، البداية والنهاية ١١/٧٤ و ٧٥ ،
النجم الزاهرة ٩٦/٣ ، الفهرست ٢٣٥/١

(١) في ع : « يملك » تحريفا .

(٢) اليبيان من الكامل في ديوان ابن الرومي ٣/١١٦٤ ، ق ٩٤٤ ، تحقيق د. حسين نصار
وآخرين ، الهيئة العامة للكتاب ، إيداع سنة ١٩٧٨ م . ورواية البيت الأول :

..... لو انها لم تجن

(٣) البيت من الطويل في ديوان المتني ص ٣٥١ ، وروايته :

السابق

(٤) في ط ، ون : « وأما سوى » . (٥) في ع : « هذا » خطأ .

(٦) في ع : « بنات » تصحيفا .

(٧) في الأصل : « الذي » ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٨) في م : « أجذوا » خطأ ، وفي ع : « لم أجذ » تصحيفا .

(٩) في م : « انحافر » تحريفا . (١٠) في ن : « وتناولته » .

(١١) في م ، ون : « على منوال هذا » .

وَلَيْسَ يَعْرِفُ لِي فَضْلِي وَلَا أَدْبِي
إِلَّا امْرُؤٌ^(١) كَانَ ذَا فَضْلٍ وَذَا أَدْبٍ^(٢)

ومن هذا القسم الذي هو حلُّ الشِّعر^(٣) ببعض لفظه « ما ذكرته في ذم كاتب ، وهو : لا يمشي قلمه في قرطاس إلا ضلٌّ عن النهج ، ولا يصوغ لفظاً إلا قيل : رَبَّ حَدَثٍ مِنَ الْفَمِ كَحَدَثٍ مِنَ الْفَرْجِ^(٤) ؛ فَلَمَّا عَنِ الْفَهَادَةِ^(٥) ولغيره بسطة الفصاحة ، والذى^(٦) يقوله مستباح^(٧) من أقوال الناس فهو لا ينفك عن الأقوال المستباحة ؛

وَقَدْ يَجِدُ بِخُلْطٍ فَالْتَّحَاسُ لَهُ وَلِلأَوَّلِيَّاتِ مَا فِيهِ مِنَ الذَّهَبِ^(٨)
سبحان الله ، أَفَكُلُّ مَنْ تَنَوَّلَ قَلْمَانِ^(٩) كَتَبَ؟! . ، أَمْ كُلُّ مَنْ رَقَى مِنْهَا
خَطَبَ؟! . والدعوى في هذا المقام كبيرة^(١٠) ، بل^(١١) ليس القنا كغيرها من
القصب . وشئ من هذا الفصل مأخوذ من شعر أبي الطيب في قوله :

(١) في م : « أمر » تحريفا .

(٢) البيت من البسيط في ديوان ديك الجن الحمصي جمعه وشرحه عبد المعين الملوي
ومحيي الدين الدرويش مطابع الفجر الحديثة - حمص ١٠/١٢/١٩٦٠ ، ص ٢٦ و في تاريخ
دمشق الكبير لابن عساكر ٣٦/٢٠٣ ، وروايته :

ذَا قَدْرٍ

قَدْرِي

(٣) في ن : « الشر » خطأ .

(٤) في ع : « الفرج » تصحيفا .

(٥) الفهادة : النسيان ، لسان العرب (فيه) .

(٦) في ع : « الذي » .

(٧) « مستباح » غير موجودة في ت .

(٨) البيت من البسيط في ديوان ابن الرومي ١ / ٢٧١ / ق ١٩٦ ، تحقيق د. حسين نصار .
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وروايته :

وَلِلأَوَّلِيَّاتِ صَافِيهِ مِنَ الذَّهَبِ

(٩) في ع : « فلما » تصحيفا .

(١٠) في ط ، وع : « كثيرة » .

(١١) في ت ، وط ، وع : « لكن » .

حَلَّتْنَمِ مِنْ مُلُوكِ النَّاسِ كُلُّهُمْ مَحَلٌ سُمْرِ القَنَا مِنْ سَائِرِ القَضَبِ^(١)

وَمِنْ^(٢) هَذَا الْقَسْمِ مَا ذُكِرَتْهُ فِي وَصْفِ الشَّمْعَةِ ، وَذَلِكَ فَصْلٌ مِنْ جَمْلَةِ^(٣)
كَتَابٍ كَتَبْتُهُ إِلَى بَعْضِ الإِخْرَانِ ، وَهُوَ : وَكَانَ بَيْنَ يَدَيَ شَمْعَةٍ تَعْمَلُ^(٤) مَجْلِسِي
بِالإِيمَانِ ، وَتُغْنِيَنِي بِوَحْدَتِهَا عَنْ كُثْرَةِ الْجَلَاسِ ، وَيَنْطَقُ لِسَانُهَا أَنَّهَا^(٥) أَخْمَدَ
عَاقِبَةَ مِنْ مُجَالِسَةِ النَّاسِ ؛ فَلَا الأَسْرَارُ عِنْهَا بِمَحْفُوظَةٍ ، وَلَا السَّقَطَاتُ لِدِينِهَا
بِمَحْفُوظَةٍ^(٦) . وَكَانَتِ الرِّيحُ تَلَعَّبُ بِلَهْبِهَا ، وَتَخْتَلِفُ عَلَى شَعْبِهِ بِشَعْبِهَا ؛ فَطَوْرًا
تَقِيمُهُ فِي صِيرِ أَنْمَلَةٍ ؛ وَطَوْرًا ثَمِيلَةٍ فِي صِيرِ سَلْسَلَةٍ ؛ وَتَارَةً تَجْوَفُهُ فِي تَصَوُّرٍ^(٧) مُذْهَنَةٍ ؛
وَتَارَةً تَجْعَلُهُ ذَا وَرَقَاتٍ فَيَتَمَثَّلُ سَوْسَنَةٍ ؛ وَأَوْنَةً تَنْشَرُهُ فَيَنْبَسِطُ^(٨) مَنْدِيلَةٍ ؛ وَأَوْنَةً تَلْكَمَهُ
عَلَى رَأْسِهَا فِي سَدِيرٍ^(٩) إِكْلِيلًا . وَلَقَدْ تَأْمَلْتُهَا فَوْجَدْتُ نَسِيَّتَهَا إِلَى الْعَنْصَرِ الْعَسْلَى ،
وَقِدُّهَا قُدُّ الْعَسَالِ ، وَبِهَا يُضَرِّبُ الْمَكَلُ لِلْحَلِيمِ غَيْرَ أَنْ لِسَانَهَا لِسَانُ الْجَهَالِ ؛
وَمَذْهَبُهَا هُوَ مَذْهَبُ الْهَنْوَدِ فِي إِحْرَاقِ نَفْسِهَا بِالثَّارِ ، وَهُنَّ شَيْبَهُ بِالْعَاشِقِ فِي اِنْهَمَالِ
الْدُّفْنِ وَاسْتِمَارِ السَّهَرِ وَشَدَّةِ الْاَضْفَارِ ، وَكُلُّ هَذَا تَجْدَدٌ لَهَا بَعْدَ فَرَاقِ أَخِيهَا
وَدَارِهَا ، وَالْمَوْتُ فِي^(١٠) فَرَاقِ الْأَخِ وَفَرَاقِ الدَّارِ .

(١) الْبَيْتُ مِنَ الْبِسْطَى فِي دِيْوَانِ الْمُتَنبِّى ص ٤٢٦ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَفِي » ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ تِ ، وَطِ .

(٣) « جَمْلَةٌ » غَيْرُ مُوجَودَةٌ فِي طِ .

(٤) فِي تِ ، وَطِ : « تَعْمَرُ » .

(٥) فِي عِ : « لِسَانُهَا أَنَّهَا » ، وَخَالَهَا غَيْرُ مُوجَودَةٌ .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « مَحْفُوظَةٌ » ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ تِ ، وَطِ .

(٧) فِي تِ : « فِي صِيرِ » وَالْمُذْهَنَةُ مَا يَجْعَلُ فِي الْدُّهْنِ فَيَكُونُ قَدْ شَبَهَهُ بِصَفَاءِ الْدُّهْنِ . الْلِسَانُ
فِي (دَهْن) .

(٨) فِي تِ : « فِي صِيرِ » ، وَفِي طِ : « فَيَنْبَسِطُ » ، وَفِي عِ : « فَيَنْبَسِطُ » تَحْرِيفًا .

(٩) فِي : « فِي صِيرِ » .

(١٠) فِي عِ : « وَالْمَوْتُ مِنْ فَرَاقِ » وَقَدْ ضَرَبَ النَّاسَ خَطْبَيْنِ عَلَى « فِي » .

وهذه معانٍ كريمة لم يُؤتَ بِمثيلها في الشمعة^(١) ؛ غير أن منها معنى واحداً مأخوذاً^(٢) من شعر القاضي الأرجاني^(٣) ، وهو :

وَأَنَا لَهُ هُوَ قَدْ فَقَدْتُ بِعَيْنِي
أَلَّا نِسَ بُخْلُ مَدَاعِي بَقِيعِ ؟
بِالنَّارِ فَرَقَتِ الْحَوَادِثُ بَيْنَنَا
وَبِهَا تَلَرَتُ^(٤) أَعُوذُ أَفْلُ^(٥) رُوحِي^(٦)

ومن هذا^(٧) القسم^(٨) ما ذكرته في وصف سخني^(٩) ، وهو : لقد جازاني^(١٠)

(١) في ع : « في شمعة » .

(٢) في الأصل ، وط ، وع : « مأخوذاً » ، وما أثبته من ت .

(٣) القاضي الأرجاني ناصح الدين أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني شاعر وفقيه ؛ ولد في حدود ٤٦٠ هـ / ١٠٢٨ م ، ومات في شهر ربیع الأول سنة ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م . سير أعلام النبلاء ٢١٧ و ٢٥٦ ، وفيات الأعيان ١٥١ : ١٥٥ ، النجوم الزاهرة ٥ / ٢٨٥ ، طبقات الشافعية الكبرى ٥٢ / ٦ .

(٤) في ع : « قلت » . (٥) في ع : « أقتلك » ، تحريف أخل بوزن البيت .

(٦) البيت الأول غير موجود في ديوان الأرجاني . أما البيت الثاني موجود في ديوانه ١ / ١٨٦ ضمن مقطوعة من خمسة أبيات في وصف شمعة وهو البيت الأخير ، ديوان الأرجاني تقديم قدرى مابو - دار الجيل - بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٨ م ؛ وكذلك ورد هذا البيت فقط بديوانه ص ٨٣ بيروت سنة ١٣٠٧ هـ بتصحيح أحمد عباس الأزهري . والبيتان من الكامل في ديوانه ١ / ٢٣٤ ٥٧ تحقيق ودراسة محمد مصطفى قاسم ؛ رسالة دكتوراة بالمكتبة المركزية لجامعة القاهرة تحت رقم ٢٢٨٥ – ١٩٧٧ م إ . د . حسين نصار . ورواية البيت الأول :

ولقد

وفي ت كتب مكان الشعر : « لدى ترك في الأصل بياض قدر سطر » .

(٧) في ع : « هذه » خطأ .

(٨) هنا يتهم خرم وقع في م ، ونبدأ من ص ٢٥٤ من قوله : ما ذكرته في ذم كاتب .

(٩) في م ، ون : « كريم » .

(١٠) في ت ، وط ، وع : « ولقد جازاني » ؛ وفي ن : « قد جاز لي » خطأ .

في سبق مطالبي بالعطاء حتى حكم إسراوغ على إسراعي بالإعطاء ، وخلقيه^(١) الكرم من شأنها أن تأتي عجلة ، ولا تكون اليد العليا شريفة^(٢) إلا إذا سبقت اليد السفلية ؛ ولهذا قيل : إن قليل الابداء خير من كثير الاجياد ، ورداً العطايا ليس بكاس إذا حسر ما^(٣) على الوجه من الرداء .

وبعض هذا الكلام مأخوذ من^(٤) بيّن شعر : أحدهما لأبي الطيب المتنبي ، وهو^(٥)

وَجَاؤَنِي^(٦) بِأَنْ يُغْطِي^(٧) وَأَخْوَى فَأَغْرَقَ نَبْلَةً أَخْذَى سَرِيعًا^(٨)
وَالآخْرُ لَأَبِي تَمَامٍ ، وَهُوَ :

مَا مَاءَ كَفْكَ إِنْ جَادَتْ بِنَائِلِهَا

مِنْ مَاءَ وَجَهِي إِذَا أَفْنَيْتَهُ^(٩) عَوْضُ^(١٠)

والأخذ من بيت أبي الطيب المتنبي^(١١) أكثر إصراراً من بيت أبي تمام . « وفي الأخذ من بيت أبي تمام »^(١٢) ضرب من الكيمياء الذي ينقل^(١٣) الأعيان من صورة

(١) في ع : « خليفة » تصحيفا . (٢) في ع : « شريفة » .

(٣) في الأصل : « حسرها » ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٤) « مأخوذ من » سقطت من م .

(٥) « وهو » سقطت من ن .

(٦) في م : « وجاؤنني » تصحيفا .

(٧) في م : « أعطى » .

(٨) البيت من الواffer في ديوان المتنبي ص ٨٣ .

(٩) في ط أثبت الناسخ فوق كلمة « أفنـته » كلمة « أتفـته » وفوقها علامـة صـح .

(١٠) البيت من البسيط في ديوان أبي تمام ٤٦٥/٤ ق ٤٣٨ ، وروايته :

مَا مَاءَ كَفْكَ إِنْ جَادَتْ وَإِنْ بَخْلَتْ

(١١) في ت : « أبي الطيب » ، وفي ع : « من بيت المتنبي » .

(١٢) ما بين علامـى التنصـيص سقطـ من ن ، وأثـبت مـكانـه : « فـإـنه ضـرب ... » .

(١٣) في ط ، وم : « تـنقـل » .

إلى صورة ، حتى ينقل الحجر ياقوتا ، والنحاس فضة وذهبا . فانظر إلى هذا الفصل من الكلام المثبور ، وإلى هذين البيتين من الشعر ، وأغطي ذلك حتى النظر حتى تعلم ما في [هذا] ^(١) الكلام المثبور من الزيادة معنى ولفظا ^(٢)

ومن هذا القسم ما ذكرته في وصف سخن ^(٣) أيضا ، وهو ولقد عدا السحاب ^(٤) طوره إذا ^(٥) هطل في بلدة هو بها ^(٦) مقيم ، لكن عنده أئمَّةً متعلما ^(٧) وقد جرت العادة بإفاده التعليم ؛ وما أقول إله يقابل ذلك الوجه الندي ^(٨) إلا بوجه قل ماؤه ، ولو استخنيا ^(٩) منه حق الحياة لما هطلت سماءه وأئمَّةً يقاسُفيف كرمه بغير كرمه ! . وهذا معيب ^(١٠) بإقلال دينيه . ولو يبذل من مائه ما يبذله ^(١١) من ماله لتجد للناس [في] ^(١٢) كل يوم طوفان جديد ، ورأوا ^(١٣) منه عيائنا ما سمعوا به ^(١٤) خبرا ، وإذا جاء العيان ألوى بالأسانيد .

(١) الزيادة من ن .

(٢) في ط : « لفظاً ومعنى » .

(٣) في م : « كريم » ، وفي ن : « عن وصف كريم » .

(٤) في ع : « عد السحاب » .

(٥) في ط ، وم ، وع : « إذا » .

(٦) في ت : « في بلد هو به مقيم » ، وفي م : « في بلدة وهو بها » .

(٧) في ن : « أنه متعلم » خطأ .

(٨) في الأصل بخط مختلف : « الذي يرى » ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٩) في ع : « استحني » .

(١٠) في ط : « مغرب » تحريفا .

(١١) في ن : « ما يبذل » .

(١٢) الزيادة من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(١٣) في ن : « ولرأوا » .

(١٤) في ت ، وط ، وم ، ون : « ما سمعوه » .

وبعض هذا مأخوذ من شعر أبي نواس ، وشعر^(١) أبي الطيب المتنبي^(٢) أما أبو نواس ؛ فقوله :

إِنَّ السَّحَابَ لَتَسْتَخِي^(٣) إِذَا نَظَرَثُ
إِلَى نَدَاءِ فَقَاسَتْهُ بِمَا فِيهَا^(٤)

وأما أبو الطيب المتنبي^(٥) فقوله :

لَوْ كُنْتَ بَغْرًا^(٦) لَمْ يَكُنْ لَكَ سَاحِلٌ
أَوْ كُنْتَ غَبْنَا ضَاقَ عَنْكَ الْلَوْحُ
وَخَشِبَتْ مِثْكَ عَلَى الْبِلَادِ وَأَهْلَهَا
مَا كَانَ أَنْلَأَ قَوْمَ ثُوحَ ثُوحَ^(٧)

لكن إذا نظرت إلى هذا الفصل [من الكلام المثور^(٨)] ، وإلى الآيات المشار إليها علمت أن الآخر متقدم على الأول ، وتمثلت بقول القائل :

وَقُلْ^(٩) إِنَّهُ دَارِسٌ مِنْ مُعَوْلٍ^(١٠)

« ومن هذا القسم ما ذكرته في وصف رجل بالرأي والشجاعة ، فقلت : إذا رفعت الخطوب أعنقها ، لقيتها من رأيه سعيد الذابح^(١١) . وإن دجاج ليها ، عشيّة

(١) « وشعر » غير موجودة في ن . (٢) « المتنبي » غير موجودة في ن .

(٣) في الأصل : « لستخي » ، وما أثبته من ت ، وط ، وف ، ون ؛ وفي ع : « لستخي » وبها يدخل الوزن .

(٤) البيت من البسيط في ديوان أبي نواس ص ٦٨٥ ، دار صادر - بيروت .

(٥) في ط : « وأما قول أبي الطيب فهو » ، و « المتنبي » سقطت من ع .

(٦) في م : « بحر » خطأ .

(٧) البيان من الكامل في ديوان المتنبي ص ٦٢ . اللوح : ما بين السماء والأرض .

(٨) الزيادة من ت ، ون . (٩) في ط : « فهل » .

(١٠) عجز بيت من الطويل لأموى القيس وصدره :

إِنَّ شِفَاعَيِّ عَبْرَةٌ إِنْ سَفَخْتُهَا

(١١) في ع : « الزابع » خطأ .

من عزمه بالسماكِ الرامح ؛ فهو في إحدى الحالتين يُسفِك دماءها ، وفي الحال الأخرى يَخْلُو^(١) ظلّمأهَا ؛ ولهذا ترى وقد أخلفت عن طريقه ، ورجعت عن حرب عدوه إلى سلم صديقه .

في هذا الفصل معنى مأخوذ من شعر البحترى :

سَمَاهَ سَغَدَا ظَنَّ أَنْ يَخْيَا بِهِ عَمْرِي لَقَذَ الْفَاهَ سَعْدَ الدَّابِحِ

إلاً أَنَّ الَّذِي أَتَيْتُ بِهِ أَشَدُ^(٢) ، وَأَمْتَنُ ، وَأَحْسَنُ مَوْقِعًا ، وَالْأَطْفَلُ مَاخِذًا ؛ لَأَنِّي
ذَكَرْتُ الْعُنْقَ وَالنَّبْحَ وَاللَّيلَ وَالسَّمَاكَ ، وَلَا خَفَاءَ بِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَنَاسِبَةِ .

وَمِنْ هَذَا الْقَسْمِ مَا ذَكَرْتُهُ فِي الْبَأْسِ وَالْطَّمْعِ ، وَهُوَ : إِذَا نَظَرَ إِلَى الْبَأْسِ^(٤)
وَالْطَّمْعِ وُجِدَّا سَوَاءٌ فِي جَذْوَى الْإِعْطَاءِ ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا إِلَّا فِي رَوْحِ التَّعْجِيلِ ،
وَكُثْرَيَّةِ^(٥) الْإِبْطَاءِ ، وَمِنْ هُنْهَا جَعَلَ الْبَأْسَ غَنِيًّا وَالْطَّمْعَ قَفْرًا ، وَأَوْسِعَ صَاحِبَ هَذَا
ذَمَّاً ، وَصَاحِبُ هَذَا شُكْرًا . أَلَا تَرَى أَنَّ لِيَتْ وَلَعْلَ حِرْفَانِي مِنَ الْحَرْوَفِ النَّاصِيَةِ ،
وَلَا أَعْنِي بِذَلِكَ إِلَّا نَصْبَ النَّفْسِ الَّتِي لَا تَرْزَالُ بِهِ^(٦) تَعْبَةً لاغْبَةً .

بعض^(٧) هذه المعاني مأخوذ من شعر أبي تمام ، وهو :

تَوَهُّمُ آجِلِ الْطَّمْعِ الْمُفَيَّبِيِّ تَيْقُنُ عَاجِلِ الْبَأْسِ الْمُنْبَلِّ »^(٨)

(١) في ع : « يَخْلُو » تصحيفا . والسماك الرامح : نجم نير . اللسان في (س م ك) .

(٢) البيت من الكامل في ديوان البحترى / ١ / ٤٧٣ / ق ١٩٥ ، وسعـد الدـابـح : متـزلـ منـازـلـ الـقـمرـ ، أحـدـ السـعـودـ .. اللـسانـ فيـ (ذـ بـ حـ) ، وراجـعـ العـمـدةـ لـابـنـ رـشـيقـ / ٢ / ٢٥٥ .

(٣) في ط : « أشـدـ » .

(٤) في ع : « الـبـأـسـ » تصحيفا .

(٥) في ت ، وط : « كـربـ الـإـبـطـاءـ » .

(٦) في ت : « الـذـىـ لـايـزالـ تـعبـةـ لـاغـبـةـ » ؛ وفي ط : « إـلـاـنـصـبـ الـنـفـسـ الـذـىـ لـاتـزالـ تـعبـةـ لـاغـبـةـ » .

(٧) في ت : « وـيـعـضـ » .

(٨) البيت من الوافر في ديوان أبي تمام / ٤ / ٤١٦ / ق ٤٠٨ . ويـتـهـيـ هناـ خـرمـ وـقـعـ فـيـ مـ ، وـنـ بدـأـ فـيـ نـهـاـيـةـ الصـيـفـحةـ السـابـقـةـ .

ومن هذا القسم ما ذكرته في [فصل من]^(١) كتاب يتضمن تعزية ، وهو : إذا فاز المرء من اليقين بحظه ، ولحظ الدنيا بقلبه لا بلحظه ؛ علمن أن عطايها^(٢) عارية مردودة ، وأنها وإن طالت مدة وجودها فإنها مفقودة وما ينبغي له حيثن أن يسر بالشئ المعارض ، ويحزن إذا دُخِر^(٣) له في خزائن الأذى^(٤) ، ونقل^(٥) من دار المتع إلى دار القرار . وبعض هذا الكلام مأخوذ من شعر أبي تمام :

وأكثُر حالات ابن آدم خلقة^(٦)

يضل^(٧) إذا فكرت في كنهها الفنر
فيفرح بالشئ المعارض بقاوه
ويحزن لـما صار وهو له دُخِر^(٨)

ولا خفاء بما في [هذا]^(٩) الكلام المتشور من الزيادة على هذين البيتين .
وممـا يـتـحـرـط^(١٠) في هذا السـلـكـ ما ذـكـرـتـهـ فيـ فـصـلـ منـ كـتـابـ ،ـ وـهـوـ:ـ كـانـتـ

(١) الزيادة من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٢) في ع : « عتابها » تحريفا .

(٣) في ت ، وط ، ون : « دُخِر » .

(٤) في ن : « الأخبار » خطأ .

(٥) في ع : « ونقد » تحريفا .

(٦) في م ، وع : « خلقة » .

(٧) في م : « يظل » .

(٨) البيان من الطويل في ديوان أبي تمام ، ورواية البيت الأول :

..... خلقة

وفي شرح الخطيب التبريزى لهذا البيت يقول : « المعنى يصح على : خلقة ، وخلقة ؛ فإذا رويت بالكاف فالمعنى أن حالات ابن آدم طبعه وخلقته التي جبل عليها ... ، وإذا رويت خلقة بالفاء فالمعنى أن حالات ابن آدم مختلفة » ٤/٨٦ ق ١٩٣ .

(٩) الزيادة من ط ، ون .

(١٠) في م : « ومما نظمته » خطأ .

الدُّنْيَا بِهِ مَسْرُورَةٌ فَطُوْيٌ^(١) عَنْهَا لِبَاسٌ^(٢) السُّرُورُ ، وَكَانَتِ الرُّلْقَى لَهَا بِحَيَاةِ
فَانْتَقَلَتِ^(٣) الرُّلْقَى إِلَى أَهْلِ الْقُبُورِ . فِيَا بُؤْسَى لِلأَحْيَاءِ^(٤) بِعُدُوهُ ، وَبِاً طُوْيِّلَ لِلْأَمْوَاتِ
بِاقْتِرَابِهِ ؛ وَلَا وَاللَّهِ مَا عَلِمَ النَّاسُ قَدْرَ هَذَا الرُّزْءَ لَأَنَّهُمْ لَمْ يُوفُوا حَقَّ مُصَابِهِ^(٥) . وَمَا
أَقُولُ إِنَّهُ كَانَ لِلأَرْضِ إِلَّا بِمَرْتَلَةِ الْأَرْوَاحِ^(٦) مِنَ الْأَجْسَادِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ السَّمَاءَ
حَسَدَتِهَا عَلَى الْأَخْتَاصِ بِهِ فَمَا أُعِيدَتْ^(٧) مِنْ حَسَدِ الْحُسَادِ . وَبِمَاذَا يَمْدُحُهُ
الْمَادُّ^(٨) ، وَقَدْ أَسْلَمَهُ الْعَيَانُ إِلَى الْخَبَرِ ، وَإِنْ قِيلَ لَوْلَا التَّيْئَ لَمْ تُخْلَقْ^(٩) شَمْسٌ
وَلَا قَمَرٌ ؟ قَلْتُ : وَلَوْلَا مَوْتُهُ^(١٠) لَمْ تُخْسَفْ^(١١) شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ .

وَفِي^(١٢) هَذَا الْفَصْلِ مَعِيَ بَيْتٌ مِنَ الشِّعْرِ ، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي نُوَاسَ^(١٣) :

لَا خَبِيرٌ لِلْأَخْبَاءِ فِي عَيْشِهِمْ
بَعْدَكَ وَالرُّلْقَى لِأَهْلِ الْقُبُوزِ^(١٤)

(١) فِي ط : « فَطُوْيٌ » .

(٢) فِي ط : « لِيَاسٌ » تَصْحِيفًا ، وَفِي ع : « الْبَاسُ » تَحْرِيفًا .

(٣) فِي ن : « فَانْقَلَبَتْ » .

(٤) فِي م : « الْأَحْيَاءُ » .

(٥) فِي م : « لَمْ يَعْرُفُوا قَدْرَ مُصَابِهِ » .

(٦) فِي ن : « وَمَا أَقُولُ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لِلأَرْضِ إِلَّا بِمَرْتَلَةِ الْأَرْوَاحِ » .

(٧) فِي م : « أُعِيدَ » ، وَفِي ن : « أُعِيدَهُ مِنْ » .

(٨) فِي ط : « الْمَادُّ » .

(٩) فِي م ، وَع : « يَخْلُقُ » .

(١٠) فِي ن : « مَوْنَهُ » خَطَأً .

(١١) فِي ن : « يَخْسَفُ » ، وَفِي ع : « نَحْسَفُ » تَصْحِيفًا .

(١٢) فِي ت ، وَط ، وَم ، وَن ، وَع : « فِي » .

(١٣) فِي ن : « النَّوَاسُ » .

(١٤) الْبَيْتُ مِنَ الْخَفِيفِ فِي دِيْوَانِ أَبِي نُوَاسَ ص ٣٤٣ .

وفيه معنى خبر من الأخبار النبوية؛ إلا أن هذا الموضع يتعلّق بحلٍ^(١) الشعري، وإذا جاء [فيه]^(٢) معنى الخبر أو الآية كانا^(٣) ضمناً وتبعًا . « ومن هذا النحو ما ذكرته في فصلٍ من كتابٍ يتضمن تعزية ، وهو : كيف يُظلِّم ذلك اللحد وبه من أعمال ساكته أثوار ، أم كيف يُجذب وبه من فيض يمينه سحاب مذرار ؛ أم كيف يخفيه^(٤) طول العهد على رؤاره وطيبة ترايه^(٥) هاد للرؤار .

وهذا الفصل فيه معنى بيت^(٦) من الشعري

أَرَادُوا لِيَخْفُوا قَبْرَةَ عَنْ عَدُوِّهِ
فَطَبِّبُ تُرَابُ الْقَبْرِ دَلَّ^(٧) عَلَى الْقَبْرِ^(٨)

وكذلك قلت في فصل^(٩) من كتاب أعزى^(١٠) به بعض الإخوان في^(١١) أخيه ، وهو : وياأسنا كيف أطأ على ظهر الأرض ، وهو في بطنه ملحوذا ، أم كيف أرعى نجوم السماء وليس [هو بينها]^(١٢) موجودا ، أم كيف أعد أسماء البحار وليس [هو]^(١٣) في جملتها معدودا ، أم كيف أخمد من

(١) في الأصل : « بكل » وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٢) الزيادة من ت ، وط ، وم ، ون .

(٣) في ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « كان » .

(٤) في ع : « تخفيه » تصحيفا .

(٥) في ت : « تربه » .

(٦) في الأصل ، وت ، وم ، ون ، وع : « من بيت » ؛ وما أثبته من ط .

(٧) في ط ، وع : « نم » .

(٨) البيت من الطويل لصريح الغوانى مسلم بن الوليد ص ٣٢٠ / ١٢٦

(٩) في ط : « وهو فضل » .

(١٠) في ع : « أغرى » تصحيفا .

(١١) « في » سقطت من ع .

(١٢) في الأصل : « وليس منها موجودا » ، وما أثبته من ت ، وفي ط ، وع : « وليس بينها » .

(١٣) الزيادة من ز ت ، وفي ط : « أعد نجوم السماء وليس في جملتها » .

بعدِهِ^(١) عيشاً وقدْ كانَ العيشُ كاسِمِهِ مُحَمَّداً وَهَذَا الْمِنْتُ^(٢) كَانَ اسْمُهُ مُحَمَّداً^(٣) وَفِي هَذَا الفَصْلِ مَا هُوَ مُأْخُوذٌ^(٤) مِنَ الشِّعْرِ، وَهُوَ:

بِرَغْمِيْ أَنْ أَعْنَفَ فِيْكَ دَهْرًا قَلِيلًا فِكْرَهُ بِمُعْنَفِيْهِ
وَأَنْ أَزْعَى النُّجُومَ وَلَسْتَ فِيْهَا وَأَنْ أَطْأَ الثَّرَابَ وَأَثْتَ فِيْهِ^(٥)

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ^(٦) مَا ذَكَرْتُهُ فِي صَدِيرِ كِتَابِ إِلَى الْدِيْوَانِ الْعَزِيزِ النَّبَوِيِّ بِبَغْدَادِ^(٧)، وَهُوَ: إِذَا أَنْشَأَ^(٨) الْخَادِمُ كِتَابًا إِلَى الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ تَحَاسَّدَتْ عَلَى الْأَخْتَصَاصِ^(٩) بِهِ ضَرْبُ الْمَعْانِيِّ، وَتَمَّنَّى كُلُّ مِنْهَا أَنْ يُوَدَّعَ فِي أَنْتَاهِ^(١٠) حَتَّى تَنَازَعَتْ فِي الْأَمَانِيِّ؛ وَلَوْ طَمَعَتِ التَّوَافِيِّ أَنْ تَضَمَّنَهُ^(١١)؛ لَظَلَّتْ فِيهِ سَاهِرَةً، وَلَأَضَحَّتْ^(١٢) عَلَى الْخَطَبِ وَخُطْبَائِهَا فَاخِرَةً. لَكُنَّهَا عَلِمَتْ أَلَّا مَطْمَعَ لَهَا فِيمَا

(١) فِي ط: «أَحْمَدْ بَعْدَهُ».

(٢) فِي ت: «الْمِنْتُ».

(٣) فِي ت، وَع: «كَانَ اسْمُهُ مُحَمَّد».

(٤) فِي ط: «وَهَذَا الفَصْلِ مُأْخُوذُ».

(٥) الْبَيَانُ مِنَ الْوَافِرِ لِلْمَاهِرِ الْحَلَبِيِّ: أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ فَضَالٍ أَبُو الْفَتحِ الْمَوَازِينِ الْحَلَبِيِّ الشَّاعِرُ الْمُعْرُوفُ بِالْمَاهِرِ الْمُتَوَفِّيِّ سَنَةَ ٤٥٢ هـ، الْوَافِيُّ بِالْوَقِيفَاتِ لِلصَّفَدِيِّ ١٧٤/٧، دَارُ صَادِر - بَيْرُوت ١٩٦٩، بِاعْتِنَاءِ إِحْسَانِ عَبَّاسٍ، وَرِوَايَةُ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ:

بِرَغْمِيْ أَنْ الْوَمْ عَلَيْكَ دَهْرًا قَلِيلًا فِكْرَهُ بِمُعْنَفِيْهِ
وَهُنَا نَهَايَةُ خَرْمٍ فَقَعَ فِي م، وَنَبْدَأُ فِي ص ٢٦٣ .

(٦) فِي ن: «النَّحْوُ».

(٧) فِي ط: «بِعَذَادُ»، وَفِي م: «بِتَعْدَادُ» تَصْحِيفًا.

(٨) فِي ع: «نَشَأُ».

(٩) فِي ع: «الْأَخْصَاصُ» تَصْحِيفًا.

(١٠) فِي م: «أَبِيَاتَهُ».

(١١) فِي م: «يَتَضَمَّنَهُ»، وَفِي ع: «فِي أَنْ تَضَمَّنَهُ».

(١٢) فِي م: «وَلَا أَضَحَّتْ» تَحْرِيفًا، وَفِي ن: «وَلَأَضَحَّتْ».

اختُصَّ القرآن بتنزيل^(١) مدحه ، وتولى الروح الأمين تفصيل شرحه . ولكتُبِ الخادمِ فضلٌ [على]^(٢) ما يصلُّ عن^(٣) غيره من كتاب ، وليس ذلك^(٤) إلا لأنَّ ولاءه يحوك^(٥) رياضها^(٦) والروضُ على قُلُوبِ السَّحَابِ . وقد تصفحَها الديوانُ العزيزُ فاستقامت على نظره أولاً وأخيراً ، ولو صدرت عن غير ولاء صادي لوجده^(٧) فيها اختلافاً كثيراً .

هذا الفصل فيه معانٍ كثيرة ، وهو من محاسنِ ما يكتبُ في مثلِ هذا الموضوع . وليس فيه ما هو مأخوذٌ من الشعر إلا مغنى واحدٌ من شعر أبي تمام :

تَحَاسَدَ الشَّغْرُ فِيهِ إِذْ سَهَّلْتُ لَهُ حَتَّى ظَنِّثَ تَوَافِيهِ سَقْنَتِلُ^(٨)

والذى تضمِّنه^(٩) الكلام المنشور^(١٠) من المعانى الباقيَةِ أكرم محتداً ، وأعذب^(١١) مورداً ، وأسدُ مقصداً ؛ وفي حُسْنِيهِ ما يشهدُ لنفسه ، وهل يحتاج النهار إلى شاهدٍ بعد طلوع شمسه ؟ .

(١) في ن : « فيما احتضن القرآن تنزيل » وهي عبارة أصابها التحرير .

(٢) الزيادة من ت ، وط ، ون ، وفي م : « فضل على » تصحيفاً .

(٣) في ط : « ما يصلُّ من » .

(٤) في ت : « ذاك » .

(٥) في ن : « بحوك » .

(٦) في ت : « روضها » .

(٧) في م : « لوجدوا » .

(٨) ينظر ابن الأثير في هذه الفقرة إلى ما كتبه ابن زيدون لابن الأنفيس الحاجب ، راجع ديوان ابن زيدون / ٢٦٢ ، والبيت من البسيط في ديوان أبي تمام ١٠/٣ / ١١١ ، وروايته :

.....

تفاير

(٩) في م : « نظمته » تحريفاً .

(١٠) في ع : « المنشور » تحريفاً .

(١١) في ع : « واعذاب » تحريفاً .

ومن هذا القسم ما ذكرته في إيقاع غلام ، وهو فصل من كتاب^(١) : وأما فلان
فإنه أبقى من يد كريم لوز كان للدنيا سعنة صدره لم تضيق^(٢) بطالب ، ولا ضاقت على
هارب . فيما وئله يتتجع والروض^(٣) في منزله [ويستمطر]^(٤) والغيث في منهلة ؛
وما هو إلا كمن باع الصحة بالضم^(٥) ، والثروة بالعدم ، وسترده الأيام إلى بايه بعد
أن تأخذ في تهذيبه ، وتلدم^(٦) إليه عقبى تجربته ، وتعلمه أن خيرته في ملازمته ذلك
الباب الذي ما فارقة أحد إلا شوى وجهه حر^(٧) الهجير ، ولا استظل بظله إلا وجد
على [كيده]^(٨) بزء العذب التمير .

ويensus هذه المعانى مأخذة^(٩) من شعر أبي الطيب المتنبى^(١٠) وشعر مسلم بن
الوليد^(١١) . أما أبو الطيب قوله :

تضيق عن جيشه الدنيا ولوز رحبت
كصدره لم تبن فيها عساكرة^(١٢)

(١) فصل من كتاب « غير موجودة في ت » .

(٢) في الأصل : « يضيق » ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٣) في ن : « والروض » تصحيفا .

(٤) مسحورة في الأصل ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٥) في ع : « بالعدم » خطأ لانتقال عينه .

(٦) في ت : « وتلدم » خطأ .

(٧) في ع : « جر » تصحيفا .

(٨) في الأصل : « كفه » ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٩) في ت ، وم ، وع : « مأخذة » خطأ ، وفي ن : « بعض هذه مأخذ » .

(١٠) في ت : « أبي الطيب » ، وفي م سقط قوله : « وشعر مسلم بن الوليد » ، وفي ن : « المتنبى ومسلم بن الوليد » .

(١١) في ن : « الولد » خطأ .

(١٢) البيت من البسيط في ديوان المتنبى ص ٣٧ .

والذى ذكرته أنا^(١) فى هذا^(٢) الموضع أطف وأحسن^(٣) ، وإن كان أصله منه وهذا من^(٤) الکيماء الذى تقدم ذكره . وأما مسلم بن الوليد فقوله :

وَتَرْجِعُنِي^(٥) إِلَيْكَ إِذَا نَبَثْ بِي

دِيَارِي عَنْكَ تَجْرِيَةُ الرِّجَالِ^(٦)

ومن هذا القسم^(٧) ما ذكرته فى جملة كتاب يتضمن^(٨) شفاعة ، وهو : العفو عن المذنب^(٩) عقوبة لعرضه وإن نجا بسلامة نفسه ، وجنايته هى التى^(١٠) تلبسته غضاضتها ما لم يتبعه العقاب بذنبه ؛ وقد قيل : إن الرفق بالجانب عتاب^(١١) والإحسان إليه متاب . ولا شك^(١٢) فى أن بسطة القدرة تذهب بالحفيظة^(١٣) وتنزيل^(١٤) الصدور [] المغيبة . والسجايا اللطيفة تأبى أن تخشن على من أصبح فى

(١) « أنا » سقطت من ت .

(٢) فى ع : « هذه » خطأ .

(٣) « من » سقطت من ع .

(٤) فى ع : « ويرجعنى » .

(٥) البيت من الواfir فى ديوان مسلم بن الوليد / ٣٣٦ ق ١٧٢ ، وروايته :

وترجعني إليك وإن نبت بي

(٦) فى م : « القدر » .

(٧) فى ع : « تضمن » ، وفي هامش الصفحة لأعلى : ما قيل فى العفو عن المذنب .

(٨) فى ن : « الذنب » تحريفا .

(٩) فى ت : « التى هى » .

(١٠) فى م : « إن الثانى بالحانى » وهى عبارة مضطربة ، وفي ع : « عقاب » .

(١١) فى الأصل : « ولا يقال » ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(١٢) فى م : « ولا شك أن فى بسطة القدرة ما يذهب بالحفيظة » .

(١٣) بمحة فى الأصل ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، وفي ن : « وجد القلوب » خطأ ، وفي ع : « وحر » تصحيحا .

(١٤) ووجر الصدور : الغصة والخوف ، الفائق فى غريب الحديث ٣ / ١٣٤ . وقيل : الغيط .

قضيتها أسيراً ، ولم يجد سواها ملجاً ولا ظهيراً ، ومن شأنها أن يكون رضاها
 شفيعاً^(١) إلى غضيها ، وإن نبضت [منها]^(٢) بادرة^(٣) سهم رذتها شيمة التغمد^(٤)
 على عقيها ؛ ولا^(٥) شافع إليها إلا وسيلة كرمها^(٦) ، ولا ذمة عنها إلا الاستدمام
 بحرمتها^(٧) .

وبعض هذا مستبط من شعر أبي تمام وشعر الشريف الرضي وشعر أبي الطيب
 المتنبي .

أما أبو تمام قوله :

سُضِّبَحُ الْعَبْسُ بِي وَاللَّيلُ عِنْدَ فَقَى

كَثِيرٌ ذُكْرُ الرُّضَا فِي سَاعَةٍ^(٨) الْغَضَبِ^(٩)

وأما الشريف الرضي^(١٠) قوله :

لَا سَفِيرٌ إِلَيْكَ إِلَّا مَعَالِبٌ لَكَ وَلَا شَافِعٌ إِلَيْكَ^(١١) سِواكَ^(١٢)

وأما أبو الطيب المتنبي قوله :

تَرَقَقَ أَيْهَا الْمَؤْلَى عَلَيْهِمْ فَإِنَّ الرُّونَقَ بِالْجَانِي عِتَابٌ^(١٣)

(١) في ن : « أن رضاها شفيع » .

(٢) كشط في الأصل ، وما بين المعقوفين من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٣) في م : « بادرت » خطأ .

(٤) في الأصل : « التعمد » ، وما أثبته من ت ، وط ، وع ؛ وفي م ، ون : « التعد » .

(٥) في ت ، وط ، وم ، ون : « فلا » .

(٦) في م : « كربها » تحريفا .

(٧) في م : « بحرمتها » .

(٨) في م : « في حالة » .

(٩) البيت من البسيط في ديوان أبي تمام ١١٢/١ ق ٧ .

(١٠) في ع : « الرضا » خطأ .

(١١) في ن : « إليها » .

(١٢) البيت من الخفيف في ديوان الشريف الرضي ١٠٢/٢ ، دار صادر - بيروت ١٩٩٤ .

(١٣) البيت من الوافر في ديوان المتنبي / ٣٧١ ، وفي ع : « عقاب » .

إلا أن المأكوذ من قول أبي الطيب المتنبي^(١) إنما هو اللفظ والمعنى^(٢) معاً ، وورأه هنا تبعاً لما أخذ بعض لفظه وإن لم يكن من بايه . وقد تقدم القول^(٣) : إن إذا أخذ الناثر لفطا لشاعر مجتهد^(٤) قد نَقَحَهُ وَحَسَنَهُ فينبغي أن يواخى بمثله . ألا ترى إلى قول أبي الطيب المتنبي^(٥) : إن الرفق بالجاني عتاب من أفسح الكلام وألطفيه^(٦) وأبلغيه ، وقد شهد الفضلاء بفضيلته وأقرروا بمزنته .^(٧) فلما أخذته وأخْيَتْهُ بما هو أحسن منه ؛ فقلت : إن الرفق بالجاني عتاب^(٨) والإحسان إليه متاب . فقولى : والإحسان إليه متاب أحسن موقعاً وألطف مأخذنا . ومعناه أنك^(٩) إذا أحسنت إلى الجاني في قبالة^(١٠) جنابته كان ذلك سبباً لتوبته أن يعاود جنابته . ومن هذا القسم ما ذكرته في وصف الفضائل^(١١) ، وهو إذا أدعث له الأوصاف^(١٢) رتبة فضل^(١٣) شهد شاهد من أهلهَا ، وكفته وراثتها^(١٤) عن آبائِه أن

(١) «المتنبي» غير موجودة في ت ، ون .

(٢) «والمعنى» غير موجودة في ع .

(٣) «القول» غير موجودة في ت .

(٤) في ت ، ون ، وع : «مجيد» ، والكلمة غير موجودة في ط : «». .

(٥) «المتنبي» غير موجودة في م .

(٦) الزيادة من ط .

(٧) في ط : «وأقر» تحريفاً ، وفي ن : «وأقرروا بمرتبته» .

(٨) في ت : «عتاب» خطأ .

(٩) «أنك» غير موجودة في ع .

(١٠) في ن : «مقابلة» .

(١١) في هامش ع عنوان : في وصف الفضائل .

(١٢) في ت : «العلياء» ، وفي ن ، وع : «ادعى الأوصاف» .

(١٣) في م : «فصل» تصحيفاً .

(١٤) في م : «وراثتها» تحريفاً ، وفي ع : «وراثته» خطأ .

يشاركه^(١) البُعْدَاءُ فِي فَضْلِهَا . وَأَحَقُّ النَّاسِ بِالْمُعَالَى^(٢) مَنْ كَانَ فِيهَا عَرِيقًا ،^(٣)
وَلَا يَكُونُ الْمَرْءُ خَلِيقًا بِهَا إِلَّا إِذَا كَانَ أَبُوهُ بِهَا^(٤) خَلِيقًا . وَإِذَا زَرَكَتْ أَصْوَلُ الشَّجَرِ
زَرَكَتْ فَرَوْعَهُ ، وَلَا يَغْدُبُ مَذَاقُ الْمَاءِ إِلَّا إِذَا طَابَ يَنْبُوعُهُ .

وَيَعْضُّ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ مَأْخُوذًا^(٥) مِنْ شِعْرِ أَبِي عِبَادَةَ الْبَحْرَتَى فِي قَوْلِهِ :

لَا يَحْتَدِى^(٦) خُلُقَ الْقَصْنِيِّ وَلَا يُرَى
مُشَبِّهًاهَا^(٧) فِي سُؤْدِيِّ بِغَرِيبِ
وَأَرَى التَّسْجِابَةَ لَا يَكُونُ تَمَامُهَا
لِنَجَبِ قَوْمٍ لَيْسَ بِأَبْنِ نَجَبِ^(٨)

وَمِنْ هَذَا الْقَسْمِ مَا ذُكْرُهُ فِي كِتَابٍ يَتَضَمَّنُ عِنْدَهُ بِشْخَصٍ^(٩) قَدْ مَسَّهُ الزَّمَانُ ،
وَهُوَ : هَذَا الْكِتَابُ وَارِدٌ مِنْ يَدِ فُلَانٍ ، وَقَدْ قَصَدَ الْبَابَ الْكَرِيمَ فَارِدًا مِنَ الْإِعْدَامِ ،
وَهُوَ عَدُوُّ الَّذِي أَخْذَ بِكَطْمَمِهِ^(١٠) ، وَاثْسَقَ لَهُ الْعَذْمَ مِنْ مَعْنَى اسْمِهِ ، وَلَا يُعِينُهُ عَلَى
قَتْلِهِ إِلَّا مَنْ يُسْمَحُ لَهُ بِدِيَّةِ الْقَتْلِ ، وَيَرَى الْكَثِيرَ^(١١) مِنْ عَطَائِهِ بَعِينَ الْقَلِيلِ . وَمَا كُلُّ
مَنْ شَاءَ اسْتَمَرَثَ يَدُهُ بِالسَّمَاحَ ، وَقَدْ يُخْجِمُ عَنِهِ مَنْ يُقْدِمُ عَلَى مَكْرُوهِ الصُّفَاحِ ؛

(١) فِي الْأَصْلِ ، وَتُ ، وَطُ ، وَمُ ، وَعُ : « يَشَارِكُ » ؛ وَمَا أَبْتَهُ مِنْ نُ .

(٢) فِي نُ : « الْمَعْانِي » خَطَا .

(٣) فِي مُ : « غَرِيقًا » تَصْحِيفًا .

(٤) « بِهَا » غَيْرُ مُوجَودَةِ فِي مُ .

(٥) فِي مُ : « مَأْخُوذَةً » خَطَا .

(٦) فِي مُ : « لَا يَحْتَدِى » ، وَفِي نُ : « لَا يَجْتَدِى » تَصْحِيفًا .

(٧) فِي نُ : « مُشَبِّهٌ » خَطَا .

(٨) الْبَيَانُ مِنَ الْكَاملِ فِي دِيْوَانِ الْبَحْرَتَى ٢٤٧/١ ، ٢٤٨/٢ ، ق ٨١ .

(٩) فِي مُ : « لِشَخْصٍ » .

(١٠) فِي مُ : « يَكْطُمَهُ » تَصْحِيفًا .

(١١) فِي مُ : « الْكَبِيرُ » .

على الله قد قيل : إنَّ بينَ الشيمتينِ إخاءً . فالسخاءُ يكونُ نجدةً ، والنجدَة تكونُ سخاءً ^(١) . ومصداقُ هذا القول اجتماعُهما للبِلَدِ الْكَرِيمَةِ الْمُوْلَوِيَّةِ ^(٢) التي ألغت إنجاحَ الوعِيدِ وإنجاحَ الرَّعِيدِ ، وضَمَّنَتْ أَرْزَاقَ النَّاسِ وأَرْزَاقَ الْحَدِيدِ ، وقالَتْ فيِ التَّلَى هُلْ مِنْ صَادٍ ، وفِي الْوَغْيِ ^(٣) هُلْ مِنْ مَرِيدٍ ؟ . فالسازِي إلى أبوابِها لا يَفْضُلُ بَهْ نَهْجُ السُّرَى ، وَهُوَ مَهْتَدٌ مِنْهَا ^(٤) عَلَى قَبْسِ الْقِرَاعِ أوْ قَبْسِ ^(٥) الْقِرَى . فَمَنْ كَانَ لَهُ نَارٌ فَلَتَكُنْ كَهَاتِينَ النَّارِيْنِ ، أَوْ كَانَ لَهُ مَنَارٌ وَعَلَّا ^(٦) فَلَيَكُنْ كَهَذِينَ المَنَارِيْنِ . وَهَذَا مِنَ الْكُتُبِ الْمُسْتَحْسَنَةِ فِي بَابِهَا ^(٧) الَّتِي تَرْهَى بِإعْجَابِهَا وَتَنَأَى ^(٨) إِلَّا عَنْ أَرْبَابِهَا . وَمِنَ الْمَعْانِي الَّتِي تَضَمِّنَهُ ^(٩) مَا هُوَ ^(١٠) مَأْخُوذٌ مِنْ شِعْرِ أَبْنَى الطَّيِّبِ الْمُتَنبِّيِّ ، وَأَبْنَى عِبَادَةَ الْبَحْرَى . أَمَّا أَبْنَى الطَّيِّبُ [الْمُتَنبِّي] ^(١١) فَقَوْلُهُ :

هُوَ الشُّجَاعُ يَعْدُ الْبَحْلَ ^(١٢) مِنْ جُبْنٍ
وَهُوَ ^(١٣) الْجَوَادُ يَعْدُ الْجُبْنَ ^(١٤) مِنْ بَحْلٍ ^(١٥)

(١) في ن : « فإن بالسخاء نجدة ، وبالنجدَة سخاء » ; وفي ع : « سخاء » تصحيفا .

(٢) في ن : « العلوية » خطأ .

(٣) في ع : « الوعا » خطأ .

(٤) في ن : « بهما » ; وفي ع : « منها » خطأ .

(٥) في ط ، ون : « وقبس » ، وفي م : « قبس القراء أو قبس » تصحيفا .

(٦) في ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « مناز العلا » .

(٧) في م : « بالها » تحريفا .

(٨) في ن : « وتناءِ » .

(٩) في ت ، وط : « تضمنته » ، وفي ن : « تضمنتها » . والصواب : ومن المعاني التي تضمنتها . حتى يعود الضمير في جملة الصلة على موصوله .

(١٠) « ما هو » ضرب عليها الناسخ في م خطين ؛ ولم يثبتها .

(١١) الزيادة من ت ، ون .

(١٢) في م : « النجل » تصحيفا .

(١٣) في ع : « هو » .

(١٤) في م : « الجبن » تصحيفا .

(١٥) البيت من البسيط في ديوان المتنبي ص ٢٦٦ .

وَأَمَا^(١) أَبُو عِبَادَةَ الْبَحْرَى فَقُولُهُ :
 - وَمَا الْبَذْلُ^(٢) بِالشَّفَنِ إِلَّا الَّذِي يَسْتَطِيعُهُ
 مِنَ الْقَوْمِ إِلَّا [الأَرْوَعَ]^(٣) الْمُتَهَجِّمُ
 وَيَخْجُمُ^(٤) أَخْيَانَا حَنِّ^(٥) الْجُودُ بَعْضُ مَنْ
 تَرَاهُ عَلَى مَكْرُوهَةِ السَّيْفِ يَقْدِمُ^(٦)
 وَمِنْ هَذَا الْقَسْمِ مَا ذَكَرْتُهُ فِي الشِّكْرِ فِي فَصْلٍ مِنْ كِتَابٍ ، وَهُوَ : مَنْحَثُهُ عَقِيلَةَ
 شَكْرِي الَّتِي تَزِيدُ حُسْنَتَا عَلَى كُثْرَةِ الْابْتِدَالِ ، وَتَسْتَجِدُ^(٧) شَبَابًا عَلَى مَرْوِيِّ الْأَيَّامِ
 [وَاللَّيَالِ]^(٨) ، وَتَكْثُرُ أَسْلَابُهَا^(٩) فِي السَّلْمِ وَمَظَانَةِ الْأَسْلَابِ الْقَتَالِ .
 وَهَذَا^(١٠) مَأْخُوذٌ مِنْ شِعْرِ أَبِي تَهَامَ فِي قُولِهِ يَصُفُّ قَصِيدَةً^(١١) مِنْ شِعْرِهِ :
 خَلْدَهَا ابْنَةُ الْفِكْرِ الْمُهَلَّبِ فِي الدُّجَى
 وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ رُقْعَةً^(١٢) الْجَلَبَابِ
 يَكْرَهُ تُورُثَ فِي الْحَيَاةِ وَتَشْتَنِي^(١٣)
 فِي السَّلْمِ وَهُنَّ كَثِيرَةُ الْأَسْلَابِ

(١) فِي عِ : «أَمَا» . (٢) فِي مِ : «الْبَذْلُ» تصحِيفًا .

(٣) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَيْنِ مَمْحُوُ فِي الْأَصْلِ ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ تِ ، وَطِ ، وَمِ ، وَنِ ، وَعِ .

(٤) فِي مِ : «وَيَهْجُمُ» تحرِيفًا .

(٥) فِي نِ : «عَلَى» .

(٦) الْبِيَتُ مِنَ الطَّوْبِيلِ فِي دِيْوَانِ الْبَحْرَى ١٩٢٦/٣ / ق ٧٤٩ .

(٧) فِي مِ : «الْابْتِدَالُ وَيَسْتَجِدُ» تصحِيفًا .

(٨) فِي الْأَصْلِ ، وَمِ : «وَاللَّيَالِ» ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ تِ ، وَطِ ، وَمِ ، وَنِ ، وَعِ لِمَنَاسَبَ السُّجُوعِ .

(٩) فِي مِ : «وَيَكْثُرُ اسْتَلَابُهَا» . (١٠) فِي مِ : «وَهُوَ» .

(١١) فِي تِ ، وَطِ ، وَمِ ، وَنِ : «قَصِيدَا» .

(١٢) فِي طِ : «رُقْعَةٌ» تصحِيفًا .

(١٣) فِي مِ : «وَيَشْتَنِي» .

[وَيَزِيدُهَا مَرْ الْبَالِى جِدَّةٌ]

وَتَقَادُمُ الْأَيَامِ حَسْنَ شَيَابِ [^(١)]

« وكذلك قلت أيضًا ، وهو فصل من كتاب : وقد ^(٢) بلغ العبد في شكر مولانا كل غاية ، وجاوز كل مدى ، ومع هذا فإنه عجز عن مكافأة أياد لم تغنم ^(٣) عليه منها يدا ، وترك الامتنان يغصي بالشكرا عصف الزياح ، ويقول : أنا صامت وأنت ناطق ؛ فمن الذي فاز مثـا بالفضاح وعلى كل حال فإنه ^(٤) لا يرتفع بالشكرا ذكرـا ، والبحر إذا جـرت مياه الأرض إليه فإنه ^(٥) لا يغـضـ قـدرـا ؛ وكـما أـنـه لا ينـقصـ مـالـ ^(٦) مـولـاناـ بالـنعمـةـ عـلـىـ عـبـدـهـ فـكـذـلـكـ ^(٧) لا يستـزيدـ بالـشكـرـ ^(٨) فـيـ طـلاـوةـ مجـدهـ . ولـيسـ لـهـ إذـنـ ماـ يـمـتـ بـهـ إـلـاـ أـنـ يـقـولـ : قـدـ مـلـكـ وـلـائـيـ رـقـاـ وـقـلـباـ ، وـصـارـ الـظـاهـرـ وـالـبـاطـنـ فـيـ يـدـيهـ طـوعـاـ لـاـ غـصـبـاـ .

وبعض هذه المعانى مأخوذ ^(٩) من شعر أبي العناية ^(١٠) فى قوله :

(١) هذا بيت انفرد به ط ، وهو متتم لما حلـهـ ابنـ الأـثيرـ ، والأـبيـاتـ منـ الـكـاملـ فـيـ دـيوـانـ أبيـ تمامـ ٩٠/١ـ قـ ٤ـ .

(٢) فى ت ، وـ ط ، وـ ع : « قد » .

(٣) فى الأـصـلـ ، وـ تـ ، وـ عـ : « يـغـنـدـ » وـ ماـ أـبـتـهـ مـنـ طـ .

(٤) « فإنه » غير موجودة فى ت .

(٥) « فإنه » غير موجودة فى ت .

(٦) « مـالـ » غير موجودة فى ع .

(٧) فى ع : « وكذلك » .

(٨) فى ت ، وـ ط : « بشـكـرـهـ » .

(٩) فى ع : « مـاخـوذـةـ » .

(١٠) أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم ، شاعر زمانه ، لقب بأبي العناية لاضطراب فيه ، وقيل : كان يحب الخلاعة ، تنسك بأخـرةـ ، وقال فى المـواعظـ والـزـهـدـ فـأـجـادـ ، ولـدـ ١٣٠ هـ ، وتـوفـىـ ٢١١ـ ، وـقـيلـ ٢١٣ـ هـ . رـاجـعـ سـيرـ أـعـلامـ النـبـلـاءـ ١٩٥ـ /ـ ١٠ـ وـمـاـ بـعـدـهاـ ، وـالـبـداـةـ وـالـنـهاـيةـ ٢٦٥ـ وـ ٢٦٦ـ ، وـوـقـيـاتـ الـأـعـيـانـ ١ـ /ـ ٢١٩ـ :ـ ٢٢٦ـ ، وـالـلـسـانـ مـادـةـ (ـعـ تـ هـ) .

وَلَمْ أَرْ مُثِنِيَا أَشَنِيَ عَلَى ذِي
فَعَالٍ قَطْ أَفْصَحَ مِنْ فَعَالَةٍ ، (١)

وَمِنْ هَذَا الْقَسْمِ أَيْضًا (٢) مَا ذَكَرْتُهُ فِي وَصْفِ فَرْسٍ هُجَيْنٍ ، وَهُوَ (٣) : فَرْسٌ لَهُ
مِنَ الْعَرَبِيَّةِ حَسْبٌ أَصْلِهَا ، وَمِنَ الْكُرْدِيَّةِ نَسْبٌ (٤) جَهَلَهَا ؛ فَهُوَ مِنْ (٥) بَيْنَهُمَا
مُسْتَنْجٌ ، لَا يَتَسْبُ (٦) إِلَى الضَّبِيبِ (٧) ، وَلَا إِلَى أَغْرَجٍ : وَمِنْ صَفَاتِهِ أَنَّهُ رَحْبٌ
الْلَّبَانِ ، عَرِيضُ الْبَطَانِ (٨) ، سَلِيسُ الْعَيْنَانِ ، يَشْتَرِي عَلَى قَدْرِ الطَّعَانِ ، وَعَلَى قَلْنَدِ
الْكَرْةِ وَالصَّوْلَجَانِ . وَقَدْ (٩) اسْتَوْتَ حَالَتَاهُ : بَادَنَا وَمُضْطَمِراً (١٠) ؛ فَإِذَا أَقْبَلَ خَلْتَهُ
مُرْتَفِعًا وَإِذَا (١١) أَدْبَرَ خَلْتَهُ مُنْهَلْدَرًا ؛ كَأَنَّهُ فِي حُسْنِيَّهُ دُمْيَةً (١٢) مُخْرَابٌ ، وَفِي خَلْقِهِ

(١) الْبَيْتُ مِنَ الْوَافِرِ وَهُوَ فِي دِيْوَانِهِ ص ٣٦٧ ، دَارُ بَيْرُوتِ لِلطبَاعَةِ وَالشَّرْ - بَيْرُوت ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م . وَرَوَايَتُهُ :

وَلَمْ تَرْ

وَهُنَا يَتَبَعُ خَرْمُ وَقْعَ فِي م ، وَنَ يَبْدأُ فِي الصَّفَحَةِ السَّابِقَةِ مِنْ قَوْلِهِ : وَكَذَلِكَ قَلْتُ . . . ،
وَفِي هَامِشِيَّعِ عَنْوَانِ : وَصْفِ الْفَرْسِ الْعَرَبِيِّ .

(٢) (أَيْضًا) غَيْرُ مُوجَودَةِ فِي ت ، وَم .

(٣) وَهُوَ (غَيْرُ مُوجَودَةِ فِي ع) .

(٤) فِي ن : «مِنَ الْعَرَبِيَّةِ حَسْبٌ ، وَمِنَ الْكُرْدِيَّةِ نَسْبٌ» .

(٥) (مِنْ) غَيْرِ مُوجَودَةِ فِي ت . (٦) فِي ط ، وَم : «لَا يَنْسَبْ» .

(٧) فِي م : «الضَّبِيبُ» تَحْرِيفًا ، وَفِي ن : «لَا يَتَسْبُ إِلَى خَيْبٍ وَلَا إِلَى أَغْرَجٍ» ،
وَالضَّبِيبُ فَرْسٌ مِنْ خَيْلِ الْعَرَبِ ، الْلِّسَانُ مَادَةُ (ض ب ب) . وَأَغْرَجٌ : اسْمُ فَرْسٍ نَسْبٌ إِلَيْهِ
الْأَعْجَجِيَّاتِ وَلَيْسُ فِي الْعَرَبِ فَحْلُ أَشْهَرٍ وَلَا أَكْثَرٌ نَسْلًا مِنْهُ . الْلِّسَانُ فِي (ع وَج) .

(*) وَالْبَطَانُ : الْحَزَامُ الَّذِي يَجْعَلُ تَحْتَ بَطْنِ الْبَعِيرِ . الْلِّسَانُ فِي (ب ط ن) .

(٨) فِي ت ، وَط ، وَم ، وَن ، وَع : (قَدْ) .

(٩) فِي م : «مُضْطَمِراً» تَحْرِيفًا ، وَفِي ن : «حَالَتَاهُ قَادِمًا وَمُتَأْخِرًا» ، وَفِي ع :
«مُضْطَمِراً» تَصْحِيفًا . وَالْمُضْطَمِرُ الَّذِي فِي وَسْطِهِ بَعْضُ الْاِنْسِمَامِ ، الْلِّسَانُ مَادَةُ (ض م ر) .

(١٠) فِي م : «فَإِذَا» .

(١١) فِي م : «دُمْيَةً» ، وَفِي ع : «دُمْيَةً» خَطَا .

ذروة^(١) هضاب . وهو في سباقه^(٢) ولحاقه مخلق بخلوق^(٣) المضمّار ، ويدم السُّرُب^(٤) والصُّوار^(٥) ؛ فهو منسوب إلى ذات^(٦) القوادم وإن كان محسوباً في ذاتِ القوائم . كائناً ثُنِي لجامه على سالفته عقاب ، وشدّ حزامه على بارقة سخاب .

وي بعض هذه المعانى مأخوذ^(٧) من شعر عبد السلام [بن رغبان]^(٨) المعروف بديك الجن ، ومن [شعر]^(٩) أبي الطيب المتنبي^(١٠) .

أَنَا دِيكُ الْجَنْ قَوْلُه^(١١) :

أَخْمَرَ كَالْخَضَابِ فِي صَفْحَى هَادِيٍّ . هُوَ مِنَ الْهَادِيَاتِ^(١٢) مِثْلُ الْخَضَابِ
وَكَانَ أَرْزِي الْهِضَابَ عَلَى جِيْ نِ وَنَاهَ بِقِطْعَةٍ مِنْ هِضَابِ
وَكَانَ رَفَثُ بِالْبَزْقِ شِنْلَا لِي . وَلَمَّا أَطْأَطَهَا بِعِقَابِ^(١٣)
وَلَمَّا أَبُو الطَّيْبِ المُتَنَبِّي قَوْلُهُ :

(١) في م : « دورة » تصحيفاً .

(٢) في ع : « سباقه » تصحيفاً .

(٣) في ن : « مخلق بخلق » ، وفي ع : « بخلق بخلوق » خطأ .

(٤) في ن : « السراب » خطأ .

(٥) في ت ، وط : « ذات ». والصوار : القطيع من البقر . اللسان في (ص و ر) .
(٦) في م ، وع : « مأخوذة » خطأ .

(٧) الزيادة من ت .. وقد ولد ديك الجن ١٦١ هـ وتوفي ٢٣٦ هـ أيام المتوكل . سير أعلام النبلاء ١٦٣ / ١١ وما بعدها ، وفيات الأعيان ١٨٤ / ٣ : ١٨٨ ، تاريخ دمشق الكبير ٢٠١ / ٣٦ وما بعدها ، والنجمون الزاهرة ٣ / ٧٨ .

(٨) الزيادة انفردت بها م .

(٩) « المتنبي » غير موجودة في م ، وفي ع : « بديك الجن وأبى الطيب المتنبي » .
(١٠) في م : « قوله » .

(١١) في ن : « الهدایات » خطأ .

(١٢) لم أجده هذه الأبيات في ديوان ديك الجن ، وهي من الخفيف .

إِنْ أَدْبَرْتُ فُلْثَ لَا تَلِيلَ لَهَا
 أَوْ أَقْبَلْتُ^(١) فُلْثَ : مَالَهَا كَفَلْ^(٢)
 وَكَذَا^(٣) قَوْلُهُ :

تَشَنَّى عَلَى قَدْرِ الطُّعَانِ كَائِنَا

مَفَاصِلُهَا تَخْتَ الرَّمَاحِ مَرَاؤِدُ^(٤)

فانظر أيها المتأمل إلى هذا الفصل من الكلام المنشور^(٥) ، ووازن بين مافيه من الألفاظ «المُرْتَجَلَةُ ، والألفاظ^(٦) المُسْتَحَلَةُ ؛ حتى تعلم أن السيف لحامليه^(٧) لا لصيقله ، وأن ضيف^(٨) المتزل أحق بمنزله .

ومن ذلك أيضا^(٩) ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن وصف الخيل والمسير^(١٠) ، فمما جاء منه قوله : ثم نزلنا للاستراحة ، والهجير قد أخذ في الاستعار^(١١) ، وقدَّ بالذكر الأسفل من النار ، والحرباء قد لجأ إلى ظل المقبيل ، وسمح بمحارقة عين الشمس وهو بها عين البخيل . فلم يكن إلا مقدار وضع الرجل من الركاب ، ومصالحة الجب لصفحة التراب ، حتى قيل : قد فجأتم عصابة^(١٢)

(١) في ع : «أدبرت» .

(٢) البيت من المنسرح في ديوان المتنبي ص ١٢٦

(٣) في ت ، وط ، وم ، ون ، وع : «وكذلك» .

(٤) في ع : «مرداد» خطأ ، والبيت من الطويل في ديوان المتنبي ص ٣١١ . والمرود : البكرة التي يدور عليها الجبل . اللسان في (م ر و د) .

(٥) في ع : «المنشور» تصحيفا .

(٦) ما بين علامتي التنصيص سقط من ن .

(٧) في الأصل : «صيف» ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٨) «أيضا» سقطت من م .

(٩) «والمسير» سقطت من م .

(١٠) في م : «الاسعار» تحريفا ، ويعادلها في هامش ع عنوان : وصف مسير الخيل .

(١١) في ع : «عصاه» تحريفا .

من أهل العَيْثِ^(١) ؛ تَسْتَدِّ^(٢) فِي جِرَائِهَا^(٣) ، وَتَجْبُّ^(٤) نَقْعَهَا^(٤) مِنْ وَرَاهِهَا ، وَقَدْ قَرَطَتْ^(٥) جِيَادَهَا بِأَعْيَهَا ، وَطَاوَلَتْ هَوَادِيهَا بِأَسْيَهَا ؛ فَقَدْتُ^(٦) حِينَتِزْ بِحُرَّةِ مِنْ الْخَيْلِ تَدْرُكُ ما كَانَتْ طَالِبَةً وَتَفَوَّتْ^(٧) مَا كَانَتْ هَارِيَةً ؛ لَا تَمْلُ مِنْ مَوَالَةِ^(٨) الدَّعَوِيِّ ، وَهِيَ عِنْدَ النَّزُولِ كَمِثْلِهَا عِنْدَ الرَّكُوبِ . فَلَمَّا اسْتَوَيْتُ عَلَى ظَهِيرَهَا عَقَدْتُ مَعَ الرِّيحِ عَقْدَ الرِّهَانِ ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهَا حُكْمَ الشَّفَرَاءِ وَالْمِيدَانِ ، ثُمَّ قَلَّتْ لَهَا : إِنْ اسْتَشَرْتُ^(٩) مَسَابِقَتِيْ فَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا فَرِئَا ، وَتَلَوْتُ^(١٠) قَوْلَهُ [تَبَارَكَ وَ]^(١١) تَعَالَى^(١٢) وَرَفَعْتُ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضِ دَرَجَاتِ لِتَسْتَخِذَ^(١٣) بَعْضَهُمْ بَعْضًا سُخْرِيَّا^(١٤) وَمَا كَانَ إِلَّا هَتِيَّهَا^(١٥) حَتَّى أَدْرَكَ الرَّوَاحَ عِنْدَ الْأَظْهَارِ ، وَاسْتَسْلَفْتُ^(١٦) الْمَدَى بِالتَّقْرِيبِ قَبْلَ الإِحْضَارِ ؛ وَجِئْتُ الْفُرَاتَ^(١٧) فَلَقِيَهُ مِنْهَا

(١) في ن ، وع : « الغَيْث » تصحيفا . والغَيْث هو الإِسْرَاعُ فِي الْفَسَادِ ، اللسان فِي (عيث) .

(٢) في الأصل : « تَسْتَدِّ » ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ت ، وَط ، وَم ، وَن ، وع .

(٣) في م : « حِرَائِهَا » تحريفا . والجراء : الجرى . اللسان فِي (ج رى) .

(٤) في ن : « بَعْضَهَا » خطأ .

(٥) في ع : « فَرَطْتُ » تصحيفا .

(٦) في الأصل ، وَم : « فَغَدَتْ » ؛ وَفِي ت ، وَن : « فَقَدْتُ » ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ط ، وع .

(٧) في ع : « وَنَقْوَتْ » تصحيفا .

(٨) في ت : « مَوَالَاتْ » خطأ .

(٩) في ع : « اسْتَشَرْتُ » تصحيفا . وَالشَّفَرَاءُ : اسْمَ فَرَسٍ . اللسان فِي (ش ق ر) .

(١٠) في م : « وَيَكُونُ » تحريفا .

(١١) الزيادة مِنْ ت .

(١٢) « وَتَعَالَى » سقطت مِنْ ن .

(١٣) في ع : « لِتَسْتَخِذَ » خطأ .

(١٤) إلى خرف / ٣٢ .

(١٥) في ت : « هَتِيَّةً » ، وَفِي م : « هَنِيَّةً » .

(١٦) في ن : « وَاسْتَلَفْتَ » .

(١٧) في ن : « الْغَرَّةُ » تحريفا .

بصدر^(١) يطارد الأمواج مطاردة الفجاج ، وعين لا تروعها^(٢) هبوات الماء^(٣) . كما لا تروعها^(٤) هبوات العجاج^(٤) . فتلك فرسى التي أعدّها لكل مخوفة ، وهي حوت في كلٌّ مغبر^(٥) وظليم في كلٌّ نتوقة^(٦) . وبعض هذا الفصل مأخوذ من قول^(٧) أبي الطيب المتنبي :

وَمَا يِكَ غَيْرُ حُبُكَ أَنْ تَرَاهَا وَعِشْرُهَا لِأَرْجُلِهَا جَنِيبٌ
فَقَرْطُهَا الْأَعْثَةُ رَاجِعَاتٍ فَإِنَّ بَعْدَ مَا طَلَبْتُ قَرِيبٌ^(٨)
« وَمِنْ ذَلِكَ^(٩) قَوْلُ بَعْضِهِمْ :
خَيْرُ مَا اسْتَطَرَفَ الْفَوَارِسُ طَرْفٌ كُلُّ طَرْفٍ بِحُسْنِهِ مَبْهُوتٌ
هُوَ فَوْقَ الْجِبَالِ وَعَلٌ وَفِي الْبَرِّ ظَلِيمٌ ، وَفِي الْمَعَابِرِ حَوْتُ »^(١٠)

(١) « منها » غير موجودة في م ، وفي ن : « فلقيتها بصدر » .

(٢) في الأصل : « لا يروعها » ، وما أثبته من ت ، ون ، وفي م : « لا يروعها » تصحيفا . وفتح الفرس وغيره : هم بالعنزو . اللسان في (ف ج ج) .

(٣) في ط : « عين الماء » . (٤) في م : « لا يروعها » .

(*) والعجاج : العبار ، وقيل : هو من الغبار ما ثورته الريح . اللسان في (ع ج ج) .

(٥) في م : « معين » تصحيفا . (٦) في ع : « نتوقة » تصحيفا .

(٧) في ن : « شعر » .

(٨) اليتان من الواقر في ديوان المتنبي ص ٣٥٤ ، وهما على غير ترتيب القصيدة .

(٩) « ذلك » سقطت من ط .

(١٠) ما بين علامتي التنصيص غير موجود في ت ، وع ؛ وفي ط : « ومن قول بعضهم » . والييان من الخفيف في قرى الضيف في ذكر الأمير أبي الفضل الميكالي ، وإيراد محاسن له من نثره ونظمها ٤٣٢/٤ ؛ وروايتها :

خَيْرُ مَا اسْتَطَرَفَ الْفَوَارِسُ طَرْفٌ كُلُّ طَرْفٍ لِحُسْنِهِ مَبْهُوتٌ
هُوَ فَوْقَ الْجِبَالِ وَعَلٌ وَفِي السَّهْلِ عَقَابٌ وَفِي الْمَعَابِرِ حَوْتٌ .
وَفِي نِهَايَةِ الْأَرْبَعِ فِي فُنُونِ الْأَدَبِ لِلنُّورِيِّ ٦٠/١٠ طِ دَارُ الْكِبْرِ الْمَصْرِيَّ بِالْقَاهِرَةِ ١٩٣٣ ؛
وَرَوَايَتَهُمَا :

خَيْرُ مَا اسْتَطَرَفَ الْفَوَارِسُ طَرْفٌ كُلُّ طَرْفٍ بِحُسْنِهِ مَبْهُوتٌ
هُوَ فَوْقَ الْجِبَالِ وَعَلٌ وَفِي السَّهْلِ نَعَامٌ وَفِي الْمَعَابِرِ حَوْتٌ

ومن ذلك ما ذكرته في وصف الركاب والمسير ، فقلت : سرث وتحنى بنت
 قفرة ^(١) لا يذهب السرى بجماحها ، ولا يستزيد ^(٢) العادي من مراجحها فهى
 طموخ بائنة الزمام ، وإذا سارت بين الأكمام قيل : هذه أكمه من الأكام . ولن
 تسم جسرا ^(٣) إلا لأنها تقطع عرض الفلا كما يقطع الجسر عرض الماء ، ولا
 سميت حرقا إلا لأنها جاءت لمعنى في العزائم لا لمعنى في الأفعال والأسماء ،
 وخلفها جنوب ^(٤) من الخيل يقبل بجذع ^(٤) ، ويدبر ^(٥) بصخرة ، وينظر من عين
 جحظة ويسمع بأذن حشرة ^(٦) ، وتجري مع الريح ^(٧) الزغزوع فتلرها ^(٨) وقد ظهر
 فيها آخر الفترة ، وما قيده خلفها إلا وهو يهتدى بها في المسالك المضلة ، ويطأ
 على آثارها فيرث وجوه البدور بأشكال الأهلة . هذا والليل قد ألقى جرانه ^(٩) فلم
 يرث ، والكواكب قد ركذت فيه فلم تستبيخ . وأنا أود لو زاد طوله ، ولم
 تظهر ^(١٠) غرفة أذهبها ولا حجوله ، فقد قيل : إن أذئى للبعد وأكتم للأسرار ، ودلل
 عليه القول النبوى بأن الأرض تطوى فيه ما لا تطوى في النهار ^(١١) . وما زلت

(١) في ع : « قفرة » تصحيفا .

(٢) في الأصل : « ولا يستزد » بغير خط الناسخ ، وما أثبته من ت ، وط ، وع .

(٣) والجسرة : ناقة جسرا ومتاجسرا : ماضية شجاعة . اللسان في (ج س ر) .

(٤) في ط : « جنوب » خطأ .

(٤) في ط : « بجذع » تصحيفا ، وفي ع : « بجزع » تحريفا .

(٥) في ط : « تدبر » تصحيفا .

(٦) في ت : « جسرا » ، وأذن حشرة : صغيرة لطيفة مستديرة . اللسان في (ح ش ر) .

(٧) في ع : « الريح » تصحيفا .

(٨) في الأصل ، وت : « فيذرها » ، وما أثبته من ط ، وع .

(٩) في ط : « جرانه » تحريفا ، وهو كناية عن امتداد الليل وطوله ، وألقى جرانه : مد عنقه على الأرض ، اللسان في (ج ز ن) .

(١٠) في ع : « تظهر » تصحيفا .

(١١) إشارة إلى قوله ﷺ : ... وَعَلَيْكُمْ سَبِّرُ اللَّيلَ فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطْوَى بِاللَّيلِ مَا لَا تُطْوَى بِالنَّهَارِ . الموطأ ٩٧٩ / رقم ١٧٦٧ ، والمعجم الكبير ٣٦٥ / ٢٠ / رقم ٨٥٢ .

أَسِيرُ^(١) مِرْتَدِيَا بِثُوبِه حَتَّى كَادَ^(٢) يَنْضُو لَوْنَ^(٣) السَّوَادِ ، وَظَاهِرَ ذَئْبُ السَّرْحَانِ فَأَغَارَ عَلَى سَرْجِ السَّمَاءِ [كَمَا]^(٤) يُغَيِّرُ السَّرْحَانُ^(*) عَلَى سَرْجِ الْقَفَادِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ نَهَلَتِ الْعَيْنُ مِنَ الْكَرَى نَهَلَةً الطَّائِرِ ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَلَى ظَهِيرِ الْأَرْضِ الْمُطْمَئِنَةِ^(٥) إِلَّا مَا كَانَ عَلَى الطِّيرِ^(٦) السَّائِرِ .

فِي^(٧) هَذَا الْفَصْلِ خَبْرٌ مِنَ الْأَخْبَارِ النَّبُوَيَّةِ ، وَفِيهِ بَعْضُ بَيْتٍ مِنْ شِعْرِ أَبْنَى تَمَامَ :
بِالشَّدَقَمِيَّاتِ الْعِتَاقِ كَائِنًا أَشْبَاخُهَا بَيْنَ الْأَكَامِ أَكَامُ^(٨)
وَقَدْ تَقْدَمَ الْقَوْلُ بِأَنَّ^(٩) مِنَ الْأَبْيَاتِ الشَّعُورِيَّةِ مَا يَتَفَنَّ^(١٠) نَاثِرُهُ فِي حَلْمِه بِضَرُوبِ
مِنَ الْأَلْفَاظِ وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ .

وَذَلِكَ كَوْلُى مَأْخُوذًا^(١١) مِنْ شِعْرِ أَبْنَى تَمَامَ ، وَهُوَ :
وَالشَّوْلُ^(١٢) مَا حَلَبَتْ تَدَقَّقَ رِسْلُهَا وَتَجْفَفُ دِرَنُهَا إِذَا لَمْ تَخْلِبِ^(١٣)

(١) «أَسِير» غير موجودة في ع.

(٢) «حتى كاد» غير موجودة في ع.

(٣) في ط : «ينطلون» تحرifa . ينضو : يخلع ويلقى عنه. اللسان في (ن ض و).

(٤) الزيادة من ت ، و ط ، و ع . وذئب السرحان : الفجر الكاذب . اللسان في (ف ج ر).

(*) والسرحان : الذئب والجمع سراحين وسراحى بغير تون . اللسان في (س ر ح).

والقَدْ : صغار الغنم واحدتها نقدة وجمعها نقاد . اللسان في (ن ق د).

(٥) في ط : «على ظهر الطمانية» وهي عبارة مضطربة .

(٦) في ت ، و ط : «الظاهر» ، وفي ع : « ظهر » .

(٧) في ط : « وقى » .

(٨) البيت من الكامل في ديوان أبي تمام ١٥٤ / ٣ ، والشدقميات : فحول الإبل ، ومفردها شدق . اللسان في (ش د ق م) . ويتنهى هنا خرم وقع في م ، ون بدءا من قوله : ومن ذلك قول بعضهم ... في منتصف ص ٢٧٩ .

(٩) في م : «إن» .

(١٠) في م : «يتعين» تحرifa .

(١١) في م : «مأخذ» خطأ

(١٢) في ط : «والشوك» تحريفا .

(١٣) البيت من الكامل في ديوان أبي تمام ١٠٥ / ١ ، والشائلة من الإبل التي أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فخف لبنيها ، والجمع شول . اللسان في (ش ول) .

فقلت في حل ذلك ومثلث الخاطر به ، وهو : الخاطر كالضزيع إن ^(١) حلبة طف ، وإن تركته جف . ثم قلت غير ذلك ، وهو : إن حلبة سخ ، وإن تركته شخ . ثم قلت : إن مرينته ^(٢) حلب ، وإن تركته تضب ، وهذا إنما يكون في بعض الأبيات من الشعر دون بعض .

وممّا ينتظم في هذا ^(٣) السُّلْكِ قوله ^(٤) أيضاً مأخوذاً ^(٥) من شعر أبي الطيب [المتنبي] ^(٦) :

وَكَذَا اسْمُ أَغْطِيَةِ الْعَيْوَنِ جَفُونَهَا

مِنْ ^(٧) أَنَّهَا عَمَلَ السَّيُوفِ عَوَالِمُ ^(٨)

وهذا المعنى وإن كان شريفاً فإن اللفظ الدال عليه مضطرب غير مرضي . وقد حللت هذا البيت ^(٩) المشار إلى ، فقلت : لو لم تكن معانى المسميات مشتركة في اتحاد الألفاظ ، لما شورك بين الجفون في أغطية السيوف وأغطية الألحاظ . وكذلك قلت : لا ريب في أن لحاظ ^(١٠) النواطير ، كمتون البواتر ؛ وإنما اشتراك جفونهما ^(١١) في الأسماء لاشتراكهما ^(١٢) في سفك الدماء .

(١) في ن : « إذا » .

(٢) الكلمة غير مقروءة في م ، وفي ع : « مرينه تصحينا . ومرى الفرع : بمح عليه للدرة ، اللسان في (م را) .

(٣) في ط ، وـ م : « بهذا » ، وفي ن : « ينتظم هذا » .

(٤) في م : « قوله » .

(٥) في م : « مأخوذه » خطأ .

(٦) الزيادة من م .

(٧) في ن : « مع » .

(٨) البيت من الكامل في ديوان المتنبي ص ١٦٤ ، وروايته : ولذا

(٩) في ن : « المعنى » .

(١٠) في ع : « يحاط » تحريفاً .

(١١) في ن : « جفونها » خطأ .

(١٢) في ع : « ولاشتراكهما » خطأ .

ومما يجري هذا المجرى ما هو مأخوذ من شعر أبي تمام وهو قوله^(١) :

**الصبر كأس وبطن الكف عاربة
والعقل عار إذا لم يكس بالشيب^(٢)**

وقد حللت ذلك بالوان^(٣) من العبارات ، فقلت فيه أولاً : الإكثار من الصبر يجعل الإقلال من المال إثارة ، والإثارة من المال يجعل الإثارة من العقل إثارة . ثم قلت فيه ثانياً^(٤) : عقل المرأة من خول ماله . ومآلها من خول صبره ؟ فإذا^(٥) افتقرت يده ذهب بعقله ، وإذا صبرت نفسها ذهبت^(٦) بغيره . ثم قلت فيه ثالثاً العقل فقير إذا لم تكن اليد مكثرة ، والصبر مثير وإن كانت اليد مفتقة^(٧) وحيث عرقتك لمعة مما يتسع المجال في حله من الأشعار فإني أعود إلى ما كنت بصدده .

فمما ذكرته فصل^(٨) من كتاب يتضمن هزيمة ، وهو : فروا وقد علموا أن العاز مفرون بالفرار ، لكنهم^(٩) رأوا كلام الأعراض أهون من كلام الأعمار . وتلك نفوس خدعت بالحياة الذليلة التي الموت الله منها طغما ، وليس الموت إلا في أن تلقي^(١٠) [النفس]^(١١) ذلاً ، أو تفارق جسما . ولربما تسلى المهزوم بقول

(١) وهو قوله « غير موجودة في م » .

(٢) البيت من البسيط في ديوان أبي تمام ٥٤٨/٤ ق ٤٧٧ .

(٣) في ت : « بأنواع » .

(٤) « ثانياً » سقطت من م .

(٥) في ن : « وإذا » .

(٦) في ن : « وإذا صبر ذهبت » .

(٧) في ن : « مفتقة » .

(٨) في ن : « في فصل » .

(٩) في ن : « ولكنهم » .

(١٠) في م : « تلafi » تصحيفا ، وفي ن : « إلا أن تلaci » .

(١١) الزيادة من ت ، وط ، وم ، ون .

القاتل : إنَّ الأَنْدَ تَغْلِبُهَا^(١) الْأَسْوَدُ ، وَإِنَّ الْحَرَبَ لِيُسْتَ لِمَضَاءِ الْعَزَائِمِ وَإِنَّمَا هِيَ لِمَضَاءِ الْجُدُودِ .

وهذا القول مسلاة كاذبة لهم^(٢) مكذوبة ، ولو لا العزم لئنْ تُرَ حصونَ مفتوحة^(٣) ولا جموعٌ مخربوبة^(٤) وبالجَدُّ^(٥) يُذْرِكُ الجَدُّ ، « ولو لا القدح لم يُثْقِبِ الرَّنْدَ »^(٦) . ولِمَا جَنَّ بِأَسْرَى الْقَوْمَ مَتَّا عَلَيْهِمْ بِإِطْلَاقِ^(٧) السَّرَّاجِ ، وَقَاتَلَتْ عَنْهُمْ شَيْمَةُ الصَّفْحِ إِذ^(٨) لَمْ [تَقَاتِلْ]^(٩) عَنْهُمْ شَيْمَ الصَّفْحِ . وَحَيْثُ أَبَاءٌ لَا تَقْتُلُ مَنْ لَمْ يَخُوِّهْ مَكْرُ^(١٠) الْطَّرَادِ ، وَلَا حَمَّةَ صَهَوَاتِ الْجِيَادِ . وَأَيْ فَرْقٍ بَيْنَ الْأَسِيرِ فِي عَدْمِ الدِّفاعِ ، وَبَيْنَ أَشْبَاهِهِ مِنْ ذَوَاتِ الْقِنَاعِ .

وهذه معانٍ شريفة قد حازتِ الْجَمَالَ بِأَسْرِهِ ، وَصَدَرَتْ عَنْ خاطِرِ يُتَقْيَّقُ مِنْ كُثْرَةِ ، وَلَا يَخَافُ عَادِيَةَ عُنْزَة^(١١) . وَمِنْ أَحْسَنِ مَا فِيهَا قَوْلِي : وَلِيَسَ الْمَوْتُ إِلَّا فِي أَنْ تُلْقَى النَّفْسُ^(١٢) ذُلْلًا ، أَوْ تَفَارَقَ^(١٣) جِسْمًا ، وَقَوْلِي أَيْضًا : وَقَاتَلَتْ عَنْهُمْ شَيْمَةُ الصَّفْحِ إِذ^(١٤) لَمْ [تَقَاتِلْ]^(١٥) عَنْهُمْ شَيْمَ الصَّفْحِ

(٢) في ن : « لهم » خطأ .

(١) في ن : « يَغْلِبُهَا » .

(٤) في ن : « مفتوحة » خطأ .

(٣) في ن : « مخربوبة » .

(٥) في ن : « وبالجَدُّ » .

(٦) ما بين علامتي التصيص سقط من ن .

(٧) « بِإِطْلَاقِ » سقطت من ن .

(٨) في ن : « إذا » خطأ .

(٩) في الأصل : « يَقَاتِلْ » ، وَمَا أَبْتَهَ مِنْ م ، وَن ، وَع .

(١٠) في ن : « بَكْرٌ » تحرِيقًا . وَالْمَكْرُ : موضعُ الْحَرَبِ . اللِّسَانُ فِي (ك ر ر) .

(١١) في ع : « عَرَةٌ » تحرِيقًا .

(١٢) « النَّفْسُ » سقطت من ت .

(١٣) في ط : « وَتَفَارَقَ » .

(١٤) في ن : « وَإِذَا » .

(١٥) في الأصل : « يَقَاتِلْ » ، وَمَا أَبْتَهَ مِنْ ت ، وَم ، وَن ، وَع .

وأَمَا مَا سَوَى^(١) هَذِينَ^(٢) الْمُعْنَيِّنِ الْكَرِيمِينِ ؛ فَمُنْهُ مَاهُورٌ مَأْخُوذٌ مِنَ الشِّعْرِ
كَقُولِ الشَّاعِرِ ، وَهُوَ مِنْ أَبْيَاتِ الْحَمَاسَةِ :
وَمَا عَنْ ذَلِكَ عَلَيْهَا^(٣) وَلَكِنْ كَذَلِكَ الْأَسْدُ تَغْلِيْهَا الْأَسْوَدُ^(٤)
وَكَقُولِ أَبِي الطَّيْبِ الْمُتَنبِّيِ :

ذَلِكَ مَنْ يَغْبِطُ الدَّلِيلَ^(٥) بِعَيْشٍ رَبَّ عَيْشٍ أَخْفَفُ مِنْهُ الْجِنَامُ^(٦)
وَمَمَّا يَلْتَمِمُ بِهَذَا الْمَعْنَى مَا ذَكَرْتُهُ فِي فَصْلٍ مِنْ كِتَابٍ يَتَضَمَّنُ وَصْفَ الْحَرَبِ
فَقَلَتْ^(٧) : وَمَا زَالَ^(٨) يُزْعِجُ دِيَارَ الْأَعْدَاءِ بِغَزْوَاتِهِ حَتَّى لَمْ تَهُنَّ^(٩) حَامِلَةً بِإِنْمَاهَهَا ،
وَلَا مُعْنَثٌ عَيْنُهَا بِلَذَّةٍ^(١٠) مِنْمَاهَا . فَاسْمُ الْمُفَرِّبِ^(١١) مِنْ نَسَائِهِمْ مَنْسُوخٌ بِغَارَةِ
الْمُفَرِّبَاتِ الْجَيَادِ^(*) ، وَلِذِيْدِ النَّوْمِ بِأَرْضِهِمْ مَسْلُوبٌ بِإِيقَاظِ جَفَوْنِ الْبَيْضِ الْحَدَادِ
وَلَقَدْ قَصَرَ^(١٢) مَدَّةُ أَعْمَارِهِمْ حَتَّى فَقَدَتْ سَيْنَ شِيشَهَا وَسَيْنَ كَهْلَهَا ، وَفَجَأَهُمْ بِجُنُودِ

(١) فِي ن : « وأَمَا سَوَى ». (٢) فِي م : « هَذِهِ » خَطَا .

(٣) فِي ط : « عَلَيْهِ » خَطَا .

(٤) الْبَيْتُ مِنَ الْوَافِرِ فِي الْحَمَاسَةِ ١/١٩٢ / رَقْمُ ٢٣٠ لِشِيلِ الْفَزَارِيِّ ، وَرَوَايَتِهِ :

.... تَفَرَّسَهَا ..

(٥) فِي م : « الدَّلِيلُ » تَصْحِيفًا .

(٦) الْبَيْتُ مِنَ الْخَفِيفِ فِي دِيَوَانِ الْمُتَنبِّيِ ص ١٤٩

(٧) « فَقَلَتْ » غَيْرُ مَوْجُودَةِ فِي ط .

(٨) فِي م : « وَما زَالَ » تَحْرِيفًا .

(٩) فِي ت : « يَهُنَّ » ، وَفِي ط : « تَهُنَّ » .

(١٠) فِي م : « بَلْدِيدٌ » تَصْحِيفًا .

(١١) فِي ن : « الْقَرْبُ » تَحْرِيفًا . وَأَقْرَبَتِ الْحَامِلُ ، وَهِيَ مُفَرِّبٌ : دَنَا وَلَادُهَا ، وَجَمِيعُهَا
مَقَارِبُ . الْلِسَانُ فِي (قَرْبٌ) .

(*) وَالْمُفَرِّبُ مِنَ الْخَيْلِ : الَّتِي تُذَنِّي ، وَتُقْرَبُ ، وَتُكَرَّمُ ، وَلَا تُتَرَكُ أَنْ تَرُوَدَ ، وَالْمُفَرِّبَاتُ
مِنَ الْخَيْلِ : الَّتِي ضَمَرَتْ لِلرُّكُوبِ . الْلِسَانُ فِي (قَرْبٌ) .

(١٢) فِي م : « وَلَهُذَا قَصَرَتْ » تَحْرِيفًا .

رُغْبَه قَبْلَ جَنُودِه ، فَلَا يَتَّلَى^(١) بَيْنَهُم مِن^(٢) سُورِ الْقُرْآنِ إِلَّا أَخْرُ فَرْقَانِهَا وَأَوْلُ تَحْلِيَّهَا . وَكَمَا^(٣) ذَمَّتِ^(٤) الْأَعْدَاء سَوَّه صَبَاجِه فَقَدْ ذَمَّتِ الْخَيْلُ مَسْرَى عَذْوَرِه وَرَوَاجِه^(٥) . لَكِنَ النَّسُورَ فِي شَكَرِ دَائِمٍ مِنْ جُزُرِ^(٦) وَلَائِيهِ ، وَمَا ضَرَّهَا فَقَدْ مَخَالِبِهَا إِذَا أَغْتَثَهَا عَنْهَا^(٧) غُرُوبُ^(٨) صَوَارِيهِ .

هَذَا الْفَصْلُ^(٩) مُرَصَّعٌ بِبَنَافِئِ الْخَواطِرِ كَمَا يُرَصَّعُ الْعَهْدُ^(١٠) بِبَنَافِئِ الْجَوَاهِرِ ، وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى ضَرْبٍ^(١١) مِنَ التَّجْنِيسِ وَالْمَطَابِقَةِ ، وَسَوَابِقُ مَعَانِيهِ لَا تُجَارِي إِذَا لُرِّثَ فِي مُضَمَّنِي الْمَسَابِقَةِ .

وَحَاشِيَّهُ مِنْهُ مَأْخُوذَة^(١٢) مِنْ شِعْرِ أَبِي الطَّيْبِ الْمُتَّبِّيِّ ، وَهُوَ يَنْفَدِي^(١٣) أَتَمُ الطَّيْبِ عُمْرًا سِلَاحَهُ نُسُورُ الْمَلاَ أَخْدَانُهَا وَالْقَسَاعِمُ وَمَا ضَرَّهَا خَلَقَ بِغَيْرِ مَخَالِبِ وَقَدْ خَلَقَتْ أَسْيَافُهَا وَالْقَوَافِعُ

(١) فِي م : « ولا تَلِي » ، وَفِي ن : « ولا يَتَلِي » .

(٢) « مِنْ » غَيْرِ مَوْجُودَةِ فِي ط .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « وَكُلَّمَا » ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ت ، وَط ، وَم ، وَن ، وَع .

(٤) فِي م : « ذَمَّةً » خَطَا .

(٥) فِي م : « وَرَوَاجِهً » تَحْرِيفًا .

(٦) فِي ن : « جُودً » .

(٧) فِي الْأَصْلِ : « عَنْهُ » ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ت ، وَط ، وَن ، وَع ، وَفِي م : « إِذَا أَغْتَثَهَا عَنْهَا » .

(٨) « غَرُوبٌ » غَيْرِ مَوْجُودَةِ فِي ط ، وَفِي ن : « حِرَوفٌ » . الْغَرَبُ : الْجِدَّهُ وَمِنْهُ غَرَبَ السَّيْفُ . النَّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ فِي (غَرَبٌ) .

(٩) فِي ط : « وَهَذَا الْمَوْضِعُ » .

(١٠) فِي ع : « الْعَفْلُ » تَحْرِيفًا .

(١١) فِي ت ، وَن : « ضَرُوبٌ » .

(١٢) فِي م : « مَأْخُوذٌ » خَطَا .

(١٣) فِي ط ، وَم : « تَفْدِي » ، وَهِيَ رَوَايَةُ دِيْوَانِ الْمُتَّبِّيِّ ص ٣٧٥ . وَهُمَا مِنَ الطَّوْبِيلِ .

ومن هذا القسم ما ذكرته في وصف بعض البلاء ، وهو إذا ازتجلَ آتى بالمعانٰ غير مُكرّهٰ ولا مُخرجٰ ، وأبرزَها كوامل الصور غير مُخدجٰ ^(٤) . وإن تروى تهافت على تَوْقِيد خاطره تهافت الفراش ، وجاءته سوانح وبوارح حتى يقول ^(١) : تكاثرت الظباء على خرائش . فله الحالتان ارتجالاً ورويّة ، وكلتا هما فيه [مرئية وعنه مرويّة] ^(٢)

وبعض هذا مأخوذ من قول الشاعر :

• تكاثرت الظباء على خرائش فما ينرى خرائش ما يتصيد ^(٣)
ومن هذا القسم ما ذكرته في النجوم ، وهو فصلٌ من كتاب : ولقد أُفهِم ^(٤)
أهل التجيم بالتسير ^(٥) والتقويم والحكم على أفعال ^(٦) العليم الحكيم ؛
فأخبروا ^(٧) عن النجوم في سُعودها ونُحوسها ، بما لم تخبره من نُهوسها ؛ وقضوا
في ترتيب أبراجها واختلاف مزاجها ؛ وحكمو على حوادث العمر من ^(٨) حال
وجوده إلى [حال] ^(٩) عَدِيمٍ ، في سعادته وشقائه ^(١٠) وصحته وسقميه ، وأشباهه

(١) في م ، ون : « تقول » .

(٢) الخداج : النقصان . اللسان في (خ د ج) .

(٣) في الأصل : « مرئية وغير مرئية » ، وفي ط : « مرئية غير مرويّة » ، وفي م : « مرئية
من وعنه مرويّة » ، وما أثبته من ت ، ون ، وع

(٤) البيت من الواقر وهو في تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر ٥١٨/٥٦ ، ومدارج السالكين
لابن قيم الجوزية ٤١٥ / ٢ ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ١٣٩٣ - ١٩٧٣ ، ط ٢ ، تحقيق
محمد حامد فقي ، ولم أعن له على قائل فيما بين يدي من مصادر .

(٥) في ط : « بالتسير » تحريفا .

(٦) في ط : « أفعال » تصحيفا ، و « أفعال » غير موجودة في ع .

(٧) في الأصل : « فأخبروا » ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٨) في ن : « في » .

(٩) الزيادة انفردت بها م .

(١٠) في ن : « شقاوته » .

ذلك من الزخارف^(١) التي نسبوها جبائل للاكتساب^(٢) على غير ذوى الألباب ، وكلها أصناف أخلام ، وأوضاع لا تخرج عن خط الأقلام .

وبعض^(٣) هذا المعنى مأخوذ من شعر أبي تمام في قوله :

أَيْنَ الرِّوَايَةُ أَمْ أَيْنَ النُّجُومُ وَمَا
صَاغُوهُ مِنْ رُخْرُفٍ فِيهَا وَمِنْ^(٤) كَذِبٍ
تَخْرُصًا وَأَحَادِيثًا مُلْفَثَةً
لَيْسَتْ^(٥) بِتَبَعٍ إِذَا عَدَتْ وَلَا غَرَبٌ
وَصَيَّرُوا الْأَبْرَجَ الْعَلْبَا^(٦) مُرَبَّةً
مَا كَانَ مُنْقَلِبًا أَوْ غَيْرَ مُنْقَلِبٍ
يَقْضُونَ بِالْأَمْرِ عَنْهَا وَهُنَّ غَافِلَةً
مَا دَارَ فِي فُلُكِ مِنْهَا وَلَا^(٧) قُطُبٌ^(٨)

ومن هذا^(٩) الأسلوب ما ذكرته في ضمن كتاب إلى بعض الإخوان أثذب فيه عصر الشباب ، وهو : ولم أبك إلاّ عصر الشباب^(١٠) الذي هو في الأعمار بمنزلة

(١) في ت : « الرجارف » تصحيحا .

(٢) في الأصل ، وت ، ونم ، ون : « جبائل الاكتساب » ، وفي ع : « جبائك » تحريفا ، وما أثبته من ط .

(٣) في ن : « بعض » .

(٤) في ت : « في القول أو » .

(٥) في ن : « ليت » خطأ .

(٦) في ن ، وع : « العلياء » خطأ .

(٧) في ت : « وفي » ، وهي رواية الديوان .

(٨) ديوان أبي تمام ٤٢/١ وما بعدها / ق ٣ ، والأبيات من البسيط على غير ترتيب الديوان .

(٩) في م : « هذه » خطأ .

(١٠) في ن : « غصة الشباب » .

الربيع من الأعوام ، وما كنت أعرف كُنْه أمرِه حتَّى مَضَى فَتَرَحَّلَتْ مَعَهُ الْحَيَاةُ
بسلام . فال أيام ^(١) فيه غواص ، والسنون لقرب عهدها مراحل . ولم أقصد به وطرا
إلاً أخلفت ^(٢) أندى منه مرتقا ، وأحسن مرأى ومسنعا . أيام لا أعاشر خمرة إلا
لمى ، ولا وردة إلا خدا ، ولا ^(٣) نُفَلًا إلاً فما ، وإذا تَائَلْتُ ^(٤) لم أحلف إلا
بالقدود وهيئها ، والجفون ووظيفتها ، وليلاتِ الذوابِ وسُدُّفَهَا ، ووجوهِ الأقمارِ
التي لا تُشَانُ بِكَلْفَهَا ، ولا تُرَى في غُرَرِ الشهورِ ولا في مُنْتَصِفِهَا ^(٥) ، فأصبحتُ
الآنَ وَيَكُرُّ أيامِي عَوَانِ ، وغوانِي ^(٦) الحقُّ عَنِي غَوَانِ ؛ قد بُدُلتْ غريبَ الأحوالِ
بأليافها ، وعُوضَتْ من نُسْرةِ الأوراقِ بِيَسِّرِ خريفها ؛ فلا الأوطارُ عندي بأوطارِ ،
ولا ليلى بليلي ، ولا النوار بنوار

فَعَلَى الصُّبَا الْآنَ السَّلَامُ وَلَوْعَةٌ يَثْنِي عَلَيْهَا الدَّمْعَ فِي ^(٧) مُرْفَضِهِ
وَلَيْقَنْ تَفَاحُ الْخُدُودِ فَلَسْتُ مِنْ تَفَبِيلِهِ غَزَلاً وَلَا مِنْ عَصْبِهِ ^(٨)

ولطالما كانت الحاجات تُطالبني بإنجاحها ، وللذات تلقاني بسعده مسائها ويُمنِّي
صباحها . وعلى عَقِيب ^(٩) هذا القول فإنني أقول : اللهم عَفْرَا ، وقد ينطلق ^(١٠) المرءُ
بما يكون فيه لسانه آثما وفعاله ^(١١) بِرَا ، ولربما شهدَ القلمُ بما لم يَسْنَعْ إِلَيْهِ الْقَدْمَ ،

(١) في م : « والأيام ». (٢) في ن : « خلقت » .

(٣) في ط : « أولاً » خطأ . (٤) في ن : « ما تأليت » .

(٥) في ط : « ولا متصفها » ، وفي ن : « ولا يمتصفها » .

(٦) في ط : « وغوان » خطأ .

(٧) في ط : « من » .

(٨) البيتان من الكامل في ديوان البحترى ١١٩٦/٢ ق ٤٨١ ، ورواية البيت الأول :

تشنى عليه

(٩) في ن : « عَقِيب » .

(١١) في م : « ينطلق » تحريفا . (١٠) في م : « وأفعاله » .

ولولا اتباع حُكْمِ الْفَصَاحَةِ لِمَا ذُكِرَتْ بِاَنَّهُ وَلَا عَلَمْ ، وَلَا وَقَفَ الْمُتَغَزِّلُ^(١) بِأَقْوَالِهِ مَوْقَفَ التَّهَمِ . فَلَيَغْلِمِ الْأَخْ أَنَّى عَفَضَ الضَّمِيرَ وَالتَّنَظَّرَ ، وَلَيَظْنَ^(٢) بِي خَيْرًا وَلَا يَسْأَلُ عَنِ الْحَبَرِ .

في ^(٣) هذا الكلام ما هو مأخوذ من الشعر . فيمن ذلك قول منصور النمرى ^(٤) :

ما كُنْتُ أُوفِي شَبَابِي كُنْهَ غُرْبَتِهِ^(٥) حَتَّى مَضَى قَدِّاً الدُّنْيَا لَهُ تَبَعَ^(٦)

ومن ذلك قول أبي الطِّبِّ الْمَتَبَّى :

لَيَسَ الْقَبَابُ عَلَى الرَّكَابِ وَإِنَّمَا هُنَّ^(٧) الْحَيَاةُ تَرَحَّلُتْ بِسَلامٍ^(٨)

ومن هذا القسم ما ذكرته في فصل من كتاب إلى الديوان العزيز النبوى يتضمن مجادلة خصم للمكتوب عنه ، وهو : المُلْكُ لا يستحقه وارثة وإنما يستحقه كاسبه ، والمال لا يحظى به جامعه وإنما يحظى به واهبه . فما بال قوم يفخرون بانتقال الملك « إليهم ^(٩) عن الآباء والأجداد ^(١٠) ، ولا يفخرون بانتقاله » ^(١١) إليهم عن

(١) في م : « المتعزل » تصحيفا .

(٢) في ع : « وليظنن » .

(٣) في ط : « وفي » .
(٤) في ن : « النميري » تحريفا . وهو منصور بن الزبيرقان بن سلمة أبو الفضل النمرى الشاعر ، امتدح الرشيد ، وأصله من الجزيرة ، وأقام بيغداد ، زولى قضاه الجانب الشرقي بها عن أمر الرشيد ، توفي في رجب سنة ١٩٢ هـ . البداية والنهاية ٢١٢/١٠

(٥) في ن : « عزته » .

(٦) البيت من البسيط في تجريد الأغانى / القسم الثاني / ج - ١ / ١٤٨٣ . ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ١ / ٥٩٩ . للشعالبي . دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٦٥ م ، ط ١ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

(٧) في م : « هي » خطأ .

(٨) البيت من الكامل في ديوان المتتبى ص ٤٠٩ .

(٩) « إليهم » سقطت من ط .

(١٠) في ط : « الأخداد » تصحيفا .

(١١) انتقلت غبن الناسخ فسقط ما بين علامتي التنصيص من م .

حَدَّ^(١) الْبَيْضِ الْجَدَادُ ؛ وَفَرَقُ^(٢) بَيْنَ شَرْفِ يُرَاقُ الدُّمْ عَلَى جَوَانِيهِ وَشَرْفِ يُرَاقُ
الْأَمْلُ عَلَى مَطَالِبِهِ .

وَيَعْصُمُ هَذِهِ الْمَعْانِي مَا خُوذَ^(٣) مِنْ شِعْرِ أَبِي عُبَادَةَ الْبُحْرَنِيِّ وَأَبِي الطَّيْبِ الْمُتَنبِّيِّ .
أَمَّا أَبُو عُبَادَةَ فَقَوْلُهُ :

وَظَلَّتْ^(٤) تَخْسِبُ رَبَّ الْمَالِ^(٥) مَالِكَهُ
عَلَى الْحُقُوقِ وَرَبُّ الْمَالِ وَاهِبَهُ^(٦)

وَأَمَّا أَبُو الطَّيْبِ [الْمُتَنبِّي]^(٧) فَقَوْلُهُ :

لَا يَنْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنْ الْأَدَى

حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِيهِ الدُّمُ^(٨)

وَمَمَّا يَجْرِي^(٩) عَلَى هَذَا النَّهَجِ مَا ذُكْرَتْهُ فِي وَصْفِ مَعرِكَةِ الْحَرَبِ ، وَهُوَ :
فَلَا تَرَى إِلَّا بَخْرًا مِنَ الْحَدِيدِ^(١٠) يَسِيرُ بِهِ طَوْدٌ مِنَ الْجِيَادِ ، أَوْ غَابَابًا مِنَ الْوَشِيجِ
يُقْلِلُهُ^(١١) فَرْقَةً مِنَ الْأَسَادِ . فَكُلُّ قَفْرٍ^(١٢) [قَد]^(١٣) أَصْبَحَ بِمَوَاكِبِهِ هَضْبًا^(*) ،
وَإِذَا شَاءَتِ الرِّيحُ أَنْ تَمُرَّ بِهِ فَلَا تَعْبُرُ^(١٤) عَلَى الْقَنَّا^(١٥) إِلَّا وَثَبَّا ، وَلَمَّا عَوَدَ

(١) فِي عٌ : « جَدٌ » تَصْحِيفًا . (٢) فِي طٌ : « وَفْرَقٌ » خَطَا .

(٣) « مَا خُوذَ » سَقَطَتْ مِنْ عٌ ، وَفِي مٌ ، وَنٌ : « مَا خُوذَةٌ » خَطَا .

(٤) فِي نٌ : « فَظَلَّتْ » . (٥) فِي نٌ : « الْمَلَكُ » .

(٦) الْبَيْتُ مِنَ الْبَيْسِطِ فِي دِيْوَانِ الْبُحْرَنِيِّ ١/٢٢٦ قٌ ٧٣ (٧) الْزِيَادَةُ مِنْ مٌ .

(٨) الْبَيْتُ مِنَ الْكَامِلِ فِي دِيْوَانِ الْمُتَنبِّيِّ صٌ ٢١٨ .

(٩) فِي مٌ : « جَرِيٌّ » . (١٠) فِي مٌ : « حَدِيدٌ » .

(١١) فِي مٌ ، وَنٌ : « يَقْلِلُهُ » . وَالْوَشِيجُ : شَجَرُ الزَّمَاحُ ، وَقَلْبُهُ : هُوَ مَا اتَّفَقَ مِنَ الشَّجَرِ .
اللِّسَانُ فِي (وَشَجَرٌ) .

(١٢) فِي نٌ : « فَرْقٌ » خَطَا . (١٣) الْزِيَادَةُ مِنْ مٌ ، وَنٌ ، وَعٌ .

(*) وَالْهَضْبَةُ : الْمَطْرَدُ الدَّائِمَةُ ، الْعَظِيمَةُ الْقَطْرِيَّةُ ؛ وَالْجَمْعُ هَضْبٌ . اللِّسَانُ فِي (هَضْبٌ) .

(١٤) فِي طٌ : « فَلَا تَعْبُرُ » خَطَا .

(١٥) فِي نٌ ? « الْفَنَّا » .

الطيرِ مِنْ جَزَرٍ^(١) أَعْدَاهُ فَقَدْ تَبَعَتْهُ أَسْرَابًا ، وَاسْتَبَقَّتْ سَحَابَهَا^(٢) مَا تَحْتَهُ مِنْ سَحَابٍ خَلِيلٍ^(٣) ؛ فَاسْتَسْقَى سَحَابٌ سَحَابًا ، وَلَقَدْ مَرَّتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ فَضَعَفَتْ أَنْ تَخْرِقَ^(٤) جَنَاحَاهَا ، أَوْ أَنْ^(٥) تَحْمِي بَحْرَهَا سِلَاحًا ؛ فَلَمْ تَلْقَ^(٦) بَيْنَ الرِّيشِ فَرْجَةً^(٧) تَشَرُّ^(٨) فِيهَا ذَرَاهُمُهَا . وَلِرَبِّهَا حَالَسَتْهَا^(٩) النَّظَرُ إِذَا^(١٠) هَرَّتْ قَوَادُهَا .
وَهَذَا الْفَصْلُ فِيهِ مَا هُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ شِعْرِ أَبِي الطِّبِّيبِ الْمَتَبَّعِ فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ
وَذِي لَجِبٍ^(١١) لَا ذُو الْجَنَاحِ أَمَامَةٌ

بِنَاجٍ وَلَا التَّوْخِشُ الْمُثَارُ بِسَالِمٍ
تَمُرُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ^(١٢) وَهُنَّ ضَعِيفَةٌ
تُطَالِعُهُ^(١٣) مِنْ بَيْنِ رِيشِ الْقَشَاعِ

(١) فِي الأَصْلِ : « جَزَرٌ » ، وَفِي طِ : « جَزَرٌ أَعْدَاهُ » ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ تِ ، وَهَذَا الْمَعْنَى مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ مُسْلِمٍ بْنِ الْوَلِيدِ :

لَا يَعْقِبُ الطِّبِّيبَ خَدِيهِ وَمَفْرَقَهُ
لَا يَمْسُحُ عَيْنِيهِ مِنَ الْكَحْلِ
لَا يَعْدُ الطِّيرَ عَادَاتِ وَثَقَنَ بِهَا فَهُنَّ يَتَبَعَنَّهُ فِي كُلِّ مَرْتَحِلٍ
وَهُمَا مِنَ الْبَسِطِ ، تَجْرِيدُ الْأَغْنَى الْقَسْمُ الثَّانِي / ٢١٩٩٢ .

(٢) فِي مِ : « سَحَابَهَا » .

(٣) فِي مِ : « خَلِيلٍ » تَصْحِيفًا ، وَفِي نِ : « سَحَابٌ خَلِيلٌ » .

(٤) فِي مِ : « تَخْرِقَ » تَصْحِيفًا ، وَفِي نِ : « تَخْرِقَ » تَحْرِيفًا .

(٥) فِي تِ ، وَنِ : « وَأَنْ » . (٦) فِي مِ : « بَيْقٌ » .

(٧) فِي مِ : « فَرْجَةً » تَصْحِيفًا . (٨) فِي نِ : « تَشَرُّ » .

(٩) فِي نِ : « حَالَسَهَا » . (١٠) فِي طِ : « إِذَا » .

(١١) فِي الأَصْلِ بَخْطٌ مُخْتَلِفٌ : « وَذُو مَخْلَبٍ » وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ تِ ، وَطِ ، وَنِ ، وَعِ : وَفِي مِ : « وَذُو الْجَبٍ » خَطَا . وَالْجَبُ : صَوْتُ الْعَنْكَرِ . وَغَشَّكَرُ لَجِبُ : غَرَّمَرْ وَذُو لَجِبٍ وَكُثُرَةُ اللِّسَانِ فِي (لِجَبْ) .

(١٢) فِي الأَصْلِ بَخْطٌ مُخْتَلِفٌ : « النَّسْ » وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ تِ ، وَطِ ، وَمِ ، وَنِ ، وَعِ .

(١٣) فِي نِ : « تَطَالِبُهُ » خَطَا . وَالْقَشَاعُ : الْمُبِينُ مِنَ الرِّجَالِ وَالثُّورِ وَالرَّخْمِ الْلِّسَانِ فِي (قَشَعُ مِ) .

إِذَا ضَرُّهَا لَاقَى مِنَ الطَّيْرِ فُزْجَةً

تَدَوَّرَ فَوْقَ الْبَيْضِ^(١) مِثْلَ الدَّرَاهِمِ^(٢)

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلَهُ :

حَوَالِيهِ بَخْرُ الْتَّعْجَافِيفِ^(٣) مَائِجٌ يَسِيرُ بِهِ طَوْدٌ مِنَ الْخَيْلِ أَيْهُمْ^(٤)

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلَهُ

سَارَ وَلَا قَفَرَ مِنْ مَوَاكِبِهِ كَائِنًا كُلُّ سَبَبِ جَبَلِ^(٥)

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ مَا ذَكَرْتُهُ فِي فَصْلٍ مِنْ كِتَابٍ يَتَضَمَّنُ اسْتِعْطَافَ بَعْضِ الْمُلُوكِ عَلَى قِرَابِتِهِ، وَهُوَ : قَدْ أَلْفَتَ مِنْ شَيْئِ الْمَوْلَى^(٦) الَّتِي هِي شَيْئِ الْكَرَمِ، وَضَرَائِرُ الدِّيْمِ، أَنَّهُ إِذَا لَيْنَ^(٧) لَهُ غُلَبَ عَلَى أَمْرِهِ وَأَزِيلَتْ مَغِيظَةُ^(٨) صَدْرِهِ، وَهَذِهِ خَلِيقَتُهُ مَعَ [الْبَعِيدِ]^(٩) الَّذِي لَا يَمْسِهُ بُلْخَمَةُ^(١٠). وَلَا يَمْتُ إِلَيْهِ بِحُرْمَةٍ .. فَمَا الظُّنُونُ بِالْقَرِيبِ الَّذِي فَارَ بِعْزِيَّةِ الشَّرِيكَةِ فِي عِزْفَهِ، وَفَضَلِ الْجِوارِ الَّذِي لَا حَقٌّ أَوْجَبَ مِنْ حَقِّهِ فَكِيفَ تَسَبَّى^(١١) الْمَوْلَى عَادَةَ كَرَمِهِ، وَوَضَعَ وَجْهَ قَوْمِهِ تَحْتَ قَدْمِهِ،

(١) «البيض مثل» سقطت من م.

(٢) الآيات من الطويل في ديوان المتنبي ص ١٩٧؛ والبيت الأخير سقط من ن.

(٣) في ع : « بالتعجيف » خطأ .

(٤) البيت من الطويل في ديوان المتنبي ص ٢٩٣ .

(٥) البيت من المنسرح في ديوان المتنبي ص ١٢٧؛ وقد سها الناشر قى م فسقط منه : «يسير به طود من الخيل أيهم». ومن ذلك قوله : سار ولا قفر من مواكه» وأخذ شطر البيت الأول مع شطر البيت الثاني فكتب : حواليه بحر للتعجيف مائج
كائنا كل سبب برجل .

(٦) في م : «الموالى» تحريرا؛ ويعاينها في هامش ع عنوان : «استعطاف» .

(٧) في ت ، وط ، وم : «لين»؛ وفي ع ، ون : «لين» بدون تشكيلا .

(٨) في م : «مغيبة» تصحيفا ، وفي ن : «حفيظة» .

(٩) الزيادة من ت ، وط ، وم ، ون :

(١٠) في ع : «بلحمة» تصحيفا . وللحمة ، بالضم: القرابة. اللسان في (لح م) .

(١١) في م : «بييء» تحريفا .

وَجَعَلُهُمْ حَصَائِدَ سِيفِهِ وَقُلْمِهِ . وَحَاشَةُ أَنْ يَقْطَعَ رَجِّهَا أَمْرَةُ^(١) اللَّهُ بِوَصْلِهَا^(٢) ، وَيَغْضِبُ شَجَرَةً أَصْلَهُ الْكَرِيمُ مِنْ أَصْلِهَا . وَلِعُمْرِي إِنَّهُمْ أَخْرَجُوهُ^(٣) عَنْ مَعْهُودِ^(٤) خَلَاقِهِ ، وَبَدَلُوا أَنْوَاءَ عُيُونِهِ بِمُخْيِلَةٍ^(٥) صَوْاعِقِهِ . وَلَكُنْهُمْ^(٦) [شَفَعُوا]^(٧) الذَّنْبَ بِالاعتذارِ ، وَعَلِمُوا أَنَّ خَطِئَ^(٨) آزْشِيَّتِهِمْ لَا يَؤْثِرُ^(٩) فِي كَدْرِ الْبَخَارِ .

وَقَدْ قَدَرَ الْمَقْدَرَةُ^(١٠) ثَصَرُ^(١١) كَبَارُ الذَّنْبِ ، وَتَذَهَّبُ تِرَاتِ^(١٢) الْقُلُوبِ . فَإِنْ حُسْنَ^(١٣) مِنْهُمْ أَنَّهُمْ جَمَعُوا قِلَّةَ الْأَدَابِ إِلَى إِذْلَالِ ذُوِّ الْأَنْسَابِ ، فَتَلَكَ سُنَّةُ سَنَّهَا حُكْمُهُ^(١٤) ، وَجَبَلُهُمْ عَلَيْهَا حِلْمَهُ^(١٥) ، وَمَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ الْكَرِيمَ عَادَ عَنْ^(١٦) عَادَةِ إِغْضَائِهِ ، وَرَجَعَ^(١٧) فِي حُكْمِ قَضَائِهِ . وَأَوْلُ رَاضِينَ سُنَّةً مِنْ

(١) فِي م : « امْرَةُ » تحريفا . (٢) فِي م : « لِوَصْلِهَا » تحريفا .

(٣) فِي م : « أَخْذُوا » تحريفا ؛ وَفِي ن : « أَخْرَجُوهُ » خطا .

(٤) فِي ع : « مِنْ مَعْهُودٍ » .

(٥) فِي الأَصْلِ : « لِمُخْيِلَةٍ » ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ت ، وَط ، وَم ، وَن .

(٦) فِي ع : « وَلَكُنْهُمْ » تحريفا .

(٧) فِي الأَصْلِ : « شَفَعَهُ » ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ت ، وَط ، وَم ، وَن ، وَع .

(٨) فِي ط ، وَم ، وَن : « خَطِيئَةً » تصحيفا ، وَالْأَرْشِيهُ نوعٌ مِنَ الْحِجَالِ يُرْبِطُ بَلَاءَ الْبَنِيرِ وَغَيْرِهِ ، وَالرَّوَاءُ ، بِالْكَسْرِ وَالْمَدِّ: حِبْلٌ مِنْ حِبَالِ الْجِبَاءِ ، وَقَدْ يُشَدُّ بِهِ الْجُفْنُ وَالْمَنَاعُ عَلَى الْبَعِيرِ . وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: الرَّوَاءُ أَغْلَظُ الْأَرْشِيهِ ، الْلِّسَانُ فِي (رَوَى) .

(٩) « لَا يَؤْثِرُ » سقطت مِنْ ن .

(١٠) فِي الأَصْلِ : « وَإِنْ قَدَرُوا » ؛ وَفِي ط : « قَدْرُ الْمَقْدَرَةِ » وَبِهَا لَا يَسْتَقِيمُ الْمَعْنَى وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ت ، وَم ، وَن ، وَع .

(١١) فِي م : « بَصَرُ » تصحيفا .

(١٢) فِي ت ، وَع : « تِرَاهُ » خطا ؛ وَفِي م : « تِرَاقُ » تحريفا .

(١٣) فِي ت ، وَط ، وَن ، وَع : « نَقْمَ » ، وَفِي م : « يَقْمَ » تحريفا .

(١٤) فِي ط : « حَلْمَهُ » ، وَفِي م : « سَنَّهَا حُكْمُ » تحريفا .

(١٥) « حَلْمَهُ » سقطت مِنْ ط ، وَفِي م : « وَحْلَهُمْ عَلَيْهَا حَلْمٌ » تحريفا .

(١٦) فِي ن ، وَع : « مِنْ » .

(١٧) فِي م : « وَيَرْجِعُ » .

يُسِيرُهَا^(١) ؛ فَلِيُسِيرِ الْمَوْلَى فَضْلَهُ ، وَلِيُجِزِ^(٢) إِسَاعَةً فَعَلِيهِم بِإِحْسَانٍ^(٣) فَعَلِيهِ ، وَلِيَأْخُذُ^(٤) بِأَدِبِ اللَّهِ وَأَدِبِ رُسُلِهِ فِي الإِعْرَاضِ عَنِ الْجَاهِلِ وَجَهْلِهِ ، وَيَعْلَمُ أَنَّ قَوْمَ الْمَرْءِ كَنَانَتُهُ الَّتِي بِهَا يُنَاضِلُ ، وَذِرْوَتُهُ الَّتِي بِهَا يُطَاوِلُ ، وَإِذَا لَمْ يَحْمُلْ مَا يَرِيبُ مِنْ أَدَانِيَهُ زَمَنَتُهُ أَقْاصِيَهُ . وَلَا بُدُّ لِلإِنْسَانِ مِنْ طَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ . وَمِنْ أَجْلِ طَاعَاتِهِ تُغَفَّرُ مَعَاصِيَهُ . إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَّ السَّيِّئَاتِ^(٥) . وَبَعْدُ فَإِذَا شَاءَ الْمَوْلَى أَنْ يَقْتَلَ حُرَّاً فَلَيُغَفِّفُ عَنْ زَلَّهِ . فَإِنَّ إِصَابَةَ^(٦) عَزْرِضِهِ أَشَدُّ مِنْ إِصَابَةِ مَقْتِلِهِ .

فِي^(٧) هَذَا الْكِتَابِ مَعَانٍ كَثِيرَةٌ شَرِيقَةٌ ، وَهِيَ فِي الْمِيزَانِ ثَقِيلَةٌ وَعَلَى الْقُلُوبِ حَقِيقَةٌ . وَمِنْهَا مَا أُخِذَ مِنَ الشِّعْرِ . فَمِنْهَا^(٨) مَا هُوَ^(٩) مَأْخُوذٌ مِنْ أَبْيَاتِ الْحَمَاسَةِ :

إِذَا أَتَتْ لَمْ تَغْرُكْ بِجَنِينَكَ^(١٠) بَغْضَ مَا

يَرِيبُ مِنَ الْأَذْنَى رَمَاكَ الْأَبَاعِدُ^(١١)

وَمِنْهَا مَا هُوَ^(١٢) مَأْخُوذٌ مِنْ شِعْرِ أَبِي تَمَّامٍ ، وَهُوَ قَوْلُهُ :

(١) عِجز بيت لخالد بن أخت أبي ذؤيب الهزلي من الطويل ، وصدره :

فَلَا تَجْرِعْنِي مِنْ سُنَّةِ أَنَّتِ سِرْتَهَا

مجمع الأمثال للميداني ٢٤٨ / ٢ ، وفصل المقال في شرح كتاب الأمثال ١ / ٣٩٥ .

(٢) في ن : « وليجر » خطأ .

(٣) في ن : « وإحسان » .

(٤) في ع : « ولি�أخذه » خطأ .

(٥) هود / ١١٤ .

(٦) في م : « إصابت » خطأ .

(٧) في م : « وفي » .

(٨) في ت : « فمن ذلك » .

(٩) ما هو « سقطت » من ع .

(١٠) هذه الكلمة غير مقرؤة في م .

(١١) البيت من الطويل في حماسة أبي تمام ١ / ٣٥٦ / رقم ٤٥٣ ، منسوبة لمحمد بن أبي شحاذ الضبي .

(١٢) ما هو « سقطت » من ع .

فِمْ صَبَرُوا تِلْكَ الْبُرُوقَ صَوَاعِقًا
 فِيهِمْ ^(١) وَذَاكَ ^(٢) الْعَفْوَ سُوتَ عَذَابٍ
 فَإِذَا كَشَفْتُهُمْ وَجَدْتَ لَنَيْهِمْ كَرَمَ النُّفُوسِ وَقَلَّةَ الْأَدَابِ ^(٣)
 وَمِنْهَا مَا هُوَ ^(٤) مَأْخُوذٌ مِنْ شِعْرِ أَبْنِ الطَّيْبِ الْمُتَبَّنِ ، وَهُوَ ^(٥) قَوْلُهُ :
 وَمَا قَتَلَ الْأَخْرَارَ كَالْعَفْوِ عَنْهُمْ
 وَمَنْ لَكَ بِالْحُرْ الَّذِي يَخْفَظُ الْيَدَا ^(٦)

وَمِنْ هَذَا الْقُسْمِ مَا ذُكِرَتْهُ فِي خَلْعِ الْمَدَاحِ عَلَى مَادِحِهِ ، وَهُوَ : سَلِيبُ
 الْمَدَاحِ ^(٧) أَبْهَجَ حُسْنَتَا مِنَ الْغَصُونِ الْمَكْسُوَةِ بِأَوراقِهَا ، وَالْحَمَائِمُ الْمَتَحَلِّيَّةُ ^(٨)
 بِأَطْوَاقِهَا ، فَهُوَ عَارٍ مِنَ الْلِّبَاسِ ، مَكْسُوٌّ مِنَ الْمَحَامِلِ الَّتِي صَاحِبُهَا هُوَ الْكَاسِ .
 وَيَعْضُّ هَذَا الْمَعْنَى مَأْخُوذٌ مِنْ شِعْرِ بَشَارٍ ^(٩) :

سَلَبَثَةٌ يَدُ الْمَدَاحِ ثَرَبَا فَهُوَ كَافِسٌ مِنَ الْمَدَاحِ ^(١٠) عَارٍ ^(١١)

(١) فِي ت : « عَلَيْهِمْ » ، وَبِهَا لَا يَسْتَقِيمُ الْوَزْنُ .

(٢) فِي ع : « فِيهِمْ ذَاكَ » ، وَبِهَا لَا يَسْتَقِيمُ الْوَزْنُ .

(٣) الْبَيْانُ مِنَ الْكَاملِ فِي دِيَوَانِ أَبِي تَمَامٍ ٨٦/١ ٩٠، ٤ / ق ٩٠ ، وَهُمَا عَلَى غَيْرِ تَرْتِيبِ
 الْقُصِيدَةِ .

(٤) « مَا هُوَ سَقْطَتْ » مِنْ ع .

(٥) فِي ن : « مِنْ » .

(٦) الْبَيْتُ مِنَ الْطَّوْرِيلِ فِي دِيَوَانِ الْمُتَبَّنِ ص ٣٦١ .

(٧) فِي ط : « الْمَدَاحُ » ، وَفِي م سَقْطَتْ عَبَارَةً : « سَلِيبُ الْمَدَاحِ » .

(٨) فِي ت : « الْمَتَجْلِيَّةُ » .

(٩) بَشَارُ بْنُ بُزَيدُ أَبُو مَعاذِ الْبَصْرِيُّ ، وَكَانَ فَارِسًا مِنْ سَبْئِيِّ أَصْبَاهَانَ ؛ قُولَدُ فِي الرَّقِّ وَهُوَ
 أَعْمَى ، اتَّهِمَ بِالْزَّنْدَقَةِ ، وَكَانَ يَنْتَصِبُ لِلْعِجْمِ عَلَى الْعَرَبِ ، قُتِلَ سَنَةُ ١٦٧ هـ وَيُوْلَيُ التَّسْعِينَ . سِيرَةُ
 أَعْلَامِ الْبَلَاءِ ٧/٢٤ وَ ٢٥ ، وَقِيَاتُ الْأَعْيَانِ ١/٢٧٤: ٢٧١ ، الْبَدَائِيَّةُ وَالنَّهَايَةُ ١٤٩/١٥٠ ،
 النَّجُومُ الْزَّاهِرَةُ ٢/٥٣ .

(١٠) فِي ت ، وَم ، وَن ، وَع : « الْمَحَامِدُ » .

(١١) الْبَيْتُ مِنَ الْخَفِيفِ وَلَمْ أَجِدْهُ فِي دِيَوَانِ بَشَارِ الْذِي اعْتَنَى بِجَمِيعِهِ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بَدْرُ الدِّينِ
 الْعُلَوَى أَسْتَاذُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ سَابِقًا فِي الجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِعِلْمِكَرَةِ - الْهَنْدُ نَشَرَ وَتَوزَعَ دَارُ الْفَقَادَةِ
 بِيَرُوْتِ - لَبَنَانَ .

ومن هذا الأسلوب ما ذكرته في المودة ، وهو خير الود ماعطف عليك اختيارة ، لا ما أعدتة بالعتاب اتسارا ؛ فإن شيمه التبرع كحسن ^(١) البداوة [غير] ^(٢) مخلوب ، والإلحاح في الطلب إثبات لوجه المطلوب . وهذا ^(٣) مأخوذ من أبيات الحماسة ، وهو

أَلَا إِنْ خَيْرَ الْوَدْ وُدْ تَطْرَعَث
بِهِ النَّفْسُ لَا وُدْ أَنِي وَهُوَ فَتَعْبُ ^(٤)

ومن شعر أبي الطيب [المتنبي] ^(٥) في قوله

حُسْنُ الْحَضَارَةِ مَجْلُوبٌ بِنَطَرِيَةِ
وَفِي الْبَدَائِرَةِ حُسْنٌ غَيْرُ مَجْلُوبٍ ^(٦)

ومن هذا الباب ما ذكرته في الشنب ، وهو الشنب بعد جلة الشباب إخلاص ^(٧) ، وهو على كراهة لقائه مكره الفراق . فآها ^(٨) لتزوله وآها ^(٩) لرحيله ، وسخنا له بدليلاً من الشباب سخناً لبدليله .

وهذا مأخوذ من شعر أبي نواس ، وهو قوله

(١) في ن : «التبرج لحسن » خطأ . وفي هامش ع : «خير الود ما عطف عليك اختيارة» .

(٢) الزيادة من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٣) في الأصل : « وهو » ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٤) البيت من الطويل في حماسة أبي تمام ٩٣/١ / رقم ٩٢ .

(٥) الزيادة من م .

(٦) البيت من البسيط في ديوان المتنبي ص ٤٤٧ .

(٧) في ط : «إخلاف » تصحيفا .

(٨) في ت ، وم ، وع : «فواها » ، وفي ن : «فواها لزورته » .

(٩) في ت ، وم ، ون ، وع : «وواها » .

الشَّيْبُ كُزَّةٌ وَكُزَّةٌ أَنْ يَفَارِقُنِي أَخِيبُ بِشَنِّيٍّ عَلَى الْبَغْضَاءِ مَوْدُودٌ
 يَمْضِي الشَّيْبُ وَيَأْتِي بَعْدَهُ بَدْلٌ وَالشَّيْبُ يَذَهِبُ مَفْقُودًا يَمْفُودٌ^(١)
 ومن هذا الفَنُّ^(٢) ما ذُكِرَتُهُ فِي الْهِجَاءِ ، وَهُوَ : لَمْ أَرَ لَهُ فِي حُظُورِ الْمَسَاعِي
 مِنْ قِسْمٍ ، كَائِنَ فِيهَا وَأُوْعَنِرُو أَوْ لَلْفُ بِسِنْ^(٣) فَهُوَ لَا يَزَالُ مُنْكَرًا غَيْرَ
 مَعْرُوفٍ^(٤) ، فَإِمَّا زَانَدَ لَا حَاجَةٌ إِلَيْهِ إِمَّا مَحْذُوفٌ ، وَالسَّنِيدُ فِي الشَّيْءِ لَا يَكُونُ
 كَالنَّسِيبِ ، وَفَرْقٌ كَبِيرٌ^(٥) بَيْنَ أَنْسِ الْأَنْبِيسِ وَوَحْشَةِ الْغَرِيبِ .
 وبِعْضُ هَذَا [المعنى]^(٦) مَأْخُوذٌ مِنْ شِعْرِ أَبِي عِبَادَةَ الْبُحْرَى :
 خَلُّ^(٧) هَنَا فَلَئِمَا أَنْتَ فِينَا وَأُوْعَنِرُو أَوْ كَالْحَدِيثِ الْمُعَادِ^(٨)
 وقد^(٩) أَتَيْتُ بِهَذَا الْمَعْنَى عَلَى وَجْهِ آخَرَ ، فَقُلْتُ : لَمْ أَرَ لَهُ فِي حُظُورِ الْمَسَاعِي مِنْ
 أَثْرٍ فَهُوَ فِي عَدَمِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ^(١٠) كَوَاوِ عَمْرُو وَفِي الْامْتِنَاعِ مِنِ الْصِّرْفِ كَرَاءُ عَمْرٌ .
 ومن هَذَا الْبَابِ مَا ذُكِرَتُهُ فِي وَصْفِ السُّرِّ ، وَهُوَ : السُّرُّ^(١١) أَمَانَةُ لَا تُبَاعُ ،
 وَوَدِيعَةُ لَا تُضَاعُ ، فَالْعَيْنُ^(١٢) تُكَاتِمُ الْقَلْبَ فِيهَا مَا تُبَصِّرُ ، وَالْقَلْبُ يُكَاتِمُ الْلِّسَانَ

(١) الْبَيْتَانِ مِنَ الْبَسِطِ وَهُمَا لِيَسِي لَأَبِي نَوَاسٍ ، وَإِنَّمَا هُنَّا لِصَرْبِي الغَوَانِي مُسْلِمٌ بْنُ الْوَلِيدِ فِي دِيَوَانِهِ صَ ٣١٠ وَ ٣١١ مَقْطُوعَةُ رَقْمٍ ٩٧ ، وَفِي تَارِيخِ بَغْدَادِ ١٣ / ٩٦ ، وَرَوَاهُمَا :

أعْجَب

يَمْضِي الشَّيْبُ وَقَدْ يَأْتِي لَهُ خَلْفٌ

(٢) فِي مِنْ : «الفَصْل» .

(٤) فِي مِنْ : «مَعْرُوف» .

(٥) فِي تِنْ ، وَمِنْ : «كَثِير» ، وَفِي نِنْ : «أَكْثَر» .

(٦) الْزِيَادَةُ مِنْ طِنْ ، وَمِنْ ، وَنِنْ .

(٧) فِي نِنْ : «سُلْ» خَطَا .

(٨) الْيَسِتُّ مِنَ الْخَفِيفِ فِي دِيَوَانِ الْبُحْرَى ٢ / ٧٩٩ قَ ٣١٨ .

(٩) فِي تِنْ : «قَدْ» .

(١٠) «إِلَيْهِ» سَقَطَتْ مِنْ مِنْ ، وَعَ .

(١١) «السُّرُّ» سَقَطَتْ مِنْ مِنْ . وَيَقْبَلُهَا فِي هَامِشِ عَنْوَانِ : «السُّرُّ أَمَانَةُ لَا تُبَاعُ» .

(١٢) فِي طِنْ : «فَالْعَيْنُ» تَحْرِيفًا .

ما^(١) يُضِيرُه فإذا^(٢) حُرِفَظَ على السُّرُّ كذلك فقد ألقى في مَهْوَاةً لا يُرَأُمُ اطْلَاعُهَا ، وينيَطُ بِصَخْرَةِ أَغْيَا الرِّجَالَ اتِّصَادُهَا .

وبعْضُ هَذَا الْمَعْنَى^(٣) مَأْخُوذٌ مِنْ آيَاتِ الْحَمَاسَةِ ، وَهُوَ :

وَبَيْتَانِ صِدِيقٍ لَسْتُ مُطْلِعًا بِعِنْدِهِمْ
عَلَى سِرِّ بَغْضٍ غَيْرَ أَنِّي جَمَاعُهَا
بَظَلُونَ شَتَّى فِي الْبِلَادِ وَسِرُّهُمْ
إِلَى صَخْرَةِ أَغْيَا الرِّجَالَ اتِّصَادُهَا^(٤)

وَمِنْ شِعْرِ أَبِي الطَّيْبِ الْمُتَّبِّعِ

كَائِنِي عَصَثَ مُقْلَتِي فِيْكُمْ وَكَائِنَتِ الْقَلْبَ مَا تُبَصِّرُ^(٥)

وَمِنْ هَذَا الْقَسْمِ مَا ذَكَرْتُهُ فِي فَصْلٍ مِنْ كِتَابٍ يَتَضَمَّنُ قَتَالَ قَوْمٍ كَانُوا^(٦) مُعْتَصِمِينَ بِجَبَلٍ فَنَزَلُوا إِلَى الصَّحْرَاءِ^(٧) وَهُزِمُوا : وَيَغْدُ فَانَّ الْعَسَاكِرَ رَيْكَثُ لَارْتِيادِ مَوْقِفِ الْحَرْبِ ، وَاخْتِيَارِ الْمَصْدِعِ السَّهْلِ فِي الْجَبَلِ دُونَ الصَّعِّبِ ؛ لِتَكُونَ عَلَى بَصِيرَةِ مِنْ أَعْوَرِهَا ، وَلِتَأْتِيَ^(٨) الْبَيْوَثَ مِنْ أَبْوَابِهَا لَا مِنْ ظَهُورِهَا ؛ فَانْبَسَطَ كَتَابُهَا فِي كُلِّ مُنْخَفِضٍ وَمُنْخَدَرٍ ، وَعَيْبَتُ^(٩) عَلَى الْعَدُوِّ كُثْرَةُ عَدِيهَا فَاعْتَمَدَ فِي ذَلِكَ عَلَى مَرَأَيِ الْبَصَرِ . فَحِيشَدَ نَفَعَ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفُهُ ، وَسَاقَهُ إِلَى حَتْفَهُ ؛ فَبَرَّ فِيمَنْ قَبْلَهُ مِنْ

(١) فِي نِ : « بِمَا » .

(٢) فِي تِ ، وَمِ ، وَنِ : « إِذَا » .

(٣) فِي تِ : « هَذَا مَأْخُوذٌ » ، وَفِي نِ : « وَبَعْضُ الْمَعْنَى » .

(٤) الْبَيْتَانِ مِنَ الطَّوْبِيلِ فِي حَمَاسَةِ أَبِي تَامَ مَنْسُوبَانِ لِمَسْكِينِ الدَّارِمِيِّ / ٣٢٣ / ٤٠٣ رَقْمَ .

(٥) الْبَيْتُ مِنَ الْمُتَّقَارِبِ فِي دِيْوَانِ الْمُتَّبِّعِ / ٣٤٤ . وَفِي مِ : « وَكَائِنَتِ الْقَلْبَ مَا يَبْصُرُ » .

(٦) فِي نِ : « وَكَانُوا » .

(٧) فِي مِ : « كَانُوا مُعْتَصِمِينَ فَنَزَلُوا بِجَبَلٍ إِلَى الصَّحْرَاءِ » وَهِيَ عَبَارَةٌ مُضْطَرِبَةٌ .

(٨) فِي مِ : « لِيَأْتِيَ » .

(٩) فِي نِ : « وَعَمْتَ » خَطَا .

الجنود ، ونَزَلَ عن قُلُّ الْأَوْعَالِ إِلَى مُضطَخِرِ^(١) الْأَسْوَدِ . وقد [كان]^(٢)
حَزْنُ الْخَطْبِ فِي أَحْزَانِهِ ، وَتَبَاعِدُ مَنَالِيَهُ فِي تَبَاعِيدِ مَكَانِهِ . فَلَمَّا أَسْهَلَ أَسْهَلَ النَّصْرُ^(٣)
فِي طَلَبِهِ ، وَمَكَنَ يَدَهُ مِن سَلَبِهِ .

لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ رُدُوا عَلَى الْأَعْقَابِ . وَتُسْفِرُوا نَسْفَ الرِّيحِ لِلسَّحَابِ^(٤) . فَلَمْ يَكُنْ
لَّهُمْ سَلاَحٌ أَوْقَى^(٥) مِنَ الْفَرَارِ ، وَلَا عَاصِمٌ إِلَّا الْجَبَلُ الَّذِي إِنْ عَصَمَ مِنْ طَوْفَانِ
السَّيْفِ فَمَا عَصَمَ مِنْ طَوْفَانِ الْعَارِ .

فِي هَذَا الْفَصْلِ^(٦) مَا هُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ شِعْرِ أَبِي تَمَامٍ وَشِعْرِ^(٧) أَبِي الطَّيْبِ
الْمُتَنبِّيِّ . أَمَّا أَبُو تَمَامٍ فَقَوْلُهُ :

لَيْسَ لَهُ خَدْعُ الْحُرُوبِ رَخَارِفًا^(٨)

فَرَقَنَ بَيْنَ الْهَضْبِ وَالْأَوْعَالِ

قَدْ كَانَ حَزْنُ الْخَطْبِ فِي أَحْزَانِهِ

قَدْعَاهُ دَاعِيُ الْحَيْنِ^(٩) لِلأَسْهَالِ^(١٠)

وَأَمَّا أَبِي الطَّيْبِ الْمُتَنبِّيِّ فَقَوْلُهُ :

(١) في ن ، وع : « تلك » خطأ .

(٢) في ن : « مضطخر » :

(٣) ممحورة في الأصل ، وما أثبتته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٤) في ت : « البصر » ، وفي ط ، وم : « فلما أسهل النصر » .

(٥) في ت ، وط ، ون : « السحاب » ، وفي ع : « التراب » .

(٦) في ت ، وط : « أوقى » .

(٧) في ع : « الكلام » .

(٨) في ع : « ومن شعر » .

(٩) في ط : « رخارفا » خطأ .

(١٠) في م : « الخير » .

(١١) اليبيان من الكامل في ديوان أبي تمام ١٣٧/٣ ق ١٣٠ ، وقد قدم المصنف البيت
الثاني على البيت الأول على غير ترتيب الديوان .

فَلَرَّهُمُ الْطَّرَادُ إِلَى قِتَالٍ

أَحَدُ^(١) سِلَاحُهُمْ^(٢) فِيهِ الْفِرَارُ^(٣)

« ومن هذا القسم ما ذكرته في جملة رسالة طردية^(٤) أصف فيها صيد الفهد^(٥)، قلت : وثار^(٦) بين أيدينا سرب طباع مدرّب على القنص ومقاصبه ، عارف بعوائله ومخلصيه . وقد طرق مكانه حتى لم يَهُنْ بمضرعيه ومشرعيه ، ولا أمن نبوة^(٧) مضرعيه وليس منه ما [تَمَّتَ]^(٨) بروية أشياهه من القرقدانين^(٩) ، [ولأنسي]^(٩) الفجيعة باليقه الذي خر للفم واليدين . فلما أحس بنا طار خيفة^(١٠) حتىه ، وكاد أن يخلف ظلة من خلفه . فأرسلنا عليه فهذا نخيس^(١١) الضريبة ، ميمون التقيبة ، [مُتَسِّبًا]^(١٢) إلى نجيبي من الفهود ونجيبة كائناً ينظر من

(١) في ع : « أحد ». .

(٢) في م : « سلاحه » وبها لا يستقيم الوزن ولا المعنى .

(٣) البيت من الواقر في ديوان المتنبي ص ٣٩٣ .

(٤) « طردية » غير موجودة في ت .

(٥) في ت : « الفهود ». .

(٦) في ع : « وسار ». .

(٧) في ع : « بنة » تصحيفا . وبأحد السيف إذا لم يقطع . اللسان في (ن ب و) .

(٨) في الأصل ، وع : « يمنع » ، وفي ت : « يُمْتَّعْ » ، وما أثبته من ط .

(٩) والقرقدان : نجمان في السماء لا يغربان قريبان من القطب ، اللسان في (ف ر ق د) .

(١٠) في الأصل : « ولا على الفجيعة » ، وما أثبته من ت ، وط ، وع .

(١١) « خيبة » غير موجودة في ع .

(١٢) في ت ، وط ، وع ، ورسالته في نشرة أنيس المقدسي ص ١٠١ : « سلس الضريبة »؛ ونخيس : اتساع ثقب محورها فتحشت بخالس ، اللسان (ن خ س)؛ والضريبة : الرأس وسمى بذلك لكثره اضطرابه ، وهو المضروب بالسيف ، اللسان مادة (ض ر ب) .

(١٣) في الأصل ، وع : « متسب » ، وما أثبته من ت ، وط ؛ وميمون التقيبة : المظفر بما يحاول وهو كتابة عن قوله ، اللسان (ن ق ب) .

جمَرَة ، ويسمُعُ فِي ^(١) صَخْرَة ، ويطأُ مِن كُلِّ بُرْثَنٍ ^(٢) عَلَى شَفَرَة . وَلَهُ إِهَاب ^(٣) قدْ حِيكَ مِنْ ضَلَّين : بِيَاضِ وَسَوَاد ، وَضُورٌ عَلَى أَشْكَالِ الْعُيُونِ . فَتَطَلَّعَتِ إِلَى انتزاعِ الأَرْوَاحِ مِنَ الْأَجْسَادِ . وَهُرَيْلَعُ الْأَمْدَ ^(٤) الْأَقْصَى فِي أَذْنَى وَثَبَاتِهِ ، وَيُسْبِقُ الْفَرِيسَةَ فَلَا يَقْبِضُهَا ^(٥) إِلَّا عِنْدَ التِّفَاتِهِ . وَقَدْ عَلِمَتِ الظَّبَابَةُ أَنَّ حَبَائِلَهَا فِي جَبَلِ ^(٦) ذَرَاعِهِ ، وَأَنَّ نَفْوسَهَا مَخْبُوَةٌ ^(٧) بَيْنَ أَضْلاعِهِ ، فَلَمْ يَكُنْ ^(٨) إِلَّا نَبْضَةُ عَرَقِ ، أَوْ لَمْحَةُ بَرَقِ ، حَتَّى ^(٩) أَذْرَكَ عَقِيلَةً مِنْ تِلْكَ ^(١٠) الْعَقَائِلِ ، فَانْتَخَ عَلَيْهَا كَلْكَلَةً ، وَوَقَفَ بِيَازِئَهَا يَتَظَارُ ^(١١) مُرْسِلَةً .

فِي ^(١٢) هَذَا الْكَلَامِ مَعْنَى مَاخُوذٌ مِنْ شِعْرِ ابْنِ بَابِكِ ^(١٣) ، وَهُوَ :

**وَكَانَ جِلْدَتَهُ ^(١٤) عَيْنُونَ كُلُّهَا
بَئْتُ ^(١٥) عَلَى الْأَرْوَاحِ فَهِيَ تَطَلَّعُ ^(١٦)**

(١) فِي ط : « مِن » .

(٢) الْبُرْثَنُ : مِخلَبُ الْأَسَدِ . اللسان فِي (بِرَثَن) .

(٣) الإِهَابُ : الْجِلدُ مِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالْوَحْشِ مَا لَمْ يُذْبَغِ . اللسان فِي (أَهَبِ) .

(٤) فِي ت ، وَطِ : « الْمَدِي » . (٣) فِي ت : « فَلَا يَقْبِضُهَا » .

(٥) فِي ت : « مَخْبُوَةً » ، وَطِ ، وَعِ : « مَخْبُوَةً » .

(٦) فِي ت : « يَكُنْ » بِدُونِ نَقْطَةٍ ، وَفِي ط : « تَكُنْ » .

(٧) « حَتَّى » غَيْر مَقْرُوْعَةٌ فِي ط . (٨) فِي ت : « عَقِيلَةُ تِلْكَ » .

(٩) « يَتَظَارُ غَيْر مَقْرُوْعَةٌ فِي ط . وَالْكَلْكَلُ : الصَّدَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . اللسان (كَلَلِ) .

(١٠) فِي ت ، وَطِ : « وَفِي » .

(١١) شَاهِرُ وَقْتِهِ أَبُو القَاسِمِ عَبْدِ الصَّمْدِ بْنِ بَابِكِ الْبَغْدَادِيِّ ، طَوْفُ النَّوَاحِي ، وَمَدْحُ الْكَبَارِ ، تَوْفَى ٤١٠ هـ بِبَغْدَادِ ، سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٢٨٠/١٧ ، وَوَفَياتُ الْأَعْيَانِ ١٩٦/٣ وَمَا بَعْدَهَا ، النَّجُومُ الزَّاهِرَةَ ٤/٢٤٥ .

(١٢) فِي ع : « حَلْدَتَهُ » تَصْحِيفًا .

(١٣) فِي ط : « بَئْتُ » تَصْحِيفًا ، وَفِي ع : « بَنْتُ » .

(١٤) يَتَهَيَّ هَنَا خَرْمٌ وَقَعَ فِي مِنْ ، وَنَ يَبْدُأُ مِنْ قَوْلِهِ فِي صِ ٣٠ : وَمِنْ هَذَا الْقَسْمِ وَالْبَيْتُ مِنَ الْكَاملِ .

ومن هذا القسم ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن ذكر التاريخ ، فقلت : والتاريخ معاذ معنوي يعني ^(١) الأعصار وقد سلفت ، وينشر ^(٢) أهلها وقد ذهبت آثارهم وغافت . وبه يستفيد عقول التجارب من كان ^(٣) غرّا ، ويُلقي آدم ومن ^(٤) بغلة من الأمم وهلم جرا . فهم لدنيه أحياه وقد تضمنتهم بطون ^(٥) القبور ، وعنهم غيّب وقد جعلتهم الأخبار في عداد الحضور .

ولولا التاريخ ^(٦) لجهل الأنساب ، ونبيث الأحساب ، ولم يعلم الإنسان أن أصله من تراب ؛ وكذلك لولا لمائة ^(٧) الدول بموت زعمائها ، وعيى على الأواخر حال قدمائهما ، ولم يحيط ^(٨) علمًا بما [قد] ^(٩) تداولته الأرض ^(١٠) من حوادث سمائهما . ولمكان الحاجة ^(١١) إليها لم يخل منها كتاب من كتب الله المترلة ، فمثناها ما يأتي ^(١٢) بأخباره المجملة ، ومنها ما يأتي ^(١٣) بأخباره المفضلة ^(١٤) . وقد

(١) في م : « بعيد » تصحيفا ، يقابلها في هامش عنوان : « في التاريخ » .

(٢) في ع : « وتنشر » خطأ .

(٣) في م : « مكان » تحريفا .

(٤) في ن : « ويلقى من » .

(٥) « بطون » غير موجودة في م .

(٦) في ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « التاريخ » .

(٧) في ت : « ماتت » .

(٨) في ن : « يحيط » .

(٩) الزيادة من ط .

(١٠) « من » سقطت من ع .

(١١) في ت ، وط ، ون : « العناية به » ، وفي م : « ولمكان العناية لم » .

(١٢) في ت ، وم : « ما أتى » .

(١٣) في ت ، وم : « ما أتى » .

(١٤) في الأصل : « المسألة » ، وما أثبته من ت ، وم ، ون ، وع ؛ وفي ط : « المفضلة » تصحيفا .

ورَدَ فِي التُّورَاةِ^(١) مُفْرَداً فِي سِفَرِ مِنْ أَسْفَارِهَا ، وَتَضَمَّنَ تَفْصِيلَ أَحْوَالِ الْأَمْمِ السَّالِفَةِ ، وَمُدَدِّعِيَّاتِهَا .

وقد ^(٢) كانت العرب على جهلها بالقلم وخطه ؛ والكتاب وضيبيه ؛ تضرف إلى التواريف جل ^(٣) دواعيها ، وتجعل لها أوفر ^(٤) حظ من مساعيها ؛ فستغنى بحفظ قلوبها عن حفظ مكتوبها ، وتعاض برقم حذوريها عن رقم مسطوريها ^(٥) ، كُل ذلك عناء ^(٦) منها بأخبار أراثتها ، وأيام فضائلها . وهل الإنسان إلا ما أتته [^(٧) ذكره وبئاه . وهل البقاء لصورة لخمه ودمه لو لا بقاء معناه .

في هذا الكلام شيءٌ من الشعر وهو مأخوذٌ من أبياتِ الحماسةِ ، وهو^(٨) :

«وَإِذَا الْفَتَنَةُ لَا يَمْلأُ الْحَمَامَ وَجَدَتْهُ لَوْلَا النَّفَّاءَ كَانَهُ لَمْ يَوْلِدْ»^(٩)

ومن هذا القسم ما ذكرته في عيادة مريضٍ ، وهو فصلٌ من كتابٍ ، فقلتُ :
والخادم^(١٠) يعوده من شَكَّاةِ جَنْسِيهِ ، والنَّاسُ يعودونَ الْخَادِمَ مِنْ شَكَّاهَ هَمَّهُ . وإذا
مَرَضَ الْمَوْلَى الْمُنْتَعِمُ سَرَى مَرْضُهُ إِلَى عَبْدِهِ وَخَادِمِهِ . فَهُمْ مُشَارِكُوهُ^(١١) فِي اسْمِ
مَرَضِهِ ، وَإِنْ خَالَفُوهُ فِي صُورَةِ الْأَمْبَيْهِ . وَقَدْ تَمَرَضَ أَرْوَاحُ لَعْرَضِ أَجْسَادِهِ . وَيُشَرِّكَانِ
فِي^(١٢) كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى فِي عيادة العَوَادِ .

(١) في الأصل ، و م : « التورية » ؛ وما أثبته من ت ، و ط ، و ن ، و ع .

(٢) في ع : « ولقد ». (٣) في ن : « جمل » خطأ .

(٤) في ن : « أول ». (٥) في ن : « سطورها » .

(٦) في ع : «غاية» تحريفا . (٧) الزيادة من ط .

(٨) وهو « سقطت من نت » .

(٩) الـيـتـ مـنـ الـكـامـلـ وـهـوـ فـيـ الـحـمـاسـةـ / ٥٧٩ـ / رـقـمـ ٧٩٦ـ ؛ وـرـواـيـتـهـ :

رائیتہ

منسوباً لزيد بن عامر الحارثي؛ ومن أول هذا البيت وقム خرم في م ينتهي في ص ٣٣٠.

(10) في ط : « الخادم ». (11) في ط : « مشاركون » .

(۱۲) فیض : (من)

وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر أبي تمام في قوله :

قَلَّنِي يَجِدُ حِلَّةً نَعْمٌ ^(١) بِهَا حَتَّى كَانَ نَعَادَ مِنْ مَرَضَةٍ ^(٢)

ومن هذا الباب ما ذكرته في وصف السير ، وهو : كنم أزعجت من عنان وزمام ، وكنم ^(٣) ودغث من بلد بغیر سلام ؛ فوطني حيث رخل ^(٤) الركاب ؛ وأهلي حيث صحيت من الصحاب .

وهذا مأخوذ من أبيات الحماسة :

لَا يَمْنَعْنِكَ خَفْضَ العَيْشِ فِي دَعَةٍ ثُرُوغَ نَفْسٍ إِلَى أَهْلِ وَأَوْطَانِ ^(٥)

تَلْقَنِي بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ حَلَّتْ بِهَا أَهْلًا بِأَهْلٍ وَجِيرَانًا بِجِيرَانِ ^(٦)

وكذلك قلت في وصف السير أيضا ، وهو : ولقد سرت مسير الأخبار ، وأخذت بمطالع الليل والنهار ، حتى علمت رفقة ورفقا ، وصحت للغرب غربا ، وللشرق شرقا .

وهذا مأخوذ من شعر أبي عبادة البحترى :

فَأَكُونُ طَوْرًا مَشْرِقًا لِلْمَشْرِقِ إِلَى أَفْصَنِ ، وَطَوْرًا مَغْرِبًا لِلْمَغْرِبِ ^(٧)

ومن هذا الباب ما ذكرته في مسألة الديار ^(٨) ، وهو : إذا وقفت بالدار تسائلُ

(١) في ن : « نعم » تصحيحا . في الديوان : نعم بالرفع ، والصواب : نعم لأنها جواب الشرط .

(٢) البيت من المنسخ في ديوان أبي تمام ٢١٨/٢ ق ٩٠ وروايته :

..... حتى ترانا

(٣) في ط ، ون : « وودعت » بسقوط : « وكم » .

(٤) في ط ، وع : « حل » .

(٥) في الأصل : « أهل وجيران » خطأ ، وما أتبته من ت ، وط ، ون ؛ وفي ع : « أهل وخيان » تصحيحا .

(٦) البيتان من البسيط في الحماسة ١/٨٧ رقم ٨٣ .

(٧) البيت من الخيف في ديوان البحترى ١/٧٩ ق ٢٨ .

(٨) في ط : « الدار » ؛ وفي ن : « مسألة الدار » خطأ .

أحجارَهَا^(١) ، وتبكي أسرارَهَا ؛ فِإِنَّكَ لاتبكي التُّرَابَ ؛ بل الأَتْرَابَ^(٢) ، ولا تندبُ .
الآثارُ الْخَامِلَةُ^(٣) ، بل الأَجَابَ الرَّائِلةُ .

وكذلك قلتُ في هذا المعنى أيضًا ، وهو : لا فائدةٌ في^(٤) سلامك على الطَّلَلِ
الذى لا يَعْنِي خطاباً ، ولا يَرُدُّ^(٥) جواباً ؛ فِإِنَّمَا تَخَاطِبُ أَصْدَاءَ لَا تَمْلُكُ إِعادَةَ
وَلَا إِبْدَاءَ . وَإِذَا شَغَلْتَ نَفْسَكَ بِسُؤَالِ التُّرَابِ وَالْجَنَّلَ ، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ سُؤَالِ مَنْ
لَا يَجِيبُ ، وَجَوابِ مَنْ لَا يَسْأَلُ .

وهذانِ الفصلانِ فِيهِمَا مَا هُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ شِعْرِ أَبِي تَمَّامٍ ، وَهُوَ :
فَعَلَيْنِكَ السَّلَامُ لَا أُشْرِكُ الْأَنْطَ مَلَّا فِي لَوْعَتِنِي وَلَا فِي تَحِيَّتِي
فَسَوَاءٌ إِجَابَتِي غَيْرُ دَاعٍ وَدُعَائِي بِالقَاعِ غَيْرُ مُجِيبٍ^(٦)
وَمِنْ هَذَا الْقَسْمِ مَا ذَكَرْتُهُ أَيْضًا^(٧) فِي أَدْعِيَةِ الْكِتَبِ ؛ فَمِنْهَا هَذَا الدُّعَاءُ ، وَهُوَ :
وَهَبَ اللَّهُ عُمْرًا طَوِيلًا ، وَبَتَّى لَهُ مَجْدًا أَثِيلًا ، وَصَوَرَ وَجْهَ أَيَّامِهِ جَمِيلًا ، وَنَصَبَ
سَعْيَهُ لِلشَّمْسِ وَالقَمَرِ رَسِيلاً^(٨) ، وَحَمَى بَعْدِهِ رَعِيَّةٍ وَبِأَسِسِهِ رَعِيلاً ، وَأَقامَ جُودَهُ عَنْ
أَخْوَيْهِ الْبَحْرِ وَالسَّحَابِ بَدِيلًا ، وَمَثَّلَ مَعْنَى شِيمَهِ دَفِيقًا ، وَمَحَلَّ عَلَيَّهِ جَلِيلًا^(٩) ،

(١) فِي نَ : « أَخْبَارَهَا » .

(٢) « بِلِ الْأَتْرَابِ » غَيْرُ مُوجَودَةٌ فِي طَ .

(٣) فِي نَ : « الْحَائِلَةُ » خَطَا ؛ وَفِي عَ : « الْحَامِلَةُ » تَصْحِيفًا ؛

(٤) فِي نَ : « مَنْ » .

(٥) فِي طَ : « لَا تَعْنِي خَطَابًا ، وَلَا تَرْدَ » ..

(٦) الْبَيْتَانِ مِنَ الْخَفِيفِ فِي دِيْوَانِ أَبِي تَمَّامٍ ١١٩ / ق ٨ ؛ وَرَوَاهُمَا :

فَعَلَيْهِ

· بالقفر ·

(٧) « أَيْضًا » سَقَطَتْ مِنْ تَ ، وَطَ ، وَنَ ، وَعَ .

(٨) فِي نَ : « سِيلًا » . فِي عَ : « حَلِيلًا » تَصْحِيفًا .

وأنطق السيف بشكره ضليلاً^(١) ، والجياض بمدحه صهيلاً ، وجعلَ هام العدا لرُمحه
مقيلاً . ووَخْشَ [الفلا]^(٢) لجيوبه نَزِيلاً .

ويُعْضُ هذو المعانى مأخوذاً من شعر مُسْلِم بْنِ الْوَلِيدِ ، وأبى الطِّيبِ المتنبى^(٣)
أَمَّا مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ ؛ فقوله :

قَوْمٌ إِذَا اخْتَرُ^(٤) الْهَجِيرَ مِنَ الْوَقْتِ
جَعَلُوا الْجَمَاجِمَ لِلرَّمَاحِ مَقِيلاً^(٥)

وأَمَّا^(٦) أبى الطِّيبِ المتنبى فقوله :

نَطَقَتْ بِسُؤْدُكَ الْحَمَامُ تَغْنِيَا وَبِمَا تَجْشَمَهَا^(٧) الْجِيَادُ صَهِيلاً^(٨)

ومن الأدعية المُشار إليها دعاء آخر ، وهو : أعاد الله مجده كما يداء^(٩) ، وفَسَحَ
في البقاء عمره كما فسح في [العدلياء]^(١٠) مَدَاه ، ووَكَلَ إحسانه بحدائق الدهر فلا تمتدُّ
يَدَاه إلَّا كَتَهُمَا يَدَاه ، وجعلَه لَه عَاقِلَةٌ حَتَّى لا يجرح جريحاً من الناس إلَّا وَذَاه^(١١) ،
ولازالَ واحداً في فضله ؛ حَتَّى يكونَ الأفضلُ أشباهَ ما عَدَاه^(١٢) .

(١) في ع : « ضليلاً » تصحيحاً .

(٢) في الأصل : « الفلاء » ، وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع . والفلاء : جمع الفلاة .

(٣) في ت : « أبى الطِّيبِ المتنبى » ، وشعر مسلم بن الوليد .

(٤) في ن : « حمى » .

(٥) البيت من الكامل في ديوان مسلم / ٦٠ / ق ٥ ، وروايته :

..... حمى للسيوف

(٦) « أبو » سقطت من ع . (٧) في ع : « نجشهه » خطأ .

(٨) البيت من الكامل في ديوان المتنبى / ١٣٦ .

(٩) في ت ، ون : « أبداه » .

(١٠) ما بين المعقوقين ممحو في الأصل ؛ وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع .

(١١) وداء : وذئبُ التَّكْبِيلَ أَدَيْهُ يَوْمَ إِذَا أُعْطِيَتْ بِيَتَهُ ، اللسان في (و د ي) .

(١٢) في ع : « أشباه ما عَدَاه » . وهذا معنى مأخوذ من قول المتنبى في ديوانه / ص ٢٣٨

وهو من المنسق :

الناس ما لم يبروك أشباه والدهر لفظ وأنت معناه

ويعضُّ هذا المعنى مأخوذه من شعر أبي نواس في قوله :

وَكُلْتُ بِالنَّفَرِ عَيْنَنَا غَيْرَ غَافِلَةٍ

مِنْ جُودِ كَفَكَ تَأْسُو كُلُّمَا بُرْحَانًا^(١)

ومن الأدعية دعاء آخر ، وهو : أَفَرَّ اللَّهُ عَيْنَ الْمَعَالِي بِاعْتِلَاءِ مَرَاتِيهِ ، وأَسْعَدَهُ بِشَرْفِ هَمَمِهِ لَا بِشَرْفِ كَوَاعِبِهِ ، وَجَعَلَ صَبَاحَهُ عِنْدَ كَتَائِيهِ ؛ إِذَا كَانَ صَبَاحُ غَيْرِهِ عِنْدَ كَوَاعِبِهِ ، وَرَفَعَ مَجَدَهُ عَنْ^(٢) أَقْوَالِ الْوَاصِفِينَ ، حَتَّى تَكُونَ^(٣) مَدَائِحُهَا مِنْ مَعَابِهِ لَا مِنْ مَنَاقِبِهِ ؛ وَأَغْنَاهُ بِمَكَافِحَةِ أَقْلَامِهِ عَنْ مَكَافِحةِ جَنُودِهِ ، وَبِبِدِيهَةِ آرَائِهِ عَنْ رَوِيَّةِ تَجَارِيَهِ ، وَلَا زَالَ مُحَمَّدًا فِي السَّلْمِ بِلِسَانِ مَوَاهِبِهِ ، وَفِي الْجَرْبِ بِلِسَانِ قَوَاضِبِهِ^(٤) فِي هَذَا الدُّعَاءِ مَعْنَى^(٥) مِنْ قَوْلِ أَبِي الطَّيْبِ الْمُتَبَّنِ :

أَعِيدُوا صَبَاحِي فَهُوَ عِنْدَ الْكَوَاعِبِ^(٦)

وَرُدُّوا^(٧) رُقَادِي فَهُوَ لَحْظَ الْحَجَابِ^(٨)

وَكُنْتُ الْفُتُّ كَتَابًا فِي ذَكِيرِ أَدْعِيَةِ مُخْصُوصَةِ ، وَضَمَّنْتُهُ^(٩) مَائَةً دُعَاءً مِمَّا

(١) البيت من البسيط في ديوان أبي نواس ص ١٧١ : دار صادر - بيروت .

(٢) في ن : « على » .

(٣) في ن : « يكون » .

(٤) والقضيب من السيف اللطيف القاطع . اللسان في (ق ض ب) .

(٥) « معنى » سقطت من ن .

(٦) في ن : « الكواكب » خطأ .

(٧) وكعبت وكعبت : تَهَدَّى ثَدِيَها . وجارية كَعَابُ وَمَكْعَبُ وَكَاعِبُ ، وَجَمْعُ الْكَاعِبِ كَوَاعِبُ . اللسان في (لُثْع ب) .

(٨) في ت : « وَرْدًا » .

(٩) البيت من الطربيل في ديوان المتنبي ٢٠٩ /

(١٠) في ن : « ضَمَّنَهُ » .

يوضع^(١) في الكتب السلطانية والإخوانيات ، وضمنت على تقسيٍ أن أودع كل دعاء^(٢) منها معنى آية من القرآن ، أو خبر من الأخبار النبوية ، أو معنى بيت سائر ، وكثيراً ما اشتمل الدعاء الواحد منها على هذه المعانى الثلاثة .

(١) في ن : « توضيح » .

(٢) في ن : « دعا » خطأ .

القسم الثالث

القِسْمُ الثَّالِثُ

فِي حَلِّ الشَّغْرِ بِغَيْرِ لَفْظِهِ

وذلك هو الطبقة العليا ، وهو ^(١) أخفى لأمراه ، فإنها لا يعلم ^(٢) من أين أخذت النثار ؛ وإن علم كان في موضع الاستحسان ؛ لا في موضع ^(٣) الاستهجان . ومن المعلوم أن الآخرين لا يستغنون عن الاستفادة من الأول ، وليس هذا لفضيلة ^(٤) اخْصَّ بِهَا الأوَّلُ دون الآخِرِ ؛ بل ^(٥) لأنَّه سبق زمانا ؛ فسبقه إلى استخراج المعاني . وإذا ^(٦) جاء الآخر من بعديه ^(٧) واستخرج تلك المعاني ، كما استخرجها قيل : هذا أَخْذَهُ من ذاك . وما زال أرباب الشر والنظم ^(٨) يتناقلون المعاني مُنَاقَّةً ، ويبدأ لونها مداولة .

والفضيلة إنما تقع ^(٩) في سبب الألفاظ ، وإبرازها في حلية رائقة . وحواطر الناس مُتشاكلة في الواقع على المعاني . وكثيراً ما يقع للأخرين كما يقع للأول من غير وقوف على ما ذكره الأول ، وقد جزئت هذا في معانٍ ^(١٠) كثيرة ؛ فكان يقع لي معنى ، ثم أَجْدَهُ ^(١١) بعد ذلك في كلامٍ من تقدمي ، وكثير من الناس يستشعرون

(١) في ت : « وهي » .

(٢) في ن : « وهو الذي لا يعلم » .

(٣) ما بين علامتي التنصيص سقط من ن ؛ وفى ع : « لا موضع الاستهجان » .

(٤) في ن : « ولأن هذه الفضيلة » .

(٥) « بل » سقطت من ن .

(٦) في ن : « الآخر بعد هذه » .

(٧) في ت ، وط : « النظم والثر » .

(٨) في ن : « تنفع » .

(٩) في الأصل ، وـ ت : « معانٍ » .

(١٠) في ط ، وـ ع : « أَخْذَهُ » تصحيفا .

(١١) في ط ، وـ ع : « أَخْذَهُ » تصحيفا .

الطريق في نقل الكلام من لغة إلى لغة^(١) أخرى . وهذا القسم الثالث من حل الشعر الذي هو نقل المعنى^(٢) من لفظ إلى لفظ آخر أو عربى عنى ، وأضيف مجالاً ، وذاك أن نقل الكلام من لغة إلى لغة يسهل بسبب أن الفاظ هذه غير الفاظ هذه ؛ فلا يحتاج^(٣) العارف بالفاظ اللغتين أن يرتاد^(٤) الفاظاً متراوحة ؛ يعبر بها في نقله ؛ فإن أكثر ما يستعمل في هذا الموضع من الألفاظ إنما هو الألفاظ المتراوحة التي هي أسماء كثيرة واقعة على مسمى واحد ، ثم إذا كان نقل المعنى من لفظ إلى لفظ عارفاً بذلك ؛ فيحتاج مع هذه المعرفة إلى معرفة أخرى فوقها ، وهى اختيار الأحسن الألائق من الألفاظ المتراوحة الذى هو متصف بأوصاف الفصاحة .

وهذا لا ينحتاج إلى تطليق في نقل لغة إلى لغة أخرى ؛ فإن لهذه الفاظاً ، ولهذه الفاظاً^(٥) ، فإذا أراد^(٦) نقل المعنى من لغة إلى لغة عبر بهذه^(٧) الألفاظ عن هذه الألفاظ من غير كبير كلفة .

وبالمعنى أن محمود بن سبكتكين^(٨) أحد الملوك الذين جاءوا على عقب الملوك

(١) في ن : « من لفظة إلى لفظة » خطأ .

(٢) في الأصل : « المعنى » تصحيفا ؛ وما أثبته من ت ، ون ، وع ؛ وفي ط : « نقل معنى » .

(٣) في ط ، ون : « ولا يحتاج » .

(٤) في ط : « نزداد » تحريفا .

(٥) « ولهذه الفاظاً » سقطت من ع .

(٦) في الأصل : « أردت » ؛ خطأ ؛ وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع .

(٧) في ن : « غير هذه » خطأ .

(٨) السلطان الملك يمين الدولة ، فاتح الهند ؛ أبو القاسم محمود بن سيد الأمراء ناصر الدولة سبكتكين التركى ، صاحب خراسان والهند ، وغير ذلك ، ولد ٣٦١ هـ ، ومات بغزنة فى ٤٢١ هـ . سيو أعلام النبلاء ٤٨٣ / ١٧ و ما بعدها ، البداية والنهاية ٢٩ / ١٢ : ٣١ ، وفيات الأعيان ١٧٥ / ٥ : ١٨١ . تاريخ جرجان ٤٥٣ / ١ .

السامانية كان في خدمتي شاعر مفلق^(١) من شعاء العجم يقال له : العنصري ، وأنه حضر إلى خدمتي بعض شعاء العرب وأفدا ؛ فراجت سوقة لدبى ، ونفق عليه حتى اختصه لمناداته^(٢) ومجالسته^(٣) . فأنشدته في بعض الأيام بيتن من الشعر في وصف الخمر^(٤) ، وكان العنصري حاضرا ؛ فسألة الملك عن تفسير البيتين ؛ فأنشدته بيتن بالفارسية ارجحًا يتضمنان معنى البيتين .

وهذا من الغريب العجيب لمكان^(٥) نقل الكلام العربي إلى الفارسي سواه سواه^(٦) . وهذا لا يقع إلا نادرًا . وكنت سافرت إلى بلاد الروم^(٧) في سنة ستمائة ؛ فلما دخلت مدينة ملطية^(٨) ؛ أخبرت عن خطيبها أنَّ عنده أدبًا وفضلاً^(٩) ، وأنه يقول الشعر ؛ فقصدت لقاءه ؛ وألقنته^(١٠) كما أخبرت عنه . وعرض على قصيده من شعره ، وهو مائة بيت : كلُّ عشرين منها على لغة ؛ فكان مضمنا^(١١) خمس لغات : العربية ، والفارسية ، والتركية ، والرومية ، والأرمنية .. والجميع^(١٢) على وزن واحد ، وقافية واحدة ، إلاَّ أنه كان في غير اللغة العربية أربع منه في اللغة العربية .

(١) في ط : « شاعر عنصري مفلق ». وشاعر مفلق : مجید يجي بالعجبات في شعره . وألقن في الأمر إذا كان حاذقا به . اللسان في (ف ل ق) .

(٢) في ن : « بمنادته ». .

(٥) « لمكان » سقطت من ن .

(٦) « سواه » سقطت من ط .

(٧) بلاد الروم : القسطنطينية وأعمالها ؛ معجم البلدان ١/٣٢٣ ؛ معجم ما استعمل ٣/٣ . ٨٩٧

(٨) ملطية : من بناء الإسكندر ، وجامعها من بناء الصحابة ، بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة ، تناх الشام ؛ وذكرها المتنبي وأبو فراس . معجم البلدان ٥/١٩٢ و ١٩٣ . واللسان في (م ل ط) .

(٩) « فضلا » سقطت من ن .

(١٠) في ت : « فالفيته » ؛ وكتب في الهاشم بخط مختلف : ملعم غريب .

(١١) في ط ، ون : « متضمنا ». .

(١٢) في ن : « فالجميع ». .

وهذا من أغرب ما شاهدته ؛ ولتراجع إلى غرضنا ومهمنا من حل الشعر بغير لفظة ؛ فمِن ذلك ما ذكرته في وصف الكَرَم^(١) ، وهو : قطعت مواهبَه إلى مَدْيَهِ البلادِ ولمْ أقطعْ إلَيْهَا مَدْيَهِ ، ومَدْيَهَ نَخْوَى ولمْ أَمْدُّ نَحْوَهَا يَدَأَ . فَهَيْهَا المسافرةُ إلى كُلِّ مُقِيمٍ ، وطاردةُ الإغْدَامِ عن كُلِّ عَدِيمٍ ، والكَرِيمَةُ^(٢) إذا غَدَّا صَوْبُ الغَمَامِ ، وَهُوَ ثَيْمٌ . « فَشَكَرَ لَهَا شَكْرَانَ : شَكَرٌ عَلَى الْعَطَاءِ »^(٣) ، وشَكَرٌ على التَّبَرِ^(٤) . وَمِنْ أَحْسَنِ أوصافِهَا أَنَّهَا تَائِي للصَّنْعِ^(٥) ؛ لَا لِلتَّصْنِيعِ . وهذا مأخوذه من قول أبي الطَّيِّبِ المتنبي :

وَأَنْفُسُهُمْ مَبْنَوْلَةٌ لِرُؤُوفِهِمْ

وَأَنَّوْلَهُمْ فِي دَارٍ مَنْ لَمْ يَقِنْ وَفَدْ^(٦)

إِلَّا أَنَّى غَيَّرَتْ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ ، وَنَقَلَتْهَا إِلَى صُورَةِ أُخْرَى مَعَ مَا أَضَفَتْهُ إِلَى الْمَعْنَى مِنِ الزِّيَادَاتِ . وَهَذَا ضَرِبٌ مِنَ الْكِيمِيَاءِ الَّذِي تَقْدُمُ ذِكْرُهُ .

وَمَا يَتَنَظَّمُ بِهَذَا الْمَعْنَى^(٧) قُولِي أَيْضًا ، وَهُوَ : مَنْ يَسْأَلُهُ غَيْرَ درجاتِ الْمَعَالِي ؛ فَقَدْ قَدَحَ فِي مواهبِهِ^(٨) ، وَحَطَّ مِنْ مَرَاتِبِهِ ، لَكِنَّ الْهِبَةَ عَلَى قَدْرِ الْمَوْهُوبِ ، وَمَطْلَبُ النَّاسِ هُوَ هَذَا [الْعَرَاضُ]^(٩) الْأَذْنَى مِنَ الْمَطْلُوبِ ، فَمَنْ كَانَ ذَا فَخِيرٍ بِبَذْلِ مَالِيهِ الَّذِي هُوَ عَرَاضٌ يَذْهَبُ ، وَعَارِضٌ يَتَضَبَّ - وَقَدْ جَعَلَ حَادِثَ

(١) في ن : « الكَرِيمَ » .

(٢) في ع : « والكَرِيمَ » .

(٣) ما بين علامتي التنصيص سقط من ط .

(٤) في ن : « التَّرَعَ » .

(٥) في ت ، وَط ، وَن ، وَع : « للصَّنْعِ » .

(٦) الْبَيْتُ مِنَ الطَّوْرِيلِ فِي دِيْوَانِ الْمَتَنَبِيِّ / ١٩٣ .

(٧) في ن : « فِي الْمَعْنَى » .

(٨) في ط : « مواهنه » تحرِيفاً .

(٩) الْزِيَادَةُ مِنْ ط .

هلاكِه في ضيَّقِ إمساكِه - فلن يُكُن المولى بذلك فاحراً^(١) ، ولا له ذاكيراً .
 وهذا المعنى مُسْتَمدٌ من شعر أبي عبادة البحترى :
وإذا اجتنادَ المُجتَدُونَ فِيَّا نَهَىَ يَهُبُ العَلَا فِي نَبِيلِهِ المَزْفُوبِ^(٢) .
 غير أنَّ الذي ذكرتهُ فيه من الزيادة ما لا خفاءَ به وأمّا فضيلته على الشعر
 وحسنُه فسُكُوتِي عن وصفِه بيان ، وسُترِي لإحسانِه إحسان .
 وقد أورذتُ هذا المعنى على أسلوب آخر ، قلتُ : ولقد قَصَدَ^(٣) منه كريماً .
 لم تزل معاهِدُ أكتافِه مَغْهُودَة ، ومن شيمَة^(٤) مَواهِبِه أن تكونَ^(٥) فاصلةَ قَبْلَ أنْ
 تكونَ مقصودَة ؛ فلو حَلَفَ سائلُه أن^(٦) يُصافحَ السحابَ لَبَرَّ فِي يَمِينِه بِمُصافحةٍ
 يمينِه ؛ وليسَ هذا من المجازِ الذي يتوسَّعُ فِي مَقَالِه ، بل هو مِن^(٧) حقيقةِ القياسِ
 الذي يُخْمَلُ عَلَى أشْباهِه وأمثالِه . وببعضِ هذا تَبِعُ السِّيَادَة ، وتَكُملُ العلَيَّةَ حَتَّى
 لا زِيَادَةَ . ولقد أَغْنَى بيته وهو أولُ بيتٍ وُضعَ للجُود ، ورُخِّفَ بالعَطَايا الْيَضِيرِ فِي
 المَطَالِبِ السُّودِ ، عَمَّا ابْتَثَتْ أَوَالُهُ ، وسَتَّهُ فضائلُه
 وهذا المعنى مأخوذٌ من شعرِ أبي تمامٍ وشِعْرِ^(٨) أبي عبادة البحترى .
 أمّا أبو تمام فقولُه :

بَرَى أَقْبَحَ الأَشْيَاءِ أَوْبَةَ أَمِيلَ كَسْنَةَ يَدُ الْمَأْمُولِ حَلَّةَ خَائِبِ

(١) في ط : « فاجرا » تصحيفاً .

(٢) البيت من الكامل في ديوان البحترى ٢٤٨/١ / ق ٨١ .

(٣) في ط : « قَصَدَتْ » .

(٤) في ع : « شيم » .

(٥) في ع : « يكون » .

(٦) في ع : « أنه » .

(٧) « من » سقطت من ط .

(٨) « وشِعْرِ » سقطت من ط .

وأَخْسَنُ مِنْ نُورٍ يُفْتَحُهُ^(١) الصَّبَا
يَيَاضُ الْعَطَابِا فِي سَوَادِ الْمَطَالِبِ^(٢)
وَأَمَّا أَبُو عِبَادَةَ الْبَحْرِيُّ فَقُولُهُ :

أَغْنَى جَمَاعَةَ طَيِّبٍ عَمَّا ابْتَثَتْ
آبَاؤُهَا الْقَدَمَاءُ^(٣) لِلْأَبْنَاءِ
فَإِذَا هُمْ فَخَرُوا بِهِ لَمْ [يَنْجُحُوا]^(٤)
يَقْدِيمُ مَا وَرَثُوا مِنَ الْعَلَيَاءِ

ومن هذا الباب ما ذكرته في وصف الرماح وحامليها ، وهو : وبأيديهم كلُّ
لَذِنْ^(*) شِدَّةٌ فِي لِيْنِهِ ، وَتَمَكُّنُ النَّصْرِ مَنْوَطٌ بِتَمْكِينِهِ ؛ فَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ اغْتَلَ بِمَا^(٥)
يَمَاثِلُهُ قَدْدًا ، وَيَنْسَبُهُ جَدًّا ؛ فَإِذَا مُثْلِثَ شُكُولُهَا وَشَكُولُهُمْ قِيلَ : صِعَادٌ^(*) فِي أَيْدِي
صِعَادٍ . وَإِذَا مُثْلِثَ غَنَاؤُهَا وَغَنَاؤُهُمْ قِيلَ^(٦) : أَسَارِدٌ فِي [أَيْدِي]^(٧) آسَادٍ .

(١) في ن : « يفتحه » .

(٢) اليتان من الطويل في ديوان أبي تمام ١/٢٠٥ / ق ١٥ . ورواية البيت الأول :

أُوبَةُ آيْب

(٣) في ت : « الكرماء » .

(٤) غير مقروءة في الأصل ؛ وفي ت : « ينجحوا » ؛ وفي ن : « فخرروا فلم يتبعحوا » ؛
وما أثبته من الديوان ، وط ، وع . والبيتان من الكامل في ديوان البحري ١/٨١ . بمحجع :
البَجْحُ : الْفَرَحُ ، بَجْحَ بَجْحًا ، وَبَجْحَ يَبْجَحُ وَيَتَبَجَّحُ : فَرَحٌ . اللسان في (ب ج ح) .
(*) اللَّذْنُ : الَّذِينَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ عُودٍ أَوْ حِلْقٍ ، وَالْأَنْثَى لَذَنَةٌ ، وَالجمع لَذَنَّ وَ
لَذْنُ ، وَقَدْ لَذَنَ لَدَانَةً وَلَذْوَنَةً . اللسان في (ل د ن) .

(٥) في ت ، وط ، ون ، وع : « ما » .

(٦) في ن : « غناوها وهم قيل » .

(*) وَالصُّغْدَةُ : الْقَنَاهُ ، وَقِيلَ : الْقَنَاهُ الْمُسْتَوِيَّةُ تَبْتَ كَذَلِكَ لَا تَحْتَاجُ إِلَى التَّتْقِيفِ ؛ وَالْجَمْع
صِعَادٌ . اللسان في (ص ع د) .

(٧) في الأصل : « يدي » ، وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع .

ومن صفاتِها أنَّها لا تُشَدُّ إذا كانت قصائِدَ ، ولا تجُرُّ^(١) إلَّا إذا كانت قواصَدَ . قد أَدَبَها التَّقَافُ من عهْدِ فِطَامِهَا^(٢) ، وكانت منابِتُ التَّرَابِ مِنْ « شَرَابِهَا » ، فأَصْبَحَتْ^(٣) منابِتُ التَّرَابِ^(٤) مِنْ « طَعَامِهَا » . فهَذِه هِي الرَّمَاحُ الَّتِي تَعْتَقِلُهَا^(٥) أَيْدِي الْأَبْطَالِ ، وَتَأْوِي مِنْهَا إِلَى مَعَاقِلِ بَذَلَكَ الْأَغْيَرِالَّ .

بعض^(٦) هَذِه الْمَعْانِي مَأْخُوذٌ^(٧) مِنْ شِعْرِ أَبِي الطَّيْبِ الْمُتَنبِّي :

فُلُوِّيهِمْ فِي مَضَاءِ مَا افْتَشَفُوا فَامَّا تُهُمْ فِي تَعَامِ مَا افْتَلُوا^(٨)

وإذا أَنْصَفَ الْوَاقْفُ عَلَى هَذَا الْوَصْفِ^(٩) مَالَ مِنَ الْطَّرَبِ ، وَعَلِمَ أَنَّ فِي الْخَمْرِ مَعْنَى لَيْسَ فِي الْعَيْنِ^(١٠) . وَقَالَ : لَيْسَ الْقَلْمُ بِقَلْمٍ فِي يَدِ^(١١) كُلِّ مَنْ كَتَبَ .

وَمِنْ هَذَا الْقَسْمِ مَا ذَكَرْتُهُ فِي فَصْلٍ مِنْ كِتَابٍ يَتْضَمَّنُ هَزِيمَةً ، وَهُوَ : مَنَّا عَلَيْهِمْ

(١) فِي نَ : « وَلَا تَجِدُ » .

(٢) فِي تَ : « فِطَامِعًا » تَحْرِيفًا .

(٣) فِي طَ : « فَاصْبَحَتْ » .

(٤) فِي طَ ، وَعَ : « التَّرَابُ » . وَالثَّرَاثِبُ : أَرْبَعُ أَصْلَاعٍ مِنْ يَمْنَةِ الصَّدْرِ وَأَرْبَعُ مِنْ يَسْرَرِهِ . اللِّسَانُ فِي (تَ رَبْ) .

ـ (٥) مَا بَيْنَ عَلَامَتِي التَّصْبِيصِ سَقْطٌ مِنْ نَ .

(٦) فِي طَ : « تَعْقِلُهَا » .

(٧) فِي طَ : « وَيَعْضُ » .

(٨) « مَأْخُوذٌ » سَقْطٌ مِنْ نَ .

(٩) الْبَيْتُ مِنَ الْمَنْسَرِ فِي دِيْوَانِ الْمُتَنَبِّي / ١٢٧ .

(١٠) فِي تَ ، وَطَ ، وَنَ ، وَعَ : « الْفَصْلُ » .

(١١) عَجَزَ بَيْتٌ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ أَبِي الطَّيْبِ الْمُتَنَبِّي فِي دِيْوَانِهِ / صِ ٤٢٥ ، وَقِرْيَ الْعَصِيفَ / ١٦٢ ، وَهُوَ مِنَ الْبَسِيطِ ، وَصَدْرُهُ :

وَلَمْ تَكُنْ تَغْلِبُ الْقَلْبَاءَ عَنْصُرُهَا فَإِنَّ فِي

(١٢) فِي نَ : « فِي كَفٍ » .

من الأسلاب بالبيض القراطع ؛ ليجعلوا حليها أساور في أيدي البيض ذات البراقع . وحليه السيف لا تخسّن إلا في كف يكون به ضاربا لا له ^(١) حاملا . وإذا عطل ^(٢) في مواقف الجلاء فالأولى [له] ^(٣) أن يجعل عاطلا . وهذا المعنى ينظر إلى قول أبي العناية ، وهو :

فَصُنْعَ مَا كُنْتَ حَلِبْتَ بِهِ سَبِيلَكَ حَلْخَالا
فَمَا تَصْنَعُ بِالسَّيْفِ إِذَا لَمْ تَكُنْ ^(٤) قَالَا ^(٥)

ومن هذا القسم ما ذكرته في كتاب يتضمن تعزية وتهنئة لمليك [قام] ^(٦) في المُلْك بعد موت أبيه ^(٧) ، وهو : ولقد [تَعْتَبَتْ] ^(٨) الأيام نقصها ياتمامها ، ونقصها يابرامها ، ويسرى ^(٩) نفع منيتها يبشرى حيها ، ونشرت المكارم التي كانت طويلا فوق أنس نشرها ^(١٠) بوحشة طيها . وأصبح عزاء ^(١١) الناس مُستدركا بالهباء ، وغضروا عن ^(١٢) كثرة الغنى بكثرة الغلاء ^(١٣) ، حتى استرجعت العبراث ما

(١) في ت : « لا جاملا ». (٢) في ت ، وط : « عطل ». .

(٣) الزيادة من ت ، وط ، وع ؛ وفي ن : « فأولى له » .

(٤) في ن : « تكن » وبها يختل الوزن .

(٥) البيان من الهجز في ديوان أبي العناية ص ٣٨٠ ؛ دار بيروت للطباعة والنشر -
بيروت ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م . ورواية البيت الثاني :

وَمَا

(٦) في الأصل : « أقام » ، ما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع .

(٧) في ط : « أنه » تصحيفا .

(٨) في الأصل : « تعنت » ، وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع .

(٩) في ن : « وسى » خطأ .

(١٠) في ط : « نسرها » تصحيفا .

(١١) في ن : « حزن » .

(١٢) في ت : « من كثر » .

(١٣) « بكثرة الغلاء » سقطت من ن .

جادث به سحاب^(١) مُزِّنَهَا^(٢) ، واستبدلَتْ بِزَدَ مَسْرِيَّهَا^(٣) من حرارة حُزْنِيهَا
ويعُضُّ هذه المعانى^(٤) مأخوذاً من شعر الشريف الرضى فى قوله
تَنْضِي الْعُلَىٰ وَإِلَى ذَرَائِكُمْ تَرْجِعُ شَفَسْ تَغْبِيْبُ لَكُمْ وَأَخْرَى تَطْلُعُ
بُؤْسَى وَنَفْسَى أَغْبَيْتُ ، فَكَانَتْ رَدَّتْ عَلَى أَعْقَابِهِنَّ الْأَدْمَعُ^(٥)
وفى^(٦) الذى ذكرته من الزيادة ما لا خفاء به ، وهو من باب نقل المعانى الذى
هو الكيمياء ، وقد تقدّم ذكره .

ومن هذا ما ذكرته فى العفو والصفح ، وهو : تَدَافِعُهُ^(٧) الأعداء عن نفوسها
بجهد قرائعها فإذا أُسْرَتْ حاطئها حِلْمَهُ^(٨) بما لم تَحْظَهُ قوَّةُ دفاعها ، فلنها من
تَعْمِلُهُ^(٩) عند الإذعان لأنصار ، والكريم يلقى عداته * في الحرب بالإقدام^(١٠) ،
وعند السلم بالفرار .

(١) « سحاب » سقطت من ط . د

(٢) فى ن : « جاءت به سحاب حزنها » .

(٣) فى ط : « برد مشربها » .

(٤) فى الأصل بخط مختلف : « معنى هذه الأبيات » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع .

(٥) اليتان من الكامل فى ديوان الشريف الرضى ١/٦٠٣ ؛ دار صادر - بيروت - ١٩٩٤ ،
وهما البيت الأول والعاشر من القصيدة .

(٦) فى ط : « والذى » ؛ وتوجد إشارة نحو الهمش للحرف * فى « غير الموجود - على ما
يبدو ؛ ولكنه غير موجود فى الصورة .

(٧) فى ط : « يدافعه » ؛ ويتقابلها فى هامش ع عنوان : فى العفو .

(٨) فى ع : « حكمه » .

(٩) فى ع : « تعمده » تصحيفاً .

(١٠) فى ط ، ون : « بالأقلام » تحريفاً .

* والعادى : العذُّوب ، وجُمِعُهُ عَدَّة . اللسان فى (ع د و) .

وهذا المعنى مُختَلِّسٌ من قول مُسلم بن الوليد :

يَغْدُو عَدُوكَ خَائِفًا فَإِذَا رَأَى

أَنْ قَدْ قَدَرْتَ عَلَى الْعِقَابِ رَجَاكَا^(١)

ومما يتنظم بهذا المعنى ما ذكرته في فصل من كتاب ، وهو : وإذا^(٢) حَكَمَتْ قدرته في الذنب^(٣) كان العفو لها عائقا ، وإذا أحب الشفعاء أن يشفعوا إليه كان كرمه لهم سائقا . فقد أيس^(٤) الشافع عنده من أجر [يَذْخُرُه]^(٥) ، كما أمنَ المذنب لدينه من عقاب يَزْجُرُه . ولقد صَغَرَ قدر الانتقام حتى صَغَرَ به كبير الذنب ، ومحَا أثر الغضب من وجهه ، وهو في^(٦) الوجوه كالصَّدَأِ في^(٧) مَثْنَ العَضْبِ . فلا بارقة من بوارقه إلا وهي مُعْشِيَة بغمامة حلمه ، ولا بادرة من بوادره إلا وهي محبوسة في قبة كظيمه . وعلى هذا فإن^(٨) الجانى غير مُفتَرٍ لدنه إلى إقامة الأعذار ، ولا إلى التوبة التي تستر عورة^(٩) الإضرار وتوشك^(١٠) أن تخلق بخلق^(١١) الله سبحانه في عموم المغفرة . ورأى ألا أثر يبقى في صدر المغفيظ إذا تولى إذعاته يَدُ الْقَدِيرَةِ^(١٢)

(١) البيت من الكامل في ديوان مسلم بن الوليد ص ٣٣١ / ١٥٨

(٢) في ط ، ون ، وع : «إذا» . (٣) في ت : «على الذنب» .

(٤) في ط : «أنس» .

(٥) في الأصل : «يَذْخُرُه» ، وما أثبته من ت ، وط ، ن ، وع . لأن الداخر : هو الذليل المهاه . اللسان في (دخ ر) .

(٦) في ط : «من» .

(٧) في ط : «من» . والغضب : السيف القاطع . اللسان في (ع ض ب) .

(٨) في ط : «فأني» تحريفا .

(٩) في ط : «عورة» تحريفا .

(١٠) في ط : «الأضرار وتوشك» تصحيفا .

(١١) «بخلق» سقطت من ط .

(١٢) في ع : «القدرة» .

هذا الفصل فصلٌ من القول ، وله علٰى غيره بسطةُ الطَّوْل .. وهو شيءٌ بخمرِ
الجنةِ التي لا فيها غَوْل . وقد أبْرَزَتْهُ في هذه الصورة التي ألفاظُها مَعَان ، وإذا قيسَ
إليها غيرها قيلَ : والنظمُ والثرُ يَسْجُدَان .

وبعض ما تضمّنه هذا الفصل^(١) مُسْتَمَدٌ من شعرِ أبي تمامٍ في قوله :

إِذَا سَيْفَةُ أَضَحَى عَلَى الْقَامِ حَاكِمًا

غَدَا الْعَفْوُ مِنْهُ وَهُوَ فِي السَّيْفِ حَاكِمٌ^(٢)

والأحسنُ منهُ مُسْتَفَادٌ من كاتِبِ اللهِ تَعَالَى في سورة حم عسق : إِذَا مَا عَضَبُوا
فُمْ يَغْفِرُونَ^(٣).

ومن هذا القسم ما ذكرته في فصلٍ [من كتاب^(٤) يتضمن ذِكرَ السعادة ،
وهو : العَجُدُ لا يفتقرُ إلى فضيلةٍ تستوجبه ، ولا إلى سعيٍ يستجلبه . ولذلك^(٥)
قيلَ : قيراطٌ من سعادة ، خيرٌ من قنطرٍ من سيادة ؛ وهي شيءٌ^(٦) بالحسبِ في أنه
لا يفتقرُ إلى [زيادة^(٧)] أوصافِ الجمال ، من نُطْقِ النَّطَاقِ * وحرَسِ الْخَلْخَالِ ،
وانتظامِ لؤلؤِ الشَّغْرِ في العَذْبِ الزُّلَالِ ، واهتزازِ غصونِ الْقُدُودِ في كُثْبَانِ الرَّجَالِ .
بل^(٨) هو نائبُ عن هذا كُلُّه ، ولو تناهى المحبوبُ في قُبْحِ شكلِه . و [سريرَةُ
المحبة^(٩)] مَكْتُوبَة ، وفِطْشَتْهَا بِيَلَهُ الْهَوَى مَغْبُونَة .

(١) في ت : « القول » .

(٢) البيت من الطويل في ديوان أبي تمام ١٨١ / ٣ / ق ١٣٦

(٣) الشورى / ٣٧ . وفي النسخ : « والذين إذا ما غضبوا ... » .

(٤) زيادة انفردت بها ط ، ويقابلها في هامش ع عنوان : وصف السعادة .

(٥) في ط ، ون : « وكذلك » تحريفا .

(٦) في ن : « شيءٌ » خطأ . (٧) الزيادة من ن .

* النطاقُ : واحدُ النُّطُقِ ، وهي أغراضٌ من حبالٍ بعضها فوق بعض ؛ يشدُّ بها أَوْسَاطُ
الأناسِ . اللسان في (ن ط ق) .

(٨) ما بين المعقوفين ممحز من الأصل ؛ وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع .

(٩) ما بين المعقوفين محمو من الأصل ؛ وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع .

وبعض هذا المعنى يتّسّور على قول أبي تمام من بُعد :

يَنَالُ الْفَتَنَ مِنْ دَهْرِهِ وَهُوَ جَاهِلٌ
وَيَنْكِدِي الْفَتَنَ فِي (١) دَهْرِهِ وَهُوَ عَالِمٌ
وَلَوْ كَانَتِ الْأَرْزَاقُ تَجْرِي عَلَى الْحِجَاجِ
إِذَا هَلَكَتِ مِنْ جَهْلِهِنَ الْبَهَائِمُ (٢)

فانظر أيّها المتّأمل إلى هذين البيتين ، وإلى الفصل من الكلام المنشور ، ودقّق النظر حتى تعلم أنّ بيتهما بونا ، وتزّي هذا (٣) لونا ، وهذا لونا (٤)

« ومن هذا القسم ما ذكرته في وصف الخمر ، وهو : خمرة سُقيَت مغارسها بالسرور بدلاً من الماء . وجُمِعَ لها بين وصفين (٥) من تذكير الأفعال ، وتأنيث الأسماء ، وما سُجِّلت في ذُنُوها إلا لِمَا عندها من الصّفار ، وكانت حمرة اللون فالبسها طول السجن (٦) ثوب الصّفار ، وقد شبّهت بالنار الموسوية في تألق ضرائبهَا ، وبالنار الخليلية (٧) في [تَعْمَدٌ] (٨) بزدها وسلامها . فإذا (٩) نُظِرَ إليها

(١) في ط : « من » .

(٢) البيتان من الطويل في ديوان أبي تمام عام ١٧٨٣ / ق ١٣٦ ؛ وروايتهما :

..... من دهره من عشه

..... هلken إذن

اتفقت جميع النسخ على ما في المتن ، وقد علق د. أبو همام على قوله : هلken إذن ، بأنها أدق لأنّه وقبيلته يستخدمون لغة أكلوني البراغيث عن سعة ، لا عن عجز . راجع المازني شاعرا / ١٩٩ ، للدكتور أبي همام ، ط ٣ ، ١٩٩٤ ، مكتبة النهضة المصرية .

(٣) في ت : « لهذا » . (٤) في ط : « وأن هذا لونا » . وهذا لونا « خطأ » .

(٥) في ط : « الوصفين » .

(٦) في ت كتب الناسخ كلمة : « تعْمَد السجن » ؛ ثم ضرب عليها خطأ ، ولم يثبت شيئا .

(٧) في ع : « الخليلة » . (٨) الزيادة من ت .

(٩) في ط : « وإذا » .

وإلى زجاجها أشكال الأمر بينها وبين الزجاج ، وقيل : هذه سراج في كأس ، أم كأس في سراج .

في هذا الفصل معانٍ حسنةٌ فمِن جملتها قولى : إنَّ أفعالها مذكورة وأسماءها^(١) جميعها على اختلافها مؤنة^(٢) : كالخمر ، والراح ، والمدام ، وغير ذلك . ومن جملتها : أنَّ السجنَ أوزنَها^(٣) ثوب الصغار ؛ فإنَّ المسجونَ يتغير^(٤) لونه ويصفرُ . ومن جملتها : أنها شبيهٌ بالنارِ الموسوية ، وبالنارِ [الخليلية]^(٥) وأما المأخذُ من الشعر ؛ فهو :

لستُ أثْرِيَ مِنْ رِقَّةٍ وَصَفَاءٍ هُنَّ فِي كَاسِهَا أَمِ الْكَاسُ فِيهَا^(٦)
فَأَخْذَتُ الْمَعْنَى^(٧) مِنْ هَذَا الْبَيْتِ وَغَيَّرْتُ الْفَظْوَ إِلَى غَيْرِهِ^(٨)
وَمِنْ هَذَا الْقَسْمِ مَا ذَكَرْتُهُ فِي الشَّيْبِ^(٩) ، وَهُوَ : وَقَدْ تَعَمَّقَ قَوْمٌ فِي وَصْفِ

(١) في جميع النسخ : « وأسماؤها » خطأ .

(٢) كتب في هامش الأصل عبارة : « مؤنة ، أي أن فعل إسكارها قوى شديد » ؛ وفوقها كتب الناسخ : « كذا وقعت هذه الحاشية » ؛ والإشارة إلى موضعها في المتن خاطئة ؛ تؤدي إلى اضطراب المعنى والسياق ، وهذه العبارة غير موجودة في ع ؛ وفي ت ، وط : « وأسماؤها مؤنة ؛ أي أن فعل إسكارها قوى شديد ، وأسماؤها جميعها ... » .

(٣) في ت ، وط : « ألسها » .

(٤) في ت : « يشحب » .

(٥) ما بين المعقوفين محمول من الأصل ، وما أثبته من ت ، وط ؛ وفي ع : « الخليلة » .

(٦) البيت من الخفيف في ديوان كشاجم ص ٤٣٠ ؛ دراسة وشرح وتحقيق د . النبوى عبد الواحد شعلان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط - ١ - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ، وروايته :

لست تدرى لرقه وصفاء هى فى كاسها ألم هي الكاس فيها .

وفى المستطرف فى كل فن مستظرف ٤٠٦/٢ .

(٧) في ت : « فأخذت هذا المعنى » .

(٨) نهاية جرم وقع في ن بدأ من الصفحة السابقة من قوله : ومن هذا القسم

(٩) يقابل هذا السطر عنوان في ع : وصف الشيب .

المشيب حتى سَمِّوا صاحبَه وَقُورًا ، وما أرأه إلَّا فَتَرَه حَدَثَ لِحَرْكَةٍ^(١) الشَّابِ فَكَانَ الْوَقَارُ فِيهَا فُتُورًا . وعلى هذا فَكُلُّ سَاكِنٍ وَقُورٍ ، وَأَشْبَهُنَا بِذَلِكَ أَصْحَابَ الْقُبُورِ . وهذا المعنى مُسْتَلٌ^(٢) من حُشَاشَةٍ قول أبي تمام :

دِقَّةٌ فِي الْحَيَاةِ تُذَعِّنِي جَلَالًا

مِثْلَ مَا سَمِّيَ اللَّدِيعَ سَلِيمًا^(٣)

ومن هذا القسم ما ذكرته في تهذيب النفس ، وهو : التفوس تؤثر الخير تكملًا ، والشرّ طبعاً وهي مجبرة على حُبّ الشهوات : قلبًا ولسانًا وبصرًا وسماعًا وما كان في أصل الخليقة ؛ فلأنّ نقله حَلْقَ ثَانٍ . وهل في الممكِن أنْ يُهَدِّمَ ما الطَّبِيعَ لَه بَانٌ^(٤) . إلَّا أَنَّ للتدريج أثْرًا^(٥) في تقويم الأعوجاج ، واصطنان أحجار الياقوت من الزجاج ولها استخراج من أوراق الشجر وشائع الدِّيَاج . فلا تيأس من إصلاح نفسك وإن أعياك فساذها ، وإن آتَه عريكتها وإن عصاك قيادها . وكثيراً ما رأينا صعباً صار مُسْمِحاً ، ومُفْسِداً عاد مُضِلحاً .

[وهذا المعنى ينظر إلى]^(٦) قول أبي تمام :

لَا تُذَبِّلَنِ صَغِيرَ هَمْكَ وَانْظُرْ

كَمْ بِنِي الْأَثْلِ دَوْخَةٌ مِنْ [قضيب]^(٧)

(١) في ن : « كحركة » خطأ .

(٢) في ن : « مشتمل » خطأ .

(٣) البيت من الخفيف في ديوان أبي تمام ٢٢٤ / ٣ / ق ١٤٤

(٤) في ط : « ما الطَّبِيعَ بَانٌ » .

(٥) في ن : « أَنَّ التَّدْرِيجَ أَثْرٌ » .

(٦) ما بين المعقوفين محمول من الأصل ، وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع ؛ وفي ن : « هذا المعنى » .

(٧) ما بين المعقوفين محمول من الأصل ، وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع . والبيت من الخفيف في ديوان أبي تمام ١ / ١٢٠ / ق ٨ .

وهو ، والذى قبله ، [وما يأتى بعده] ^(١) من باب الكيمياء الذى هو نقل الأعيان . ومن هذا الأسلوب ما ذكرته فى الشكِّ والثناِ ، وهو : إذا أقضتُ فى الثناء عليه تنافس النظم والثرُّ فى الاستقلال بأوصافه ، وما منهما إلا مَنْ فَضَّ خاتم طِبِّه ، ونشرَ مَطَاوى أَفواهِه ^(٢) ؛ غيرَ أَنَّ سماة مجده لم تُرْضَ إِلَّا بالكتاكيِّب وشُهُرتَها فلذلكَ قَلَّدَتْ عقودَ نَظَمِي بجوازِهَا ، وفرائدَ شَرِّي بِشَرِّهَا ؛ فما يُرَى بِكَلْمَى مِنْ حُسْنِ ^(٣) فليسَ لَهَا مَخْلُوقًا . بلْ مِنْ أوصافِ سَيِّدِنَا ^(٤) مَسْرُوقًا ، والأشياءُ تَقَاسُّ على أشباهِهَا وأنظارِهَا ونورُ القمرِ مُسْتَمَدٌ من الشمسِ وأنوارِهَا وهذا المعنى ينظرُ إلى قولِ أبي تمامَ ، وهو

إِذَا الفَصَائِدُ ^(٥) كَانَتْ مِنْ مَدَائِحِهِمْ
يَوْمًا فَأَنْتَ لَعْنِي مِنْ مَدَائِحِهَا ^(٦)

ومن هذا القسم ما ذكرته فى وصفِ الجود ، وهو : المَالُ يَكُونُ فِي خزائنِ أربابِهِ صامداً وإذا ^(٧) خَرَجَ فِي العَطَاطِيَا صَارَ نَاطِقاً ، فِي قُبَحَةِ فِي أيديهم حَبِيبَا وَيَا حُسْنَةِ عَنْهُمْ آيِقاً . وَلَمْ يُسْمَعْ قَبْلَهُ بِآيِقَةٍ ^(٨) أَفَادَ صَاحِبَهُ حَمْدًا ، وَبَتَّى لَهُ مجَدًا ؛ وَقَالَ لَهُ : كَنْتُ عَنْدَكَ حَرَّاً ، وَقَدْ صَرَّتُ الْآنَ عَنْدَأَ ^(٩)

(١) الزيادة من ت ، ون ؛ وفي هامش ع عنوان : في الثناء .

(٢) في ع : « أَفواهِهِ » تحريرًا . (٣) في ن : « بِكَلْمَى حَسَنَا » .

(٤) في ن : « سَيِّدَهَا » .

(٥) في ع : « الفَصَائِلِ » .

(٦) البيت من البيط في ديوان أبي تمام ١/٣٥٥ / ق ٣٤ ؛ وروايته :

فَأَنْتَ لَا شَكَ عَنْدِي

(٧) في ن : « فَإِذَا » .

(٨) بِآيِقَةٍ » تصحيفًا . آيِقَةٌ : هرب . اللسان في (أ ب ق) .

(٩) في الأصل بخط مختلف : « عَدَا لَهُ » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع .

وهذه المعانى المذكورة غريبة لم أسمعها ، إلا أن حاشية منها تُساقِرُ^(١) النظر إلى بيت من الشعر لأبي الطيب المتنبي وهو :

بِأَيْهَا^(٢) الْمُخْسِنُ الْمَشْكُورُ مِنْ جَهَنَّمِ
وَالشُّكْرُ مِنْ قَبْلِ الْإِخْسَانِ لَا قَبْلِي^(٣) .

وهذا نظرٌ من خصائصات^(٤) السُّتُور ؛ وما أقول إله مُغامزة العيون بل مُناجاة بوخي الصُّدُور .

ومما يلتبسُ بهذا الفصل أيضاً قوله ، وهو : جُود مولانا قد هُونَ على الناس مَشَقَة^(٤) الاغتراب ، وأراهم من نعيم الإنعام ما حَبَّ إلينهم فراق الأحباب ، فما منهم إلا من يحمد خطوب الأيام التي أخرجته من دياره^(٥) ، ونقلته عمما لم يؤثر من^(٦) الانتقال عنه إلى ما لقيه^(٧) من إشاره . فمثلاً بأيه الكرييم لقتلَ الأيام كمثل الجنة لقتلَ الحمام . فلو عَلِمَ داخلُ الجنَّةِ أنها تكونُ له مَصِيراً ؛ لاستعدَّ كأس الحمام ، وإن كانَ مَرِيراً .

بعض^(٨) هذا المعنى مستمدٌ من شعر ابن الخطاط الدمشقي^(٩) في قوله :

(١) في الأصل : « سارق » تحريفاً ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وع ؛ وفي ن : « حاشيتها سارق » .

(٢) في الأصل : « إنما المحسن » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع ؛ حتى يستقيم الوزن .

(٣) البيت من البسيط في ديوان المتنبي / ٣٣١ .

(*) و الخَصَاصُ : الفُرُجُ بين الأنفاس والأصابع . اللسان في (خ ص ص) .

(٤) في ن : « شقة » . (٥) في ن : « داره » .

(٦) في ت ، وط : « يؤثر الانتقال » ؛ وفي ن : « عمما يؤثر الانتقال » .

(٧) في ت : « ما ألقته » . (٨) في ط : « وبعض » .

(٩) ابن الخطاط : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن على بن يحيى بن صدقه التغلبي الدمشقي الكاتب من كبار الأدباء ، ونظم في الثروة ؛ ولد في ٤٥٠ هـ ، وتوفي في ٥١٧ هـ . سير أعلام النبلاء ١٩ / ٤٧٦ ، ووفيات الأعيان ١ / ١٤٥ : ٤٨٢ ، وتأريخ دمشق الكبير لابن عساكر

لأشكرنَ زماناً كانَ حادثة

وَصَرْفَهُ بِي^(١) إِلَى مَغْرُوفِكُمْ سَبَّيَا^(٢)

إِلَّا أَنَّ فِي الَّذِي ذَكَرْتُهُ مِنْ تَمْثِيلِ قَتْلِيِ الْأَيَامِ بِقَتْلِيِ الْجَمَامِ ، وَدُخُولِ الْجَنَّةِ
بِالْأَنْتَهَاءِ^(٣) إِلَى بَابِ الْكَرِيمِ مَعَنِي غَرِيبٍ لَمْ أُسْبِقْ إِلَيْهِ ، فِيمَا عَلِمْتُهُ ، وَهُوَ مِنْ
الْمَعْانِي الْلَّطِيفَةِ .

وَمَمَّا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى مَا ذَكَرْتُهُ فِي فَصْلٍ مِنْ كِتَابٍ ، وَهُوَ : إِذَا حَكَمْتَ
سِيَوْفَنَا^(٤) فِي أَمْوَالِ الْعَدَى حَكَمْتَ فِيهَا وَسَائِلَ النَّدَى . فَهُنَّ طَالِبُونَ وَمَطْلُوبُونَ ،
وَسَالِبُونَ وَمَسْلُوبُونَ^(٥) . إِلَّا أَنَّهَا تَأْخُذُ مَا تَأْخُذُهُ [أَقْتَسَارًا]^(٦) ، وَتُعْطَى مَا تُعْطَى
إِخْتِيَارًا ؛ فَلَهَا بَسْطَةُ الْعَالِبِ ، وَمِئَةُ الْوَاهِبِ^(٧) . [وَشَرْفُ]^(٨) الْعَلِيَّاءُ لَا يَزِدُّ إِلَّا
بِهَاتِينِ الْوَسَامَتِينِ ، وَلَا يَتَنَى^(٩) إِلَّا عَلَى هَا [تِينِ الدَّعَامَتِينِ]^(١٠)
وَيَعْضُّ هَذَا الْمَعْنَى يَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ أَبِي تَمَّامَ ، [وَهُوَ]^(١١)

(١) فِي ت ، وَع : « لَى ١ » .

(٢) الْبَيْتُ مِنَ الْبَسِيطِ فِي دِيوَانِ ابْنِ الْخِيَاطِ / ٧٠ / ق ١٦ ؛ حَقْقَهُ خَلِيلُ مَرْدَمُ بَكُ ،
الْمُطْبَعَةُ الْهَاشِمِيَّةُ بِدِمْشَقِ ١٣٧٧ھ / ١٩٥٨م ؛ مَطْبُوعَاتُ الْمُجْمِعِ الْعَلَمِيِّ بِدِمْشَقِ ؛ وَرَوَايَتُهُ :

.....
وَغَلَدَهُ بِي ..

(٣) فِي ن : « وَدُخُولِ رَغْبَتِهِ بِالْأَنْتَهَاءِ » .

(٤) فِي ن : « سِيَوْفَهَا » .

(٥) فِي ت ، وَع : « صَالِبَةُ مَطْلُوبَةٍ وَسَالِبَةُ مَسْلُوبَةٍ » .

(٦) مَابِينَ الْمَعْقُوفَيْنِ مَمْحُوْفٌ فِي الْأَصْلِ ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ت ، وَط ، وَن ، وَع .

(٧) فِي ن : « فَلَهَا بَسْطَةُ الْأَلْقَابِ وَمِئَةُ الْوَهَابِ » .

(٨) مَابِينَ الْمَعْقُوفَيْنِ مَمْحُوْفٌ فِي الْأَصْلِ ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ت ، وَط ، وَن ، وَع .

(٩) فِي ن : « وَلَا تَبْنِي » .

(١٠) مَابِينَ الْمَعْقُوفَيْنِ مَمْحُوْفٌ فِي الْأَصْلِ ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ت ، وَط ، وَن ، وَع .

(١١) فِي ت : « أَبِي تَمَّامٍ حَبِيبٍ بْنَ أَوْسٍ الطَّائِي » ؛ وَالْزِيَادَةُ مِنْ ط .

إِذَا مَا أَغَارُوا فَاخْتَوْا مَالَ مَغْشَرِ
أَغَارَتْ عَلَيْهِمْ فَاخْتَوْتَهُ [الصَّافَاتُ] ^(١)

واعلم أنَّ من هذا القسم الذي نحنُ بصدِّ ذكرِه ضرباً يقالُ له : توليد ^(٢) المعانى ، وهو أَخْصُ بائْنَ يُسَمَّى بالكيمياءِ الْذِي ^(٣) يُتَدَلُّ ^(٤) صورَ ^(٥) الأَغْيَانِ ، وَيَبْرُزُّها فِي عِدَّةٍ مِنَ الْأَلْوَانِ ، فَتَارَةً يَخْرُجُ مِنْهَا لَؤْلَؤًا وَتَارَةً يَاقُوتًا . وَتَارَةً ذَهَبًا وَتَارَةً فَضَّةً وَهَذَا هُوَ أَشْرَفُ الدَّرَجَاتِ فِي حَلِّ الْمُنْظَرِمِ وَلَا يَكَادُ يَقْطَعُنَ ^(٦) لِمَكَانٍ إِلَّا خَذَّلَهُ ^(٧) ، بَلْ يُظَهِّنُ أَنَّ النَّاثِرَ هُوَ الْمُتَفَرِّدُ ^(٨) بِصَوْغٍ تِلْكَ الْمَعْنَى ؟ غَيْرَ أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَى ذَلِكَ كَثِيرٌ إِلَّا شَكَالٌ ؛ دَقِيقُ الْمَسْنَلِكِ لَا يُسْتَطِيعُ إِلَّا مِنْ أَقْدَرِهِ اللَّهُ عَلَى سُلُوكِ مَضَايِقِهِ ، وَتَبَيَّنَ قَدَمَهُ فِي مَرْأِيهِ ، وَقَدْ مَهَذَتْهُ لَكَ هُنْهَا . وَسَهَّلَتْهُ عَلَيْكَ إِنْ كُنْتَ ذَا خَاطِرٍ جَوَالٍ ، وَلِسَانٍ قَوَالٍ

فَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرُتُهُ فِي فَصْلٍ مِنْ كِتَابِ يَتَضَمَّنُ شُكَرَ ^(٩) بَعْضِ الْمُنْعَمِينَ ، وَهُوَ : إِذَا تَقَابَلَتْ مَدَائِحِي وَسَعْيَاهِ رَأَيْتُ مِرْأَةً ^(١٠) صَفِيلَةً تَقَابَلُ صُورَةً جَمِيلَةً فَلَوْلَا هَذِهِ وَرَوْنَقُ صِيقَالِهَا ، لَمَّا تَمَثَّلَتْ تِلْكَ ^(١١) عَلَى هِيَةٍ ^(١٢) جَمِيلَهَا . وَأَنَا أَوَّلُ

(١) مابين المعقوفين ممحو في الأصل ، وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع ؛ والبيت من الطويل في ديوان أبي تمام ٤٨٣ / ق ٥٨٨ / ٤ .

(٢) « توليد » سقطت من ع .

(٣) في الأصل : « والذى » ، وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع .

(٤) في ط : « ثَبَدَلٌ » تصحيفاً .

(٥) في الأصل : « صورة » ، وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع .

(٦) في ط : « يَقْطَنٌ » .

(٧) « منه » سقطت من ت .

(٨) في ن ، وع : « المُنْفَرِدٌ » .

(٩) يقابل هذا السطر في ع عنوان : في الشكر .

(١٠) في الأصل : « مرأة » ، وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع .

(١١) في ن : « لك » خطأ .

(١٢) في ع : « هبة » تحريفاً .

مَنْ طَبَعَ مِزَاهَهُ مِنَ الْكَلَامِ ، وَصَوَرَ الْأَخْلَاقَ فِيهَا^(١) بِصُورِ الْأَجْسَامِ . فَإِذَا عَلِمَ ذَلِكَ مَتَّى فَلَا يَجْعَلُ لِسَانِي مُعْمَدًا ، وَلَا قَلْمَانِي مُقْعَدًا^(٢) فَإِنَّ لَهُ مِنْ أَحَدِهِمَا صَارِمًا بَتَّارًا ، وَمِنَ الْآخِرِ فَارسًا كَرَازًا ، وَلَا يُعْمَدُ هَذَا ، وَ[لَا]^(٣) يُقْعَدُ هَذَا إِلَّا أَنَّهُ^(٤) يَضَعُنِي فِي غَيْرِ مَوْضِعِي ، وَيُلْحِقُ بِي مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ لِحَاقِي^(٥) ، وَلَمْ يَخْرُ فِي مَيْدَانِ مَعِيِّ وَالْغَيْزِيَّةِ^(٦) حَيْزَةً ، وَالْغَيْنَيَّةِ ضَغِيْنَةً^(٧)

وَذِيلُ^(٨) هَذَا [الْمَعْنَى]^(٩) يَنْسَحِبُ عَلَى قَوْلِ أَبِي تَمَّامَ :

أَوْلَى الْمَدِيْحِ بِأَنْ يَكُونَ مُهَذِّبًا مَا كَانَ مِنْهُ فِي أَغْرِيَ^(١٠) مُهَذِّبٍ
غَرِيْبَتِ خَلَائِقَهُ وَأَغْرِبَ وَاصِفُ فِيهِ فَأَخْسَنَ مُغْرِبٍ فِي مُغْرِبِ^(١١)
إِلَّا أَنَّ هَذَا^(١٢) الَّذِي ذَكَرَهُ مَا كَانَهُ^(١٣) مِنْ هَذِينِ الْبَيْتَيْنِ . وَكَانَهُ مِنْهُمَا أَلَا
[تَرَى]^(١٤) أَنَّ مَعْنَى هَذِينِ الْبَيْتَيْنِ هُوَ أَنَّ أَوْلَى الْمَدِيْحِ بِأَنْ يَكُونَ^(١٥) حَسَنًا مَا

(١) « فِيهَا » سقطت من ت .

(٢) في ت : « مَعْقَدًا » ؛ وفي ع : « وَقْلَمَى مَعْقَدًا » .

(٣) الزيادة من ط .

(٤) في ط : « لِحَافِي » تصحيفا .

(٥) في ط : « وَلِغَيْرِهِ » تحريفا .

(٦) في ن : « وَالْغَيْنَيَّةِ حَيْزَةً » .

(٧) في ن : « وَدَلِيلُ » خطأ .

(٨) الزيادة من ط .

(٩) في ت : « أَعْزَزْ » تصحيفا .

(١٠) البيان من الكامل في ديوان أبي تمام ١٠٦/١ و ١٠٧ / ق ٥ ؛ ورواية البيت الثاني :

شاعر

(١٢) « هَذَا » سقطت من ن .

(١٣) في ع « مَا كَانَ » تحريفا .

(١٤) الزيادة من ت ، و ط ، و ن .

(١٥) في ط : « تَكُونُ » تصحيفا ؛ وفي ن : « أَنْ يَكُونُ » .

كان في حَسَنٍ مِثْلَه^(١) . وليس فيهما^(٢) زيادة على ذلك ؛ فلما أرذت أن آخذ هذا المعنى وَرَيْتُ^(٣) في أخيه عن الطريق المعمودة^(٤) ؛ فمثنت بِمِثَالِ ملائِمٍ وهو مقابلة^(٥) المرأة للصورة ، ثُمَّ قلت : لو لا مدائحي لما ظهرت محاسن فضيلك ، كما أنه لو لا صِيقاً للمرأة لما تَمَلَّت فيها هيئة الصورة الجميلة ، ثُمَّ أتبعت ذلك بما ينسحب على أثره من معانٍ آخر . وخرجت فيها إلى مَغْرِبِ العِتَابِ آخِرًا . وهكذا ينبغي أن تؤخذ المعاني على حُكْمِ الْإِخْتِلَاصِ ، لا على حُكْمِ الْأَفْرَاسِ . وعلى سبيل المسائر ، لا على سبيل المُجَاهَرَةِ .

ومن هذا الضرب^(٦) ما ذكرته في جواب رسالتك وَرَدَتْ من بعض الأصدقاء من أهل الأدب ، وهو^(٧) : وَرَدَتْ إِشَارَة^(٨) سَيِّدِنَا أَنَّ أَنْظَمَ فِي فَلَانِ قَصِيدَاً ، يَكُونُ فِي نَظِيمِهِ فَرِيدَاً . وقد^(٩) عَلِمْ أَنَّ أَحْرَارَ الْكَلَامِ لَهَا^(١٠) عِزَّةُ الْأَحْرَارِ . وهي كالنقوسِ الأبية في الاستعلاء والاستكبار ؛ فإذا كُلِّفْتَ مَذَحَ لَيْمِ صَدَّثْ مُحَاجَنَةً ، وَذَهَبَتْ مُقَاضِبَةً . ولهذا أبي^(١١) كلامي وهو الحُرُوفُ في تَسْبِيِّ الْكَرِيمِ في حَسَبِيِّهِ ، أَنْ يَمْدَحَ مَنْ عِزَّضَهُ حَرَاقٌ فَادِحٌ . وفريسة جارح ، وطُغْمَةٌ^(١٢) هاجِ لَا مَادِحٌ . وقال : لطيفةٌ

(١) في ط : « ما كان حسنا في مثله » وهي عبارة مضطربة .

(٢) في ن ، وع : « فيها » خطأ .

(٣) في ن : « ورأيت » .

(٤) في ن : « المعمورة » .

(٥) في ع : « ومقابلة » بسقوط : « هو » .

(٦) في ن : « القسم » .

(٧) « وهو سقطت من ت » .

(٨) في ن : « رسالة » .

(٩) « قد » سقطت من ن .

(١٠) في ت : « بها » .

(١١) في ط : « أتني » تصحيفاً ، وبها لا يستقيم المعنى .

(١٢) نهاية خرم وقع في م ؛ بدأ من ص ٣٠٣ .

الطيب لا تلشم بالكثيف^(١) . وصورة^(٢) الشوهر لا يزعن منها التسوير والتشنيف ، وقد تركته على أيامه . « وحفظت له حسب أيامه »^(٣) . وهذا^(٤) المعنى يغامر النظر إلى قول أبي تمام وهو^(٥) :

مالي إذا ما رضت فيك غريبة جاءت مجىء نجيبة في مفروه
ولذا أرذت بها سواك فرضتها وأفتقنها بثنائه^(٦) لمن تقد^(٧)
إلا آنه لا يظهر للتأمل آنه منه ، ولا آنه بيته وبينه علاقة . وفي^(٨) الكلام الذي
أورذته زيادات كثيرة لا خفاء بحسبنها ولطائفها .

ومن هذا الضرب ما ذكرته في فصل من الفصول ، وهو : الإنسان في هيج
أخلاط مالي ، كهؤ في هيج أخلاط جسيه ، وكلاهما شيء واحد في تقويم إرده .
فهذا يطب بتقيص شيء من^(٩) دمه ، وهذا يطب بتقيص شيء من دزهيمه . وقد
قبل : إن الغنى داء عند بعض الناس . ولا يسكن^(١٠) من سورته إلا استعمال^(١١)
مسهلات الأكياس ، وهذا فلان قد طفى^(١٢) ؛ حيث استغنى ، وامتلاً عيناً ويداً
وبطنا ؛ فينبغي أن يعالج بهذا العلاج ، [الذي فيه]^(١٣) إصلاح للمزاج .

(١) في م : « بالكشف » تحريرا . (٢) في ن : « والصورة » .

(٣) ما بين علامتي التنصيص سقط من م . (٤) في م : « وهذه » خطأ .

(٥) « وهو » سقطت من ت . (٦) في م : « بثنائهما » .

(٧) البيان من الكامل في ديوان أبي تمام ١٣٧/٢ ق ٦١ ؛ ورواية البيت الثاني :

لم تند

(٨) في ط : « في » .

(٩) في ط : « شيء دمه » .

(١٠) في ط : « ولا يسكن » ، ويقابلها في هامش عنوان : تعبير لطيف في الغنى .

(١١) في ط : « سورته الاستعمال » ، وبها لا يستقيم المعنى . وسورة الشيء : جدته .

(١٢) في الأصل بخط مختلف : « فلان من حيث » ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(١٣) ممحوة في الأصل ، وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

وهذا المعنى يُسترقُ^(١) السمع من بيتهن من شعر أبي تمام^(٢) ، وهمَا^(٣) :

أَرَى فَضْلَ مَالِ الْمَزَّادِ دَاءَ لِعِزْضِهِ

كَمَا أَنَّ فَضْلَ الرَّازِدِ دَاءَ لِجِسْمِهِ

فَلَيْسَ لِدَاءُ الْعِرْضِ شَيْءٌ كَبِذْلِهِ

وَلَيْسَ لِدَاءُ الْجِنْسِ شَيْءٌ كَحَسْنِهِ^(٤)

وقد تقدم ذكر هذين البيتين في موضع آخر من هذا الكتاب ، وهو : القسم الثاني من حل الشعر وقد أعدتهما هُنَّا^(٥) لأنّي ولدُتُ منها معنى آخر ، وهذا هو الكبير الأحمر الذي هو الكيمياء على الحقيقة . فانظر إلى كلامي « في هذا الفصل »^(٦) ، وإلى هذين البيتين ، وتأمل إن^(٧) كنت متأملاً ، واحكم بيتهما إن كنت حاكماً . فإذا فعلت ذلك أذعنْت لى تسليماً ، وعلمت أنّ فوق كل ذي علم علیماً

(١) في م : « تسترق » خطأ .

(٢) في ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « من الشعر لأبي تمام » .

(٣) « وهمَا » سقطت من ن .

(٤) في م ، وط : « كجسمه » تصحيفا ؛ والبيان من الطويل ولم أجدهما في ديوان أبي تمام ، ولا في ديوان ابن الرومي تحقيق د. حسين نصار . وهمَا في ديوان ابن الرومي ٦١/٦ ق ١٦٨٩ ، تحقيق عبد الأمير على مهنا ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .
رواية البيت الثاني :

لفضل المال

لداء العرض

وفي قرى الضيف ١٧١/١ منسوبان لابن الرومي أيضاً .

(٥) في ت : « هنا » .

(٦) « في هذا الفصل » سقطت من م .

(٧) في ن : « إذا » .

ومن هذا الضرب ما ذكرته في وصف القلم^(١) ، وهو : آخرُ وهو فصيح الإيراد ، وأصمُّ وهو يسمع مناجاة الفؤاد . ومن عجيب شأنه أنه لا ينطق إلا إذا قطع لسانه . ولا يضحك إلا إذا بكث أحفانه .

وي بعض هذا المعنى ينظر إلى قول أبي الطيب المتنبي :

يَمْجُعُ ظَلَاماً فِي نَهَارِ لِسَانَهُ وَيُخْبِرُ عَمَّنْ قَالَ مَا لَيْسَ يَسْمَعُ^(٢)

ومن هذا الضرب ما يعكس فيه المعنى إلى ضده ، وهو مما يصعب تناوله ، ويقل تداوله .

فمن ذلك ما ذكرته في الشكر^(٣) ، وهو : الشكر أخف من الإحسان وزنا ، وصاحبُه يستبدلُ الذي هو خيرٌ بالذي هو أذى ، ولقد رأيَت صفتَه^(٤) إذ باع أقرالا ، وحاز^(٥) أموالا ، وأعطى كلماتٍ حفافا وأخذَ عروضا ثقلا . ومن زعم أن شكر الشاكِر أفضل من موهبة الواهِب ؛ فقد جهلَ في هذا ، أو كذَب ، فهو لا ينفك من^(٦) غدر العاجل ربِّ الكاذب . ولقد أغلى القول^(٧) فيما ليس بغال ، وأتى ويدُه السُّفلَى من مكان عال . وأئِي فضلٍ لمن غايته أن يكون مجازيا^(٨) ، لا مُوازيَا ،

(١) يقابلها في هامش ع عنوان : في وصف القلم .

(٢) البيت من الطويل في ديوان المتنبي / ٢٥ ، وروايته :

وَيُفْهِمُ

(٣) يقابلها في هامش ع عنوان : في الشكر .

(٤) في ن : « صنعته » .

(٥) في ع : « وأخذ » .

(٦) في ن : « في » .

(٧) غير معروفة في م .

(٨) في ن : « محاذيا » .

وَمُعَامِلاً ، لَا مُعَادِلاً . إِذَا أَنْصَفَ عَلَيْهِ أَنَّهُ جَاءَ أَخْيَرًا . وَلَا فَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ أَغْطَى أَجْرُهُ فَصَارَ أَجْيَرًا . وَمَا أَرَى الشُّكْرُ إِلَّا حَدِيثًا يَذَهِّبُ فِي الرِّيَاحِ ، لَوْلَمْ تُقْيِّدْهُ مَكَارِمُ السَّمَاحِ ، فَلَا حَاجَةٌ^(١) إِذَا مَعَ لِسَانِهَا إِلَى لِسَانِ الشَّاكِرِ^(٢) ، إِذَا^(٣) نَطَقَتِ الْحَقَائِبُ فَقَدْ أَغْنَتْ بِنُطْقِهَا عَنْ مَدِيعِ الشَّاعِرِ .

هذا الكلام^(٤) يشتملُ عَلَى معانٍ كثيرةٍ غَيْرَ أَنَّ مَبْنَاهُ عَلَى عَكْسِ معنى بيت^(٥) من الشِّعْرِ فِي قَوْلِ أَبْنِي تَمَامٍ ، وَهُوَ :

الشُّكْرُ بِالْمَأْمُولِ أَبْقَى مِنْ يَدِ غَرَاءٍ يُودِعُهَا رَجَاءُ الْأَمْلِ^(٦)

وَمِنْ هَذَا النَّوْعِ مَا ذَكَرْتُهُ فِي فَصْلٍ يَتَضَمَّنُ^(٧) شَكْوَى الزَّمَانِ وَهُوَ فَصْلٌ مِنْ كِتَابٍ ، [وَهُوَ]^(٨) : مَنْ كَانَ يَشْكُوُ الْأَقْوَامَ ، فَإِنَّ الْخَادِمَ لَا يَشْكُو إِلَّا الْأَيَّامَ . فَإِنَّ الْمُغْدِي عَلَى قَدْرِ الْعَدُوِّ . وَالْمَشْكُوُّ إِلَيْهِ عَلَى قَدْرِ الشَّكْوَى .

وَمِمَّا يَشْكُوُهُ مِنْهَا أَنَّهَا تَبَادِهُ وَلَا تُواجِهُهُ ، وَتُسَاوِرُهُ وَلَا تُجَاهِرُهُ . وَلَوْ كَانَ لَهَا

(١) فِي مٍ : « لَا حَاجَةٌ » . (٢) فِي مٍ : « لِسَانٌ شَاكِرٌ » .

(٣) فِي نٍ : « إِذَا » خَطَا ، وَهَذَا الْمَعْنَى يَغَامِزُ النَّظَرَ إِلَى قَوْلِ نَصِيبِ بْنِ رِيَاحٍ ، وَهُوَ مِنْ الطَّوْبِيلِ :

فَعَاجَوَا فَأَنْتُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلَهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَنْتَ عَلَيْكِ الْحَقَائِبُ
كِتَابُ الْأَغْنَى لِأَبِي الْفَرجِ الْأَصْفَهَانِيٍّ ١ / ٣٤٨ ، وَتَجْرِيدُ الْأَغْنَى الْقَسْمُ الْأُولُ - ١١٣ / ١
وَالْبَيَانُ وَالْتَّبَيِّنُ ١ / ٨٣ ، وَالنَّهَايَةُ لِابْنِ الْأَتَيْرِ ١ / ٣٥٠ .

(٤) فِي طٍ : « وَهُذَا » ؛ وَفِي تٍ : « هَذَا الْفَصْلُ » .

(٥) فِي تٍ ، وَطٍ : « عَلَى مَعْنَى بَيْتٍ » ؛ وَفِي نٍ : « عَلَى بَيْتٍ » ؛ وَفِي عٍ : « عَلَى عَكْسِ بَيْتٍ » .

(٦) لَمْ أَجِدْهُ فِي دِيْوَانِ أَبِي تَمَامٍ . وَهُوَ مِنَ الْكَاملِ ، وَأَقْرَبُ بَيْتٍ يَوْافِقُهُ عَثْرَتْ عَلَيْهِ فِي دِيْوَانِ الْبَحْتَرِيِّ ٣ / ١٦٤٦ / ق ٦٤١ ، وَرَوَايَتِهُ :

قَمَرٌ تَؤْمِلُهُ الْمَوَالِيُّ لِلَّتِي يَقْضِي بِهَا الْمَأْمُولَ حَقَ الْأَمْلِ .

(٧) الْزِيَادَةُ مِنْ طٍ .

(٨) « يَتَضَمَّنُ » سَقَطَتْ مِنْ نٍ .

[شخصٌ لِّلْقَيْةِ] ^(١) بعزم مولانا فقارعة ، أو أزهبة ^(٢) باسمه فوادعه ^(٣) . على أنها عيدهُ تجني و هو المطلوب ^(٤) بجنابتها . وإذا رأث بأحد عنابة من جاهه فرنتها ^(٥) بعنابتها . والخادم يطالب بازش جراحها ، وسائله عنابة تكُفُّ من ^(٦) غَزِيبِ جماعتها .

وبعض هذا المعنى معكوسُ بيت من ^(٧) شعر عبد السلام المعروف بديك الجن ، وهو :

وَدَافَعْتُ فِي صَنْرِ الرَّزْمَانِ وَنَخْرِهِ
وَأَئِ يَدِ لِي وَالرَّزْمَانُ الْمُحَارِبُ ^(٨).

ومن هذا النوع ما ذكرته في فصلٍ من فضول الكلام ، وهو : كَمْ لِلرُّكَابِ مِنْ يَدِ
لو عَلِمْتُهَا لجعلت تراباً أخفافها للعيون ^(٩) إثيداً ، وخطط مباركتها للوجوه
مسجداً ، فهي الحاملة أعباء الهمم ، والممكنة من نواصي الثعم . فلا أجحد ^(١٠)

(١) ما بين المعقوفين غير واضح في الأصل ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٢) في ت ، ون : « فقارعه وأرعبه » .

(٣) في ط : « قوادعه » تصحيحاً .

(٤) في ط : « المطالب » .

(٥) في ع : « فرنتها » تصحيحاً .

(٦) « من » غير موجودة في ط . والأزش : الذية . اللسان في (أرش) .

(٧) « من » غير موجودة في ن .

(٨) البيت من الطويل في ديوان ديك الجن ص ١٦ وروايته :

..... محارب

(٩) في ع : « ترابها العيون » . والإثيد : حجر يتخذ منه الكحل ، وقيل : ضرب من الكحل ، وقيل : هو نفس الكحل . اللسان في (ث مد) .

(١٠) في ط : « أجحدها » .

حَقُّهَا . وقد صَافَحَتْ بِي سَحَابَ الْجُودِ الَّذِي هُوَ أَغْزَرُ ^(١) مِنْ سَحَابِ الْمَاءِ ،
وَأَذْتَنَى مِنْ سَمَاءِ الْمَعَالِي الَّتِي هِيَ أَشْرَفُ مَحَلًا مِنِ السَّمَاءِ .
وَشَيْءٌ مِنْ مَعَانِي هَذَا الْفَصْلِ مُسْتَبْطٌ ^(٢) مِنْ مَعْكُوسٍ قَوْلِ الشَّمَاخِ ^(٣) ، وَهُوَ :
إِذَا بَلَغْتَنِي وَحَمَلْتِ رَخْلِي عَرَابَةً فَأَشْرَقَنِي بِدَمِ الْوَتَنِ ^(٤)
وَهَذَا الْقَدْرُ كَافِ فِي حَلِّ الْمَعَانِي الشِّعْرِيَّةِ . وَاللَّهُ الْمُوْقَنُ لِلصَّوَابِ .

(١) فِي نَ : « أَعْزَ » .

(٢) فِي طَ : « وَيُعْضُنُ هَذَا الْفَصْلِ مُسْتَبْطٌ » ؛ وَفِي عَ : « مُسْتَبْطٌ » تَحْرِيفًا .

(٣) الشماخ بن ضرار النباني الغطفانى ؛ شاعر مشهور أدرك الجاهلية والإسلام ، والشماخ لقب له ، واسمه معقل ؛ قال الحطيئة في وصيته : أبلغوا الشماخ أنه أشرع غطفان . توفي في غزوة موقان زمن عثمان ، وشهد القادسية . طبقات فحول الشعاء ١ / ١٣٢ وما بعدها ، الإصابة ٣ / ٣٥٣ . فتوح البلدان ١ / ٣٥٦ .

(٤) البيت من الوافر في ديوان الشماخ ؛ حققه ، وشرحه د. صلاح الدين الهادي . دار المعارف ، سنة الإيداع ١٩٧٧ . ووفيات الأعيان ٤ / ١٤

الفصل الثاني

في حل آيات القرآن العزيز

الفَضْلُ الثَّانِي

فِي حَلِّ آيَاتِ الْقُرْآنِ [الْعَزِيزِ] ^(١)

اعلم أَنَّ الْقُرْآنَ بضاعةٌ ^(٢) زَاكِيَّةٌ ؛ فَإِذَا رُزِقَهَا إِنْسَانٌ يُدِيرُهَا ^(٣) فِي يَدِهِ ، وَيَتَجَهِّدُ ^(٤) فِيهَا ، وَيُخْسِنُ التِّجَارَةَ فِي مَعَانِيهَا وَالْفَاظِهَا ؛ فَإِنَّهُ يَسْتَغْنِي بِهَا عَنْ غَيْرِهَا ^(٥) . [وَمَا] ^(٦) ذَلِكَ شَيْئًا ^(٧) يُرْزَقُهُ كُلُّ أَحَدٍ ، فَكَمْ مِنْ ^(٨) النَّاسِ مِنْ حَافِظِ الْقُرْآنِ ؟ عَالَمٌ [بِتَفْسِيرِهِ] ^(٩) ، وَلَكُثُرَةٌ فِي اسْتِعْمَالِهِ كَالتَّاجِرِ الْجَبَانِ الَّذِي لَا يَرْكِبُ بَرًّا وَلَا بَحْرًا ، وَلِيَسَ يُسْرُهُ مِنْهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ إِلَّا عُسْرًا . وَهَذَا الْأَمْرُ قَدْ لَامِسْتُهُ ، وَمَارَسْتُهُ ، وَدارَسْتُهُ ؛ فَوَجَدْتُهُ يَحْتَاجُ إِلَى تِلَاقِهِ دَائِمًا ^(١٠) ، وَمُواطِبَةِ لَازِمَةٍ .
وَكَيْنُ إِذَا مَرَزَتُ بُسُورَةً مِنَ السُّورِ يَسْتَخْلُفُ لِي فِي حَلِّ مَعَانِيهَا مَارِبٌ وَأَوْطَارٌ ، وَأَظْلَلُ أَنَّى قَدْ اسْتَوْقَنَتُ مَا أَرِيدُهُ مِنْهَا ، ثُمَّ أَتْلَوْهَا بَعْدَ ذَلِكَ ؛ فَيَسْتَخْلُفُ لِي مَعَانِي أُخْرَ ^(١١) غَيْرِ تِلْكَ الْمَعَانِي الْأُولِيِّ ^(١٢) ، وَكَذَلِكَ ^(١٣) كَلَمًا تَجَدَّدَتِ التِّلَاقُ وَتَجَدَّدَتِ

(٢) فِي نِ : « بِضَاعَتْ » .

(١) زِيادةً افْرَدْتُ بِهَا « طِ » .

(٣) فِي تِ ، وَمِ ، وَعِ : « يُدِيرُهَا » .

(٤) فِي مِ : « وَيَتَجَهِّدُ » ، وَفِي نِ : « وَيَتَهَجِّدُ » ؛ وَكَلاهُمَا تَحْرِيفٌ .

(٥) فِي طِ : « غَيْرِهِ » خَطَا .

(٦) مَسْحُوَةٌ فِي الْأَصْلِ ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ تِ ، وَطِ ، وَمِ ، وَنِ ، وَعِ .

(٧) فِي الْأَصْلِ ، وَطِ ، وَعِ : « ذَلِكَ شَيْءٌ » ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ تِ ، وَنِ ، وَفِي مِ : « وَمَا ذَلِكَ شَيْءٌ » .

(٨) فِي تِ ، وَطِ ، وَمِ ، وَنِ : « فَكَمْ مِنْ النَّاسِ » .

(٩) مَسْحُوَةٌ فِي الْأَصْلِ ؛ وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ تِ ، وَطِ ، وَنِ ، وَعِ ؛ وَفِي مِ : « عَلَى عَالَمٍ » خَطَا .

(١٠) فِي نِ : « دَاعِيَةٌ » خَطَا .

(١١) « أُخْرَ » غَيْرُ مَوْجُودَةٌ فِي تِ .

(١٢) فِي مِ : « الْأُولَى » .

(١٣) فِي مِ : « وَهَذَا » خَطَا .

معانٍ بعد معانٍ . فينبغي للمُستَصِبِ لفْنَ الْكَتَابَةِ أَنْ يَتَقَرَّ حَفْظَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَإِذَا حَصَلَتْ لَهُ الْمُلْكَةُ التَّامَّةُ فِي حَلِّ الْآيَاتِ الَّتِي يُحَاجِجُ إِلَيْهَا فِي الْخُطُبِ وَالْمُكَاتَبَاتِ ؛ فَحِيتَنِ تَسْقَعُ^(١) لِدِينِهِ أَبْوَابُ ، وَتُوَصِّلُهُ^(٢) أَسْبَابُ إِلَى أَسْبَابٍ ، وَيَأْتِيهِ خَاطِرُهُ بِمَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي جِسَابٍ .

وَاعْلَمُ أَنَّ كِتَابَ اللَّهِ هُوَ أَفْصَحُ الْكَلَامِ . وَمَا يَنْبَغِي^(٣) أَنْ يَسْلُكَ بِهِ مَسْلَكَ الْأَشْعَارِ فِي حَلْهَا . بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يُحَافَظَ عَلَى أَفْقَادِهِ لِعدَمِ الْقَدْرَةِ عَلَى مُمَاثَلَتِهَا وَمُشَابَهَتِهَا . لَكِنَّ أَخْذُ الْآيَةِ بِجَمْلِهَا لِيَسْ مِنْ هَذَا الْفَنَّ فِي شَيْءٍ لَأَنَّهُ مِنْ بَابِ التَّضْمِينِ . وَهَذَا الَّذِي نَحْنُ بِصَدِّيقِهِ هُنَّا هُوَ ضَرِبَتِانٌ : أَحَدُهُمَا : أَنْ يُؤْخَذُ^(٤) بَعْضُ الْآيَةِ فَيُجْعَلُ أَوْلًا لِلْكَلَامِ^(٥) أَوْ آخِرًا ، وَالْآخَرُ : أَنْ يُؤْخَذُ مَعْنَى الْآيَةِ .

وَقَدْ أُورَذْتُ لَكَ فِي هَذَا الْفَصْلِ أُمَّثَّلَةً [تَسْلُكُ بِهَا الطَّرِيقَ]^(٦) ، وَتَجْعَلُهَا هَادِيَةً لَكَ إِلَيْهِ .

فَيَنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرْتُهُ فِي ذَمِّ بِخِيلٍ ، وَهُوَ : جُودُهُ^(٧) بَعِيدُ الْأَمْلِ ؛ غَيْرُ مُفْتَرِّ إِلَى الْعَذَلِ ، وَإِذَا اخْتَلَ فَهُوَ نَهْرُ طَالُوتَ [الَّذِي حَلَّ]^(٨) لِلْغَرْفَةِ لَا لِلْتَّهَلِ . وَهَذَا مَأْخُوذٌ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي قَوْلِهِ [تَعَالَى]^(٩) : « فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنْ

(١) فِي مَ : « يَنْتَفِعُ » ، وَفِي نَ : « تَنْتَفِعُ » .

(٢) فِي مَ : « وَيُوَصِّلُهُ » . (٣) فِي مَ : « وَمَا يَنْبَغِي لَهُ » .

(٤) فِي طَ : « تُؤْخَذُ » .

(٥) فِي طَ : « لِلْكَلَامِ » ، وَفِي مَ : « الْكَلَامُ » خَطَّا ، وَفِي نَ : « أَوْلَ الْكَلَامِ » .

(٦) مَحْوَةٌ فِي الْأَصْلِ ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ تَ ، وَطَ ، وَمَ ، وَعَ . وَفِي تَعْقِيَةِ الْأَصْلِ : « تَكْفِيكُ » ، وَفِي السُّطُرِ الْأُولَى مِنِ الصَّفَحَةِ الْمُقَابِلَةِ : « تَكْفِيكُ ... » وَمَكَانُ النَّقْطِ كَلْمَةُ غَيْرِ مَقْرُوَةٍ ، وَالْمَعْنَى لَا يُسْتَقِيمُ ، وَفِي نَ : « لَتَسْلُكَ بِهَا الطَّرِيقَ » .

(٧) فِي الْأَصْلِ بِخَطْ مُغَايِرٍ : « إِنْ فَلَانٌ » ؛ وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ تَ ، وَطَ ، وَمَ ، وَنَ ، وَعَ .

(٨) مَحْوَةٌ فِي الْأَصْلِ ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ تَ ، وَمَ ، وَعَ ، وَفِي طَ : « الَّذِي حَلَّ » ، وَفِي نَ : « الَّذِي » غَيْرُ مَوْجُودَةٍ .

(٩) مَحْوَةٌ فِي الْأَصْلِ ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ تَ ، وَطَ ، وَمَ ، وَنَ ، وَعَ .

اللَّهُ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهْرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي^(١) ، وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ أَغْرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ^(٢) .

وهذا من بابِ أَخْذِ معنى الآية ؛ والتصرُّفُ فيه . فتأمِّلْهُ أَيُّهَا الناظرُ ، وأغْطِهِ حَقَّهُ من التَّأْمِيلِ حتَّى تعلمَ كيفَ تضعُ يَدَكَ في أشْباهِهِ وأمْثالِهِ .

ومن ذلك ما ذكرتهُ في وصِفِ كريمٍ ، وهو : الْكَرِيمُ لَا يَتَعَثِّهُ^(٣) التجاربُ على النَّظَرِ^(٤) فِي الْعَوَاقِبِ ، وَيَرَى الإِثَارَ وَالْمَوَاسِةَ أَعْلَى فِي درجاتِ^(٥) الْمَوَاهِبِ ؛ فإذا عَذَلَ تمثِيلَ بقولِ الشاعِرِ : أَذْنَى عَنِ الْفَحْشَاءِ صَمَاءً^(٦) ، وقالَ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَيْتُمُوهاً وَلَا نَثَّيْ الأَسْمَاءَ^(٧)

وبعضُ هذا الأسلوب^(٨) مأخوذٌ من سورة النجم^(٩)

« وَعَلَى هَذَا الأَسْلوبِ وَرَدَ قَوْلِي أَيْضًا فِي وصِفِ كريمٍ ، قَلْتُ : لَا يَضْرِبُ بَيْنَ مَالِهِ حِجَابًا وَبَيْنَ السَّائِلِينَ ؛ وَإِذَا عَذَلَ عَلَى الْجُودِ أَجَابَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : وَأَغْرِضَ عَنِ الْجَاهِلِيَّةِ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْمَغْنِيرَةَ وَالْبَخْلَ أَخْوَانٌ ، فَلَا فَرْقَ عَنْهُ بَيْنَ الْمُعْتَدِرِينَ وَبَيْنَ

(١) فِي الْأَصْلِ : « فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنِّي » سهوا . البقرة / ٢٤٩ .

(٢) فِي تِ : « لَا يَعْتَهُ » ، وَفِي طِ الْكَلِمَةِ غَيْرِ مُنْقُوطةٍ ، وَيَقْبَلُهَا فِي هَامِشِ عَنْوانِ : « وصِفِ كريمٍ » .

(٣) فِي مِ : « النَّظَمُ » تَحْرِيفًا .

(٤) فِي طِ : « أَعْلَى الدرجاتِ » خَطَا .

(٥) فِي تِ : « صَمَاءً » . وَهُوَ إِشَارَةٌ لِيَتِ من الْوَافِرِ فِي خَزَانَةِ الْأَدْبِ لِلْجَمْوِيِّ ١٢٨/٢ ؛ وَفِي الْمُسْتَطِرِفِ فِي كُلِّ فَنٍ مُسْتَظْرِفٍ ٢٨٨/٢ قَالَ الشِّيْخُ جَمَالُ الدِّينِ بْنُ نِيَّاتَةِ الْمَصْرِيِّ :

لَهُ طَرْفٌ ضَرِيرٌ عَنْ سَنَافِها وَلِي أَذْنَ عَنِ الْفَحْشَاءِ صَمَاءً

(٦) فِي نِ : « لَا تَنْبِعُ » ، وَفِي عِ : « لَا تَنْبِعُ » تَصْحِيفًا .

(٧) فِي تِ ، وَطِ ، وَمِ ، وَنِ : « الْفَصْلُ » ، وَفِي عِ : « وَيَعْضُ هَذَا مَأْخُوذُ » .

(٨) النَّجَمُ / ٢٣ ، وَفِي مِ ، وَنِ : « فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْأَسْمَاءِ سَمَيْتُمُوهاً أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ » . وَهُوَ مِنْ تَدْخُلِ النَّاسِخِ .

الباخِلِينَ ، وَفِي شِرْزَعَةِ هَذَا الْخُلُقِ الْكَرِيمِ تَكْثُرُ^(١) أَسْبَابُ الْأَمْتِيَاحِ^(٢) ، وَلَوْ عَدَاهُ سَائِلٌ لِنَادِيٍّ^(٣) : حَتَّى عَلَى السَّمَاحِ كَمَا يَتَادِي حَتَّى عَلَى النَّفَاجِ .
وَيَعْضُّ هَذَا الْفَصْلِ مَا خُوَذُّ مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : حُنْدُ الْعَفْوِ وَأَمْزَنْ
بِالْغَرْفِ وَأَغْرِضَنْ عَنِ الْجَاهِلِينَ^(٤) .

وَمَمَّا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى مَا ذَكَرْتُهُ فِي الْإِقْتَصَادِ فِي طَلْبِ الرِّزْقِ ، وَهُوَ :
الْإِنْسَانُ فِي كَفَالَةِ اللَّهِ بِرِزْقِهِ غَيْرِ وَاثِقٍ . وَهُوَ فِي كُلِّ طَرِيقٍ إِلَيْهِ سَالِكٌ^(٥) ، وَلِكُلِّ
بَابٍ فِيهِ طَارِقٌ ، وَكَثِيرًا^(٦) مَا يَأْتِيهِ وَهُوَ عَنْهُ^(٧) نَائِمٌ ، وَيَقْعُدُ عَنْهُ وَهُوَ إِلَيْهِ قَائِمٌ .
وَهَذَا تَعرِيفٌ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَاتِحُ أَبْوَابِهِ ، وَمُسَبِّبُ أَسْبَابِهِ ، وَلَوْ فَاتَهُ الْمَقْدُورُ مِنْهُ
بِإِيمَانِهِ لَأَدْرَكَ غَيْرَ الْمَقْدُورِ بِطَلَابِهِ . وَيُكَفِّيُهُ مِنَ الإِيمَانِ بِذَلِكَ أَنَّهُ لَا يُصْرِفُ الْأَرْزَاقَ
إِلَّا الْقَادِرُ عَلَى خَلْقِهَا ، وَكَمْ مِنْ دَائِيَّةٍ مَرْزُوقَةٍ وَهُنَّ ضَعِيفَةٌ عَنْ حَمْلِ رِزْقِهَا ، وَلَوْ
أَغْطَى الْإِنْسَانُ رُشْدَهُ^(٨) لَأَلْقَى عَنْ نَفْسِهِ ثُقلَ الْمَجْنَعِ وَالْذَّهَابِ ، وَعَلِمَ أَنَّ رَاحَةَ
الْأَنْكَابِ أَغْوَدُ عَلَيْهِ^(٩) مِنْ تَعَبِ الْأَكْتِسَابِ .

وَهَذِهِ مَعَانِي شَرِيفَةٍ عَالِيَّةٍ لَا يُلْمُمُ بِهَا إِلَّا خَاطِرُ كَانَ عَلَى الْمَعْانِي^(١٠) غَواصًا ،

(١) فِي عِ : « يَكْثُرُ » .

(٢) اَمْتَاحٌ فَلَانَّ فَلَانَّ إِذَا أَتَاهُ يَطْلَبُ فَضْلَهُ . اللَّسَانُ فِي (مِي حِ) .

(٣) فِي تِ : « لَنَادِيًّا » .

(٤) الْأَعْرَافُ / ١٩٩ ، وَهُنَا يَتَهَى خَرْمٌ وَقَعَ فِي مِ ، وَنَبَأَ مِنْ قَوْلِهِ : « وَعَلَى هَذَا
الْأَسْلُوبِ » فِي الصَّفَحةِ السَّابِقَةِ .

(٥) فِي مِ : « وَكَثِيرٌ » .

(٦) فِي تِ : « طَرِيقٌ سَالِكٌ » .

(٧) فِي نِ : « سَقْطٌ مِنْ مِ » .

(٨) فِي نِ : « رُشْدًا » .

(٩) فِي مِ : « أَغْوَدُ إِلَيْهِ » .

(١٠) فِي مِ : « الْمَعْالِي » تَحْرِيفًا .

وَلَا وَابِدُ ^(١) وَحِشْهَا ^(٢) قَنَاصاً . وبعْضُ ذلِكَ مَا خُوذَ من سُورَةِ العنكبوتِ فِي قُولِهِ تَعَالَى : [وَكَائِنٌ] ^(٣) مَنْ ذَائِي لَا تَخْيِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِلَيْكُمْ ^(٤) .

وَمَمَّا يَتَظَمَّنُ بِهِذَا السُّلُكِ مَا ذَكَرْتُهُ فِي وَصْفِ الْكَرِيمِ ^(٥) ، وَهُوَ : شَيْءٌ كَرِيمٌ ^(٦) مُسِيْحِيَّةٌ فِي طَبَّهَا ، كَلِيمَيَّةٌ فِي تَسْهِيلِ شُرْبَهَا ؛ فَإِذَا اعْتَلَتِ الْأَمَانُ تَلَقَّهَا ^(٧) بِشَفَاءٍ عَلَيْلِهَا ، وَإِنْ ذِيَّدَتْ عَنِ الْوُرُودِ تَلَقَّهَا بِشَفَاءٍ عَلَيْلِهَا ^(٨) فَلَهَا الْفَضْلُ الَّذِي لَيْسَ بِمَطْرُوقٍ ، وَالْخُلُقُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ مِّنْ ^(٩) قَبْلِهَا بِمَخْلُوقٍ ^(٩) ، وَلَا جُنَاحَ عَلَى مَنْ سَبَّحَ لَهَا بِمُتَعَجِّبِيَّةٍ ، وَسَجَدَ لَهَا مَتَعَبِّدًا ، وَصَلَّى بِالثَّنَاءِ عَلَيْهَا ^(١٠) مُوَحَّدًا وَمُتَوَحِّدًا . [وَ] قَدْ ^(١١) تَضَمَّنَ هَذَا الْكَلَامُ مَعْنَيَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ : أَحَدُهُمَا فِي ^(١٢) سُورَةِ الْمَائِدَةِ فِي قُولِهِ تَعَالَى : « وَتَبَرِّئُ ^(١٣) الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ يَأْذُنِي » ^(١٤) . وَالآخَرُ فِي سُورَةِ

(*) وَالْأَوَابِدُ وَالْأَبْدُ : الْوَحْشُ ، الذَّكَرُ آبُدُ وَالْأُنْثَى آبَدَةُ ، اللِّسَانُ فِي (أَبْ دَ) .

(١) فِي مَ : « وَحْشٌ » خَطَا .

(٢) فِي الْأَصْلِ ، وَتُ ، وَطُ ، وَنُ ، وَعُ : « وَكَائِيٌّ » ، وَمَا أَثَبَهُ مِنْ مَ وَالْمَصْنُوفُ .

(٣) الْعَنْكُبُوتُ / ٦٠ .

(٤) فِي طُ ، وَنُ : « الْكَرْمُ » ، وَفِي مَ : « كَرِيمٌ » .

(٥) فِي نَ : « كَرِيمَةٌ » تَحْرِيفًا .

(٦) فِي مَ : « لَقَتِهَا » ، وَفِي نَ : « تَكْنَفَتِهَا » . وَالْعِلْمُ الْمَرَضُ . اللِّسَانُ فِي (عَ لَ لَ) .

(٧) فِي عَ : « عَلَيْلِهَا » تَصْحِيفًا . وَالْغَلِيلُ : شَدَّةُ الْعَطْشِ وَخَرَارَتِهِ . اللِّسَانُ فِي (غَ لَ لَ) .

(٨) فِي تَ : « لَمْ يَكُنْ قَبْلَهَا » ، وَفِي طَ : « لَيْسٌ » وَيَعْدَهَا إِشَارَةً إِلَى الْهَامِشِ مَكْتُوبُ بِهَا : يَكْنِي ^(١٥) غَيْرَ مَنْقُوتَةٍ ، وَمَا قَبْلَهَا غَيْرَ ظَاهِرٍ فِي التَّصْوِيرِ ؛ فَبَقِيتِي : « لَيْسٌ مِّنْ قَبْلَهَا » .

(٩) فِي تَ ، وَمَ : « لَمْخُلُوقٌ » .

(١٠) فِي مَ : « لَهَا » ، وَفِي نَ : « بِالثَّنَاءِ مَوْهِدًا » .

(١١) زِيَادَةُ مِنْ تَ ، وَعُ يَقْتَضِيهَا السِّيَاقُ .

(١٢) فِي طَ : « مَنْ » .

(١٣) فِي الْأَصْلِ ، وَتُ ، وَطُ ، وَنُ ، وَعُ : « وَإِذْ تَبَرِّئُ ^(١٦) سَهْوا ، وَفِي مَ : « وَإِذْ تَبَرِّهُ » خَطَا .

(١٤) الْمَائِدَةَ / ١١٠ .

القصص في ذكر موسى عليه السلام ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْنِينَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْتَوْنَ وَوَجَدَ مِنْ ذُونِهِمْ ^(١) امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا حَطَبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُضْرِبَ الرِّعَاءُ وَأَبْوَنَا شَيْخَ كَبِيرَ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّ إِلَى الظَّلِّ ^(٢) . وهذا المعنى أخذ في ^(٣) المعنى دون اللفظ .

ومن هذا الضرب ما ذكرته في صدر كتاب ^(٤) يتضمن خطبة مودة ، وهو : هذه المكاتب قد جاءته تمثي ^(٥) على استحياء تدعوه إلى خلة من ^(٦) أرسلها ، وتزعم أنَّ أباها - وهو القلب - قد أهداها له ، وبذلها غير ^(٧) أنه لا يطلب على ذلك أجرًا ؛ ولا يسأل ثمانى حجاج ولا عشرا . بل فخوى مطلوبه هو المودة التي تمسك بالمعروف ، ولا سرخ ، وقد صرخ في خطيبتها ، وما عرض - إذا ^(٨) عرض في خطبة الحسان - ولم يصرخ . وملاك ^(٩) الأمر فيها أن يكون حرتها مطعما ، وعندها في عدم الفراق ن悲哀ا ، وفي وجوب ^(١٠) القبول مسلينا .

في ^(١١) هذا الكلام ما هو مأخوذ من القرآن في سورة ^(١٢) القصص ، وهو قوله تعالى : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِخْدَاهُمَا تَمْثِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَنْجِزِيكَ أَجْرَ مَا

(١) في م : « دونهما » خطأ .

(٢) القصص / ٢٣ ، ٢٤ .

(٣) « فيه » سقطت من ن .

(٤) يقابلها في هامش عنوان : في ورود الكتاب .

(٥) « تمثي » غير موجودة في ط ، وم ، ون .

(٦) في م : « إلى أرسلها » تحريفا .

(٧) في م : « عين » تحريفا .

(٨) في م : « إذ » ، وفي ن : « إذ يعرض » .

(٩) في م : « وملاك » تحريفا .

(١٠) في ت : « جواب » خطأ .

(١١) في ن : « وفي » .

(١٢) في م : « صورة » تحريفا .

سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصْصَ قَالَ لَا تَخْفَ نَجْزُوتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ قَالَتْ إِخْدَاهُمَا يَا أَبْتَ اسْتَأْجِزْهُ إِنْ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرَتِ الْقَوْيُ الْأَمِينُ قَالَ إِنِّي أَرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِنْدَى ابْتَتِ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيْ حِجَّجَ فَإِنْ أَتَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ » ^(١).

ومن هذا النوع ما ذكرته في فصل من كتاب إلى الديوان العزيز النبوى ، [وهو ^(٢) : لو سَاعَ لولَى مِنْ أُولَى الدُّولَةِ أَنْ يَمْتَ بِولَائِهِ ، أو يَدِلُّ ^(٣) بما أَبْلَاهُ فِي أَيَامِهِ ^(٤) مِنْ حُسْنِ بِلَائِهِ ، لِكَانَ لِسَانُ الْخَادِمِ فِي هَذَا الْمَقَامِ أَكْرَمَ صِدْقَةً ، وَمَكَانَهُ مِنْهُ ^(٥) أَشْرَفَ سَبَقَةً . لَكِنْ لِيَسَ لِقَائِمِ بِخَدْمَتِهِ أَنْ يَمْنَ بِقِيَامِهِ . كَمَا أَنَّهُ لِيَسَ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَمْنَ بِإِسْلَامِهِ . وَهِيَ الدُّولَةُ الَّتِي مَلَكَتِ الْجُسُومَ وَالْقُلُوبَ بِمَهَابِتِهَا وَإِحْسَانِهَا . فَلَهَا مِنْ هَذِهِ طَاعَةُ إِسْرَارِهَا ، وَمِنْ تَلْكَ طَاعَةُ إِعْلَانِهَا . عَلَى أَنْ مَزِيَّةُ فَضْلِهَا تَقُودُ ^(٦) إِنْيَهَا طَاعَةُ النَّاسِ ، وَإِنْ لَمْ تَقُودْهَا ^(٧) رَغْبَةُ النَّذَى وَلَا رَهْبَةُ الْبَاسِ ^(٨) . وَمَا مَثَلُ الْمُتَعَمِّنِ إِلَيْهَا وَإِلَى غَيْرِهَا ^(٩) إِلَّا مَثَلُ الْأَمَّةِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَالْأَمَّمِ الْعَاكِفِينَ عَلَى آلِهَةِ مُتَعَدِّدَةِ . وَالْخَادِمُ وَإِنْ أَمْسَكَ عَنْ ذِكْرِ خَدْمَتِهِ ^(١٠) ، فَقَدْ نَطَقَتْ بِهَا شَهَرَةُ سِمَاتِهَا ، وَأَصْبَحَتْ مَوَاقِفُهَا فِي الْمَوَاقِفِ أَنْكَارًا ^(١١) وَنُطِقَ الْبِكْرِ فِي صِنَاتِهَا . وَلَمْ تَزَلْ مَعْرُوضَةً

(١) القصص / ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) ممحورة في الأصل ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٣) في ط : « أو يَذَلُّ » تصحيفا .

(٤) في ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « فِي الْخَدْمَةِ » .

(٥) « منه » غير موجودة في ن .

(٦) في الأصل ، وم : « يَقُودُ » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع .

(٧) في ت ، وم ، ون : « يَقْدِهَا » . (٨) في م : « النَّاسُ » تحريفا .

(٩) في ط : « عَزَّهَا » تحريفا .

(١٠) في ت ، وط ، وم : « خَدِمُوا » ؛ وفي ن : « خَدِمَةً » .

(١١) في ع : « أَنْكَارًا » تصحيفا .

بالدليوان العزيز وكل وقت إيان^(١) وقتها ، وهى كالأيات التى لا تأتى^(٢) منها آية إلا كانت أكثـر من أختها .

فى^(٣) هذا الكلام موضعـان مأخوذـان من القرآن العزيز^(٤) : الأول مأخوذ^(٥) من سورة الحجرات فى قوله تعالى : « يَمْتَنُ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْتَنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ »^(٦) .

والثانـى^(٧) مأخـودـ من سورة حم^(٨) المؤمن فى قوله تعالى : « وَمَا تُرِيبُهُمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هُنَّ أَكْثَرُ مِنْ أَخْتَهَا »^(٩) .

وفـى هذا الـكلـام أـيـضاً معـنى من معـانـى الأخـبار النـبوـية ؛ وـهـو قولـ النبي ﷺ : الأـيـمـ أحـقـ بـنـفـسـهـا مـنـ وـلـيـهـا ، وـالـبـكـرـ شـتـأـدـنـ فـى نـفـسـهـا^(١٠) ، وـإـذـنـهـا صـمـائـهـا^(١١) . وقد أورـدـتـ أنا^(١٢) هذا المعـنى فـى هذا المـغـرـضـ المـشـارـ إـلـيـهـ عـلـىـ وـجـهـ غـرـيبـ لمـ يـأـتـ بـهـ أـحـدـ قـبـلـىـ ، وـهـوـ مـنـ جـمـلةـ مـعـانـىـ الـمـبـتـدـعـةـ^(١٣)

(١) فى ع : « إيان » تصحيفا .

(٢) فى م : ط « لا يأتى » .

(٣) فى ط : « وفي » .

(٤) فى ت ، وـط ، وـم ، وـن ، وـع : « الكـريمـ » .

(٥) « مـأـخـودـ » سـقطـتـ مـنـ تـ .

(٦) الحجرات / ١٧ .

(٧) فى ط : « الثاني » .

(٨) « حـمـ » سـقطـتـ مـنـ نـ .

(٩) الزخرف / ٤٨ .

(١٠) « في نفسها » سـقطـتـ مـنـ طـ .

(١١) سنـنـ أـبـيـ دـاـدـ / ٢ـ / ٢٣٢ـ / رـقـمـ ٢٠٩٨ـ ، وـسـنـ النـسـانـىـ / ٦ـ / ٨٤ـ / رـقـمـ ٣٢٦٠ـ ، صـحـيـحـ مـسـلـمـ / ٢ـ / ١٠٣٧ـ / رـقـمـ ١٤٢١ـ ، صـحـيـحـ أـبـنـ حـبـانـ / ٩ـ / ٣٩٧ـ / رـقـمـ ٤٠٨٧ـ .

(١٢) « أنا » سـقطـتـ مـنـ طـ .

(١٣) فى م : « المعـانـىـ الـمـبـتـدـعـةـ » وأـمـاـ هـذـاـ السـطـرـ فـىـ الأـصـلـ كـتـبـ : بلـغـ أـبـنـ الدـخـمـيـ عـرـضـاـ بـالـأـصـلـ الـمـقـرـوـةـ عـلـىـ الـمـصـنـفـ أـيـدـهـ اللهـ ؛ وـفـىـ هـامـشـ عـنـوانـ : فـىـ الـاغـرـابـ .

وممَّا يجري هذا المجرى ما ذكره في الاغتراب ، وهو : ولطالما أورث الاغتراب عِزًا ، واستثار من السعادة كثُرًا ، حتى إنَّ الله جعله سُنة في أنبيائه ورُسله ، ونهج لهم سيل^(١) العِزْ بسلوك^(٢) سُبُلِه . ويكفي من ذلك ما سنته العزيزة اليبرية من القوَّة بعد الفرار ، والكثرة بعد ثانٍ اثنين إِذْ هُمَا في الغار . والتقلُّل^(٣) سبب للسُّكُون ، والسهاد داعية لهُدُو^(٤) العيون . ولو لزم السيف غمَدَه لم يَبْيَن^(٥) أثُرُ مصارِيه ، ولا خَدَمَه لسانُ المدح في نَظَم شاعره ، ولا ثُرِّ خاطِيه ، ومن فوائد^(٦) الاغتراب عنوانُ ماء البحر بمرافقة السَّحَابِ :

فِي هَذَا الْكَلَامِ مَعْنَى وَاحِدٌ مَأْخُوذٌ مِنَ الْقُرْآنِ فِي^(٧) سُورَةِ التَّوْبَةِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿إِلَّا تَصْرُّوْهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ﴾ أَخْرَجَهُ الْذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ﴾^(٨) .

ومن هذا الضرب ما ذكره في وصف القلم ، وهو : لَهُ الْقَلْمُ الَّذِي يصرُعُ الْحَطَبَ الْجَلِيلَ بِضَعْفِهِ ، وَسَبِّ^(٩) الْحَرْفَ الْأَمُونَ بِحَزْفِهِ ؛ وَإِذَا تَكَسَّ رَأْسَهُ رَأَيْتَ أَبْهَةَ الْحَيَّلَاءِ فِي عَطْفِهِ . فَهُوَ يَجْلُ بِأَسَا وَيَدْقُ جِنَّمًا ، وَيَمْجُ من لِسَانِهِ شَهْدًا وَسُمًّا .

إِذَا ارْتَقَى أَنَامَلَهُ قِيلَ : خَطِيبُ رَقَى مِنْبِرًا .. إِذَا اهْتَرَ فِي يَدِهِ كَائِنَهُ جَانٌ ؛ وَلَى [السيف]^(١٠) مِنْبِرًا .

وهذا الفصل يشتمل على معانٍ كريمة^(١١) ذات^(١٢) أحباب صميمه ،

(١) فِي ن : « سِبْل » . (٢) فِي ع : « سُلُوك » ، خطاً .

(٣) فِي ن : « وَالتَّقْلِيل » خطاً . (٤) فِي ط : « الْهُدُو » .

(٥) فِي الْأَصْلِ ، وَم ، وَع : « لَمْ تَبْيَنْ » ؛ وَفِي ط الْكَلْمَةُ غَيْرُ مَتَّوْطَةٌ ؛ وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ت .

(٦) فِي ع : « فَائِدَة » . (٧) فِي ط : « مِنْ » .

(٨) « إِذْ » سقطت مِنْ ع . (٩) التَّوْبَة / ٤٠ .

(١٠) فِي م : « يَسْتَبَقُ » ؛ وَيَقْبَلُهَا فِي هَامِشِ عَنْوَانِهِ : وَصَفَ الْقَلْمَ .

(١١) الْزِيَادَةُ مِنْ ت ، وَم ، وَن . (١٢) فِي م : « كَثِيرَة » .

(١٣) « ذَاتٌ » سقطت مِنْ م ؛ وَكَبَ النَّاسُخُ : « وَأَحَبَابٌ » .

ومعارف جمّة ذات رياضٍ جمية^(١) ، وهو من محاسن ما يوثق به في وصف القلم ، وفيه معنى واحدٌ من القرآن في سورة التّمثيل في قوله تعالى : «وَالْتِي عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهَنَّرَ كَأَنَّهَا جَانٌ وَلَئِنْ يُعَقَّبْ»^(٢) .

ومن هذا الضرب ما كتبته^(٣) إلى بعض الإخوان من أهل الأدب ؛ جواباً عن كتابه ، وهو : كتب سيدنا رياض ، وإن جلت عن [هذا]^(٤) التّمثيل ، وأتيت أن تكون^(٥) كلامها التي تبقى على الأيام^(٦) كزهرة بيت تذهب^(٧) عمّا قليل ، ولو لا أن يُرخص في حمل المعنى على المعنى ، وتشبيه الأعلى منها^(٨) بالأدنى ؛ لما ضرب الله لنبيه مثلاً بسراج ، و[لا]^(٩) لنوره مثلاً بمصباح في زجاج . ولا ينكر^(١٠) سيدنا إذا ما مثلت^(١١) به صفحة كتابه . ولبعض ذلك من ضروب التّوسيعات المجازية لا من أضرابه . وكما أنه يجل عن ضرب الأمثال ؛ فكذلك ترسّله^(١٢) يجل عن إحاطة الأقوال . وكلّهما قد حاز^(١٣) الخادم في ملائمة

(١) في م : «جمية» تصحيفاً .

(٢) النمل / ١٠

(٣) في الأصل : «ما كتبه» ؛ وما أتبه من ت ، وط ، وم ، وع ؛ وفي ن : «ومن الضرب ما كتبه» .

(٤) الزيادة من ت ، وط ، وم ، وع .

(٥) في ن : «يكون» .

(٦) في م : «تفني الأيام» .

(٧) في م : «كزهرة بيت يذهب عمّا قليل» ؛ وفي ن : «يذهب» .

(٨) في الأصل ، وم ، ون ، وع : «منها» ؛ وما أتبه من ت ، وط .

(٩) الزيادة من ت ، وط ، وم ، ون .

(١٠) في ت ، وط ، وم ، ون : «فلا ينكر» .

(١١) في م : «إذا مثلت» .

(١٢) في ت ، وط ، وم ، ون : «فكذلك الشوق إلى مرسله» ؛ وفي ع : «فلذلك إلى مرسله» .

(١٣) في ط ، وم : «حاز» تصحيفاً .

أمرِه ، فهو مُمْتَعٌ من أحدِهِما بِرَوْقَنِ حُسْنِيهِ ، وَمُرَوْعٌ من الْآخِرِ بِتَوْفِيدِ جُمِرهِ . وقد حَصَّلَ مِنْهُمَا فَضْلَيْنِ^(١) مِنْ فَصْوِلِ عَامِهِ ؛ فَطِرْفَةُ فِي رَبِيعِ مِنَ النَّظَرِ وَاجْتَلَابِهِ^(٢) وَقَلْبُهُ فِي مَصِيفِ مِنَ الشَّوَّقِ وَغَرَامِهِ .

فِي هَذَا الْكِتَابِ مَحَاسِنُ مِنَ الْبَلَاغَةِ كَثِيرَةٌ^(٣) ، وَقَدْ تَضَمَّنَ مَعْنَيَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ : أَحَدُهُمَا فِي سُورَةِ التُّورِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « مَتَّلُ ثُورِهِ كَمِشْكَاهَ فِيهَا مِضَبَّاحُ الْمِضَبَّاحِ فِي رَجَاجَةٍ »^(٤) . وَالْآخَرُ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَتَنْذِيرًا وَدَاعِيًّا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا »^(٥) . وَالْمَعْنَى الْمَأْخُوذُ مِنْ سُورَةِ التُّورِ قَدْ سَبَقَ إِلَيْهِ أَبُو تَمَّامَ فِي [قَوْلِهِ مِنْ]^(٦) قَصِيدَتِهِ السَّيِّنِيَّةِ :

لَا تُشْكِرُوا ضَرِبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ
مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ
فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَلَ لِشُورِهِ
مَثَلًا مِنَ الْمِشْكَاهَ وَالثَّبَرَاسِ^(٧)

لَكُنْ لَا يَنْبَغِي^(٨) لِلْلَّوَاقِفِ عَلَى هَذَا الشِّعْرِ وَعَلَى مَا أُورْذَتَهُ فِي الْكَلَامِ الْمُتَشَوِّرِ أَنْ يَجْحَدَنِي حَقًّى . بَلْ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنْتَرِ بَعْنَى الْإِنْصَافِ ، وَيَنْتَقِدَ نَقْدَ صَرَافِ^(٩) ، وَلَا يَلْتَفِتَ إِلَى الْوَقْوفِ مَعَ الزَّمِنِ الْقَدِيمِ ؛ فَإِنَّهُ^(١٠) شَبَهَهُ يَتَمَسَّكُ^(١١) بِهَا تَقْلِيدًا

(١) فِي ت ، وَط ، وَن ، وَع . : « فِي فَصْلَيْنِ » ؛ وَفِي م : « عَلَى فَصْلَيْنِ » .

(٢) فِي م : « إِجْلَانَهُ » تَحْرِيفًا .

(٣) فِي ن : « كَبِيرَةٌ » . (٤) التُّور / ٣٥ .

(٥) الْأَحْزَاب / ٤٥ و ٤٦ . (٦) الْزِيَادَةُ مِنْ ط ، وَم ، وَن .

(٧) الْبَيَانُ مِنَ الْكَاملِ فِي دِيْوَانِ أَبِي تَمَّامٍ ٢٥٠/٢ ق ٨١ .

(٨) فِي ع : « لَكُنْ يَنْبَغِي » . (٩) فِي ت : « الصَّرَافُ » .

(١٠) فِي ت : « فَإِنَّهَا » .

(١١) فِي ن : « يَتَمَسَّكُ » خَطَا .

الجهول لا اجتهاد العلیم . فإذا ^(١) فعل ذلك فقد شهد لى شهادة حزينة بن ثابت ^(٢) ، وإن لم يشهد شهودت لى الفضيلة ^(٣) وأنا صامت .

ومن هذا الضرب ما ذكرته في وصف الشکر - وهو فصل من كتاب - : الخادم يشکر المولى الذي ظل عنده مقيما ، وغدا بمطالبه ^(٤) زعيم ، « وأصبح بتواليه مغرما ^(٥) ، كما أصبح له غريما ^(٦) . ولما تتمثل الاشتمال عليه كهفا ^(٧) ؛ تمثل شکرة فيه رقیما .

هذا المعنى مأخوذ من القرآن [العزيز] ^(٨) في سورة الكھف ، وهو قوله تعالى : أن أصحاب الكھف والرّئیم كانوا من آياتنا عجبا ^(٩) . وهذا المعنى ، وإن كان مأخوذا من هذه السورة ؛ فهو مبتدع لى ^(١٠) ؛ لم أُنسِي إلينه . وذاك أنني نقلته عن ^(١١) المعنى المذكور في السورة « إلى [^(١٢) إلى معنى الإحسان ، ومثلثة في اشتتماله بالكھف استعارة » ^(١٣) إلى معنى الشکر ^(١٤) ، ومثلثة بالرّئیم ، وهو

(١) في ن : « وإذا » .

(٢) انظر ترجمة خزيمة بن ثابت ومصادرها في موضعها ص ٣٨٢ من هذا الكتاب .

(٣) في ت : « شهودت لى الفضيلة » ؛ وفي ط : « لى شهودت لى الفضيلة » ؛ وفي م : « إلى الفضيلة » .

(٤) في ت : « لمطالبه » .

(٥) في ت ، و م : « بتواليه مغرما » ؛ وفي ط كلمة « إليه » مكانها سهم يتجه نحو الهاشم ، ولكنه غير مقووه .

(٦) ما بين علامتي التنصيص سقط من ن .

(٧) في م : « ولما اشتمل عليه كهفا » ؛ وفي ن : « وإذا اشتمل عليه كهفا » .

(٨) الزيادة من ط .

(٩) الكھف / ٩ .

(١٠) « لى » سقطت من ط ؛ وفي ن : « السورة مبتدع لى » .

(١١) في ع : « من » .

(١٢) في الأصل : « وهو » ؛ وما أثبته من ت ، و ط ، و ن ، و ع .

(١٣) ما بين علامتي التنصيص سقط من م .

(١٤) في الأصل ، و ت ، و ط ، و ن : « وإلى معنى الشکر » ؛ وفي م : « وإلى الشکر » ؛ وما أثبته من ع .

الكتاب . وأنا في هذا الموضع مُبتدئ لهذا ^(١) المعنى كأبي تمام في ابتداعه ؛ حين قابل ضرب المثل في وصف المدح يقادم عمرو ، وسماحة حاتم ، وذكرة إيس ؛ بضرب المثل في وصف نور الله سبحانه وتعالى ^(٢) بمشكاة فيها مضيّخ . ومن هذا الضرب ما ذكرته في فصل من كتاب [يتضمن] ^(٣) تعزية ، وهو : لو ذُفَتِ الحُزْنُ بالدموع وانهماله ^(٤) ، والجَزَعُ وإعواله ؛ لكان الصبر بصاحبه أخرى ^(٥) ، ولو لم ينزل به أجرًا . فكيف ^(٦) وصلة الله ورحمته من ثوابه ^(٧) ، والجلالة والتَّعْظيم طوبى في ضيْفِ نيايه ، وما اعتراض المرأة صبراً عن المصائب إلا كان فيه عوض ^(٨) عن مصايبه .

وفي ^(٩) هذا الكلام معنى مأخوذ من القرآن في سورة البقرة في قوله تعالى : « **الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أَوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مَّنْ زَيَّهُمْ وَرَحْمَةٌ** » ^(١١) .

وممَّا يجري على هذا التهجِّي ما ذكرته في وصف المكر والخداع ، وهو : المكر ضرائب ^(١٢) من تحت الثياب ، وسيفه لا يقطع ^(١٣) إلا وهو في القرباب ^(١٤) ؛ ومن

(١) في ع : « مبتدع في هذا » .

(٢) « وتعالى » غير موجودة في ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٣) الزيادة من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٤) في م : « وإنهماله » تحريفا .

(٥) في ت : « الصبر أخرى » ؛ وفي م : « أجرى » تصحيفا ؛ وفي ن : « لصاحب آخر » .

(٦) في ت : « وكيف » ؛ وفي ط ، وم ، ون ، وع : « كيف » .

(٧) في م : « ورحمته عوض من ثوابه » .

(٨) في الأصل : « عوضا » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٩) في م ، ون : « في » .

(١٠) في الأصل ، وط ، وم ، ون ، وع : « والذين » ؛ وما أثبته من ت .

(١١) البقرة / ١٥٦ و ١٥٧ .

(١٢) في ن : « ظريان » خطأ .

(١٣) في م : « لا يقع » تحريفا .

(١٤) القراب : غمد السيف ، اللسان في (ق رب) .

شأن صاحبِه أن يلقي الأعداء بوجوه الأختاب ، ويرى وهو كالجبل الذي يُخسِبُ^(١) جامداً وهو يَمْرُ مَرَ السَّحَابِ . فإذا لاقته الجموع [فَوَهَا]^(٢) وقد كادت^(٣) تكون عليه ليـداً . وجعل قوتها أضعف ناصراً [وَكَثُرَتْهَا]^(٤) أقل عدداً . وكذلك الخادم^(٥) يستغنى^(٦) بلـين كـيـده عن شـدـةـ آـيـدـهـ . وبـهـمـ اـحـيـاـلـهـ عن ضـوـضـاءـ قـتـالـهـ وكـثـيرـاـ ما يـطـعنـ أـقـرـانـهـ قـبـلـ الطـعـانـ ، ويـغـزوـهـ بـفـجـأـةـ الـذـعـرـ ، وهو من الأمـنـ في صـوـانـ .

في هذا الفصل ثلاثة^(٧) معانٍ من القرآن : الأول : قوله تعالى في سورة النمل : « وَتَرَى ^(٨) الْجِبَالَ تَخْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمْرُ مَرَ السَّحَابِ »^(٩) . والثاني^(١٠) : في سورة الجن ، وهو قوله تعالى^(١١) : « وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَنْ دُلُوْهِ يَذْعُورُهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيـداً »^(١٢) . والثالث : في قوله تعالى في سورة الجن أيضاً : « حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعَفَ نَاصِراً وَأَقْلَى عَدْدًا »^(١٣) .

.. ومن هذا الضرب ما ذكرته في فصل من كتاب كتبته عن الملك الأفضل علىـ

(١) في ط : « تحـبـهـ » .

(٢) ما بين المعقوفين ممحـوـ من الأصل ، وما أثـبـهـ من تـ ، وـ طـ ، وـ مـ ، وـ نـ ، وـ عـ .

(٣) في ن : « وـ كـادـتـ » .

(٤) في الأصل بخط مختلف : « وـصـيـرـتـهاـ » ؛ وما أثـبـهـ من تـ ، وـ طـ ، وـ مـ ، وـ نـ ؛ وفي نـ : « أـضـعـفـ نـاصـراـ » ، وأقل عدداً .

(٥) في الأصل ، وتـ : « الـحـازـمـ » ؛ وما أثـبـهـ من طـ ، وـ مـ ، وـ عـ .

(٦) في مـ : « استـغـنـىـ » .

(٧) في مـ : « ثـلـاثـ مـعـانـ » .

(٨) في مـ : « وـتـرـ » خطـاـ .

(٩) النمل / ٨٨ .

(١٠) في طـ : « الثـانـيـ » .

(١١) « تـعـالـىـ » سـقطـتـ من مـ .

(١٢) الجن / ١٩ .

(١٣) الجن / ٢٤ .

ابن يوسف^(١) إلى أخيه الملك العزيز عثمان^(٢) لما حضره في مدينة دمشق ، وانتزعها من يده ، وذلك في سنة اثنين^(٣) وتسعين وخمسماهية ؛ فقلت : وأنا أسأله بالرحيم التي أمر الله باتفاقها ، واتفاقها ، وتكلّل بالإسناء يوم القيمة لمن تكفل^[البيوم]^(٤) بإسقافتها . ولو لا كرامتها عليه لما^(٥) اشتَق لها اسمًا من اسمه . وقسمَ لواصلتها ببساط العمر والرُّزق للذين هم من^(٦) أفضلي قسميه . فلا يتركني^(٧) أنا وآة بقلب المتألم ، وأجهز بسان المتظلم . وعند ذلك أناضل^[بسهام]^(٨) الدعاء القاصدة ، وأحاكمه إلى صرعة البغي التي ليست عن الباغي براقدة . وأتمثل بقول الله تعالى^(٩) : إنَّ هَذَا أَخِي لَهْ تَسْعَ وَتَسْعُونَ نَعْجَةً وَلَيْ نَعْجَةً وَاحِدَةً . ويعزُّ على أن القاء بهذا القول الذي أنا فيه مكره غير مختار .

(١) الملك الأفضل أبو الحسن نور الدين على بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ؛ ولد بمصر ليلة عيد الفطر ٥٦٥ هـ ، وتسلط بمدينة دمشق ، ثم زال عنه سلطنه ، وتملك سميساط ، وأقام بها مدة ، وكان فيه عدل وحلم وكرم . توفي بسميساط فجأة في صفر ، ودفن بظاهر حلب بتربيته ٦٢٢ هـ . راجع سير أعلام النبلاء ٢١ / ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، وفيات الأعيان ٣ / ٤٢٠ و ٤٢١ ، البداية والنهاية ١٣ / ١٠٨ ، النجوم الزاهرة ٦ / ٢٦٣ .

(٢) العزيز عثمان صاحب مصر بن السلطان صلاح الدين الأيوبي ولد في جمادى الأولى ٥٦٧ هـ ، وتوفي ليلة السابع والعشرين من المحرم سنة ٥٩٥ هـ . سير أعلام النبلاء ٢١ / ٢٩١ ، ٢٩٤ ، النجوم الزاهرة ٦ / ١٢٠ ، الكامل ١٠ / ٢٥٥ .

(٣) في ت : « اثنين » خطأ .

(٤) الزيادة من ت ، وط .

(٥) في ت : « لَمَّا » خطأ .

(٦) « من » سقطت من ع .

(٧) في ط : « فلا يتركني » تصحيفا ؛ وفي ع : « فلا تتركني » .

(٨) ممحوقة في الأصل ، وما أثبته من ت ، وط ، وع .

(٩) في ت ، وط ، وع : « بقوله تعالى » .

وأنَّ^(١) كانَ من المحظورات^(٢) المُنْهَى عنها ، فالمحظور مُباح^(٣) [لِمُرْتَكِبِهِ]^(٤) عند الاضطرار .

هذا الفصل يشتمل على آيتين ، وخبرين من الأخبار النبوية ؛ وليس هذا موضع ذكر الأخبار ؛ لكن لا بدَّ من التنبيه عليها^(٥) . وأمَّا الآياتانِ : فإحداهما في سورة النساء^(٦) في قوله تعالى^(٧) : « وَأَتَقُوا اللَّهَ^(٨) الَّذِي تَسَاءلُونَ^(٩) يُوَالْأَزْحَامَ^(١٠) .

وأمَّا الأخرى ؛ ففي^(١١) سورة « ص » في قصة داود عليه السلام^(١٢) في قوله تعالى : « إِنَّ هَذَا أَخْيَ لَهُ تِسْعَ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلَيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً^(١٣) ». إلا أنَّ الآية التي في سورة النساء أخذَ معناها ، وهذه الآية التي في سورة « ص » أخذَ لفظها بعينه^(١٤) .

ومن هذا الضرب ما ذكرته في فصلٍ من كتاب إلى بعض الطغاة ، وهو : تذكير

(١) في ط ، وع : « ولان » .

(٢) في ت : « المحظورات » .

(٣) في ت ، وط ، وع : « ياح » .

(٤) ممحورة في الأصل ، وما أثبته من ت ، وط ، وع .

(٥) في ع : « عليه » .

(٦) في ع كتب الناسخ النمل ، وفوقها النساء ؛ ولم يضرب على إحداهما خطأ .

(٧) « تعالى » غير موجودة في ت .

(٨) في ت : « وَاتَّقُوا الَّذِي » ؛ وفي ط : « فَاتَّقُوا » .

(٩) في ت : « تَسَاءلُونَ » .

(١٠) النساء / ١ .

(١١) في ط : « والآخرى في » .

(١٢) في قصة داود عليه السلام « غير موجودة في ت .

(١٣) ص / ٢٣ .

(١٤) نهاية خرم وقع في ن بدها من قوله : « وكذلك الخادم ... في ص ٣٥٢ ؛ وفي م من قوله : « ومن هذا الضرب » في الصفحة نفسها أيضا .

الطاغي^(١) من سُلْطَنِ اللَّهِ الَّتِي خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ ، وَإِنْ عَسَرَ قُتْلُهُ عَمَّا جُبِلَتْ عَلَيْهِ فَطْرَةُ مِيلَادِهِ^(٢) ، وَقَدْ أَمْرَ مُوسَى بِتَذْكِيرِ فِرْعَوْنَ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَهِنْ ذِكْرَهُ ، بَلْ زَادَ إِلَى طُغْيَانِهِ طُغْيَانًا ، وَإِلَى كُفْرِهِ كُفْرًا . وَهَذَا الْكِتَابُ صَادَرَ إِلَى مَنْ أَخْذَنَهُ الْعَزَّةَ بِالْإِثْمِ ، وَأَضْلَلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ؛ الَّذِي ظَلَمَ نَفْسَهُ ، وَقَطَعَ غَرْشَهُ^(٣) ، وَأَخْذَ أَهْلَ^(٤) بَيْتَهُ بِسَالِفِ حُثُودِهِ ، وَكَانَ كَالسَّامِرِيُّ فِي عَبْدَةِ عِجْلِهِ وَعَاقِرِ النَّاقَةِ فِي ثَمُودِهِ^(٥) . وَلَا لَوْمَ عَلَى أَنْ جَهَزْتُ بِسُوءِ قُولِي لِمَنْ جَاهَرَنِي^(٦) بِحَقِيقَتِهِ ، وَكَلَّمْتُهُ بِلِسَانِي ؛ إِذْ كَلَّمَنِي بِسَيِّفِهِ .

فِي هَذَا الْفَصْلِ مَا هُوَ مَاخُوذٌ مِنْ عَدَّةِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ ؛ أَحَدُهَا^(٧) فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي قُولِهِ تَعَالَى : « وَإِذَا^(٨) قَلَّ لَهُ أَئْتُ اللَّهَ أَخْذَنَهُ الْعَزَّةَ بِالْإِثْمِ »^(٩) . وَالْأُخْرَى فِي سُورَةِ^(١٠) حِمَّ الْجَاثِيَّةِ فِي قُولِهِ تَعَالَى : « أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاءً وَأَضْلَلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ »^(١١) . وَالْأُخْرَى مِنْ سُورَةِ^(١٢) النِّسَاءِ فِي قُولِهِ تَعَالَى : « لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهَرُ بِالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ »^(١٣) .

(١) « الطاغي » سقطت من م .

(٢) فِي م : « ولاده » .

(٣) فِي ن : « عزمه » .

(٤) فِي الْأَصْلِ بِخَطَّ مُخْلَفٍ : « يَعْلَمُ » ؛ وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ت ، وَط ، وَم ، وَن ، وَع .

(٥) فِي ن : « ثَمُودٌ » .

(٦) فِي ط : « وجاهر لى » .

(٧) فِي ن : « إِحْدَاهَا » .

(٨) فِي ت : « فَإِذَا » .

(٩) الْبَقَرَةُ / ٢٠٦ .

(١٠) « سُورَةٌ » غَيْرُ مُوجَوَّدةٌ فِي ط .

(١١) الْجَاثِيَّةُ / ٢٣ .

(١٢) فِي ت : « فِي سُورَةٍ » .

(١٣) النِّسَاءُ / ١٤٨ .

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب إلى الملك العادل أبي بكر بن أبي أثرب^(١) جواباً عن كتاب ورده منه؛ يخبر أن فرقة من الفريج «خذلهم الله»^(٢) خرجنوا من وراء البحر لقصد البيت المقدس [حرس الله تعالى]^(٣) في سنة تسع وتسعين وخمسماة؛ ف جاءتهم في طريقهم حجارة من السماء؛ فأهلكتهم . فقتل في الجواب : والله [قد]^(٤) قد قذفهم بالأسوء من موضع التعلماء ، وأمطركهم بالحجارة بدلاً من الماء^(٥) ، وتلك سنته التي لا تحوّل ، وأيتها التي لا تزول^(٦) ، و فعل الآخُر الذي يبني^(٧) على فعله الأول . وقد أرسل أبایل^(٨) الطير على قاصدي بيته الحرام ، وجعل ذلك آية في الجاهلية وذكرى في الإسلام . وكذلك^(٩) أجرى منها^(١٠) على قاصدي بيته الذي سماه مقدسًا ، وجعله بعد تأسيس البيت^(١١) الحرام مُؤسسا ، ولو نجا^(١٢) هؤلاء من هذا^(١٣) العذاب للقوا من سيف مولانا

(١) الملك العادل ، ولد في بعلبك ٥٣٤ هـ ، وكان أصغر من أخيه صلاح الدين بعامين ، سيرته مع أولاد أخيه مشهورة ، فلم يزل يراوغهم ، ويلقى بينهم ؛ حتى دحاهم ، وتمكن واستولى على مالك أخيه ، توفي بعالقين في جمادي الآخرة ٦١٥ هـ . راجع سير أعلام النبلاء ٢٢ / ١١٥ وما بعدها ، وفيات الأعيان ٥ / ٧٤ ، النجوم الزاهرة ٦ / ١٦٠ .

(٢) «خذلهم الله» سقطت من نـ .

(٣) الزيادة من تـ ، وطـ ؛ وفي مـ ، ونـ ، وعـ : «حرس الله» .

(٤) الزيادة من تـ ، وـ .

(٥) في طـ : «السماء» تحريفاً .

(٦) في تـ : «لاتيـل» ؛ وفي نـ : «لاتزول» .

(٧) في تـ : «الآخر يبني على» ؛ وفي مـ : «يبني» ؛ وفي نـ ، وعـ : «يبني» .

(٨) في طـ : «أبـلـ» .

(٩) في مـ : «وكـنا» .

(١٠) في عـ : «مـلهـ» .

(١١) «البيـت» سقطت من نـ .

(١٢) في عـ : «نجـوا» .

(١٣) «هـذا» سقطت من تـ .

عَذَاباً ، وَمَسْخَهُمُ اللَّهُ بِذَبَابِهِ ذَبَابَاً ، حَتَّى لَقَدْ كَانُوا ^(١) يَعْدُونَ تِقْمَةَ الْحِجَارَةِ تُغْمَى ، وَيَرَوْنَ أَنَّهَا هِيَ الصُّغْرَى بِالنِّسْبَةِ إِلَى تِلْكَ الْعَظِيمَ ؛ فَإِنَّ فِي الشَّرِّ حِجَارَةً ، وَالْمُسْتَأْصِلُ بِالسَّيْفِ يَوْدُ لَوْ أَلْقَتِ السَّمَاءَ عَلَيْهِ أَخْجَارًا ^(٢) .

فِي هَذَا الْفَصْلِ مَا هُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ سُورَةِ الْفَيْلِ ^(٣) ، وَهُوَ ^(٤) قَوْلُهُ تَعَالَى :

﴿ وَأَزْسَلَ ^(٥) عَلَيْهِمْ طِينًا أَبَابِيلَ تَزَمِّلُهُمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ^(٦) ﴾ . وَفِيهِ مَا هُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الْأَخْبَارِ النَّبُوَيَّةِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا مِنْ بَابِهِ ، وَإِنَّمَا ^(٧) جَاءَ ضِمْنَاتٍ وَتَبَعًا . قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَوَّلُ بَيْتٍ وَضِيقَ لِلنَّاسِ الْمَسْجِدُ ^(٨) الْحَرَامُ ». فَقَيْلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ أَيُّ ? قَالَ : « الْبَيْتُ ^(٩) الْمُقَدَّسُ ». قَيْلٌ : كَمْ كَانَ بَيْتَهُمَا ؟ قَالَ : « أَرْبَعُونَ سَنَةً » ^(١٠) .

« وَمِنْ هَذَا التَّوْيِعِ مَا ذَكَرْتُهُ فِي وَصْفِ مَعرِكَةِ حَرَبِ ^(١١) ، وَهُوَ : فَأَرْسَلْنَا ^(١٢) عَلَيْهِمْ غَمَامَةً خَلِيلًا ، رَعَدَهَا ^(١٣) رَكْضُ ^(١٤) الْعَنَاقِ ^(*) ، وَبِرْقَهَا لَمْعُ الْبَيْضِ

(١) فِي تٰ : « حَتَّى كَانُوا » .

(٢) فِي مٰ : « حِجَارَةً » .

(٣) فِي طٰ : « الْفَيْلِ » تَصْحِيفًا .

(٤) فِي طٰ : « فِي قَوْلِهِ » .

(٥) فِي طٰ : « فَأَرْسَلْنَا » ؛ وَفِي مٰ : « وَأَرْسَلْنَا » .

(٦) الْفَيْل / ٣ و ٤ .

(٧) فِي مٰ : « وَإِنْ » .

(٨) فِي طٰ : « الْبَيْتِ » .

(٩) فِي مٰ : « الْمَسْجِدُ » .

(١٠) صَحِيحُ البَخْرَى / ٣ / ١٢٣١ / رَقْمُ ٣١٨٦ ، وَرَوَاهُتُهُ : ... الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى

(١١) فِي مٰ : « الْعَرَبُ » .

(١٢) فِي غٰ : « فَأَرْسَلْنَا » تَحْرِيفًا .

(١٣) فِي غٰ : « وَعَدَهَا » تَحْرِيفًا .

(١٤) فِي طٰ : « وَكَضَ » تَحْرِيفًا .

* وَفَرْسُ عَتْيَقٍ : رَاعِيْ كَرِيمٍ ، وَالْأَسْمَاءُ عَتْيَقٌ ، وَالْجَمْعُ عَتْيَقٌ . الْلَّسَانُ فِي (عَتْقٍ) .

الرِّفَاقَ . فَجَاءُهُمْ طَوْفَانٌ لَمْ تُغْنِ فِيهِ^(١) جِيلَةٌ وَلَا حَوْلٌ^(٢) . « وَلَا أَنْجَتُهُمْ مِنْهُ سَفِينَةٌ^(٣) . كَيْفَ ، وَكُلُّهُمْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ؛ فَأَغْرَقَهُمْ^(٤) بَحْرُ مِنَ الدَّمَاءِ ، لَمْ يَنْصُبْ^(٥) بِإِبْلَاعٍ^(٦) الْأَرْضَ وَلَا إِقْلَاعَ السَّمَاءِ .

وَهَذَا الْمَعْنَى مُأْخُوذٌ مِنْ سُورَةِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَقَيْلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَنَبَا سَمَاءَ أَقْلَعِي وَغَيْضَ^(٧) الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجَبُودِي وَقَيْلَ بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ »^(٨) .

وَمِنْ هَذَا النَّوْعِ^(٩) مَا ذَكَرْتُهُ فِي فَصْلٍ مِنْ كِتَابِ إِلَى بَعْضِ الْفُضَلَاءِ أَصِفُ^(١٠) فِيهِ فَصَاحَتَهُ وَبِلَاغَتَهُ ، وَهُوَ : قَدْ سُخْرَتْ لَهُ حِكْمَ الْبَيَانِ يَأْتِي بِأَعْجَبِهَا ، وَإِذَا^(١١) لَمْ يَنْظُفْ غَيْرُهُ إِلَّا^(١٢) بِوْحِشِيَّهَا ظَفَرَ هُوَ بِرِيشِهَا^(١٣) . فَهُوَ يَسْخَرُ^(١٤) بِالْفَاظِهِ ، وَلَا لَفْظٌ إِلَّا مَنْ سَحَرَ ، وَيَصُوَّرُ أَرْوَاحَ الْمَعْانِي وَالْمَعَانِي^(١٥) غَيْرُ الصُّورِ ، فَمَا أَبْرَزَ مِنْهَا مَعْنَى^(١٦) إِلَّا قَيْلَ : مَا هَذَا بَشَرًا^(١٧) إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ ، وَلَا خَلَاجًا^(١٨) مَحَاسِنَهُ عَلَى بَثَتِ فَكِيرٍ مِنَ الْأَفْكَارِ^(١٩) إِلَّا قَالَتْ : هَيْتَ لَكَ .

(١) فِي مِنْ : « لَمْ يَغْنِ فِيهِمْ » . (٢) فِي مِنْ : « جِيلَةٌ حَوْلٌ » تَعْرِيفًا .

(٣) مَا بَيْنَ عَلَامَتِ التَّصْبِيصِ سَقطَ مِنْ مِنْ . (٤) فِي عِنْدِهِمْ : « فَأَعْرَفُهُمْ » تَصْحِيفًا .

(٥) فِي طِنْدَنْ : « لَمْ يَصُفْ » . (٦) فِي مِنْ : « بِإِبْلَاعٍ » تَعْرِيفًا .

(٧) فِي مِنْ : « وَغَيْضَ » . (٨) هُودٌ / ٤٤ .

(٩) فِي الْأَصْلِ : « الْفَصْلِ » وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ تِنْ ، وَطِنْ ، وَمِنْ ، وَعِنْ .

(١٠) فِي مِنْ : « وَأَصْفَ » . (١١) فِي مِنْ : « فَلَادَا » .

(١٢) « إِلَّا » سَقطَ مِنْ عِنْ .

(١٣) فِي طِنْدَنْ : « بِرِيشِهَا » ؛ وَفِي مِنْ : « بِرِيشِهَا » ؛ وَفِي عِنْ : « بِرِيشِهَا » .

(١٤) فِي عِنْدِهِمْ : « وَهُوَ يَسْخَرُ » تَصْحِيفًا . (١٥) « وَالْمَعَانِي » غَيْرُ مُوجَودَةِ فِي طِنْدَنْ .

(١٦) « مَعْنَى » سَقطَ مِنْ مِنْ .

(١٧) يُوسُفٌ / ٣١ ، وَفِي الْأَصْلِ ، وَتِنْ ، وَمِنْ : « بَشَرٌ » ؛ وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ طِنْ ، وَعِنْ .

(١٨) فِي تِنْ : « خَلَاجٌ » . تَصْحِيفًا .

(١٩) فِي مِنْ : « وَالْأَفْكَارِ » .

في هذا الكلام معنى مأخوذ من سورة يوسف عليه السلام في قصته مع المرأة التي راودته عن [نفسه] ^(١) ، « وَغَلَقْتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَنِئْ لَكَ » ^(٢) ومن هذا النوع ما ذكرته في وصف حصار ، ونصب ^(٣) المنجنيق ، فقلت : ونصب ^(٤) المجانيق ^(٥) ؛ فألقت ^(٦) عصيّها وحجالها ، وصبت على أقطار البلد نكالها ، فسجدت لها الأسوار سجدة السحراء لفغل العصا ، ويادره بالإيمان لها ^(٧) مبادرة من أطاع وما عصى ؛ إلا أنّه لم يكن بإيمانها إلا بعد إذن الأحجار ، التي ما آذنت لمشيد إلا أخذت في البوار ، وخز من الأقطار ، وأصبح كشجرة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار .

في هذا الفصل ما هو مأخوذ من قصّة موسى عليه السلام مع السحررة ، وقد ورّد ذلك في القرآن في علية سور . وفيه ^(٨) ما هو مأخوذ من سورة إبراهيم عليه السلام ، وهو قوله تعالى : « وَمَثُلَ (٩) كَلْمَةً خَيْرَةً كَشْجَرَةً خَيْرَةً اجْتَثَتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ » ^(١٠) .

وقد ذكرت وصف المنجنيق ^(١١) في معنى غير هذا ^(١٢) ، فقلت : ونصب ^(١) في الجميع : « عن نفسها » ؛ وما أثبته من القرآن الكريم ؛ حتى يستقيم السياق .

^(٢) يوسف / ٢٣ . ويتبع هنا خرم وقع في نبدأ من ص ٣٥٧ .

^(٣) في ع : « ونصب » .

^(٤) في ت ، وم ، ون ، وع : « المنجنيق » .

^(٥) في ن : « وألقت » .

^(٦) في م : « لها بالإيمان لها » .

^(٧) في الأصل ، وت ، وع : « وفيها » ؛ وما أثبته من ط ، ون .

^(٨) ما بين علامتي التنصيص سقط من م .

^(٩) « ومثل » سقطت من م . ^(١٠) إبراهيم / ٢٦ .

^(١١) في الأصل : « وقد ذكرت وصف معنى المنجنيق » ؛ وما أثبته من ت ، ون ، وع ؛ وفي ط : « وقد ذكرت في وصف المنجنيق معنى غير هذا » .

^(١٢) في م : « في معنى هذا » .

المجانيق^(١) فأنشأ سُجْبًا^(٢) يُخْشى مَحْلُهَا^(٣) ، ولا يُزْجَى وَنَلَهَا ، فما سبقت إلى بَلَدِ حَنْ إِلَّا أَمَاثَهُ ، ولم تأتَهُ ، إِلَّا أَتَاهُ^(٤) أمرُ اللَّهِ ، إِذْ أَتَهُ ، فَهُنَّ تَبْثُ لِأَهْلِهِ كُلُّ أَمْرٍ مَرِيجٍ ، لَا كُلُّ^(٥) زوجٍ بَهِيجٍ . فَلَمْ تَرْلْ تَقْدِفُ السُورَ بِصَوْبِهَا الْمِنْزَارَ ، وَتَتَرْلُ عَلَيْهِ جِبَالًا مِنْ بَرَدٍ غَيْرَ أَنَّهَا مِنْ أَخْبَارِ .

فِي هَذَا الْكَلَامِ أَرْبَعَةُ مَعَانٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ : الْأَوَّلُ مِنْ سُورَةِ فَاطِرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتَبَرَّأَ سَحَابَةَ قَسْنَاهُ إِلَى بَلَدِ مَيْتٍ فَأَخْتَيَتْهَا بِالْأَرْضِ بَعْدَ مَوْرِيَّهَا كَذَلِكَ الشُّورُ »^(٦) . وَالثَّانِي^(٧) أَوَّلُ سُورَةِ التَّحْلِيلِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « أَتَى أَمْرُ اللَّهِ قَلَّا تَسْتَغْجِلُوهُ »^(٨) . وَمِنْ سُورَةِ يُونُسَ^(٩) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « أَتَاهَا أَمْرُنَا^(١١) أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنَّ لَمْ تَعْنَ بِالْأَمْسِ »^(١٢) . وَأَخْدُ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ سُورَةِ يُونُسَ^(١٣) فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَوَّلَى مِنْ أَخْنِيَّهُ مِنْ سُورَةِ التَّحْلِيلِ^(١٤) لِمَكَانِ قَوْلِهِ تَعَالَى :

(١) فِي ت ، وَم ، وَن ، وَع : « الْمَنَاجِيقُ » .

(٢) فِي ط : « سَحَنَا » تَصْحِيفًا . (٣) فِي ن : « طَلَهَا » .

(٤) فِي ط : « إِيَاهُ » تَحْرِيفًا . (٥) فِي م ، وَن : « وَكُلُّ » خَطَا .

(٦) فِي الْأَصْلِ ، وَط ، وَن : « وَهُوَ الَّذِي يَرْسِلُ الرِّيَاحَ » ؛ وَلَعِلَّهُ مِنْ سَهْوِ النَّاسِخِ ؛ حِيثْ تَدَخَّلُتْ آيَةُ سُورَةِ الرُّومِ مَعَ آيَةَ سُورَةِ فَاطِرٍ ؛ وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ت ؛ وَفِي م ، وَع : « وَهُوَ الَّذِي » .

(٧) فَاطِر / ٩ .

(٨) فِي ط : « الثَّانِي » ؛ وَفِي م : « وَالثَّانِي مِنْ أَوَّلِ » .

(٩) التَّحْلِيل / ١ .

(١٠) فِي الْأَصْلِ ، وَط ، وَم ، وَن ، وَع : « سُورَةُ هُودٍ » ؛ وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ت .

(١١) فِي الْأَصْلِ ، وَط ، وَن ، وَع : « فَلَمَا أَتَاهَا » وَلَعِلَّهُ مِنْ سَهْوِ النَّاسِخِ حِيثْ تَدَخَّلُتْ هَذِهِ الْآيَةُ مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ هُودٍ : فَلَمَا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَّهَا سَاقِلَهَا » ؛ وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ت ؛ وَفِي م : « فَلَمَا أَتَاهَا أَمْرُهَا جَعَلْنَا عَالِيَّهَا سَاقِلَهَا » .

(١٢) يُونُس / ٢٤ .

(١٣) فِي الْأَصْلِ ، وَط ، وَم ، وَن ، وَع : « سُورَةُ هُودٍ » ؛ وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ت .

(١٤) فِي م : « يُونُسُ » .

﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً ، وَكُذَلَّكَ فِعْلُ الْمَنْجِنِيقِ فِي الْأَسْوَارِ﴾^(١) . والثالث من سورة «ق» في قوله تعالى : «بَلْ كَذَبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءُهُمْ فَهُمْ فِي أَنْزِلٍ مُّرْبِيْجٍ»^(٢) و[في]^(٣) قوله تعالى : «وَالْأَرْضَ مَدَّنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ رَزْفَجٍ بَيْهِجٍ»^(٤) . والرابع من سورة التور في قوله تعالى : «وَيَنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ»^(٥) .

ومن هذا القسم ما ذكرته في فصل من فصول الكلام في معنى التوكيل ، وهو : ووثقت باللطاف الله التي^(٦) جعلت النار بزدا وسلاما ، «وبطن الحوت»^(٧) مُستقرةً في مقاماً . ولم أكن ممن كفر بياسه ، وضل^(٨) بإيانلاسه . فاللطاف الله لا يعرفها إلا من عرفة فوفاه^(٩) حقه ، ولم يكن ممن^(١٠) ضرب له مثلاً وئسي خلقه .

في هذا الفصل أربعة معانٍ من القرآن كالفصل الذي قبّله : الأول في قصة إبراهيم عليه السلام ، وقد تكرر ذكرها في عدّة سور ، والمعنى الثاني في سورة الصافات^(١١) في قصة يوئس عليه السلام في قوله تعالى : «فَأَنْتَمْهُمُ الْحُوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْبِحِينَ لَلَّيْثَ فِي بَطْلِيهِ إِلَى يَوْمِ يَعْثُونَ»^(١٢) . والمعنى

(١) في م : «بالأسوار» .

(٢) ق / ٥ .

(٣) الزيادة من م .

(٤) ق / ٧ .

(٥) النور / ٤٣ .

(٦) في ط : «الذى» خطأ .

(٧) ما بين علامتي التنصيص سقط من ن .

(٨) في م : «فطل» تحريفا .

(٩) في م : «وفاه» .

(١٠) في م : «ولم يكن له من» .

(١١) في م : «سورة والصفات» .

(١٢) الصافات / ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ .

الثالث من ^(١) سورة يوسف عليه السلام في قوله تعالى : « يا بني إدھبوا فتحسّسا ^(٢) من يوسف وأخيه ولا تأسوا من روح الله إله لا يتأس من روح الله إلا القوم الكافرون » ^(٣) . والمعنى الرابع من سورة يس في قوله تعالى : « وضرب لئا مثلاً ونبي خلقة قال من يُخفي العظام وهي زميم » ^(٤) .

وهذا الفصل يكفيك أيها المترشح لتعلم هذه الصناعة . ألا ترى إلى قصر مشيه ، وتقريب طرقه ، واختصار ألفاظه ، وهو ^(٥) مع ذلك منتظم من ^(٦) أربعة معان من القرآن [العظيم] ^(٧) حتى كأنه لا يزيد عليها ، ولا ينقص عنها ، وهذا إنما يستطيعه من آتا الله قدرة على التصرف في تناول المعاني من مظانها ، واقتاعها من معادينها ^(٨) .

ومن هذا القسم ما ذكرته في وصف كتاب ^(٩) وزاد عن ^(١٠) بعض الإخوان ، وهو : وزاد كتابه ، فطلع طلوع الصباح الساير ، على المذبح الحائر ؛ لا بل ^(١١) قديم قدوم البرء ^(١٢) على السقّم ، والثروة على العدم ؛ لا بل أضاء إضاءة النار للكليم ، وزاد ورود القميص ^(١٣) على وجه الكظيم ^(١٤) ؛ لا بل أقبل إقبال الحياة على

(١) في ت ، وط ، وع : « في سورة » .

(٢) في ع : « فتجسوا » تصحيفا .

(٣) يوسف / ٨٧ .

(٤) في ط : « في » .

(٥) « وهو سقطت من م » .

(٧) الزيادة من م .

(٨) في م : « واقتاعها معانها » تحريفا .

(٩) في ت : « وصف من كتاب » .

(١٠) في ط : « من » ؛ وفي ن : « كتاب عن » بسقوط : « ورد » .

(١١) « بل » سقطت من ط .

(١٢) في ع : « البر » تحريفا .

(١٣) في ن : « ورود الغيط » خطأ .

(١٤) يعقوب عليه السلام .

الأجساد ، والحيَاة^(١) على أَلْسِنَةِ الْجَمَادِ ، فَعَظُمَ موقُعُهُ أَنَّ السُّلْكِيُّدَانَ^(٢) بِالْيَدِ ، أو يَنْتَالَ^(٣) بِالنَّظَرِ ، أو يَعْدُ فِي الْآيَاتِ وَلَا^(٤) فِي السُّورَ ، أو يَقَالَ إِنَّهُ جَاءَ فِي حُسْنِيَّةِ إِحْسَانِيَّةٍ عَلَى قَدْرٍ ، أو يُوَصَّفَ بِأَنَّهُ ثَانِي الْمَطَرِ ، أو ثَالِثُ^(٥) الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ^(٦) « وَمِنْ هَذَا الْقَسْمِ مَا يَأْتِي ذَكْرُهُ^(٧) فِي ذَمِّ رَجُلٍ [مِنْ جُمْلَةِ]^(٨) كِتَابٍ كُتُبَتِهِ إِلَيْهِ ، فَقَلَّتْ : [إِذَا كَتَبَتْ]^(٩) مَثَالِهِ^(١٠) فِي كِتَابٍ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ بَنَاتُ وَزَادَانَ^(١١) ، وَحُرِّمَ عَلَيَّ أَنْ [يَأْتِيَ]^(١٢) . فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَا تَهَا مِنَ الْقُرْآنِ . وَهَذَا مَعْنَى^(١٣) غَرِيبٌ لِمَ أُسِيقَ إِلَيْهِ ، وَلَا جَاءَ بِهِ أَحَدٌ بِغَيْرِي^(١٤) »^(١٥) وَمَا يَنْخُرُطُ فِي هَذَا السُّلْكِ مَا أُورَدَتْهُ فِي صُدُورِ الْكُتُبِ مِنَ الْأَدْعِيَةِ ، وَقَدْ عَرَقْتَكَ فِيمَا تَقْدِمَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ أَنِّي أَنْشَأْتُ مَائَةً دُعَاءً ، وَأَوْدَعْتُ كَلَّاً مِنْهَا مَغْنَى^(١٦) آيَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ ، أَوْ خَبَرٌ^(١٧) مِنَ الْأَخْبَارِ النَّبُوَّيَّةِ ، أَوْ مَعْنَى بَيْتٍ سَائِرٍ .

(١) فِي ن : « الْحَيَاةُ » خَطَا .

(٢) فِي ن : « يَنْتَالُ » تَحْرِيفًا . وَالْإِذَالَةُ : الإِهَاةُ . الْلِسَانُ فِي (ذَلِيل) .

(٣) فِي ن : « يَطَالُ » تَحْرِيفًا . (٤) فِي ن : « لَا » .

(٥) فِي الأَصْلِ بِخَطٍ مُخْتَلِفٍ : « وَثَالِثٌ » ؛ وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ت ، وَط ، وَم ، وَن ، وَع .

(٦) يَقَابِلُ هَذِهِ الْفَقْرَةِ فِي ت ص ١٦٥ تَعْلِيْقُ نَصِّهِ : قَدْ هَذَا هَنْتَوْهُ عَظِيمَةٌ لِمَ يَلْقَى لَهَا بَالَهُ ؛ مَعَ أَنَّهُ مِنَ الْمُتَمَسِّكِينَ بِآدَابِ الشَّرِيفِ . . . مُحَرِّرُهُ طَاهِرٌ .

(٧) فِي ت ، وَط ، وَع : « مَا ذَكْرُهُ » .

(٨) فِي الأَصْلِ بِخَطٍ مُخْتَلِفٍ : « وَهُوَ كِتَابٌ » ؛ وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ت ، وَط ، وَع .

(٩) مَحْمُوَّةٌ فِي الأَصْلِ ؛ وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ت ، وَط ، وَع .

(١٠) الْمُتَّالِبُ : التَّيْوِبُ . فِي (ثَلِيل) .

(١١) وَبَنَاتُ وَزَادَانَ : دَوَابٌ مَعْرُوفَةٌ . فِي (وَرَد) .

(١٢) مَحْمُوَّةٌ فِي الأَصْلِ ؛ وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ت ، وَط ، وَع .

(١٣) فِي ط ، وَع : « وَهَذَا الْمَعْنَى » .

(١٤) مَا بَيْنَ عَلَامَتِي التَّصْصِيسِ سَقْطٌ مِنْ م ، وَن .

(١٥) « مَعْنَى » سَقْطٌ مِنْ ط .

(١٦) فِي الأَصْلِ ، وَع : « وَخَبَرٌ » ؛ وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ت ، وَط ، وَم ، وَن .

وأفردت لتلك الأدعية كتاباً يخصّها . وممّا ذكرته^(١) هُنَا دعاء^(٢) في صدر كتاب يتضمّن الهناء بِعَوْدِ أَمْرٍ بَعْدَ ذَهَابِهِ ، وهو : رَدَ اللَّهُ حِقْوَةَ إِلَى نِصَابِهَا ، وَخَصَّهُ من أَحْرَارِ الْمَعَالِي^(٣) بِمَلْكِ رِقَابِهَا ، وزانَ مُنَاقِبَهُ بِكُثْرَةِ ضرائِبِهَا وَعَدَمِ أَسْرَابِهَا ، وَجَعَلَهُ مِنَ الْأُسْرَةِ^(٤) الَّتِي تَفْخُرُ بِطَرِيفٍ^(٥) مَسَايِعِهَا لَا بَتْلِيدِ أَحْسَابِهَا . وَحَفِظَ سَمَاءَ مَجْدِهِ مِنْ شَيَاطِينِ^(٦) الْأَعْدَاءِ ، فَلَا يَخْتَطِفُ^(٧) مِنْهَا خَاطِفٌ إِلَّا تَبَعَّهُ ثَاقِبٌ^(٨) شَهَابِهَا ، وَجَمَعَ النَّاسَ عَلَى وُدُّهُ حَتَّى يَخْطُى مِنْ نَخَالِ^(٩) الْقُلُوبِ بِلَبَابِهَا^(١٠) ، وَمِنْ حَيْزَةِ^(١١) الْعُقُولِ بِتَعْجِبِ أَلَبَابِهَا .

فِي هَذَا الدُّعَاءِ^(١٢) مَعْنَى وَاحِدٌ مِنَ الْقُرْآنِ فِي سُورَةِ الصَّافَاتِ^(١٣) ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « إِنَّا زَيَّنَاهُ السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَافِرِ وَحِفْظَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيَقْذِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُخُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتَيْهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ »^(١٤)

(١) فِي ط : « دَغَاءٌ » تَصْحِيفاً .

(٢) فِي ت : « أَحْرَازٌ » تَصْحِيفاً ؛ وَفِي م : « أَحْرَازُ الْمَعَانِي » تَصْحِيفاً وَتَحْرِيفاً .

(٣) فِي ن : « السَّرَاةُ » خَطَا .

(٤) فِي ع : « بَطْرِيقٌ » تَصْحِيفاً .

(٥) فِي ط : « مَجْدُهُ بِشَيَاطِينِ » بِسَقْوَطِهِ مِنْ .

(٦) فِي ط : « فَلَا يَخْتَطِفُ » .

(٧) فِي ط يُشِيرُ سَهْمٌ إِلَى وُجُودِ كَلْمَةِ فِي الْهَامِشِ ؛ لِعَلَهَا « ثَاقِبٌ » ، وَلَكِنَّهَا غَيْرُ مُوجَودَةِ .

(٨) فِي الْأَصْلِ ، وَطِ ، وَمِ : « وَحْدَهُ » ؛ وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ تِ ، وَنِ ، وَعِ .

(٩) فِي ن : « مَخَالِيلٌ » خَطَا . وَنَخَالَ الْقُلُوبُ : النِّيَّاتُ الْخَالِصَةُ . الْلِسَانُ فِي (نَخَلٌ) .

(١٠) فِي ت : « بِلَبَابِهَا » تَصْحِيفاً .

(١١) فِي ن : « وَمِنْ خَيْرٍ » خَطَا .

(١٢) « الدُّعَاءُ » سَقَطَتْ مِنْ مِ .

(١٣) فِي م : « وَالصَّافَاتُ » فِي قَوْلِهِ .

(١٤) الصَّافَاتُ / ٦ ، ٩ ، ٨ ، ٧ ، ٦ ، ١٠ .

وَهُنَا دُعَاءً آخَرُ مِنْ هَذَا الْأَسْلُوبِ ، وَهُوَ : جَعْلُهُ اللَّهُ فِي اقْتِنَاءِ الْمَعَالِي مِنَ الْمُكْثِرِينَ ، وَخَلْدَ ذِكْرِهِ تَخْلِيدَ الْمُنْظَرِينَ ، وَأَخْضُرَهُ السَّعَادَةَ وَلَا جَعْلَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْمُخْضُرِينَ ، وَرَفَعَ مَكَانَهُ فَوْقَ النَّاسِ حَتَّى لَا يَكُونَ فِيهِ أَحَدٌ^(١) مِنَ الْمُمْتَرِينَ ، وَقَرَنَ النَّصْرَ بِمَسَاعِيهِ فَإِذَا نَزَّلَ بِسَاحَةِ قَزْمٍ فَسَاءَ صَبَاحَ الْمُنْذَرِينَ^(٢) .
هَذَا الدُّعَاءُ مِنْ غَرَائِبِ الْأَدْعَيْةِ ، وَلَا يَكُادُ^(٣) يَقُولُ مِثْلُهُ ؛ لَأَنَّ مَعَانِي^(٤) الْآيَاتِ
قَدْ جَاءَتِ فِي أَوَاخِرِ الْفِقْرِ كُلُّهَا عَلَى تَهْجِيجٍ وَاحِدٍ .

أَمَّا^(٥) الْفَقْرَةُ الْأُولَى : فَقَدْ قَوْلَهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ «ص» : ﴿قَالَ رَبُّ فَأَنْظِرْنِي
إِلَى يَوْمٍ يَعْتَشُونَ قَالَ فَإِنَّكَ^(٦) مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَغْلُومِ﴾^(٧) .
وَأَمَّا الْفَقْرَةُ الثَّانِيَةُ : فَقَدْ قَوْلَهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْصَّافَاتِ^(٨) فِي مَوَاضِعِ مِنْهَا
فِي قَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَأَمَّا الْفَقْرَةُ^(٩) الْثَّالِثَةُ : فَقَدْ قَوْلَهُ تَعَالَى فِي
سُورَةِ يُوْسُفَ^(١٠) : ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مَّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلْ^(١١) الَّذِينَ
يَقْرَئُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ^(١٢) لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ^(١٣) مِنَ

(١) فِي ط ، وَم ، وَن ، وَع : «أَحَدٌ فِيهِ» .

(٢) فِي ع : «الْمَذَنِينَ» تَعْرِيفًا .

(٣) فِي ع : «لَا يَكُادُ» .

(٤) فِي ع : «معانٍ» خَطَا .

(٥) «أَمَا» سَقَطَتْ مِنْ م .

(٦) فِي ط ، وَم : «إِنَّكَ» خَطَا .

(٧) ص / ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ .

(٨) فِي م : «الصَّافَاتِ» ؛ وَالْآيَاتُ هِيَ : ٥٧ ، ٧٣ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٥٨ .

(٩) «الْفَقْرَةُ» سَقَطَتْ مِنْ ع .

(١٠) فِي ن : «يَسْنَ» خَطَا .

(١١) فِي م : «فَاسَالَ» .

(١٢) «مِنْ قَبْلِكَ» سَقَطَتْ مِنْ ن .

(١٣) فِي ن : «فَلَا تَكُنَّ» .

الْمُنْتَرِينَ^(١) ، وأمّا الفقرة الرابعة ففي قوله تعالى في سورة الصافات^(٢) : «أَتَيْعَذِبَنَا يَسْتَغْجِلُونَ فَإِذَا نَزَّلَ بِسَاحِتِهِمْ^(٣) فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ^(٤) . وهُنَّا^(٥) دُعَاءً آخَرًّا من هذا الضرب ، وهو : أَدَمَ اللَّهُ سُلْطَانُ الْدِيَوَانِ الْعَزِيزُ النَّبُوَيُّ ، وَأَغْلَى لَهُ أَمْرًا ، وَرَفَعَ^(٦) لَهُ ذِكْرًا ، وَأَرْسَلَ رَسْلَ جَدَوِهِ تَتَرَى ، وَخَلَقَ لَهُ مِنَ الْمَعَالِي نَسَبًا وَصِهَرًا ، وَدَوَّنَ مَدَائِحَ أَحْسَابِهِ قُرْآنًا ؛ إِذَا دُوَّنَتِ الْأَحْسَابُ شِغَرًا . وَأَخْدَمَهُ مِنْ مَطَابِي الدَّهْرِ بِيَضَّا وَسُودَا وَمِنْ مَقَالِيدِ النَّصْرِ بِيَضَّا وَسُمَرَا^(٧) ، وَأَرَاهُ فِي أَعْدَاءِ دُولَتِهِ مَا يُقَالُ مَعَهُ إِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَا قَيْصَرٌ ، وَإِذَا^(٨) هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى^(٩) .

في هذا الدُّعَاءِ مِنْ معانِي القرآنِ معنِيَانِ : [أَحَدُهُما فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالثَّانِي فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ]^(١٠) . الأوَّلُ^(١١) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتَرَا^(١٢) » . والثَّانِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَهُوَ^(١٣) الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ

(١) يُونِس / ٩٤ .

(٢) فِي م : « الصَّافَاتِ » ؛ وَفِي ن : « فِي سُورَةِ صِنْيَادِيلٍ » خطأ .

(٣) فِي الأَصْلِ بِخَطٍ مُخْتَلِفٍ : « جَاصِبَاهُمْ » ؛ وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ت ، وَط ، وَم ، وَن ، وَع .

(٤) الْصَّافَاتِ / ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٥) فِي م : « وَهُنَّا » .

(٦) فِي ع : « وَدَفَعَ » تحرِيفًا .

(٧) فِي م : « وَحْمَرًا » .

(٨) فِي ع : « فَإِذَا » خطأ .

(٩) « فَلَا كَسْرَى » سَقَطَتْ مِنْ م .

(١٠) فِي الأَصْلِ ، وَط ، وَم ، وَن ، وَع : « كَلَامُهَا فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ » خطأ ؛ وَمَا أَثْبَتَهُ بَيْنَ الْمَعْقُوفَيْنِ مِنْ ت .

(١١) فِي ت : « فَالْأَوَّلُ » .

(١٢) الْمُؤْمِنُونَ / ٤٤ .

(١٣) فِي م : « هُوَ » ؛ وَفِي ن : « فِي قَوْلِهِ وَهُوَ » .

َسَبَا وَصَهْرًا ﴿١﴾ . « وفيه حديث من الأحاديث النبوية ، وهو قوله ﷺ : إذا هلك فتضر فلا تضر بعده ^(٢) ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده » ^(٣) .

ويتنظم بهذا الدعاء دعاء آخر ، وهو : أَوْحَدَ ^(٤) اللَّهُ مَسَايِّعِ الْمَجْلِسِ السَّابِقِ وَشَرَعَ لَهُ مِنْهَا شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاهًا ، وَخَلَقَ مَحَامِدَ أَفْعَالِهِ أَزْوَاجًا وَضَرَورَ مَجْدَهِ فِي سَمَاءِ الْمَعَالِي سِرَاجًا ، وَنَاجَاهُ مِنْ طُورِ السَّعَادَةِ حَتَّى يَظْلَمَ مِنْهَا مُنَاجِيًّا . وَلَا أَغْلَقَ دُوَبَهُ مِنَ الْمَطَالِبِ رِتَاجًا وَأَغَذَبَ عِيشَةً حَيَاتِهِ ؛ إِذَا كَانَ الْعِيشُ مِلْحًا أَبْجَاجًا .

في هذا الدعاء معاني أربع آيات من القرآن . أحدها في ^(٥) سورة المائدة ^(٦) في قوله تعالى : « لِكُلٍّ ^(٧) جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاهًا ^(٨) » ^(٩) ، والآخر ^(١٠) في سورة النَّبَا ^(١١) في قوله تعالى : « وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ^(١٢) » ، والثالث ^(١٢) في هذه السورة أيضًا ، والرابع في عدّة سور من القرآن [العزيز] ^(١٣) .

(١) الفرقان / ٥٤ . (٢) في ع : « من بعده » .

(٣) ما بين علامتي التصيص سقط من ط ، و م ، و ن . والحديث في البخاري / ٢٤٤٥ / رقم ٦٢٥٤ ، وفي سنن الترمذى / ٤ / ٤٩٧ / رقم ٢٢١٦ ، وفي مسنـد أـحمد / رقم ٩٩٥ / رقم ٢٠٩٧٧ ، وفي المعجم الكبير للطبرانى / ٢ / ٢١٣ / رقم ١٨٧١ .

(٤) في ن ، و ع : « أوجـدـ » . (٥) في ط : « من » .

(٦) في الأصل ، و ن ، و ع : « الأنعام » خطأ ؛ وما أثـبـتهـ منـ تـ ، وـ طـ ، وـ مـ .

(٧) في م ، و ع : « ولـكـلـ » خطأ .

(٨) « مـنـكـ » سقطـتـ منـ طـ .

(٩) المائدة / ٤٨ .

(١٠) في ط : « والأخرـى » . (١١) في الأصل ، و ط ، و ع : « النازـعـاتـ » ؛ وفي ن : « سـوـرـةـ عـمـ » خطـأـ ؛ وما أثـبـتهـ منـ تـ ، وـ مـ .

(١٢) النـبـا / ٨ ، والمعنى الثالث في الآية ١٣ في قوله تعالى : « وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهـاجـاـ .

(١٣) الزيادة من ط ؛ والآيات المشار إليها في قوله تعالى : « وَنَادَنَاهُ مِنْ جَانِبِ الْطَّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَبَنَاهُ تَجْيَأً ^(١) » [مريم / ٥٢] ، « وَيَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَذَّوْكُمْ وَوَأَعْدَنَاكُمْ جَانِبَ الْطَّورِ الْأَيْمَنِ وَتَرَنَا عَلَيْكُمُ الْمَنْ وَالسَّلْوَى ^(٢) » [طه / ٨٠] ، و « وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْطَّورِ إِذْ نَادَنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَنَّهُمْ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ^(٣) » [القصص / ٤٦] .

الفصل الثالث

في حل الأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ

الفَضْلُ التَّالِثُ ^(١)

فِي حَلِّ الْأَخْبَارِ النَّبِيَّةِ

والخطب في حفظ الأخبار غير الخطب في حفظ القرآن ، وذلك ^(٢) لأن الأخبار لا حاصل لها ، ولا ضابط ، ولا ينبغي ^(٣) لصاحب هذه الصناعة أن ^(٤) يقتصر على حفظ الصحيح منها الذي ثبت ^(٥) صحته ؛ بل يحفظ ^(٦) الصحيح ، وغير الصحيح ^(٧) طليبا للاستكثار من المعانى التى تتضمنها ^(٨) الحوادث الطارئة ، والواقع المتجلدة . وقد أكثرت الوصيّة فى هذا ^(٩) فيما تقدم . ومن لم تتبّعه نجحزة طبعه ؛ لم تتبّعه ^(١٠) قوارع سمعه :

وَالسَّيْفُ مَا لَمْ يَلْفَ فِيهِ صَيْقَلٌ

مِنْ سِنْخِهِ لَمْ يَتَنَقَّعْ بِصَقَالٍ ^(١١)

(١) « الفضل الثالث » سقطت من ط .

(٢) في ت : « وذلك » .

(٣) في ن : « ألا » .

(٤) في م : « ثبت » ؛ وفي ن : « ثبت » .

(٥) في م : « الحفظ » تحريفا .

(٦) « وغير الصحيح » سقطت من ت .

(٧) في م : « يتضمنها » .

(٨) في ط : « بهذا » .

(٩) في م : « يتبّعه » ؛ وفي ن : « ومن لم يتبّعه بخيرة طبعه لم تتبّعه » وهى عبارة أصابها التصحيف والتحريف .

(١٠) البيت من الكامل فى ديوان أبي تمام ١٤٥/٣ ق ١٣٠ ؛ وروايته :

..... من طبعه

وفي صبح الأعشى فى صناعة الإناثا ١/٢٢٠ . السفح : الأصل من كل شيء

وإذا أحوجك الفرس إلى تحريلك^(١) سوطه وعنانه ؛ فإنه لا يبلغ الغاية من^(٢)

ميدانه . . .

واعلم أن حل الأخبار النبوية كحل آيات القرآن في انقسامها إلى قسمين أحدهما أن يؤخذ بعض اللفظ ، فيجعل أولاً لكلام^(٣) أو آخرًا ، والآخر أن يؤخذ المعنى وحده ، ويتصير فيه بوجوه التصرفات . وقد أوردت لك هنـا ما تجعله^(٤) لوزرك مساغا ، ولزادي^(٥) بلاغا .

« فمن ذلك ما ذكرته في دم الشئيب ، وهو : المشيب إعدام لا يسار ، وظلم لا أنوار^(٦) ، وهو الموت الأول الذي يضلى نازا من الهم أشد وقودا من النار . ولئن قال قوم : إنَّه جلاله ؛ فإنَّهم دقوا به وما جلو ، وأفتو في وصفه بغير علم فضلوا وأضلوا^(٧) . وما أرأه إلا محراها للعمر ، ولم تدخل آلة الحرب دار قوم إلا ذلوا . ومن عجيب شأنه أنه المملوك الذي يُشفق من بعديه ، والخلوق الذي يُنكِّره نزع^(٩) بزده ، ولما^(١٠) فقد الشباب ، كان عنه عوضا ؛ ولا عوض عنـه في فقدمه . في هذا الكلام معينان من الأخبار النبوية : أحدهما قوله صلى الله عليه وسلم : إنَّ الله لا يُفْيِضُ العِلْمَ انتِراغاً يُنْتَرِعُهُ مِنَ النَّاسِ ، ولَكِنْ يُفْيِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ ،

(١) في ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « إلى حركة » .

(٢) في ط : « الغرض من » ؛ وفي ن : « الغاية في » .

(٣) في ط : « للكلام » .

(٤) في ع : « ما يجعله » خطأ .

(٥) في ن : « ولذكرك » .

(٦) في ط : « وظلم لأنوار » تحريفا .

(٧) « الذي » سقطت من ط .

(٨) « وأضلوا » غير موجودة في ط ؛ وتتجدد إشارة نحو الهاشم لعلها تشير إليها .

(٩) في ط : « من نزع » . . .

(١٠) في ط : « لـما » .

حَتَّى إِذَا لَمْ يُئْتِيْ عَالِمًا ، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا ؛ فَسَلَّلُوا ؛ فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَضَلَّلُوا ، وَأَضَلُّوا ^(١) . [و [^(٢) الْآخِرُ أَنَّ النَّبِيَّ رَأَى اللَّهَ حَرِثًّا ؛ فَقَالَ : مَا دَخَلَتْ هَذِهِ دَارَ قَوْمٍ إِلَّا ذَلُّوا ^(٣)]]

وَمِن ^(٤) ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ فِي فَصْلٍ مِنْ فَصُولِ الْكَلَامِ ، يَتَضَمَّنُ الْحَثَّ عَلَى الصِّدَقَةِ ، وَهُوَ : لَيْسَ الصِّدَقَةُ لِمَنْ مَرَدَثَ عَلَى الْمَسَأَةِ نَفْسَهُ ، حَتَّى صَارَ فِيهَا لَحُونَخَا ، [وَكَلَمَتِ ^(٥) الْمَطَالِبُ وَجْهَهُ ؛ حَتَّى أَصْبَحَتْ فِيهِ كُدُوْخَا ^(٦) . إِنَّمَا الصِّدَقَةُ لِمَنْ قَمَصَهُ ^(٧) الْفَقْرُ لِبَاسًا [فَسْتَرَهُ ^(٨) ذَلِكَ الْلِّبَاسُ ، وَكَانَ لَا يَقْطَنُ بِهِ ؛ فَيَتَصَدَّقُ عَلَيْهِ ، وَلَا يَقُومُ [فَيَسَّأُ ^(٩)] الْنَّاسُ .

وَهَذَا مَا خُوْدُ مِنْ مَوْضِعَيْنِ مِنَ الْأَخْبَارِ النَّبُوَّةِ : الْأَوَّلُ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْمَسَائِلُ كُدُوْخٌ يُكَدِّحُ بِهَا الْمَزَهُ وَجْهَهُ ؛ إِلَّا أَنْ يَسَّأَلَ ذَا سُلْطَانِ ^(٤) ، أَوْ فِي

(١) سنن الترمذى ٥ / ٣١ / رقم ٢٦٥٢ ، و صحيح مسلم ٤ / ٢٠٥٨ / رقم ٢٦٧٣ ، والبخارى ١ / ٥٠ / رقم ١٠٠ ، وسنن ابن ماجه ١ / ٢٠ / رقم ٥٢ ، ومسند أحمد ٢ / ١٩٠ / رقم ٦٧٨٧ .

(٢) الزيادة من ط .

(٣) نهاية خرم وقع في م ، ون من قوله في الصفحة السابقة : « فَمِنْ ذَلِكَ ... ؛ وَالْحَدِيثُ فِي الْبَخَارِيِّ ٢ / ٨١٧ / رقم ٢١٩٦ وَرَوْيَاهُ : لَا يَدْخُلُ هَذَا بَيْتٌ قَوْمٌ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْذَلِيلُ . وَالْمَعْجمُ الْأَوْسَطُ ٨ / ٣٧٦ / رقم ٨٩٢١ . »

(٤) فِي ن : « فَمِنْ » .

(٥) غَيْر مَقْرُوْعَةٌ فِي الْأَصْلِ ؛ وَفِي ط : « وَكَلَمَتِ ^(٦) خَطَا ؛ وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ت ، وَم ، وَن ، وَع . »

(٦) الْكُدُوْخُ : الْخُدُوشُ . وَكُلُّ أَثْرٍ مِنْ خَدْشٍ أَوْ عَفْسٍ فَهُوَ كُدُوْخٌ . الْلِسَانُ فِي (خ د ش) .

(٧) فِي ن : « قَعْدَهُ » تَحْرِيفًا .

(٨) فِي الْأَصْلِ ، وَت ، وَم ، وَن ، وَع : « فَسْتَرَ » ؛ وَمَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَيْنِ مِنْ ط .

(٩) فِي ت : « يَسَّأَلُ السُّلْطَانَ » .

أَنْرُ لَا يَجِدُ مِنْهُ بُدًّا^(١) . وَالثَّانِي قَوْلُهُ^(٢) ،^(٣) : لَيْسَ الْمِسْكِينُ مِنْ تَرْدَدَهُ الْلُّقْمَةُ
وَاللُّقْمَتَانِ ، وَالثَّمَرَةُ وَالثَّمَرَتَانِ ؛ إِنَّمَا^(٤) الْمِسْكِينُ مِنْ لَا يَجِدُ غَنِيَّةَ^(٥) ،
وَلَا يُفْطِنُ بِهِ ؛ فَيَتَصَدَّقُ عَلَيْهِ ، وَلَا يَقُولُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ^(٦) .

فَانظُرْ كَيْفَ تَسْوِزُتْ عَلَى^(٧) هَذِينَ الْخَبْرَيْنِ^(٨) ، وَأَخْذَتْ الْمَعْنَى مِنْهُمَا ، ثُمَّ
إِنَّ صَفْتَهُ^(٩) فِي هَذِهِ الْأَسْجَاعِ التِّي تُشْرِقُ فِي جُوَانِبِ الْأَسْمَاعِ . وَأَوْدَغَتْهُ هَذِهِ
الْفَقْرَ^(١٠) التِّي الْأَذْهَانُ إِلَيْهَا فَقِيرَةً ، وَلِلْبَصَائِرِ^(١١) مِنْهَا بَصِيرَةً .

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ مَا ذَكَرْتُهُ فِي صَدِيرِ كِتَابِ إِلَى الْدِيَوَانِ الْعَزِيزِ النَّبَوِيِّ بِيَغْدَادَ^(١٢) ،
وَهُوَ : الْخَادِمُ يَبْدأُ كِتَابَهُ بِتَمْجِيدِ^(١٣) الْمَوَاقِفِ الْمَقْدَسَةِ التِّي لَهَا مِنْ أَوَّلِ^(١٤) كُلِّ
كِتَابٍ مَكَانُ الْبِسْمَةِ ، وَمِنْ آخِرِهِ مَكَانُ الْحَمْدَةِ . وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَ كَالْيَدُ الْجَذَاءُ ،

(١) سنن أبي داود / ٢ / ١١٩ / رقم ١٦٣٩ ، وسنن النسائي / ٥ / ١٠٠ / رقم ٢٥٩٩ ،
وصحیح ابن حبان / ٨ / ١٩٠ / رقم ٣٣٩٧ ، ومسند أحمد / ٥ / ٢٢ / رقم ٢٠٢٧٨ باختلاف في
الرواية .

(٢) في ت : « قول النبي » .

(٣) ما بين علامتي التنصيص سقط من م .

(٤) في ط : « إنما » .

(٥) في ن : « غنى نفسه » ؛ وفي ع : « غنى بعينه » تحريفاً .

(٦) صحيح البخاري / ٢ / ٥٢٨ / رقم ١٤٠٩ ، وصحیح مسلم / ٢ / ٧١٩ / رقم ١٠٣٩ ،
وصحیح ابن حبان / ٨ / ١٣٩ / رقم ٣٣٥٢ باختلاف في الرواية .

(٧) « على » سقطت من م .

(٨) في م : « الجريين » تحريفاً .

(٩) في ت ، وط ، وع : « صفتة » .

(١٠) في م : « الفقرة » .

(١١) في ن : « البصائر » .

(١٢) « بيَغَدَادَ » سقطت من ط .

(١٣) في ط ، وم : « بِتَحْمِيدٍ » .

(١٤) « أَوَّلَ » سقطت من ع .

أو كالكلمة^(١) المعجماء ، ولا تقبل صلاة بغير تطهير . ولا يتم افتتاحها بغير تكبير . وقد تفأله الخادم ينبعج طلابه ؛ إذ تيئن بذلك في صدر [كتابه]^(٢) ؛ فإن تقديم
الوسيلة قبل الاقتراح من أوكد الأسباب [في]^(٣) تسهيل النجاح^(٤)

في هذا الكلام معنى خبرين من الأخبار [البوية]^(٥) : الأول قول النبي ﷺ :
كُلُّ كَلَامٍ^(٦) لَا يَتَدَأَ فِيهِ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ^(٧) فَهُوَ كَالْيَدُ الْجَذْمَاءُ^(٨) ، وَالثَّانِي^(٩) قول النبي
ﷺ : إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِلُ صَلَاتَ^(١٠) يَغْيِرُ طَهُورَ^(١١)

ومن هذا النوع ما ذكرته في فصل من كتاب ، وهو^(١٢) : لو كنت جازا المولانا
لما أقدمت على صروف الأيام . ولا نظرت إلى إلا بعين الإجلال والإعظام ،
ولكنني بعدت عن داره ؛ فأخذت مئى بالتأصيبة ، وقرستني^(١٣) ؛ وللذئب^(١٤) من
الغمِّ القاصية .

(١) في ت : « وكالكلمة » .

(٢) في الأصل يخط مختلف : « كتاب له » ؛ وفي ن : « لذلك في صدر كتابه » ؛ وما أثبته
من ت ، وط ، وم ، وع .

(٣) مصحوة في الأصل ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٤) في ن : « الطلاب » .

(٥) الزيادة من ت ، وط ، وع .

(٦) في ط : « كل كلام ذي شأن » .

(٧) في م : « لَا يَدَأُ فِيهِ بِحَمْدِ اللَّهِ » ؛ وفي ع : « بالحمدلة » .

(٨) سنن أبي داود ٤/٢٦١ / رقم ٤٨٤٠ و ٤٨٤١ وروايته : كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله
 فهو أجدم ، وسنن الترمذى ٣/٤١٤ / رقم ١١٠٦ ، وصحیح ابن حبان ٧/٣٦ / رقم ٢٧٩٧
باختلاف في الرواية .

(٩) في ط : « الثاني » .

(١٠) في ن : « لَا يَقْبِلُ اللَّهُ صَلَاتَهُ » .

(١١) صحيح سلم ١/٢٠٤ / رقم ٢٢٤ ، وابن حبان ٤/٦٠٤ / رقم ١٧٠٥ ، وصحیح
ابن خزيمة ١/٨ / رقم ٨ .

(١٢) « وهو سقطت من ع .

(١٣) في ع : « فرسنتي » .

(١٤) في ط : « والذئب » تحريفا .

في هذا الفصل معنى من الأخبار النبوية وهو قول النبي ﷺ : يَدُ اللَّهِ عَلَى
الْجَمَاعَةِ ، وَمَنْ شَدَّ شَدًّا إِلَى التَّارِ ، وَإِنَّمَا لِلنَّثِيبِ^(١) مِنَ الْعَقْمِ الْفَاقِيْهَ^(٢) .

« ومن هذا الضرب ما ذكرته في صدر كتاب ، وهو : الخادم يفتح كتابه بالدعاء الصالح الذي لا يزال لقلبه^(٣) زميلا ، وللساني رسيلا ، وإذا رفع أدنه الملاكية فربما ؛ إذا تباعدت عن غيره ميلا . ولا اعتداد بالدعاء إلا إذا صدر عن أكرم مضرير ، ووْجَدَ^(٤) له فوق السماء مظهرا ، وإن لم يكن هناك من^(٥) مظهر ، ووصف باطنته بأنَّه الأبيض الناصع الذي هو خيرٌ ممَّن^(٦) ظاهروه أشعثُ أَغْبَرَ . ولا يُعاملُ الخادم أهلَ وُدُّه [إلا^(٧)] بمثيل هذه المعاملة . ومن خُلُقِه المجازفة في^(٨) بذلِ الموَدَّةِ ، [إذا أَخَذَ^(٩)] النَّاسُ بِسْتَهُ الْمُكَابِلَةَ .

في هذا ما هو مأخوذٌ من الخبر النبوى وذا [كَ أَنَّهُ]^(١٠) قال ﷺ : إذا كَذَبَ ابْنُ آدَمَ تَبَاعَدَ عَنْهُ الْمَلَكُ مِيلًا مِنْ تَنَنَ [رِيحَهُ]^(١١) .

ومن هذا الضرب ما ذكرته في فصلٍ من كتاب يتضمنُ عنايةً ببعض^(١٢)

(١) في م : « الذئب » تحريفا .

(٢) سنن الترمذى ٤/٤٦٦ ، ٢١٦٧ ، والمستدرك على الصحيحين ١/١٩٩ / رقم ٣٩١ ، ١/٣٣٠ / رقم ٧٦٥ ، والمعجم الكبير ١/١٨٦ / رقم ٤٨٩ باختلاف في الرواية .

(٣) في ط : « قبلته » . (٤) في ط : « وجد » .

(٥) « من » سقطت من ع . (٦) في ت : « من » .

(٧) الزيادة من ت ، وط ، وع . (٨) في ط : « على » .

(٩) ما بين المعقوفين ممحو من الأصل ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وع .

(١٠) ما بين المعقوفين ممحو من الأصل ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وع .

(١١) مابين علامتي التصيص سقط من م ، ون ؛ وما بين المعقوفين ممحو من الأصل ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وع . والحديث في سنن الترمذى ٤/٣٤٨ / رقم ١٩٧٢ وروايته : إذا كذب العبد تباعد عن الملك ميلا من تنان ما جاء به ، وفي الترغيب والترهيب ٣/٣٦٩ / رقم ٤٤٦٣ .

(١٢) في م ، ون : « بشخص من الفقراء » .

القراء ، وهو : وقد ^(١) جعلَ اللَّهُ النَّصْرَ وَالرِّزْقَ مِنْ وَطَنِيْنِ بِالْإِحْسَانِ إِلَى [الْفَقِيرِ] ^(٢) الْضَّعِيفِ ، فَمَنْ شَاءَ [أَنْ] ^(٣) يَخْظُلَ بِهِذِينَ الْأَمْرِيْنِ ^(٤) فَلْيَرْضُخْ لَوْ بِالْقَدْرِ الطَّفِيفِ ؛ وَقَدْ عُلِّمَ أَنَّ النَّارَ تَتَّقَى بِشَيْقَنَ تَمَرَّةً ، وَمَا سَدَ رَمَقًا فَلَا يُطْلُقُ عَلَيْهِ اسْمُ قِلَّةً وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَوْصُوفًا بِكَثْرَةً .

فِي هَذَا الْكَلَامِ مَعْنَيَانٌ مِنْ مَعْنَيِ الْأَخْبَارِ [النَّبِيَّةِ] ^(٥) أَحَدُهُمَا : قَوْلُ الشَّيْءِ اللَّهُ^{عَزَّوَجَلَّ} : ابْغُونِي ضُعْفَاءَكُمْ ؛ فَإِنَّمَا تَتَّصَرُّوْنَ ، وَتَرْزُقُونَ ^(٦) بِضُعْفَائِكُمْ ^(٧) . وَالآخَرُ قَوْلُهُ اللَّهُ^{عَزَّوَجَلَّ} : مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ رَبُّهُ كِفَاحًا ، لَيْسَ بِيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجَمَانُ ، فَيُنَظِّرَ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ ، وَيُنَظِّرُ أَشَأْمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ ، وَيُنَظِّرُ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ . فَاقْتَلُوا النَّارَ وَلَوْ بِشَيْقَنَ تَمَرَّةً ^(٨) .

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ مَا ذَكَرْتُهُ فِي وَصْفِ كَلَامِ فِي ^(٩) جَمْلَةِ كِتَابٍ كَتَبْتُهُ إِلَى بَعْضِ الْإِخْرَانِ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ ، وَهُوَ : وَمَا اسْتَارَ ^(١٠) مِنْ مَغْدِنِ فَصَاحِبِهِ لَفْظًا إِلَّا أَتَى بِهِ

(١) فِي ت ، وَم ، وَن : « قَد » .

(٢) الْزِيَادَةُ انْفَرَدَتْ بِهَا م .

(٣) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَيْنِ مَمْحُوْ مِنَ الْأَصْلِ ؛ وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ت ، وَط ، وَم ، وَن ، وَع .

(٤) فِي ط : « الْأَ... » وَيَقِي الْكَلْمَةِ مَمْحُوْ .

(٥) الْزِيَادَةُ مِنْ ط ، وَم

(٦) فِي ن : « تَرْزُقُونَ وَتَتَّصَرُّوْنَ » .

(٧) سِنَنُ التَّرمِذِيِّ ٤/٢٠٦ /رَقْم١٧٠٢ ، وَبِالْبَخَارِيِّ ٣/١٠٦١ /رَقْم٢٧٣٩ ، وَابْنِ حَبَّانَ ١١/٨٥ /رَقْم٤٧٦٧ ، وَمَسْنَدُ أَحْمَدَ ٥/١٩٨ /رَقْم٢١٧٧٩ بِاِخْتِلَافٍ فِي الرِّوَايَةِ .

(٨) الْبَخَارِيِّ ٦/٢٧٢٩ /رَقْم٧٠٧٤ ، وَمُسْلِم٢/٧٠٣ /رَقْم١٠١٦ ، وَسِنَنُ التَّرمِذِيِّ ٤/٦١١ /رَقْم٢٤١٥ ، بِاِخْتِلَافٍ فِي الرِّوَايَةِ وَجِمِيعُهَا لَمْ تَرُدْ فِيهَا كَلْمَةً « كِفَاحًا » . وَكِفَاحًا : مَوْاجِهَةٌ .

(٩) فِي ط : « فِي » ، وَكَتَبَ التَّاسِخُ فَوْقَهَا « مِنْ » وَلَمْ يَضْرِبْ عَلَى إِحْدَاهِمَا ؛ وَفِي م ، وَن : « مِنْ » .

(١٠) فِي الْأَصْلِ : « اسْتَارَ » ؛ وَفِي ع : « اشْتَارَ » ؛ وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ت ، وَط ، وَم ، وَن .

زوجاً ولم يأتِ به فَرْذاً ولا استولدَ بنتَ فكره معنى إلا^(١) جاءتِ به أَصْنِيْبَ أَثْيَّجَ^(٢) ، ولم تأتِ به أَوْرَقَ جَفْداً ، فَالْفَاظُهُ ذُواْثٌ إِخَاءٌ فِي اسْتِخْرَاجِهَا ، وَمَعْنَاهُ بَنَاتٌ رِشْدَةٌ فِي اسْتِتَاجِهَا ، فَلَهُذِهِ صَحَّةٌ^(٣) النَّسْبُ فِي اعْتِزَازِهَا . ولِتَلِكَ زِنَّةٌ^(٤) الأَسْجَاعُ فِي اعْتِدَالٍ أَجْزَائِهَا

وهذا الفصلُ من أَغْرِبِ مَا يَأْتِي فِي هَذَا الْبَابِ . وَفِيهِ مَعْنَى وَاحِدٌ مِنَ الْأَخْبَارِ النَّبِيَّةِ^(٥) وَهُوَ مَا وَرَدَ فِي قَصْةِ هِلَالِ بْنِ أُمَّيَّةَ حِينَ رَمَى رَوْجَتَهُ بِالرُّتْنَةِ وَهُوَ خَبْرٌ مُطْوَّلٌ لَا جَاجَةٌ إِلَى اسْتِقْصَاءِ ذَكْرِهِ بِجَمْلَتِهِ . بَلْ نَذْكُرُ^(٦) الْفَرْضُ مِنْهُ وَهُوَ : أَنَّهُ لَمَّا لَاقَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ زَوْجِهِ ، وَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا قَالَ : إِنْ جَاءَتِ بِهِ أَثْيَّجَ أَصْنِيْبَ أَرْيَصَحَ خَمْسَ^(٧) السَّاقِينَ ، ثَانِيَّ^(٨) الْإِلَيْتِينَ ؛ فَهُوَ لِهِلَالِ بْنِ أُمَّيَّةَ ، وَإِنْ جَاءَتِ بِهِ أَوْرَقَ^(٩) جَفْداً جَمَالِيَا خَدْلَجَ^(١٠) السَّاقِينَ ، سَابِعُ الْإِلَيْتِينَ ؛ « فَهُوَ لِلَّذِي رُمِيَّتْ

(١) « إِلَا » غَيْرُ مُوْجَدَةٌ فِي تِ .

(٢) الْأَثْيَّجُ : الْعَرِيفُ الصَّدِرُ ، الْلِّسَانُ (ث ب ج) .

(٣) فِي مِ : « صَحَّتْ » خَطَا .

(٤) فِي مِ : « رَنَةٌ » تَصْحِيفًا . وَبَنَاتٌ رِشْدَةٌ : قَوْمٌ مِنَ الْعَرَبِ يَسْمَؤُنُ بَنِي زَيْنَةَ فَسَاهِمُ الْبَنِيِّ ، بَيْنَنِي رِشْدَةَ . الْلِّسَانُ فِي (ر ش د) .

(٥) « النَّبِيَّةُ » سَقَطَتْ مِنْ تِ ، وَطِ ، وَمِ ، وَنِ ، وَعِ . (١٠) فِي مِ : « يَذْكُرُ » .

(٦) فِي عِ : « أَصْهَبِيَا » تَحْرِيفًا . وَالْأَصْنِيْبُ : الَّذِي فِي شِعْرِ رَأْسِهِ خَمْرَةٌ . الْفَاتِقُ ٢ /

. ٣٢٢

(٧) فِي تِ ، وَطِ ، وَمِ ، وَعِ : « أَرْيَصَحَ » تَصْحِيفًا وَالْأَرْيَصَحُ : قَرِيبُ مَا بَيْنَ الْإِلَيْتِينَ . الْلِّسَانُ (ر ص ح) ؛ وَفِي نِ : « خَمْسٌ » تَصْحِيفًا . وَحِمْشُ السَّاقِينَ : دَقِيقَهُمَا ، الْلِّسَانُ (ح م ش) .

(٨) فِي مِ : « يَأْتِي » تَحْرِيفًا .

(٩) فِي مِ : « أَوْرَقَ » تَحْرِيفًا ؛ وَالْأَوْرَقُ : الْأَسْمَرُ ، النَّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ (وَرَقَ) .

وَالْجَعْدُ : الْمَجَمِعُ الشَّدِيدُ ، الْلِّسَانُ (ج ع د) ، وَالْجَمَالِيَّ الصَّخْمُ الْأَعْضَاءُ ، التَّامُ الْأَوْصَالُ ، النَّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ (ج م ل) .

(١٠) فِي مِ : « خَدْلَجَ » تَصْحِيفًا . وَالْخَدْلَجُ : عَظِيمُ السَّاقِينَ ، النَّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ (خ د ل ج) .

بِهِ . فجاءت به أَوْرَقَ جَنْدًا جَمَالِيًّا ، خَدْلَجَ الساقين ، سَايَغَ الْإِلَيْتِينَ^(١) فَقَالَ^(٢)
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَوْلَا الْأَيْمَانُ لَكَانَ لِي وَلَهَا شَانٌ^(٣) .

وَمِنْ هَذَا الْأَسْلُوبِ مَا ذَكَرْتُهُ فِي وَصْفِ الْقَلْمِ ، وَهُوَ : قَلْمُهُ هُوَ الْقَلْمُ^(٤)
الصَّنَاعُ فِي صَنَاعِهِ ، الَّذِي إِذَا كَسَدَتْ^(٥) بِضَائِعَةً الْأَقْلَامِ تَفَقَّثَ سُوقُ بِضَاعِهِ . وَمِنْ
خَصَائِصِهِ أَنَّ تُهْزَمَ الْجَيْوِشُ^(٦) بِيَاسِ شَجَاعَتِهِ^(٧) ، وَتُسْتَقْبَطَ الْحَصُونُ بِحُكْمِ
بِرَاعِتِهِ^(٨) ؛ وَلَمَّا جَدَعَ^(٩) أَنْفَهُ وَتَقْمَصَ لِبَاسَ السُّوَادِ قَيْلَ : هَذَا هُوَ الْجَبْشِيُّ^(١٠)
الْأَجْدَعُ الَّذِي أَمْرَ بِطَاعَتِهِ .

وَهَذَا مَعْنَى غَرِيبٍ لَمْ أُسْبِقْ إِلَيْهِ . وَلَا اخْتَرَعَهُ أَحَدٌ قَبْلِي . وَهُوَ مُسْتَبْطَنٌ مِنْ قَوْلِ
الَّتِي يَكْتُلُ فِي الْحَثِّ عَلَى الطَّاعَةِ ، وَمَلَازِمَةِ الْجَمَاعَةِ ؛ فَقَالَ : أَطْلِعْ وَلَوْ عَنْدَنَا حَبَشِيًّا
مُجَدِّعًا ، مَا أَقَامَ عَلَيْنَا كِتَابَ اللَّهِ^(١١) ؛ وَلَمَّا كَانَ الْقَلْمُ مَجْدُوْعًا لَابْسَا لِبَاسَ السُّوَادِ

(١) مِنْ قَوْلِهِ : « فَهُوَ لِلَّذِي رَمَيْتَ . فِي نَهَايَةِ الصَّفَحةِ السَّابِقَةِ حَتَّى هَنَا سَقْطُ مِنْ مِنْ وَسَايَغِ
الْإِلَيْتِينَ : عَظِيمَهُمَا ، النَّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ (سَبَغْ) .

(٢) فِي مِنْ : « قَالَ » .

(٣) سنن الترمذى ٣٣١/٥ / رقم ٣١٧٩ ، وسنن أبي داود ٢٧٧/٢ / رقم ٢٢٥٦ ، ومستند
أحمد ١/٢٣٨ / رقم ٢١٣١ باختلاف في الرواية .

(٤) فِي مِنْ : « قَلْمُهُ وَالْقَلْمُ » .

(٥) فِي مِنْ : « كَسْرَتْ » تَحْرِيفًا . وَالصَّنَاعُ : الْحَادِقُ بِالْعَمَلِ . الْلِسَانُ فِي (صَنْع) .

(٦) فِي طِّ : « يَهْزِمُ الْجَنُودَ » .

(٧) فِي نِ : « الْجَيْوِشُ بِشَجَاعَتِهِ » .

(٨) فِي تِ ، وَطِ ، وَعِ : « بِرَاعَتِهِ » .

(٩) فِي طِ : « خَدَعَ » تَصْحِيفًا .

(١٠) فِي تِ ، وَطِ ، وَمِنْ : « هَذَا الْجَبْشِيُّ » .

(١١) فِي تِ : « عَلَيْكَ اللَّهُ » ؛ مسلم ١٤٦٨/٣ / رقم ١٨٣٧ و ١٨٣٨ ، وصحيح ابن حبان
٧/٤٦٦ / رقم ٣١٩٣ ، وسنن الترمذى ٢٠٩/٤ / رقم ١٧٠٦ ، ومستند أحمد ٤/٤٠ / رقم
١٦٧٠٠ و ٤٠٢/٦ / رقم ٢٧٣٠١ باختلاف في الرواية .

من المِدَاد ؛ استبِطْتُ له^(١) هذا المعنى الشَّرِيفُ اللطِيفُ . فالحُظَّةُ أَيْهَا المَتَّمُ ، وَأَنْصَبَتْ من نفْسِكَ حَتَّى تَعْلَمَ مِقدارَ مَا أَتَيْتُ بِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ . « وَمِنْ هَذَا الْأَسْلُوبِ أَيْضًا مَا ذُكِرَتْهُ فِي وَصْفِ كَلَامِ لِبَعْضِ الْبَلَغَاءِ ؛ فَقُلْتَ : أَفْكَارُ الْخَواطِرِ لَا تَسْتَوِي الْمَعْانِي عَلَى انْفَرَادِهَا ، وَغَایَتُهَا أَنْ تَنَاهَى فِي اسْتِنَاجِ أَوْلَادِهَا . وَهُوَ يَنْكِحُ فَكْرَهُ لِفَكْرِهِ نِكَاحَ الْأَنْسَابِ لِلْأَنْسَابِ ، وَلَا يَخَافُ أَنْ يَضُرِّي ؛ فَمِيلُ إِلَى الْأَغْتَرَابِ .

فِي هَذَا الْفَصْلِ مَعْنَى مِنَ الْأَخْبَارِ النَّبِيَّةِ^(٢) وَهُوَ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اغْتَرِبُوا لَا تَضُرُّوا^(٣) . يَرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَنْكِحَ الرَّجُلَ غَيْرَ الْقَرِبَةِ [القريبة]^(٤) كَيْ لَا^(٥) يَجِئَ الْوَلَدُ ضَارِّيَا . وَالْمَعْنَى الَّذِي قَصَدَهُ أَنَا هَهُنَا غَرِيبٌ لِمَ أُسْبِقَ إِلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ أَصْلُهُ مِنَ الْخَبِيرِ^(٦) الْبَيْوِيِّ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذُكِرَتْهُ فِي عِيَادَةِ مَرِيضٍ ، وَهُوَ فَضْلٌ مِنْ جُمْلَةِ كِتَابٍ : وَلَمَّا بَلَغَ الْخَادِمَ خَبْرُ شَكَاتِهِ ، هَبِيسَ مِنْهُ مَا لَيْسَ بِمَهِيسٍ ، وَأَصْبَحَ - وَهُوَ الصَّحِيحُ - أَشَدَّ شَكُورًا مِنْهُ ، وَهُوَ الْمَرِيضُ . وَقَدْ وَدَ لَوْ وَقَاهُ وَتَلَكَ أَقْصَى درَجَاتِ الْوِدَادِ ، وَلَمْ يَقِنْ فَسَهَ إِلَّا بِنَفْسِهِ^(٧) وَقَدْ [تَجْتَمَعُ]^(٨) التَّقْسِيمُ فِي جَسَدِهِ مِنَ الْأَجْسَادِ . وَلَوْلَا أَنَّهُ يُؤْمِلُ الْعَافِيَةَ^(٩) لَمْ يَكُنْ لِقَوَادِحِ^(١٠) الْأَهْمَمْ بِمُطْبِقٍ ، وَلَا مِنْ غَمَرَاتِهِ بِمُفْقِدٍ ، وَلَكَانَ

(١) « لَهُ » سَقَطَتْ مِنْ طِ .

(٢) « النَّبِيَّةُ » سَقَطَتْ مِنْ طِ ، وَعِ .
(٣) الْحَدِيثُ فِي الْفَائِقِ ٢ / ٣٥٠ / ٤٧٦ رَقْمُ ، وَاللُّسُانُ فِي (غَرَب) ، وَالنِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ ٣٤٨ / ٣ .

(٤) الْزِيَادَةُ مِنْ تِ ، وَطِ ، وَعِ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « فَيَجِئُ ۖ ۚ وَفِي عِ : « لِثَلَاءُ ۖ ۚ وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ تِ ، وَطِ ۖ ۚ .

(٦) فِي عِ : « الْخَبَرِيُّ » خَطَا .

(٧) فِي تِ : « لَمْ يَقِنْ إِلَّا فَسَهَ بِنَفْسِهِ ۖ ۚ .

(٨) فِي الْأَصْلِ : « تَجْتَمِعَانِ النَّفَسَانُ » خَطَا ؛ وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ تِ ، وَطِ ، وَعِ .

(٩) فِي طِ : « الْعَاقِبَةُ » تَصْحِيفًا .

(١٠) فِي تِ ، وَطِ ، وَعِ : « لِقَوَادِحُ » تَصْحِيفًا . وَالْقَادِحُ : الصَّدْعُ فِي الْعُودِ ، وَالسَّوَادُ الَّذِي يَظْهُرُ فِي الْأَسْنَانِ . اللُّسُانُ فِي (قَدْح) .

كالذى خَرَّ مِن السَّمَاءِ تَخْطُفُهُ^(١) الطَّيْرُ أَوْ تَهُرُّ بِهِ الْرِّيحُ فِي مَكَانٍ^(٢) سَحِيقٌ . وقد ناجاه أملُهُ أَنْ هَذِهِ الشَّكَاةُ لَا تَبْلِثُ إِلَّا لَبَّى الزَّائِرِ عَنَ الدُّورِ ، وَأَنَّهَا لَمْ تَأْتِ^(٣) إِلَّا لَتُظْهِرَ مَا عَنَّ النَّاسِ مِنْ مَوَادَاتِ الصُّدُورِ . فَكَمْ مِنْ أَيْدِي بِالدُّعَاءِ مَمْدُودَةٌ ، وَنَذُورٌ عَنَّ اللَّهِ مَعْدَةٌ^(٤) ، وَلَيْسْ بِمَعْدُودَةٍ^(٥) . وَكَمْ مِنْ أَخْذٍ بِالْحَبْرِ التَّبَوَّى فِي جَغْلِ الصَّدَقَةِ طَبِيبًا ، وَمِنْ [مُتَفَاعِلٍ]^(٦) بِأَحَادِيثِ مَنَامِهِ ثُمَّ لَا يُحَدِّثُ بِهَا إِلَّا لَبَّى أَوْ حَبَّى . ولِلخادِمِ مِنْ ذَلِكَ مَزِيَّةٌ يَشَهُدُ بِهَا لِسَانُ الضَّمِيرِ الَّذِي هُوَ أَصْدُقُ لِسَانٍ . وَهِيَ حُزْنِيَّةٌ التَّسْبِ لَا تَحْتَاجُ^(٧) مَعَهَا إِلَى شَاهِدٍ ثَانٍ .

فِي هَذَا الْكَلَامِ ثَلَاثَةُ أَخْبَارٍ اَلْأُولُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ دَأَوْوَا مَرْضَائِكُمْ بِالصَّدَقَةِ^(٨) . اَلثَّانِي^(٩) قَوْلُهُ ﷺ : رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ أَرْبِيعِنَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ ، وَهِيَ عَلَى رِجْلِ طَائِرٍ ؛ مَا لَمْ يُحَدِّثْ بِهَا ؛ فَإِذَا حَدَّثَ بِهَا سَقَطَتْ ، وَلَا يُحَدِّثُ بِهَا إِلَّا لَبَّى أَوْ حَبَّى^(١٠) . اَلثَّالِثُ^(١١) : أَنَّ الشَّيْءَ ﷺ اِبْتَاعٌ مِنْ أَغْرِيَّنَ فَرَسَا ، وَاسْتَبَعَهُ

(١) فِي ت ، وَط : « فَتَخْطُفُهُ » .

(٢) فِي ت : « مِنْ مَكَانٍ » وَالآيَةُ فِي سُورَةِ الْحِجَّةِ / ٣١٠ .

(٣) فِي ع : « يَأْتِ » خَطَا .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « مَعْدُودَةٌ » ؛ وَمَا أَبْتَهَ مِنْ ت ، وَط ، وَع .

(٥) فِي ت : « مَعْدُودَةٌ » .

(٦) فِي الْأَصْلِ ، وَت : « مُتَفَاعِلٌ » خَطَا ، وَمَا أَبْتَهَ مِنْ ط .

(٧) فِي ع : « لَا يَحْتَاجُ » خَطَا .

(٨) سنن البهقي الكبري ٣/٣٨٢ / رقم ٦٣٨٥ ، وكشف الغفا ١/٤٣٣ / رقم ١١٤٨ ... في سنه فضالة بن جبير صاحب مناخير ، ورواه الطبراني ... وفي سنه غياث مجھول ... قال البهقي إنه منكر بهذا الإسناد .

(٩) فِي ع : « وَالثَّانِي » .

(١٠) سنن الترمذى ٤/٥٣٦ / رقم ٢٢٧٨ ، والمستدرك على الصحيحين ٤/٤٣٢ / رقم ٨١٧٥ ، مسند أحمد ٤/١٠ / رقم ١٦٢٢٨ باختلاف في الرواية .

(١١) فِي ع : « وَالثَّالِثُ » .

إلى منزله ليُغبَّهُ الثُّمَنُ ، وأسرعَ الْئِبْرَيْفَ ، وَأَبْطَأَ الْأَغْرَابَيْفَ ، فَطَقِيقَ نَاسٍ ^(١) . يُسَاوِمُونَةَ الْفَرَسَ ، ولا يُشْعِرُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامٌ ^(٢) ابْنَاهُ مُثَّهُ ، فَنَادَى الْأَغْرَابَيْفَ ، وَقَالَ ^(٣) : إِنْ كُنْتَ مُبْتَأْخَاً هَذَا الْفَرَسَ ؛ إِلَّا بِعْتَهُ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامٌ ^(٤) ، وَقَالَ : أَنَّمِ تَعْنِيهِ ؟ . فَقَالَ الْأَغْرَابَيْفَ : لَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامٌ : بَلَى ^(٥) . قَدْ ابْتَعْتَهُ مُثَّكَ . فَقَالَ : هَلْمَ شَاهِدًا . فَاجْتَازَ خَزِنَةَ بْنِ ثَابَتٍ ^(٦) فَقَالَ : أَنَا أَشْهَدُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامٌ ^(٧) : بِمَ ^(٨) تَشْهُدُ يَا خَزِنَةُ ؟ . فَقَالَ : بِتَصْدِيقِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَجَعَلَ شَهَادَتَهُ بِشَهَادَتِيْنِ .

وَفِي هَذَا الْكَلَامِ أَيْضًا ^(٩) آيَةٌ مِّنَ الْقُرْآنِ ^(١٠) مُضَافَةً إِلَى الْأَخْبَارِ النَّبُوَيَّةِ ^(١٠) .

وَمِنْ هَذَا الْقَسْمِ مَا ذَكَرْتُهُ فِي فَصْلٍ مِّنْ كِتَابِ يَتَضَمَّنُ وَصْفَ الْحَزْمِ ، قَلَّتْ :

الْحَزْمُ عَزُوزٌ بِهَا يُسْتَهْمَسُكُ ، وَهُوَ كَالْفُرْصَةِ الَّتِي إِنْ ضُيِّعَتْ فَلَا تُسْتَرْكُ . وَقَدْ قَامَتِ

(١) فِي ط : « أَنَاسٌ » .

(٢) فِي ت : « صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ » .

(٣) « وَقَالَ » سَقَطَتْ مِنْ ت ، وَط .

(٤) فِي ت : « صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ » .

(٥) « بَلَى » سَقَطَتْ مِنْ ط ، وَع .

(٦) أَبُو عَمَّارَةَ خَزِنَةَ بْنِ ثَابَتِ الْأَنْصَارِيِّ الْخَطْمِيِّ ؛ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ ، قَاتِلُ فِي صَفَوفِ الْإِمَامِ عَلَى كَرْمِ اللَّهِ وَجْهِهِ ، وُقْتَلَ يَوْمَ صَفِينَ . الْبَدَائِيْهُ وَالنَّهَايَةُ ٢١١ / ٧ ، وَالإِصَابَةُ ٢٧٨ / ٢ ، وَسِيرُ أَعْلَامِ الْبَلَاءِ ٤٨٥ / ٢ وَمَا بَعْدُهَا .

(٧) « صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامٌ » سَقَطَتْ مِنْ ت .

(٨) « بِمَ » سَقَطَتْ مِنْ ط .

(٩) « أَيْضًا » سَقَطَتْ مِنْ ط .

(١٠) آيَةُ الْمَشَارِ إِلَيْهَا ، وَمَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَكَانَمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَجِيقٍ » الْحِجَّ / ٣١ .

(١٠) « النَّبُوَيَّةُ » سَقَطَتْ مِنْ ت ، وَط ، وَع ؛ وَالْحَدِيثُ فِي الْمُسْتَدِرِكِ عَلَى الصَّحِيفَتَيْنِ ٢ / ٢١ ، ٢١٨٧ ، وَسَنَنُ أَبِي دَاوُدٍ ٣٠٨ / ٣ ، رَقْمٌ ٣٦٠٧ ، وَسَنَنُ النَّسَائِيِّ الْمَجْتَنِيِّ ٧ / ٣٠١ ، رَقْمٌ ٤٦٤٧ بِالْخَلْفِ فِي الْرَوَايَةِ .

التجارب فيه بالإثمار ، وعُرِفت مَوْاقِعُ الْجَنَارِ فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تُذْعِنَ حَازِمًا ؛ فَلَا تَأْخُذْ بالعِزَائِمِ الصُّعِيقَةَ ، وَلَا تُهْمِلُ الْأَمْوَارَ فِي أُولَئِكَاهَا حَتَّى تَأْتِي وَهِيَ رَدِيقَةٌ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الْحُسَينَ لَمْ يُقْتَلْ فِي يَوْمٍ^(١) كَرِبَلَاءَ وَإِنَّمَا قُتِلَ فِي يَوْمِ السَّقِيقَةِ^(٢) .

[فِي هَذَا الْكَلَامِ]^(٣) مَعْنَى الْأَثْرِ الْمَتَّشُولِ فِي [قَصَّةِ]^(٤) يَوْمِ السَّقِيقَةِ^(٥) .

وَمِنْ هَذَا النَّوْعِ^(٦) مَا ذُكْرَتِهِ فِي فَصْلٍ مِنْ كِتَابٍ يَتَضَمَّنُ ذِكْرَ قَتَالِ الْكُفَّارِ ، وَوُصِّفَتْ فِيهِ الْمُسْلِمِينَ ؛ فَقُلْتُ : وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ مَشَى إِلَى [الْجِهَنَّمَ]^(٧) مَمْشَى عُمَيْرِ بْنِ الْجِهَنَّمِ^(٨) ، وَرَأَى حَيَاةً يَوْمَهُ طَوِيلَةً ، فَقَصَرَهَا بِمِبَادِرَةِ [الْإِقْدَامِ]^(٩) ، وَلَا يَغْلُو ذَلِكَ لِمَنْ وَجَدَ سَلْعَةَ اللَّهِ سُوقًا^(١٠) ، وَاحْبَّ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ مَوْتِهِ حَيًا مَرْزُوقًا . وَهُؤُلَاءِ هُنْ سَيِّوفُ اللَّهِ الَّتِي إِذَا جُرِدَتْ زَالَتِ الْهَامُ عَنْ مَنَاكِبِهَا ، وَاسْتَوَى فِي الْقَتْلِ نَفْسُ^(١١) مُضْرِبِهَا وَضَارِبِهَا . فَلَا عَلَيْهَا إِذَا جَاهَدَتْ^(١٢) صَابِرَةً ، مُحْتَسِبَةً مَا كَانَ مِنْ مَوَارِدِهِ مُلْكِهَا ، وَلَا أَلَمَ عَنْهَا لِلْكُلُومِ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَوْنُهَا لَوْنُ دَمِهَا ، وَرِيحُهَا رِيحُ مِسْكِهَا .

(١) فِي ت ، وَعَ : « لَمْ يُقْتَلْ يَوْمَ كَرِبَلَاءَ » ؛ وَفِي ظَ : « لَمْ يُقْتَلْ كَرِبَلَاءَ » .

(٢) فِي ت ، وَعَ : « قُتِلَ يَوْمِ السَّقِيقَةِ » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « وَمِنْ هَذَا النَّوْعِ مَعْنَى الْأَثْرِ الْمَتَّشُولِ » حِيثُ اتَّقْتَلَتْ عَيْنُ النَّاسِخِ إِلَى السُّطْرِ التَّالِي ؛ وَهِيَ لَا يَسْتَقِيمُ الْمَعْنَى ؛ وَمَا أَثْبَتَهُ بَيْنَ الْمَعْقُوفَيْنِ مِنْ ت ، وَط ، وَع .

(٤) الزِّيَادَةُ مِنْ ت ، وَط ، وَع .

(٥) نَهَايَةُ خَرْمَ وَقَعَ فِي م ، وَنَ يَبْدَأُ مِنْ أُولَى السُّطُرِ التَّالِيَّةِ فِي ص ٣٨٠ .

(٦) فِي م ، وَنْ : « الْقَسْمُ » .

(٧) غَيْرُ مَقْرُوءَةٍ فِي الْأَصْلِ ؛ وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ت ، وَط ، وَم ، وَن ، وَع .

(٨) عَمِيرُ بْنُ الْجِهَنَّمَ مَنْ بْنِي سَلْمَةَ ثُمَّ مَنْ بْنِي حَرَامَ بْنَ كَعْبٍ بْنَ قَعْدَنَ بْنِ سَلْمَةَ مَعْنَى شَهَدَ بِدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الْمَسْتَدِرُكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ ٣/٤٨١ / رَقْمٌ ٥٧٩٧ .

(٩) فِي الْأَصْلِ بِخَطِّ مُخْتَلِفٍ : « التَّقْدِيمُ » ؛ وَبِهَا لَا يَسْتَقِيمُ السَّجْعُ وَلَا الْمَعْنَى ؛ وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ت ، وَط ، وَم ، وَع ؛ وَفِي ن : « تَقْصُرُ بِمِبَادِرَةِ الْإِقْدَامِ » .

(١٠) فِي م : « وَجَدَ اللَّهُ سَلْعَةَ اللَّهِ عَالِيَّةً ، فَجَعَلَ لِسَلْعَةَ اللَّهِ سُوقًا » وَهِيَ عِبَارَةٌ مُضْطَرِبَةٌ .

(١١) « نَفْسٌ » سَقَطَتْ مِنْ ع .

(١٢) فِي ع : « جَاهَرَتْ » تَحْرِيفًا .

وهذا الفصل غريب عجيب ، وقد اغترف ^(١) من بحري لا من قلبي . وفيه ما هو مأخوذ من الأخبار النبوية ، وما هو مأخوذ من القرآن ، وإنما نذكر ^(٢) ههنا الأخبار دون القرآن لأنّه من مهمّ هذا الموضع دون غيره ^(٣)

وهي معنى ثلاثة أخبار : الأولى ما ورد في حديث غزوة بدْر ، وهو أنّه قال النبي ﷺ : قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض . فقال عمير بن الحمام : يَخْ يَخْ يا رسول الله . فقال له ^(٤) : ما حملك على قوله : يَخْ يَخْ ؟ . قال : رجاء أن أكون من أهلها . فقال : أنت من أهلها ^(٥) ، فاخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرْبَيْهِ ^(٦) ، وجعل يأكل ؛ ثم ألقاها من يديه ^(٧) ، وقال : إِنْ حَيَتْ حَتَّى أَكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لِحِيَاة طَوِيلَة ^(٨) . ثُمَّ تَسَّى إِلَى الْعَدُوِّ ، وقاتل ^(٩) حتى قُتِلَ ^(١٠)

والثانية : قوله ﷺ : أَلَا إِنْ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ . أَلَا إِنْ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ ^(١١)

(١) في م : « اعترف » تصحيحا ؛ وفي ت : « اغترف » .

(٢) في ن : « يذكر » .

(٣) هذه العبارة غير مستقيمة المعنى لأن الضمير فيها يعود على القرآن وحتى يعود على الأخبار تكون : « وإنما نذكر ههنا الأخبار دون القرآن ، لأنها من مهمّ هذا الموضع دون غيرها » .

(٤) في الأصل : « قال » ؛ وفي ت : « قال » ؛ وما أثبته من ط ، وم ، ون ، وع .

(٥) في ن : « أنت منهم ؟ .

(٦) في ط : « قربه » ؛ والقرآن : الجمعة ، النهاية في غريب الحديث ٤ / ٥٥ ، واللسان مادة (ق ر ن) .

(٧) في م : « يديه » .

(٨) في م : « فالحياة طولية » .

(٩) في ت : « فقاتل » .

(١٠) صحيح مسلم ٣ / ١٥١٠ / رقم ١٩٠١ ، والمستدرك على الصحيحين ٣ / ٤٨١ / رقم ٥٧٩٨ ، ومسند أحمد ٣ / ١٣٦ / رقم ١٢٤٢١ .

(١١) المستدرك على الصحيحين ٤ / ٣٤٣ / رقم ٧٨٥١ و ٧٨٥٢ ، وسنن الترمذى ٤ / ٦٣٣ / رقم ٢٤٥٠ ، وتنوير ابن كثير ٤ / ٢٧٩ .

والثالث ما وَرَدَ عن الشَّيْءِ بِحَلْلٍ فِي فَضْلِ^(١) الْجَهَادِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ : وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ
بِيدهِ مَا مِنْ كَلْمٍ يَكُلُّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْنَهُ^(٢) لَوْنُ دَمٍ ، وَرِيحَهُ رِيحُ
مِسْكٍ^(٣) . « وَفِيهِ أَيْضًا مَعْنَى آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى : وَلَا تَخْسِنَ^(٤)
الَّذِينَ قُتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَخْيَاءً عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ^(٥) . إِلَّا أَنَّ هَذَا التَّوْضِيعَ
مُخْتَصٌ بِالْأَخْبَارِ دُونَ الْآيَاتِ . فَإِذَا وَرَدَ فِيهِ مَعْنَى آيَةٍ ؛ فَإِنَّمَا يَأْتِي ضِيقَنَا وَتَبَعَّا^(٦) »
وَمِنْ هَذَا الْأَسْلُوبِ مَا ذَكَرْتُهُ فِي تَهْذِيبِ النَّفْسِ ، وَهُوَ^(٧) الْقُلُوبُ مُتَجَادِبَةٌ بَيْنَ
لَمَّةِ^(٨) مَلَكٍ ، وَلَمَّةِ شَيْطَانٍ ، وَهُمَا فِي هَدَايَتِهَا ، وَإِغْوَائِهَا^(٩) ؛ كَفَرَسَنِ رِهَانٌ ؛
وَلَهُذَا تَرَدَّثَ^(١٠) أَعْمَالُهَا فِي الْخَيْرِ مَرَّةً وَفِي الشَّرِّ أُخْرَى ، وَقَالَ اللَّهُ فِي مِثْلِهَا^(١١) :
فَذَكِّرْ إِنْ تَفَعَّتِ الدُّكْرَى^(١٢) . وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَلَا يَصْفُو^(١٣) مَنْ كَانَ مِنَ الْحَمَّاءِ
صُورَةُ خَلْقِهِ : وَكُمْ^(١٤) يَبْلُغُ فِي التَّزَاهَةِ مِنَ الْأَدْنَاسِ مَنْ شَارَكَهُ^(١٤) الْبَهِيمَةُ فِي

(١) فِي م : « فَصْلٌ » تَصْحِيفًا .

(٢) فِي بَتْ ، وَمْ ، وَنْ ، وَعْ : « لَوْنَهُ » .

(٣) الْبَخَارِيٌّ ٣/١٠٣٢ / رَقْم١٢٤٩ ، وَمُسْلِمٌ ٣/١٤٩٥ / رَقْم١٨٧٦ ، وَالْتَّرْمِذِيٌّ ٤/١٨٤
/ رَقْم١٦٥٦ وَرَوَايَتْهُ : .. كَهِيتَهُ يَوْمَ كَلْمٍ ..

(٤) فِي ع : « فَلَا تَحْسِنْ » خَطَا ..

(٥) آلْ عُمَرَانَ / ١٦٩

(٦) مَا بَيْنَ عَلَامَتِي التَّنْصِيصِ سَقطَ مِنْ مْ ، وَنْ .

(٧) « وَهُوَ » سَقَطَ مِنْ نْ .

(٨) الْلَّمَّةُ : الْهِمَّةُ وَالْخَطْرَةُ تَقْعُدُ فِي الْقَلْبِ أَرَادَ إِلَمَامَ الْمَلَكِ أَوْ الشَّيْطَانَ بِهِ وَالْقُرْبَ مِنْهُ .
النَّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ ٤ / ٢٧٣ فِي (لِمَ) .

(٩) فِي ن : « وَغَوَائِبَهَا » .

(١٠) فِي ن : « تَرَدَّدٌ » .

(١١) سُورَةُ الْأَعْلَى / ٩ ؛ وَفِي تَ ، وَمْ ، وَعْ : « وَذَكِّرْ إِنْ تَفَعَّتِ الدُّكْرَى » .

(١٢) فِي ن : « فَلَا يَسْتَقِرُ » .

(١٣) فِي ن ، وَعْ : « وَلَمْ » تَحْرِيفًا . الْحَمَّاءُ وَالْحَمَّاءُ : الطِّينُ الْأَسْوَدُ الْمُتَنَ . الْلِّسَانُ (حِمَّا) .

(١٤) فِي ن : « شَاكِلَتَهُ » .

معنى خلقه . والسلامة مخصوصة بمن أعاذه الله على قرينه ^(١) ؛ فأسلم ، وجعل علمه من لدنته ^(٢) ، فلم يفتقر إلى التعليم فيما يغدو .

في هذا الكلام معانٍ من القرآن ، وليس هذا من ^(٣) بايه ، وإنما جاء في هذا الفصل ضمناً وتباعاً . وقد تضمنَ معنيين من الأخبار النبوية : أحدهما قولُ الشيئ ^{عليه السلام} : ما منكم من أحدٍ إلا وقد وُكِلَ ^(٤) به قرينه من الملائكة ، وقرينه من الشياطين ^(٥) . فقالوا : وأنت يا رسول الله؟ قال : وأنا ؛ إلا أن الله أعاذه عليه فأسلم ^(٦) . والآخر ^(٧) قوله ^{عليه السلام} : قلب المؤمن بين لمة ملك ، ولمة شيطان ^(٨)

« ومن هذا الباب ما ذكرته في فصلٍ من كتابٍ إلى بعض العصابة [وكان قد ^(٩) أذعنَ بعد عصيانه ، وهو ^(١٠) : لقد حذّرناك عقبي الشفاقِ فلم يكن لك إلى ذلك القول إضفاء ، وأتيت الآن ^(١١) كالذى يأتي يوم القيمة ، وعلى رقبته جملٌ له رُغاء ، أو شأة لها ثُغاء ؛ وكما لم يُغْنِ رسول الله شيئاً عن ^(١٢) صاحب الشأة

(١) في ع : « قرينة » تصحيفا . (٢) في م : « من لديه » تصحيفا .

(٣) « من » سقطت من ت .

(٤) في ن : « إلا وكل » .

(٥) في م : « الشيطان » .

(٦) صحيح مسلم ٤/٢١٦٨ / رقم ٢٨١٤ و ٢٨١٥ ، ومستند أحمد ١/٣٩٧ / رقم ٣٧٧٩ باختلاف في الرواية .

(٧) في ط : « الآخر » .

(٨) الترمذى ٥/٢٩١ / رقم ٢٩٨٨ ، وابن حبان ٣/٢٧٨ / رقم ٩٩٧ ، والسنن الكبرى ٦/٣٠٥ رقم ١١٠٥١ باختلاف في الرواية .

(٩) ما بين المعقوفين زيادة من ت .

(١٠) في ت : « ولقد » ؛ وفي ط : « وهو : ولقد » .

(١١) في ت : « اليوم » ؛ وفي ط : « وأتيت كالذى » .

(١٢) في ط : « على » . الرُّغاء : صوت ذات الحُفْ . اللسان في (رغ و) . والثُّغاء : صوت الشاء والمَعْز وما شاكلها . اللسان في (ثغ و) .

والجمل . فكذلك ^(١) لا يعني الشفاعة عنك شيئاً فيما قدمته من الحظ ^(٢) والزلل .
والتوية وإن ^(٣) جئت ما قبلها فإنها معتبرة فيمن ندم على ما فات ، وأخلص فيما هو
آت ، وأما من يطهرون أمراً ، ويتطرن خلافه فإنه لا يلتجئ بآبها ، ولا يرجو ثوابها .
في هذا الفصل معنى خبر نبوى ، وهو أن النبي ﷺ ، قام ذات يوم فخطب ،
وذكر الغلوّ ؛ فعظم من أمره . ثم قال : لا ألمين أحداً منكم ^(٤) يجيء يوم
القيمة ، وعلى رقبته حمل له رعاه . فيقول : يا رسول الله أغنى ! ؛ فأقول :
لا أملك لك شيئاً ؛ قد بلغتكم . لا ألمين أحداً منكم يجيء يوم القيمة ، وعلى رقبته
شأة لها ثعاء . فيقول : يا رسول الله أغنى ؛ فأقول : لا أملك لك شيئاً ؛ قد
بلغتكم ^(٥) .

فانظر إلى هذا الخبر ، وإلى ما صنعته ^(٦) أنا في المعنى الذي قصدته . حتى
تدرك كيف تقصد المعاني ^(٧) المأخوذة من الأخبار النبوية » ^(٨)
ومن هذا الباب ما ذكرته في ذم الزمان ، وهو : وهذا ^(٩) زمان الفتنة الذي ^(١٠)

(١) في ع : « وكذلك » .

(٢) في ت : « الحظ » تصحيفا . والخاطل : الأحمق العجل . اللسان في (خ ط ل) .

(٣) في ع : « إن » . الزلل : الخطأ والذنب . اللسان في (ز ل ل) .

(٤) في ت : « أحدكم » . الغلوّ : الخيانة في المعلم والسرقة من الغيمة قبل القسمة .
اللسان في (غ ل ل) : وال نهاية في غريب الحديث ٣ / ٣٨٠ .

(٥) البخاري ١١١٨/٣ / رقم ٢٩٠٨ ، و مسلم ١٤٦١/٣ / رقم ١٨٣١ ، و مستد أحمد ٢/٤٢٦
رقم ٩٤٩٩ .

(٦) في ت ، وع : « صنعته » .

(٧) في ت ، وط : « تقصد إلى المعاني » ..

(٨) نهاية خرم وقع في م ، ون ؛ بدأ من الصفحة السابقة .

(٩) في ن : « هذا » .

(١٠) في م : « هذا ومن الفتنة الذي » وهي عبارة مضطربة . الفتنة : الزمان الذي انقطعت
فيه الرسالة . اللسان في (ف ت ر) .

فِي مِثْلِهِ تَدُولُ الدُّوَلُ ، وَتُشَخُّ الْمَيْلُ^(١) ؛ فَالنَّاسُ فِيهِ^(٢) يَتَهَارُجُونَ تَهَارُجَ الْحُمْرِ ، وَيَتَهَارُ شُوَّافُنَ تَهَارُشَ ذَوَاتِ النَّابِ وَالظُّفَرِ . فَهُمْ [فَوْضَى]^(٣) لَا تَدُودُهُمْ^(٤) سَرَائِهِمْ ، وَلَا تَسُودُهُمْ^(٥) إِلَّا شَرَائِهِمْ .

فِي هَذَا الْكَلَامِ مَعْنَى مِنْ^(٦) الْأَخْبَارِ النَّبُوَيَّةِ ، وَهُوَ قَوْلُ الشَّيْءِ^{بِكَلَامِهِ} فِي حَدِيثِ الدِّجَالِ ، وَعِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهُوَ حَدِيثٌ مَطْوَلٌ ، لَا حاجَةٌ إِلَى ذِكْرِهِ بِجُمْلِهِ ، بَلْ نَذْكُرُ^(٧) الْغَرَضَ الْمَقْصُودُ مِنْهُ ، وَهُوَ قَوْلُهُ^{بِكَلَامِهِ} : ثُمَّ يَنْعِثُ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً ؛ فَيَأْخُذُ^(٨) النَّاسَ مِنْ تَحْتِ إِيَاطِهِمْ ؛ فَتَفْقِضُ^(٩) رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُسْلِمٍ ، وَيَنْبَقُ^(١٠) شَرَارُ النَّاسِ يَتَهَارُجُونَ تَهَارُجَ الْحُمْرِ ، فَعَلَيْهِمْ تَقْوُمُ السَّاعَةِ^(١١)

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ مَا ذَكَرْتُهُ فِي الْمَوَدَّاتِ ، وَهُوَ : لَوْلَا تَقْتَلُ الْقُلُوبُ مِنْ شَانٍ إِلَى شَانٍ لَمَّا قِيلَ : إِنَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ ؛ فَهِيَ ثَنَاءٌ ، وَتَقْرُبٌ .

(١) فِي عَ : « الْمَلَكُ » تَحْرِيفًا .

(٢) فِي تَ : « فِيهَا » خَطَا ؛ وَفِي نَ : « بِهِ » .

(٣) مَمْحُوَّةٌ فِي الْأَصْلِ ؛ وَمَا أَبْتَهَ مِنْ تَ ، وَطَ ، وَمَ ، وَنَ ، وَعَ . التَّهَارُشُ : التَّقَاتُلُ .

(٤) فِي تَ ، وَطَ ، وَمَ ، وَنَ ، وَعَ : « لَا يَذُودُهُمْ » .

(٥) فِي طَ ، وَمَ ، وَنَ : « لَا يَسُودُهُمْ » ، وَهَذَا الْمَعْنَى مَا خُوْذَ مِنْ قَوْلِ الْأَفْوَهِ الْأُوْدِيِّ ، وَهُوَ مِنْ الْبَيْسِطِ :

لَا يَضْلُعُ النَّاسُ فَوْضَى لَا سَرَّأَ لَهُمْ
وَلَا سَرَّأَ إِذَا جَهَّا لَهُمْ سَادُوا

رَاجِعُ الْمَزْهَرِ فِي عِلْمِ الْلُّغَةِ ١ / ١٢٩ ، وَرَوْضَةُ الْعَلَمَاءِ / ٢٧٠ . الشَّرَا : الْخَوَارِجُ .

(٦) فِي عَ : « أَمْرٌ » تَحْرِيفًا .

(٧) فِي مَ ، وَنَ : « يَذْكُرُ » .

(٨) فِي مَ : « فَيَأْخُذُ » خَطَا .

(٩) فِي مَ : « فَيَقْبِضُ » خَطَا ؛ وَفِي نَ : « فَتَفْيَضُ » .

(١٠) فِي عَ : « وَيَنْبَقُ » .

(١١) مُسْلِم٤/٤/٢٢٥٤ / رَقْم٢٩٣٧ ، وَالترْمِذِي٤/٥١٠/رَقْم٢٢٤٠ ، وَابْنِ مَاجِه٢/١٣٥٨ / رَقْم٤٠٧٥ . وَالْتَّهَارُجُ : التَّاكُحُ . الْلِّسَانُ فِي (هَرْجٌ) .

وتَأْبِي^(١) وَتَضَحَّبُ . وَمِنْ رَامَ بَعْدَهَا عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ^(٢) ؛ فَقَدْ كَلَفَهَا غَيْرُ خُلُقِهَا ، وَسَلَكَ بِهَا فِي غَيْرِ طَرِيقِهَا ، وَفِي هَذَا أَدْبُرٍ لِمَنْ آخَى صَدِيقًا ، أَوْ صَاحِبَ^(٣) رَفِيقًا ؛ لِيَكُونَ لَهُ عَادِرًا^(٤) ، وَعَلَى مَا يَرِيدُهُ^(٥) مِنْهُ صَابِرًا
 فِي هَذَا الْكَلَامِ^(٦) مَعْنَى^(٧) حَبَّرٌ مِنَ الْأَخْبَارِ [النَّوْيَة]^(٨) ، وَهُوَ قَوْلُ الشَّيْءِ
 عَلَيْهِ^(٩) : قُلُوبُ بَنِي آدَمَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصْبَاعِ الرَّحْمَنِ ، يُضَرُّهَا حِيثُ يَشَاءُ ؛ كَفْلُبِ
 رَجُلٌ وَاجِدٌ^(٩)
 « وَكَذَلِكَ قَلْتُ فِي فَصْلٍ أَخْرَى مِنْ جُمْلَةِ كِتَابٍ ، وَهُوَ : كُنْتُ عَنْهُ بِالْمَثَرِلَةِ التِّي
 آمَنْتُ بِهَا مَا أَجْنِيهِ^(١٠) فَصِرْزَتِ الْآنَ أَخَافُ مَا لَمْ أَجْنِيهِ^(١١) ، وَكَانَ لَا يَقْبَلُ عَلَيَّ شَهادَةَ
 عَيْنِيَهُ فَأَصْبَحَ الْآنَ وَهُوَ يَقْبَلُ شَهادَةَ أَذْنِيَهُ . لَكِنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ
 أَصْبَاعِهِ إِلَّا لِيَذْهَبَ بِهَا فِي كُلِّ وَادٍ ، وَمِنْ هُنَّا كَانَتْ تَتَنَقَّلُ مِنْ وَدَادٍ إِلَى قَلَىٰ ، وَمِنْ
 قَلَىٰ إِلَى وَدَادٍ ؟ وَلَا شَكَ أَنَّ لَهَا بَيْنَ الْخَلْتَيْنِ^(١٢) عُمْرًا تَتَنَهَى إِلَيْهِ كَمَا تَتَنَهَى
 أَعْمَارُ^(١٣) الْأَجْسَادِ . وَالصَّبْرُ خَيْرٌ مَا اسْتَغْفِلَ فِي جَفَاءِ الإِخْوَانِ . وَالْمَاءُ إِذَا جَرَى
 فِي مَكَانٍ ثُمَّ اُتَحَرَّفَ عَنْهُ فَلَا بُدُّ وَأَنْ^(١٤) يَعُودَ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانَ »^(١٥)

(١) فِي مٌ : « تَنَائِي » تَحْرِيفًا .

(٢) « وَاجِدَةٌ » سَقطَتْ مِنْ مٌ .

(٣) فِي مٌ : « وَصَاحِبٌ » .

(٤) فِي عٌ : « غَادِرًا » تَصْحِيفًا .

(٥) فِي تٌ ، وَطٌ ، وَنٌ : « مَا يَرِيهِ » ؛ وَغَيْرُ مَقْرُوئَةٍ فِي مٌ .

(٦) فِي تٌ : « الْفَصْلُ » .

(٧) « مَعْنَى » سَقطَتْ مِنْ مٌ .

(٨) الْزِيَادَةُ مِنْ تٌ .

(٩) مُسْلِمٌ ٤/٢٠٤٥ / رَقْم٤٢٦٥٤ ، وَمُسْنَدُ أَحْمَدٌ ٢/١٦٨ / رَقْم٦٥٦٩ ، وَالسَّنْنُ الْكَبِيرِيٌّ ٤/٤١٤ / رَقْم٧٧٣٩ .

(١٠) فِي عٌ : « مَا أَخْيِيَهُ » تَصْحِيفًا .

(١١) فِي عٌ : « أَخْيِيَهُ » تَصْحِيفًا .

(١٢) فِي الْأَصْلِ : « لِهَاتِيَنِ الْخَلْتَيْنِ » ؛ وَفِي تٌ : « لِهَا بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ » ؛ وَمَا أَبْتَهُ مِنْ عٌ .

(١٣) فِي تٌ : « كَمَا تَتَنَهَى إِلَيْهِ أَعْمَارُ الْأَجْسَادِ » .

(١٤) فِي طٌ : « فَلَابِدُ أَنْ » .

(١٥) مَا يَبْيَنِ عَلَامَتِي التَّنْصِيصُ سَقطَ مِنْ مٌ ، وَنٌ .

ومن ^(١) هذا الباب ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن فتحاً من فتوح الكفار ، فذكرت فيه المسلمين ، وحراستهم ^(٢) العدو ، وهو : فباًوا بحرسون العدو يأخذى العينين اللتين ^(٣) لا تمسهما النار ، وفازوا بأجر القائم الصائم ^(٤) ، ولا الأقدام متضبة ، ولا الأكباد حزاز ^(٥)

في هذه الكلمات اليسيرة معنى خبرين من الأخبار النبوية : أحدهما قوله عليه السلام : عينان لا تمسهما ^(٦) النار : عين يكث من خشية الله ، وعين يائش تحرس في سبيل الله ^(٧) . والآخر قوله عليه السلام : للمجاهد أجر الصائم القائم ^(٨)

وممّا يجري على هذا النهج ما ذكرته ^(٩) في صدر تقليد بولالية ، وهو : الفراسة تغرب عيونها ، وتصدق ظنونها . والإنسان سر مكتون ؟ يظهره الاختبار ، وبخفيه الاختبار . وقد عوّلنا في ولادة فلانة على فلان ، وما أهلنا لها حتى توسمنا منه ما يتّوسم من الصالحين ، وعَصَدْنَا رأينا فيه برأي من عندنا من الناصحين ، ونحن نسأل الله أن تكون ^(١٠) ممّن حظي بالأجرين في اجتهاده ، وارتاد للرعاية ^(١١) ما رافق جانب التقوى في إزياده ^(١٢)

(١) في الأصل : « وفي » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٢) في ع : « ومراسلهم » تحريفا .

(٣) في الأصل : « التي » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٤) في ت ، ون : « الصائم القائم » .

(٥) في م : « جرار » تصحيحا . (٦) في م : « لا يمسهما » .

(٧) الترمذى ٤/١٧٥ / رقم ١٦٣٩ ، ومسند الشهاب ١/٢١٢ و ٢١١ / رقم ٣١٩ و ٣٢٠ .

(٨) البخارى ٣/١٠٢٧ / رقم ٢٦٣٥ ، ومسلم ٣/١٤٩٨ / رقم ١٨٧٨ ، وموطأ مالك ٢/٤٤٣ رقم ٩٥٦ ؛ وروايته : مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم

(٩) في الأصل : « ومد يجري على هذا النهج وهو ما ذكرته في صدر تقليد بولالية وهو وهي عبارة مضطربة ؟ وما أثبته من ت ، وط ، وم ، وع ؟ و « ما ذكرته » سقطت من ن .

(١٠) في ع : « تكون » تصحيحا .

(١١) في ت ، ون ، وع : « للرعاية » .

(١٢) في ع : « لارتفاع » .

قد ^(١) أودعْتُ هذا الكلام معنى خبرين من الأخبار النبوية : أحدهما قول النبي ﷺ : ابن آدم سر ^(٢) مكثون ، تُظهره القدرة ، ويُخفيه العجز ^(٣) . وهذا موضع أخذت فيه بعض اللفظ ، وتصرّفت فيه في ^(٤) الباقي على حسب ما اقتضاه موضعه .

والخبر الآخر ^(٥) قوله ﷺ : مَنْ اجْتَهَدَ فَاصْبَرَ ؛ فَلَهُ أَجْرٌ ، وَمَنْ ^(٦) اجْتَهَدَ فَأْخَطَا ؛ فَلَهُ أَجْرٌ ^(٧)

ومما يتتطّبّع بهذا السُّلُكِ ما ذكرته في وصفِ العِلْمِ ، وهو : تركته حتى سَلَكَ ما سَلَكَ ، وَقَالَ فَمَا تَرَكَ ، وَلَمْ أَتَصْرِفْ خَوْفًا مِنْ قُوَّةِ الشَّيْطَانِ ، وَقِيَامِ الْمَلَكِ ^(٨) . وهذا المعنى قد ذكرته بلفظ آخر ، وأوردته في كتاب المثل السائِر في أدب الكاتب والشاعِر ، وهو مأخوذ من الأخبار النبوية ، وهو : أَنَّه وَقَعَ رَجُلٌ بْنَى بَنْكَرَ الصَّدِيقِ ^(٩) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَنَالَ مِنْهُ فَسَكَّتْ ، ثُمَّ نَالَ مِنْهُ فَسَكَّتْ ، ثُمَّ نَالَ مِنْهُ فَاتَّصَرَ فِي الْمَرْأَةِ الْثَالِثَةِ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(١٠) : أَوْجَدْتَ ^(١١) عَلَيْهِ [يَا رَسُولَ اللَّهِ] ^(١٢) حِيثُ اتَّصَرْتَ ؟ . فَقَالَ لَهُ

(١) في م ، وع : « وقد» . (٢) في ع : « شر » تصحيفا .

(٣) لم أجده له أصلًا في ما تحت يدي من مصادر .

(٤) في ت ، وط ، وم ، ون ، وع : « وتصرّفت في الباقي » .

(٥) في ط : « والخبر الآخر » . (٦) في ط » ولمن » خطأ .

(٧) في م : « فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ » . والحديث في البخاري ٦/٢٦٧٦ / رقم ٦٩١٩ ، ومسلم ٣/١٣٤٢ / رقم ١٧١٦ ، والترمذى ٣/٦١٥ / رقم ١٣٢٦ ، وابن ماجه ٢/٧٧٦ / رقم ٢٣١٤ ، وسنن أبي داود ٣/٢٩٩ / رقم ٣٥٧٤ . مع اختلاف في الرواية .

(٨) في ط : « الْمَلِكِ » خطأ .

(٩) « الصديق » غير موجودة في ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(١٠) الزيادة من م .

(١١) في م : « وجدت » خطأ . أوجدت : أغضبت .

(١٢) الزيادة من ت ، وط ، وم ، ون .

كان^(١) كُلَّمَا قَالَ لِكَ شَيْئًا كَذَبَهُ الْمَلَكُ بِمَا يَقُولُ . فَلَمَّا اتَّصَرَّتْ قَامَ الْمَلَكُ ، وَقَعَدَ الشَّيْطَانُ ، وَمَا كَنَثَ^(٢) لَا قَعَدَ حِيثُ قَعَدَ الشَّيْطَانُ^(٣) .
وَهَذَا مِنْ أَغْرِبِ مَا يَجِدُ فِي حَلَّ الْأَخْبَارِ النَّبُوَّيَّةِ .

« وَمِنْ هَذَا الْقَسْمِ مَا ذَكَرْتُهُ فِي وَصْفِ كَرِيمٍ ، فَقَلَّتْ : بَيْوَثُ أَمْوَالِهِ لَا تُخَرِّسُ بِحَارِسٍ ، وَعَذَارَى إِعْطَاوِهِ^(٤) كَالْبَغَاعَا لَا تَرُدُّ يَدَ لَامِسٍ . فَهُوَ الْغَيْوُرُ^(٥) إِلَّا عَلَى كِرَائِمِ أَمْوَالِهِ ، وَحَرَمَةُ هُوَ الْمَصْوُونُ إِلَّا عَنْ سُؤَالِهِ .

فِي هَذَا شَيْءًا مِنْ مَعْنَى^(٦) الْأَخْبَارِ النَّبُوَّيَّةِ ، وَهُوَ : أَنَّهُ جَاءَ رَجُلٌ^(٧) إِلَى رَسُولِ اللَّهِ^(٨) فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ امْرَأَنِي لَا تَرُدُّ يَدَ لَامِسٍ ، فَقَالَ : طَلَّقْهَا .
فَقَالَ : إِنِّي أَحِبُّهَا . فَقَالَ : أَنْسِكْهَا^(٩) » .

وَمِنْ هَذَا الْقَسْمِ أَيْضًا مَا ذَكَرْتُهُ فِي وَصْفِ الْأُخْرَى وَالصَّدَاقَةِ ، وَهُوَ : يَوْمُهُ فِي الصُّحْبَةِ^(١٠) كَغَدِهِ ، وَلِسَانُهُ فِي الطَّهَارَةِ كَيْدِهِ . لَا يَخْفُرُ^(١١) لِأَخِيهِ قَلِيلًا ،

(١) فِي ت : « قَالَ كَانَ » ؛ وَفِي م : « قَالَ لَهُ كَلْمَا » .

(٢) فِي ت ، وَط ، وَم ، وَن ، وَع : « وَلَمْ أَكُنْ » .

(٣) سنن أبي داود / ٤ / ٢٧٤ / رقم ٤٨٩٦ ، ومستند أحمد / ٢ / ٤٣٦ / رقم ٩٦٢٢ ، والمعجم الأوسط / ٧ / ١٨٩ / رقم ٧٢٣٩ ، وشعب الإيمان / ٥ / ٢٨٤ / رقم ٦٦٩ مع اختلاف في الرواية .
وَفِي الْمُثَلِ السَّائِرِ ١ / ١٤٠ .

(٤) فِي ت ، وَط ، وَع : « عَطَاوَهُ » .

(٥) فِي ت : « الْكَرِيمُ » .
(٦) « مَعْنَى » سقطت من ط .

(٧) « رَجُلٌ » سقطت من ع .

(٨) فِي ت ، وَط ، وَع : « النَّبِيُّ » .

(٩) نهایة خرم وقع في م ، وَن ببدأ في الصفحة السابقة ، والحديث في سن البهقى الكبير
/ ٧ / ١٥٤ / رقم ١٣٦٤٩ ، وسنن أبي داود / ٢ / ٢٢٠ / رقم ٢٠٤٩ ، والنمساني / ٦ / ١٦٩ / رقم
٣٤٦٤ مع اختلاف في الرواية .

(١٠) فِي م : « الصَّحَةُ » تحريفاً .

(١١) فِي ط : « لَا تَحْفَرُ » ؛ وَفِي م : « وَلَا يَحْفَرُ » .

وَلَا يَكُونُ^(١) عَلَى عَوْرَاتِهِ رَقِيبًا . وَهُوَ^(٢) مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : مَنْ حَفَرَ لِأَخِيهِ
الْمُؤْمِنِ فَلَيْبَا ؛ أَلْقَاهُ اللَّهُ فِيهِ قَرِيبًا^(٣)

وَمِنْ هَذَا الْقَسْمِ مَا ذُكِرَتُهُ فِي فَصْلٍ مِنْ كِتَابٍ إِلَى بَعْضِ الْمُلُوكِ ، وَهُوَ : إِذَا دَعَا
النَّاسُ لِمُلُوكِهِمْ بِاعْتَلَاءِ الشَّانِ ، وَنَفَادِ السُّلْطَانِ ؛ فَإِنَّ الْخَادِمَ يَدْعُو لِلنَّاسِ بِيَقَاءِ^(٤)
مَوْلَانَا الَّذِي بَسَطَ لَهُمْ قَلْبًا^(٥) وَيَدًا ، وَبَوَأْهُمْ مِنْ إِحْسَانِهِ حِيثُ شَاءُوا رَغْدًا ، وَكَانَ
لَكَهُلِّهِمْ أَخَا وَلَنَاثِشِهِمْ وَاللَّدَا وَلَكَبِيرِهِمْ وَلَدَا . فَهُمْ مِنْ دُولَتِهِ فِيمَا تَشَتَّتَهُ الْأَنْفُسُ ،
وَتَلَدُّ^(٦) الْأَبْصَارُ ؛ قَدْ جَمَعَ لَهُمْ بَيْنَ الْمَحْجُوبَاتِ الْثَلَاثِ مِنَ الْخَفْضِ ، وَالْأَمْنِ ،
وَالْأَكْثَارِ :

فَالَّذِي تُثِيتُ^(٧) الْبِلَادَ سُرُورَ^(٨) وَالَّذِي تُمْطِرُ^(٩) السَّمَاءَ مَدَامَ^(١٠)
وَالْأَيَامُ قَدْ هَذَبَتْهَا لَهُمْ أَخْلَاقُهُ الْكَرِيمَةُ ، فَهِيَ^(١١) فِي مَعَامِلَتِهِمْ^(١٢) أَيَامٌ صَرْفُ

(١) فِي ط : « ولا تكون ». .

(٢) فِي ت ، وَط ، وَم ، وَع : « وهذا » ؛ وَفِي ن : « هذا ». .

(٣) المصنوع في معرفة الموضوع ١٨٢ / رقم ٣٣١ ، و كشف الخفا ٢٢١ / ٢ رقم ٢٤٦٤ ، قال الحافظ بن حجر : لم أجده له أصلًا ، وإنما ذكره صاحب الأمثال بلفظ : من حفر لأخيه جبا ؛ أوقعه الله فيه منكبا ؛ وراجع تفسير القرطبي ١٤ / ٣٥٩ .

(٤) فِي ن : « يَقَاءُ النَّاسِ يَقَاءً » وَهِيَ عِبَارَةٌ مَضْطَرِّيَةٌ .

(٥) فِي م : « لَهُ يَدَا » خَطَا وَسُقُوطَ كَلْمَةٍ « قَلْبًا ». .

(٦) فِي م : « وَلَدَا ». .

(٧) فِي م ، وَن : « بَيْتٌ ». .

(٨) فِي ع : « سُرُورًا » خَطَا .

(٩) فِي م : « يَمْطِرُ ». .

(١٠) الْبَيْتُ مِنَ الْخَفِيفِ فِي دِيْوَانِ الْمَتَنِيِّ / ٢٥٠ وَرَوَائِتُهُ :

وَالَّذِي يَمْطِرُ السَّحَابَ مَدَامَ
وَالَّذِي يَمْطِرُ السَّحَابَ مَدَامَ

(١١) فِي م : « فَهُوَ ». .

(١٢) فِي ن : « مَعَامِلَتِهِمْ ». .

وصلة ، وفي صحبتهم كالبلد الحرام الذي لا يُتقذر صينه ولا يُختلى خلاه . ولا يُستثنى منهم إلا الخايم ؛ فإنها ظلمته ، وما يقول^(١) إلا أنها كلّتة ، وهو يُحاكمها إلى عذله الذي يأخذ على يد كُل^(٢) من ظلم ، وقد أعز الله كلّتة ، ومن عز حكم . وفخوى شِكَائِيَّة منها أنها أفرجت عن الخدمة بمرضه ، وسدّدت^(٣) إليه سُهْمَا فكانت العافية من غَرَبِه .

في هذا الكلام معانٍ شريفة ، وألفاظ لطيفة ، وهو^(٤) حسن في فنه ، بدائع في حسنه ، وفيه مواضع^(٥) من القرآن الكريم ، ويشتمل على معنى واحد من الأخبار النبوية ، وهو قول النبي ﷺ في فضل مكة ؛ فقال : إن هذا البلد حرم الله يوم خلق السماوات والأرض ؛ فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيمة ، لا يغضض شوكله ، ولا يُتقذر صينه ، ولا تُلتفت^(٦) لفطنه إلا من عرفها ، ولا يُختلى خلاه^(٧)

ومن هذا الأسلوب ما ذكره في صدر^(٨) كتاب ، وهو :
 يا من إذا قلت يا من لا شبّيحة له
 في جواده ؛ قيل لي : يا أصدق البشر^(٩)

(١) في م : « وما تقول » .

(٢) « كل » غير موجودة في ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٣) في ع : « وشدّدت » تصحيفا .

(٤) في ع : « وقد » خطأ .

(٥) « مواضع » سقطت من م .

(٦) في ط ، وم ون : « ولا يلتفت » .

(٧) في ن : « خلاوه » . والحديث في البخاري ٦٥١ / ١٧٣٧ رقم ٩٨٦ ، ومسلم ٢ / ٣٦ رقم ١٣٥٣ ، وابن حبان ٩ / ٣٦ رقم ٣٧٢٠ ، والسنن الكبرى للنسائي ٢ / ٣٨٤ رقم ٣٨٥٧ ، وتفسير القرطبي ٢ / ١١٨ .

(٨) « صدر » سقطت من م .

(٩) البيت من البسيط في ديوان أبي تمام ٤ / ١٩٩ / ق ٢٥٣ ، وروايته :
 لا نظير له في حسنة

هذا نداء يغذب النطق به على الأفواه ، وتنتحن^(١) به قلب السماح لا قلب الأمواه ؛ ولا يختص بصدقه إلا من كان نداءه عموما ، وقامت مواجهة في وجوب الحوادث خصوصا . فذلك^(٢) الذي إذا نودى جودة [بنفي]^(٣) التشبيه لبَّت العلية^(٤) من ناداه ، وقالت : أنا ولئنْ من والاه ، وعدُّو من عاداه .

هذا من مطالع الكتب الغريبة [فيما قصد له من المعنى]^(٥) ، وهو يشهد لنفسه ، وفيه معنى [خبر]^(٦) واحد^(٧) من الأخبار النبوية ، وهو قول النبي ﷺ في وصف علي بن أبي طالب عليه [أفضل]^(٨) السلام ، وهو حديث مطول لا حاجة إلى استقصاء ذكره^(٩) . بل يشار إلى ذكر المعنى المأخوذ منه ، وهو قوله^(١٠) ﷺ : اللهم وال من والاه ، وعد من عاداه^(١١)

(١) في م : « وتنتحن » .

(٢) في م : « فذلك » خطأ .

(٣) في الأصل بخط مختلف : « في » ؛ وما أثبته من ت ، وط ، ون ، وع ؛ وفي م : « يبقى » تصحيفا .

(٤) في ن : « لعلية » خطأ :

(٥) الزيادة من ت ، وط ، وم ، ون ، وع .

(٦) الزيادة من ط .

(٧) « واحد » سقطت من م .

(٨) الزيادة من ط ؛ وفي ن : « رضي الله عنه » ؛ وفي ع : « على بن أبي طالب وهو » .

(٩) في ع : « إلى استقصائه » بسقوطه : « ذكره » .

(١٠) في ط : « قول النبي » ؛ وفي ن : « وهو قول ﷺ » ؛ وفي ع : « وهو قول النبي عليه السلام » .

(١١) المستدرك على الصحيحين ٣/١١٨ / ٤٥٧٦ رقم ، والسنن الكبرى للنسائي ٥/٤٥ رقم ٨١٤٨ ، ومسند أحمد ١/١١٨ / ٩٥٠ رقم ، والمجمع الأوسط ٢/٢٤ رقم ١١١١ ؛ وفي ط مكتوب بهامش هذه الصفحة : « فيه حديث وال من والاه » بخط مختلف ؛ وفي م ، ون : « أنا ولئنْ من والاه ، وعدو من عاداه » .

ومن هذا النوع ما ذكرته في الأدعية الموضوعة في صدور الكتب من ^(١) السلطانيات والإخوانيات ، وقد تقدّم مثله فيما أخذته من معانٍ « القرآن ، ومعانٍ الأشعار ، وهنـا ذكرـ ما أخذـتـ من معانـي » ^(٢) الأخبار النبوية ، فـ منهـ ما أورـدـتـهـ في صـدرـ كتابـ ، وـ هوـ : جـبلـ ^(٣) اللـهـ القـلـوبـ عـلـىـ وـذـ الـحـضـرـةـ السـامـيـةـ الفـلـانـيـةـ ^(٤) ، وـ شـفـىـ عـلـيلـ ^(٥) الصـدـورـ بـرـوـائـهاـ ، وـ غـلـيلـ ^(٦) الـأـمـالـ يـازـوـائـهاـ ، وـ جـعـلـ مـكـارـمـهـاـ مـصـوـغـةـ ^(٧) مـنـ النـفـوسـ وـأـهـوـائـهاـ ، وـ مـثـلـهـ أـمـاـ لـكـلـ عـافـ ^(٨) حـتـىـ تـجـمـعـ لـهـ بـيـنـ وـعـائـهـاـ ^(٩) وـسـقـائـهـاـ وـجـوـائـهاـ .

هـذاـ الدـعـاءـ مـنـ مـحـاسـنـ الـأـدـعـيـةـ التـىـ تـأـتـىـ فـيـ هـذـاـ الـبـابـ ، وـ يـعـزـ أـنـ يـؤـتـىـ ^(١٠) بـمـثـلـهـ ، وـ فـيهـ مـعـيـانـ مـنـ الـأـخـبـارـ النـبـوـيـةـ : أـحـدـهـماـ قـوـلـ الشـيـعـيـةـ ^(١١) جـبـلـتـ ^(١٢) الـقـلـوبـ عـلـىـ حـبـ مـنـ أـخـسـنـ إـلـيـهـ ^(١٣) وـ الـآـخـرـ : اللـهـ جـاءـتـ اـمـرـأـةـ إـلـىـ الشـيـعـيـةـ ^(١٤) ؛ فـقـالـتـ : يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ إـنـ هـذـاـ اـبـنـيـ كـانـ ثـدـيـ لـهـ سـقاـءـ ، وـ يـطـنـيـ لـهـ وـعـاءـ ،

(١) « من » سقطت من م ؛ وفي ن : « في صدر الكتب من » .

(٢) في م : « وهـنـاـ ماـ أـخـذـتـهـ مـنـ الـأـخـبـارـ » ؛ وماـ بـيـنـ عـلـامـيـنـ التـصـيـصـ سـقطـ مـنـ نـ .

(٣) في ن : « جـعـلـ » تـجـرـيفـاـ . (٤) في ت : « الـحـضـرـةـ الـفـلـانـيـةـ » .

(٥) في ت ، وـ ط ، وـ م ، وـ نـ : « غـلـيلـ » .

(٦) في ط : « وـ عـلـيلـ » .

(٧) في جميع النسخ : « مـصـوـغـةـ » ، ولـعـلـهـاـ : « مـصـوـنـةـ » مـصـدـاـقـاـ لـقـوـلـهـ تـعـالـىـ : إـنـ النـفـسـ لـأـمـارـةـ بـالـسـوـءـ .

(٨) في نـ : « عـارـفـ » . (٩) في عـ : « وـغـانـهـاـ » تـصـحـيفـاـ .

(١٠) في الأصلـ : « يـاتـيـ » خـطاـ ، وـ التـصـوـيـبـ مـنـ تـ ، وـ طـ ، وـ مـ ، وـ نـ ، وـ عـ .

(١١) في نـ : « قـوـلـهـ » .

(١٢) في عـ : « عـلـيـهـ السـلامـ » .

(١٣) مستـدـ الشـهـابـ / ١ / ٣٥٠ رقمـ ٥٩٩ ، وـ شـعـبـ الإـيمـانـ / ١ / ٣٨١ رقمـ ٤٦٦ ، والـفـرـدوـسـ بـمـأـثـورـ الـخطـابـ / ١١١ / ٢ رقمـ ٢٥٨٨ .

(١٤) في عـ : « عـلـيـهـ السـلامـ » .

وَجَرِيَ لَهُ حَوَاءُ ، وَإِنَّ أَبَاهُ طَلَقَنِي ، وَيُرِيدُ أَنْ يَتَزَرَّعَهُ^(١) مَنِي . فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْتِ أَحَقُّ بِهِ [مِنْهُ]^(٢) مَا لَمْ تُنْكِحِي^(٣)

وَهُنَّا دُعَاءً آخَرُ مِنْ هَذَا الضَّرِبِ ، وَهُوَ : حَبَّاهُ اللَّهُ بِالْعِيشَةِ النَّاضِرَةِ ، وَأَمَّهُ مِنْ
الْكَرَّةِ الْخَاسِرَةِ^(٤) ، وَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ حَيَاةِ عُمُرِهِ وَذِكْرِهِ حَتَّى لَا تَزَالَ الدُّنْيَا بِهِ عَامِرَةً .
وَسَيِّئَ أَفَاصِي^(٥) الْمَطَالِبُ إِلَى بَابِهِ ، إِذَا^(٦) كَانَتِ الْهَمَمُ إِلَيْهَا سَائِرَةً ، وَجَعَلَ
حُسْنَ^(٧) مَجْدِهِ خَلْفًا^(٨) مَخْلُوقًا إِذَا اخْتَاجَ الْحُسْنُ إِلَى الْوَاشِمَةِ وَالْوَاثِرَةِ .

فِي هَذَا الدُّعَاءِ مَا هُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الْأَخْبَارِ النَّبِيَّةِ^(٩) ، وَهُوَ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَتْ
إِلَيْهِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ [لَهُ]^(١٠) : إِنَّ ابْنَتِي أَنْزَقَ^(١١) شَعْرَهَا ؟ أَفَأَصِلُّهُ ؟ فَقَالَ : لَعَنَ
اللَّهِ الْوَاحِدَةِ وَالْمُسْتَوْصِلَةِ ، وَالْوَاشِمَةِ وَالْمُسْتَوْشِمَةِ ، وَالْوَاثِرَةِ وَالْمُسْتَوْثِرَةِ^(١٢) .
وَهُنَّا دُعَاءً^(١٣) آخَرُ مِنْ هَذَا الضَّرِبِ ، وَهُوَ مَمَّا^(١٤) يَخْتَصُّ بِقَاضٍ : أَنْفَدَ اللَّهُ

(١) فِي نَ : « يَتَزَرَّعَ ». (٢) الْزِيَادَةُ مِنْ طَ .

(٣) سنن أبي داود / ٢٨٣ / رقم ٢٢٧٦ ، والمستدرك على الصحيحين / ٢ / ٢٢٥ / رقم
٢٨٣٠ ، وسنن الدارقطني / ٣٠٤ / ٣ / رقم ٢١٨ ، وفتح الباري / ١٠ / ٤٠٢ / رقم ٥٦٦ ، وتفسير
القرطبي / ٣ / ١٦٤ .

(٤) فِي تَ : « الْخَاشِرَةُ » ؛ وَفِي عَ : « الْحَاسِرَةُ » تَصْحِيفًا .

(٥) فِي مَ ، وَنَ : « قَاصِيُّ ». (٦) فِي مَ : « وَإِذَا » خَطَا .

(٧) فِي مَ : « حَسْنِي ». (٨) فِي طَ : « خَلْفًا » تَصْحِيفًا .

(٩) « النَّبِيَّةُ » سَقَطَتْ مِنْ تَ ، وَنَ .

(١٠) الْزِيَادَةُ مِنْ مَ ، وَنَ ، وَعَ .

(١١) فِي طَ : « اَنْزَقَ » ؛ وَفِي نَ : « اَمْرَقَ » تَصْحِيفًا .

(١٢) البخاري / ٥ / ٢٢١٦ / رقم ٥٥٨٩ ، ومسلم / ٣ / ١٦٧٧ / رقم ٢١٢٤ ، والترمذى / ٤ /
٢٣٦ / رقم ١٧٥٩ ، ومسند الربيع / ١ / ٣٧١ / رقم ٩٧٥ . الْوَاثِرَةُ : الْمَرْأَةُ الَّتِي تَحْدُدُ أَسْنَانَهَا
وَتَرْقُقُ أَطْرَافَهَا ، تَفْعِلُهُ الْمَرْأَةُ الْكَبِيرَةُ تَشْبَهُ بِالشَّوَابِ . الْلِسَانُ فِي (وَشَ رَ) .

(١٣) فِي طَ : « دَغَاءُ » تَصْحِيفًا .

(١٤) فِي مَ : « مَا » .

حُكْمَهُ وأَنْضَاهُ ، وَجَعَلَهُ الْوَاحِدَ مِنَ الْفَضَّاهُ ، وَبَلَغَ بِهِ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَدَى
رِضَاهُ ، وَلَا خَطَرَ لَهُ خَاطِرٌ أَمْلِ إِلَّا جَاءَتِ الْأَقْدَارُ^(١) بِمُقْتَضَاهُ ، وَقَسَمَ الزَّمَانَ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ حَتَّى يَكُونَ^(٢) لَهُمْ أَسْوَادَاهُ ، وَلَهُ^(٣) أَبْيَاضَاهُ .

وَفِي هَذَا الدُّعَاءِ مَعْنَى مِنَ الْأَخْبَارِ النَّبُوَّيَّةِ ، وَهُوَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ : الْفَضَّاهُ
ثَلَاثَةُ^(٤) : قَاضٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَقَاضِيَانٌ فِي النَّارِ^(٥) .

وَهُنَّا دُعَاءً آخَرُ مِمَّا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى ، وَهُوَ مَمَّا يَخْتَصُ^(٦) بِمَنْ اسْمُهُ
عَلَى : [أَوْزَعَهُ]^(٧) اللَّهُ شُكِّرَ مَا أَزْلَاهُ . وَأَسْعَدَ أَخْرَتَهُ ، كَمَا أَسْعَدَ أُولَاهُ . وَأَنَّالَهُ
فَضْلَ سَمِيمٍ^(٨) الَّذِي قِيلَ فِيهِ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ ؛ فَعَلَيَّ مَوْلَاهُ .

فِي هَذَا الدُّعَاءِ مَعْنَى مِنَ^(٩) الْأَخْبَارِ النَّبُوَّيَّةِ^(١٠) ، وَهُوَ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي وَضْفِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ^(١١) السَّلَامُ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ ؛ فَعَلَيَّ مَوْلَاهُ^(١٢) .

(١) فِي ط : « قَدَارٌ » تَحْرِيفًا .

(٢) فِي ع : « وَلِيٌّ » تَحْرِيفًا .

(٣) فِي م : « ثَلَاثٌ » خَطَا .

(٤) الْمُسْتَدِرُكُ عَلَى الصَّحِيحِيْنِ ٤/١٠١ ، رَقْم١٢٠١٢ ، وَالْتَّرْمِذِيُّ ٣/٦١٣ ، رَقْم١٣٢٢ ،
وَأَبْيَادُود٢/٣٥٧٣ ، رَقْم٢٩٩ ، وَابْنِ ماجِه٢/٧٧٦ ، رَقْم٢٣١٥ .

- وَفِي تَتَدَخِّلُ النَّاسَخَ بِإِثْبَاتِ رَأْيِهِ فِي قَوْلِهِ : « وَفِي الْفَقْرَتَيْنِ الْأَخْرَيْنِ مَعْنَى يَسَّأَلُ عَنْهُ ؛
جِئْتُ أَدْخِلَهُ فِي مَنْتَ الْمَصْنُفِ . وَلَمْ يُبَشِّرْ إِلَيْ ذَلِكَ دَ . جَمِيلُ سَعِيدُ فِي نَسْرَتِهِ .

(٦) فِي ت ، وَنْ : « وَهُوَ يَخْتَصُّ » .

(٧) فِي الْأَصْلِ بِخَطَ مُخْتَلِفٍ : « أَوْلَاهُ » ؛ وَمَا أَبْتَهُ مِنْ ت ، وَط ، وَم ، وَن ، وَعِيَّ .

(٨) فِي م : « اسْمُهُ » .

(٩) فِي ع : « أَمْرٌ » تَحْرِيفًا .

(١٠) « النَّبُوَّيَّةُ » سَقَطَتْ مِنْ ت ، وَمِ .

(١١) فِي ط : « أَفْضَلٌ » ؛ وَهِيَ نَسْخَةُ طَهْرَانَ ، وَفِي ع : « وَصَفَ عَلَى : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ » .

(١٢) التَّرْمِذِيُّ ٥/٦٣٣ ، رَقْم٣٧١٣ ، وَالسِّنْنُ الْكَبِيرُ لِلنَّسَائِيِّ ٥/١٣٢ ، رَقْم٨٤٧٣ .
وَالْمَعْجَمُ الْأَوْسَطُ ٢/٢٤ ، رَقْم١١١١ .

وممّا يُسلّك به هذا المَسْلِكُ^(١) دعاء من الأدعية التي تُوضع في كُتب الديوان العزيز النبوى ببغداد ، وهو : أَدَمَ اللَّهُ سُلْطَانَ الْدِيَوَانِ الْعَزِيزَ النَّبُوِيَّ ، وَجَعَلَ أَمْدَادَ البقاء لدولته مؤطنة^(٢) ، ومقاليد الأيام بإعلام كَلِمَتِه مُؤذنة ، وبَسَطَ يده في الأعداء مُكِيَّة ، وأسْبَغَها على الأولياء مُمْكِنَة ، وأَخْدَمَ الجُدُودَ عَيْدَةٌ حتّى لا يُذْعَنَ بطايعه لسان^(٣) إِلَّا كَانَتْ لَهْ مُذْعَنَة ، وَلَا تَقْرُ^(٤) بِعِبُودِيَّتِه رَقْبَة^(٥) إِلَّا قَالَتْ لِلَّدْهَرِ : أَغْيَقَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَة .

هذا الدعاء من الأدعية المستغربة المستحسنة ، وفيه معنى مأخوذ من الأخبار النبوية ، وذلك أنّ جارية لبعض الصحابة حضرت بين يديه ﷺ ؛ فقال لها : أين الله؟ فقلت : في السماء . فقال لسيدها : أَغْيَقَهَا ؛ فإنها مُؤْمِنَة^(٦)

وممّا يتّظم بهذا السُّلْكِ دعاء^(٧) آخر : خَلَدَ اللَّهُ سُلْطَانَ الْدِيَوَانِ الْعَزِيزَ النَّبُوِيَّ وَجَدَّ لِيالِي دُولَتِه وَأَيَامِهَا ، وَأَجْفَ القَلْمَ بِأَنْ تُجْرِي^(٨) فِي الْأَرْضِ أَقْلَامَهَا ، وَنَظَمَ لَهَا عَقُودَ سَعَادَةٍ لَا تَبْلُغُ^(٩) عَقُودَ الْحَسَنَاءِ نِظَامَهَا ، وَنَصَبَ حَرَمَهَا مَثَابَةً لِلآمَالِ وَجَعَلَ إِلَيْهِ^(١٠) تَلْبِيَّهَا وَإِخْرَاهَهَا ، وَأَنْشَرَ بِفَضْلِهِ أَمْوَاتَ الْمَكَارِمِ الَّتِي لَيْسَ لِغَيْرِهِ أَنْ

(١) في ت ، وط ، وم ، وع : «الطريق» ؛ وفي ن : «هذه الطريق» .

(٢) مؤطنة بوزن مؤمنة من الفعل أوطن بمعنى : أقام .

(٣) في م : «بطقة لسانه» تحريفا .

(٤) في ط ، وم : «ولا يقر» ؛ وفي ع : «ولا نقر» تصحيفا .

(٥) «رقبة» سقطت من ت .

(٦) مسلم ١/٣٨١ / رقم ٥٣٧ ، وصحيح ابن حبان ١/٣٨٣ / رقم ١٦٥ ، وسنن أبي داود ١/٢٤٤ / رقم ٩٣٠ .

(٧) «دعاء» ممحورة في ط .

(٨) في ط ، وم ، ون ، وع : «يُجْرِي» .

(٩) في م : «لا يبلغ» .

(١٠) في م : «إليها» خطأ .

يَشْرُ أَرْوَاحَهَا وَأَجْسَامَهَا . وَمَائِلَ بَيْنَ أَسْمَاءِ عَزَائِمَهَا وَمُسَمِّيَاتِهَا حَتَّى يَلْقَى (١) الْأَعْدَاءَ حَرَبُهَا وَمُرْتَبُهَا ، وَالْمَسَاعِي (٢) حَارِثُهَا وَهَمَامُهَا .

هذا الدعاء فيه معنى من الأخبار النبوية ، وهو قولُ الشَّيْءَ ﷺ : أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ : عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَأَضَدَّهُمَا عِنْدَهُ الْحَارِثُ وَهَمَامُ ، وَأَبْغَضُهُمَا إِلَيْهِ حَرَبُ وَمُرْءَةً (٣)

وقد أورذت هذا المعنى في دعاء آخرَ بغيرِ هذا اللفظ ، وذكرُه في كتاب الأدعية التي (٤) أنشأتها ، وقد تقدّم ذكرُه في هذا (٥) الكتاب ، ونبهت عليه ، ولم أذكر هُنَا من تلك الأدعية شيئاً :

وممّا ينسحبُ (٦) على هذا الذيل دعاء آخرُ ، وهو : أَدَمَ اللَّهُ سُلْطَانُ الْدِيَوَانِ العزيزِ (٧) النبوى ، وأَخْدَمَ رِقَابَ الْأَيَامِ وَاللَّيَالِ ، وَنَصَبَ [أبوابه] (٨) قِبْلَةً لِشُجُودِ الْأَعْظَامِ وَالْإِجْلَالِ ، وَجَعَلَ التَّقْوَى وَطَاعَتَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمُتَرَادِفَةِ الَّتِي تَخْلُفُ فِي التَّسْمِيَّةِ ، وَتَتَقَعُ (٩) فِي الْأَقْعَالِ . وَنَاسَبَ فِي الْأَشْتَهَارِ بَيْنَ رَأِيَاتِ عَسَكِيرِهِ ، وَرَأِيَاتِ مَائِرِهِ حَتَّى يَقَالَ : أَهْذِهِ عَوَالٍ أَمْ مَعَالٍ (١٠)؟ . وَلَا زالت عَطَايَاهُ مُتَصِّفَةً بِوَصْفَيْنِ :

(١) فِي ع : « تلقى » .

(٢) فِي م : « والمساعي » ؛ وفِي ن : « والمولاي » ؛ وفِي ع : « المساعي » .

(٣) سنن أبي داود / ٤٢٨٧ / رقم ٤٩٥٠ ، ومستند أحمد / ٤٢٣٥ / رقم ١٩٥٤ ، والمجمع الكبير للطبراني / ٢٢ / ٣٨٠ / رقم ٩٤٩ ، والأدب المفرد / ٢٨٤ / رقم ٨١٤ ، وفتح الباري / ١٠ / ٥٧٨ / رقم ٥٨٤٠ مع اختلاف فِي الرواية .

(٤) فِي الأصل : « الَّذِي أَنْشَأَهَا » خطأ ؛ وَمَا أَنْتَهُ مِنْ ت ، وَط ، وَم ، وَن ، وَع .

(٥) « هَذَا » سقطت مِنْ ت .

(٦) فِي م : « يستحب » تحريفاً .

(٧) « العزيز » سقطت مِنْ م .

(٨) فِي الأصل : « بَابِهِ » ؛ وَمَا أَنْتَهُ مِنْ ت ، وَط ، وَم ، وَن ، وَع .

(٩) فِي م : « وَيَنْقُنُ » خطأ .

(١٠) فِي م : « فَعَالْ » تحريفاً .

من نقل الأيدي الخفاف^(١) ، والأيدي القفال ، ولا زال^(٢) جُودها مُؤذنا^(٣) في الناس ، فلا يعرضن له سائل^(٤) إلا قال : أرخنا بها يا بلال . في هذا الدعاء معنى من^(٥) الأخبار النبوية ، وهو أنَّه كان إذا حضرت الصلاة ؛ قال الشَّيْءَ لِبَلَالِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أرخنا بها يا بلال^(٦) . أتى عَجَلَ بها .

* * *

(١) في م : « والأيدي » ؛ و : « الخفاف » سقطت من ن .

(٢) في ت : « وجعل جودها » .

(٣) في ع : « مؤذنا » تصحيفا .

(٤) في ن : « فلا يعرض لسائل » خطأ .

(٥) في ع : « أمر » تحريفا .

(٦) سنن أبي داود ٤/٢٩٦ ، رقم ٢٩٨٥ و ٢٩٨٦ ، ومستند أحمد ٥/٣٦٤ ، رقم ٢٣١٣٧ ، والمعجم الكبير ٦/٢٧٧ ، رقم ٦٢١٥ مع اختلاف في الرواية .

تم الكتاب المبارك بحمد الله تعالى وملائكة ، وخفق لطفه ، وحسن توفيقه في العشر الآخر من شهر ربيع الآخر من سنة أربعين وثلاثين وستمائة .
والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آل الطاهرين .

وهو حسبي ، ونعم الوكيل ^(١)

(١) في هامش الأصل : بلغ ابن الدحيمى بقراءته عرضا بالأصل المقوء على المصنف أىده الله بالموصى الموصولة ، منه هذه النسخة حسب الإجهاد (كلمتان غير مقوتين) ، وصحت المعارضة بدمشق المحروسة . (كلام مقطوع من التصوير) .

(*) في متصف صفة الأصل : نقل هذا الكتاب لأحمد بن أبي الفضائل بن أبي المجد بن أبي المعالى بن الدحيمى عفوا الله عنه بدمشق المحروسة فى شهر ربيع الآخر سنة أربعين وثلاثين وستمائة ؛ وهذا خطأ . وأقول : إننى عارضته مع من وقت به فى الله إلى النسخة المتفق منها ؛ وكانت بخط محمد بن أحمد بن عمر بن أبي شاكر الحنفى الإبريلى ، وذكر أنه كان نقلها بالموصل من نسخة المصنف بعد أن قرأ الأصل عليه . وشاهدت آخرها بخط المصنف ما صورته فى أعلى هذا الكتاب من أوله إلى آخره ، الولد الأعز الأجل العالم شرف الدين عبد الصمد بن محمد بن المجلى النصيبي أباه الله . واستشرح منه ما يحتاج إلى شرح ؛ وذلك بمدينة الموصل فى عدة مجالس ؛ آخرها يوم الإثنين ثامن جمادى الأولى سنة اثنين وثلاثين وستمائة ، وهو التاسع والعشرون من كانون الثاني ، وأجزت له أن يرويه عنى على شروط الرواية المعتبرة ، وكتب مصنف الكتاب بيده حامدا الله ، ومصليا على رسوله محمد وآله ومسلما .

(١) في ت : نجز كتاب الوشى المرقوم فى حل المنظوم ، ووافق فراغه بكرة السبت ثالث ذى الحجة من سنة إحدى وخمسين وستمائة هجرية ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد نبىه ، وآله الطاهرين ، وسلم كثيرا ، وحسبنا الله ، ونعم الوكيل .

* وبخط مختلف عن خط النسخة كتب : بلغ مقابله بنسخة عليها خط المصنف رحمة الله ؛ وصحح بقدر الإمكان فى أوائل ربيع الأول سنة تسعة وخمسين وستمائة ، والحمد لله ، وصلواته على محمد وآله الطاهرين .

- وفي ط : تم الكتاب بحمد الله وملائكة ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد نبىه ، وآله وأصحابه وعتره الطاهرين وسلم تسليما كثيرا .

- وفي م : تم الكتاب ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه =

= وسلامه ، بلغ مقابلة حسب الطاقة في خامس عشر حرم الحرام سنة ست وألف ، أحسن الله عاقبتها بخير آمين آمين ، وصل الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم . آمين .

- وفي ن : تم الكتاب بحمد الله الوهاب .

- وفي ع ييدو أن الناسخ قد سها عن كتابة رقم بين «ثلاث ستمائة» ؛ فكتب : تم الكتاب بعون الله تعالى ، وحسن توفيقه في الخميس غرة شهر ذي الحجة سنة ثلاث ستمائة ، والحمد لله وصلوانه على سيدنا محمد وآلـه .

* في أسفل صفحة الأصل الأخيرة كتب : نقل هذا الكتاب لأحمد بن أبي الفضائل بن أبي المجد بن أبي المعالي بن الدحبيسي عفا الله عنه بدمشق المحروسة ، في شهر ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين وستمائة ، وهذا خطه ، وأقول : إنني عارضته مع من وثقت به في الله إلى النسخة المنقول منها ، وكانت بخط محمد بن أحمد بن عمر بن أبي شاكر الحنفي الإبريلى ، وذكر أنه كان نقلها بالموصل من نسخة المصنف بعد أن قرأ الأصل عليه . وشاهدت آخرها بخط المصنف ما صورته في أعلى هذا الكتاب من أوله إلى آخره ، الولد الأعز الأجل العالم شرف الدين عبد الصمد بن محمد بن المجلن النصيبي أبقاء الله ، واستشرح منه ما يحتاج إلى شرح ، وذلك بمدينة الموصل في عدة مجالس ، آخرها يوم الإثنين ثمان جمادى الأولى ستة اثنين وثلاثين وستمائة ، وهو التاسع والعشرون من كانون الثاني ، وأجزت له أن يرويه عنى على شرط الرواية المعتبرة ، وكتب مصنف الكتاب بيده ، حامدا الله ، ومصليا على رسوله محمد وآلـه وسلمـا .

خاتمة

أدب الكاتب من الأمور التي شغلت كثيرين من كتابنا العظام قديماً وحديثاً ، ولم تكن هذه المسألة ناتجة عن فراغ ؛ وإنما كانت ناشئة عن الأهمية والمكانة التي ارتقى إليها الكتاب من خلال قربهم الشديد من ولاة الأمور .

لقد تسمم ذروة الكتابة كاتبون ذوو شأن في تاريخ الأدب العربي ، وقد أخذ بعضهم على عاتقه مهمة تعليم مَنْ بعدهم - ممن « حصلت لهم الموهبة » على حد تعبير ابن الأثير - صناعة الكتابة ، أو توضيح طرائقها التي ينبغي على ممتهنيها أن يسلكوها ، يأتي في مقدمة هؤلاء أديب العربية الأكبر عمرو بن بحر الجاحظ (- ٢١٣ هـ) في كتابيه « البيان والتبين » و « الحيوان » ، وابن قتيبة الديبورى (٢٥٥ - ٢٧٦ هـ) الذي يمثل الحلقة الأولى في تأليف الكتب المتخصصة في هذا الشأن ، بكتابه « أدب الكاتب » ، وإن كان أبي طاهر طيفور (٢٠٤ - ٢٨٠ هـ) يعتبر أول من أرسى مبدأ الاختيارات الشرية جنباً إلى جنب بجوار الشعر في كتابه « المنظوم والمثور » .

وقد كان ابن طباطبا العلوى (٣٢٢ - ٣٢٢ هـ) أول من أكد أن « الشعر رسائل معقودة ، والرسائل شعر محلول » ، وهو بهذا قرب المسافة بين الشعر والثر إلى حد لم تكن قد وصلت إليه من قبل ، كذلك يعتبر كتاب « الصناعتين » لأبي هلال العسكري (٣٩٥ - ٤٢٩ هـ) أول كتاب تعليمي يأخذ على عاتقه الإكثار من الأمثلة التي تسهل على الدارسين ارتياح صناعة الكتابة .

ومن بين الذين خصصوا أحد مؤلفاتهم لهذا الموضوع أبو منصور الشعالي (٣٥٠ - ٤٢٩ هـ) في كتابه « نثر النظم وحل العقد » .

ومن هنا لم يكن ضياء الدين بن الأثير بدعا عن أولئك الذين سبقوه في تمهيد الطريق لمن يأتي بعده ، فألف كتابه « الوشى المرقوم في حل المنظوم » ؛ ليبين الطريقة المثلثة التي يجب أن يكون عليها من يتخذ الكتابة صناعة وحرفه يعيش

منها ، وقد اختار لذلك النماذج التي تمثل - يمكن القول - ذروة الإبداع في رسائله السلطانية أو الإخوانية ، أو غير ذلك من أنواع الكتابة .

يعتبر هذا الكتاب إحدى الحلقات الجوهرية في تاريخ الأدب العربي لتعلم الكتابة ، وهو « على وجازته عظيم الإفادة » على حد قول ابن خلkan في وفاته ، كما أنه يعتبر صورة حية ، تتجسد من خلاله شخصية ابن الأثير التي يعتد فيها بذاته إلى درجة جعلت واصفيه يتهمونه بالغرور ، عكس ما نجد في رسائله التي تبين أنه شخص محب للآخرين ، متواضع في موضع التواضع ، متعال في الموضع الذي يستدعي ذلك .

الأهم من ذلك أنه يرصد ثقافة عصر ؛ اتسم بالموسوعية ، فهو يحفظ القرآن الكريم ، والأخبار النبوية - لأنه ينظر إلى هذا المصطلح على أنه بلغة المنطقة يستفرق الأحاديث النبوية ، فهو أعم منها - الصحيح منها وغير الصحيح استثناء من المعانى ، كما لا يقتصر حفظه على دواوين فحول الشعراء فقط ، بل - ومن خلال الكتاب أيضا - يحفظ أشعارا كثيرة ، خاصة الأبيات المشهورة ، والأمثال السائرة ، وتاريخ الأمم السابقة ، والاطلاع على دياناتها ، إلى غير ذلك مما يؤكّد هو على من يريدون اتخاذ الكتابة مهنة أن يحفظوه .

ذلك يرصد الكتاب إلى أي مدى تصل ثقافة ابن الأثير به إلى أن يصدر أحكاما وآراء نقدية تستحق الرصد ، منها : تقسيمه لكل من أبي تمام والبحترى والمتينى فى عبارة موجزة وهى أنه « لم يشتمل شعر أحد من الشعراء المقلقين : قديما ، وحديثا على المعانى التى اشتمل عليها شعر أبي تمام ، وأبى الطيب المتينى ؛ فإنهما غواصا المعانى . وأما الألفاظ فى سبكها ودياجتها فلم أجده أحدا يسامى أبا عبادة البحترى فيها ». ويؤكّد أن استخدام السجع لابد أن يرتبط بالطبع ، أي « أن يكون اللفظ فيه تابعا للمعنى لا أن يكون المعنى فيه تابعا للفظ فإنه يجيء عند ذلك كظاهر مموه على باطن مشوه » .

ويذهب ابن الأثير إلى أنه لا فضل للأول على الآخر ، إذا كان هذا التفضيل

مبنيا على السبق الزمني فقط ، وذلك لأن « المعانى مطروحة في الطريق يعرفها العجمى والعربى والبدوى والقروى والمدنى ؛ وإنما الشأن فى إقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج ، وكثرة الماء ، وفى صحة الطبع ، وجودة السبك » - حسب تعبير الجاحظ - وهو بهذا يتصرل للفظ على المعنى مؤكدا أن « الفضيلة إنما تقع فى سبك الألفاظ ، وإبرازها فى حلية رائقة » .

ومن موقعه وزيرا للإنشاء لدى الأفضل نور الدين على بن صلاح الدين الأيوبي ؛ فيما يختص بقضية الترجمة يرى أن « نقل الكلام من لغة إلى لغة يسهل بسبب أن ألفاظ هذه غير ألفاظ هذه » ، وإن كنت أعتقد أن هذا القول يعني به المراسلات بين الدول .

وإذا كان كتاب « الوشى المرقوم » يدور موضوعه كله - تقريبا - حول مصطلح التضمين ؛ يستوى في ذلك التضمين اللغفى ، أو تضمين المعنى ، فإن ابن الأثير يسبق عصره في التبؤ بما سيدور عليه مصطلح « التناص » اليوم ، فكانه كان يحدس به حينما قال : « فلما أردت أن آخذ هذا المعنى ورأيت في أخيه عن الطريق المعهودة ؛ فمثلته بمثال ملائم وهو مقابلة المرأة للصورة . . . ثم أتبعت ذلك بما ينسحب على أثره من معان آخر . وخرجت فيها إلى معرض العتاب آخرًا . وهكذا ينبغي أن تؤخذ المعانى على حكم الاختلاس ، لا على حكم الافتراض . وعلى سبيل المساترة ، لا على سبيل المجاهرة » .

ويشير ابن الأثير قضية ؛ سبق أن أثارها غيره من الكتاب الذين يتصررون للنشر على النظم ممثلا في الشعر ، وهو يسير في هذه المسألة على نهج رصفاته السابقين ، ذاهبا إلى أن تقدم النثر والناثرين - وإن كنا نختلف معه في هذا الأمر - ينبع من صعوبة النثر الذي نزل عليه القرآن الكريم ، وسهولة النظم ، حتى إنك « إذا عدلت منهم مائة شاعر لا يمكنك أن تعد خطيبا واحدا » .

ويخلص البحث إلى أن ابن الأثير - الذي يؤكّد في أكثر من موضع من كتابه أنه لم يحفظ الكتابات التشرية لسابقيه حتى لا يعلق بخاطره شيء منها ، ولأن الأخذ من

الشعر أخفى وأستر - قد تأثر بالناثرين السابقين ، يتضح ذلك من خلال تأثيره بما كتبه ابن زيدون (٣٩٤ - ٤٦٣ هـ) في رسالته الجدية ، كما أنه تأثر بما كتبه الشاعر أحمد بن برد الأصغر (٤٤٥ - ٥٥٨ هـ) في رسالته التي أنشأها مفاخرة بين السيف والقلم .

إن كتاب « الوشى المرقوم فى حل المنظوم » ، وبعد الخلوص إلى هذه التائج ، لجدير بأن يقرأ ، ويستيعاب شديد ، نظراً لأنه نتاج درية وخبرة وزير كانت مهنته وصناعته الأولى والأخيرة الكتابة طوال ما يقرب من ثمانين عاماً هي عمر ابن الأثير (٤٦٧ - ٥٥٨ هـ) ، وهو وسواه من كتبه علامات في تاريخ الأدب العربي ، تستحق أن يبذل فيها الكثير من الجهد حتى تخرج إلى الناس كما أراد لها صاحبها الذي يعتد بذاته كثيراً .

وقد بذلت في تحقيق هذا الكتاب ما وسعني الجهد والطاقة ، ولم أدخل وسعاً في سبيل الوصول إلى المعلومة الصحيحة أيا كان مكانها بعيداً أو قريباً ، ومهما كلفني الوصول إليها من جهد أو وقت أو مال ، خاصة تلك التي تعيد كثيراً من الأمور إلى نصابها .

وقد عمدت إلى إنصاف ضياء الدين بن الأثير ؛ سواء في ترجمته التي أصابها على أيدي كثيرين الخلط والخلل ، أو في تحقيق كتابه بعد وقوع النشرتين السابقتين : نشرة ثمرات الفنون ١٨٨١ م ، ونشرة د. جميل سعيد التي قام على طبعها المجمع العلمي العراقي ١٩٨٩ م ؛ في كثير من الأخطاء تصحيحاً وتحريفاً . وإنى إذأشكر أستاذى الأعز الشاعر الدكتور « أبا همام » على حسن توجيهه لى ؛ ونقته بي ، أرجو أن أكون قد وفقت ، فإن كان ذلك ففضل من الله ومنه ، وإن كان غير ذلك فمن نفسي .

« وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ». [يوسف / ٧٦] صدق الله العظيم

ثبات المصادر والمراجع

* أولاً : القرآن الكريم .

* ثانياً : كتب التفاسير القراءات :

- المحاسب فى تبين وجوه شواد القراءات والإيضاح عنها ، لأبى الفتح عثمان ابن جنى ، الجزءان الأول والثانى ، مصر - وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة ١٩٩٤ م ، تحقيق : على النجدى ناصف و د. عبد الحليم التجار و د. عبد الفتاح إسماعيل الشيخ .
- تفسير ابن كثير ، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقى أبو الفداء . (ت : ٧٧٤ هـ) دار الفكر - بيروت ١٤٠١ هـ .
- تفسير الجلالين ، دار الحديث - القاهرة ، ط ١
- تفسير الطبرى ، محمد بن جرير الطبرى أبو جعفر ، (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) دار الفكر - بيروت ١٤٠٥ هـ .
- تفسير القرطبي ، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي أبو عبد الله (ت : ٦٧١ هـ) ، دار الشعب - القاهرة ١٣٧٢ هـ ، ط ٢ ، تحقيق : أحمد عبد العليم البردونى .
- حجة القراءات للإمام الجليل أبى زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة رحمة الله تعالى ، ليبيا - منشورات جامعة بنغازي ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م ، ط ١ ، تحقيق : سعيد الأفغانى .
- كتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد ، دار المعارف - القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٨٨ م ، تحقيق : د. شوقى ضيف .
- قراءة عبد الله بن مسعود (مكانتها ، مصادرها ، إحصاؤها) ، د. محمد أحمد خاطر ، دار الاعتصام - القاهرة ١٩٩٠ م .

* ثالثاً : مراجع الحديث :

- الأحاديث القدسية لأبي عبد الرحمن عصام الدين الصباطي ، دار الحديث ، القاهرة ، ط ٧ ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
- الأحاديث القدسية ، مكتبة إحياء الكتب الإسلامية - بيروت .
- صحيح البخارى ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخارى (١٩٤ - ٢٥٦ھ) ، دار ابن كثير . اليمامة - بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ، ط ٣ ، تحقيق د. مصطفى ديب البغا .
- صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النسابوري (٢٠٦ - ٢٦١ھ) ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .
- صحيح ابن خزيمة ، محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النسابوري (٢٢٣ - ٣١١) ، المكتب الإسلامي - بيروت ١٣٧٠ هـ - ١٩٧٠ ، تحقيق : د. محمد مصطفى الأعظمي .
- صحيح ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستى (ت : ٣٥٤ هـ) مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ ، ط ٢ ، تحقيق شعيب الأرناؤوط .
- المستدرك على الصحيحين ، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النسابوري (٣٢١ - ٤٠٥ هـ) دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م ، ط ١ ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا .
- الأحاديث المختارة ، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي (٥٦٧ - ٦٤٣ هـ) مكتبة النهضة الحديثة - مكة المكرمة ١٤١٠ هـ ، ط ١ ، تحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهيش .
- موارد الظمان ، على بن أبي بكر الهيثمي أبو الحسن (٧٣٥ - ٨٠٧ هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت ، تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة .
- سنن أبي داود ، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستانى الأزدي (٢٠٢ - ٢٧٥ هـ) ، دار الفكر ، تحقيق : محمد محى الدين عبد الحميد .

- سنن الترمذى ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذى السلمى (٢٠٩ - ٢٧٩ هـ) ، دار إحياء التراث العربى - بيروت ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون .
- سنن ابن ماجه ، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزوينى (٢٠٧ - ٢٧٥ هـ) ، دار الفكر - بيروت ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .
- سنن الدارقطنى ، على بن عمر أبو الحسن الدارقطنى البغدادى (٣٠٦ - ٣٨٥ هـ) ، دار المعرفة - بيروت ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م ، تحقيق : السيد عبد الله هاشم يمانى المدنى .
- سنن البيهقى الكبيرى ، أحمد بن الحسين بن على بن موسى أبو بكر البيهقى (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ) ، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ١٤١٤ - ١٩٩٤ ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا .
- السنن الصغرى ، أحمد بن الحسين بن على بن موسى أبو بكر البيهقى (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ) ، مكتبة الدار - المدينة المنورة ١٤١٠ - ١٩٨٩ ، ط١ ، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمى .
- السنن الكبيرى ، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائى (٢١٥ - ٣٠٣ هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م ، تحقيق : د. عبد الغفار سليمان البندارى و سيد كسروى حسن .
- سنن النسائى «المجتبى» ، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائى (٢١٥ - ٣٠٣ هـ) ، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب ١٤٠٦ - ١٩٨٦ ، ط٢ ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة .
- شعب الإيمان ، أحمد بن الحسين بن على بن موسى أبو بكر البيهقى (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٠ هـ ، ط١ ، تحقيق : محمد السعيد بسيونى زغلول .

- فتح الباري ، أحمد بن على بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعى (٧٧٣ هـ) ، دار المعرفة - بيروت ١٣٩٧ هـ ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي و محب الدين الخطيب .
- مستند الربيع ، الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري ، دار الحكمة ومكتبة الاستقامة ، بيروت و سلطنة عمان ١٤١٥ هـ ، ط١٠ ، تحقيق : محمد إدريس وعاشر بن يوسف .
- مستند أحمد ، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني (١٦٤ - ٢٤١ هـ) ، مؤسسة قرطبة - مصر .
- موطأ مالك ، مالك بن أنس أبو عبد الله الأصحابي (٩٣ - ١٧٩ هـ) ، دار إحياء التراث العربي - مصر ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .
- مستند الشهاب ، محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاوي (ت : ٤٥٤ هـ) ، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٧ - ١٩٨٦ ، ط٢ ، تحقيق : حمدى ابن عبد المجيد السلفى .
- المعجم الأوسط للطبراني ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠ - ٣٦٠ هـ) ، دار الحرمين - القاهرة ١٤١٥ هـ ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد و عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني .
- المعجم الكبير للطبراني ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠ - ٣٦٠ هـ) ، مكتبة العلوم والحكم - الموصل ١٤٠٤ - ١٩٨٣ ، ط٢ ، تحقيق : حمدى بن عبد المجيد السلفى .
- الأدب المفرد ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخارى (١٩٤ - ٢٥٦ هـ) ، دار البشائر الإسلامية - بيروت ١٤٠٩ - ١٩٨٩ ، ط٣ ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .

- الترغيب والترهيب ، عبد العظيم بن عبد القوى المتندرى أبو محمد (٥٨١ - ٦٥٦ هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٧ هـ ، ط١ ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين .
- الفردوس بتأثير الخطاب ، لأبي شجاع شيرويه بن شهر دار بن شيرويه الديلمی الهمذانی (٤٤٥ - ٥٠٩ هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٦ ، ط١ ، تحقيق : السعيد بن بسيونی زغلول .
- المصنوع في معرفة الموضوع ، على بن سلطان محمد الهروي القاري (ت : ١٠١٤ هـ) ، مكتبة الرشيد - الرياض ١٤٠٤ هـ ، ط٤ ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة .
- علل الدارقطني ، على بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي (٣٠٦ - ٣٨٥ هـ) ، دار طيبة - الرياض ١٩٨٥ - ١٤٠٥ ، ط١ ، تحقيق : د. محفوظ الرحمن زين الله السلفي .
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس لإسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (ت : ١١٦٢ هـ) ، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٥ هـ ، ط٤ ، تحقيق : أحمد القلاش .

* رابعاً : المراجع العامة :

- أبجد العلوم ، صديق بن حسن القنوجي (١٢٤٨ - ١٣٠٧ هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٧٨ م ، تحقيق : عبد الجبار زكار .
- أبو نواس الحسن بن هانئ ، عباس محمود العقاد ، دار نهضة مصر - القاهرة ١٩٨٠ م .
- أدب الكاتب ، أبو محمد عبدالله ابن مسلم ابن قتيبة الدينوري (٢١٣ - ٢٧٦ هـ) ، المكتبة التجارية - مصر ١٩٦٣ ، تحقيق : محمد محى الدين عبد الحميد .
- أدب ونقد ، للدكتور عبد اللطيف عبد الحليم ، ط ٢ ، توزيع النهضة المصرية - القاهرة سنة ١٩٩٤ .
- الأدب في العصر الأيوبي ، د. محمد زغلول سلام ، دار المعارف ١٩٨٣ .
- الأدب وفتوحه ، د. محمد مندور ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة - القاهرة ، إيداع ١٩٨٠ م .
- أسس النقد الأدبي عند العرب ، د. أحمد أحمد بدوى ، ط ١ ، سنة ١٩٥٨ ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة .
- الأعلام للزركلى ، ط ١٢ - ١٩٩٧ م .
- الإبهام في شعر الحداثة العوامل والمظاهر وأليات التأويل ، د. عبد الرحمن محمد القعود ، سلسلة عالم المعرفة - الكويت - مارس ٢٠٠٢ .
- الإصابة ، أحمد بن على بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعى (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) ، دار الجيل - بيروت ١٤١٢ - ١٩٩٢ ، ط ١ - تحقيق : على محمد البحاوى .
- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب ، الأمير الحافظ على بن هبة الله أبي نصر بن ماكولا (٤٢٢ - ٤٧٥ هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١١ هـ ، ط ١ .
- الإمتناع والمؤانسة لإبى حيان التوحيدى . صححه وضبطه وحققه وشرح

- غريبه ورتب فهارسه أحمد أمين وأحمد الزين ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر ، سنة الإيداع ٢٠٠٢ .
- الإيضاح في علوم البلاغة ، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني ، دار إحياء العلوم - بيروت ١٩٩٨ م ، ط ٤ .
- الاتجاهات الدينية في أدب طه حسين : دراسة تاريخية تحليلية ، مخطوط رسالة ماجستير بكلية دار العلوم لجمال أحمد عبد الحليم العسكري ، إشراف د. محمد أبو الأنوار ٢٠٠٢
- البحث الأدبي ، ط ٧ ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ١٩٩٢ م .
- البداية والنهاية ، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء . (ت : ٧٧٤ هـ) ، مكتبة المعارف - بيروت .
- البيان في رواع القرأن ، الجزء الأول ، د. تمام حسان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة ٢٠٠٢
- البيان والتبين ، تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، تقديم د. عبد الحكيم راضى ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر ، سنة الإيداع ٢٠٠٣
- التاريخ المنصوري ، تاريخ الكشف والبيان في حوادث الزمان ، أبو الفضائل محمد بن علي بن نظيف الحموي ، مطبعة الحجاز - دمشق ١٩٨١ م ، تحقيق د. أبو العيد دودو .
- التدوين في أخبار قروين ، عبد الكريم بن محمد الرافعى القزوينى ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٧ م ، تحقيق : عزيز الله العطاردى .
- التعريف بالقرآن والحديث ، للدكتور محمد الزفراوى ، ط ١ ، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م ، مطبعة السنة المحمدية - القاهرة .
- التفضيل الجمالى : دراسة فى سيكولو جية التذوق الفنى ، د. شاكر عبد الحميد ، عالم المعرفة - الكويت ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .

- الجامع الكبير في صناعة المنظم من الكلام والمثور ، ضياء الدين بن الأثير ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م ، قام بتحقيقه والتعليق عليه د . مصطفى جواد ود . جميل سعيد .
- الجوادر المضية في طبقات الحنفية ، عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي (٦٩٦ - ٧٧٥ هـ) ، مير محمد كتب خانة - كراتشي .
- الحرب الصليبية الثالثة ، ترجمة وتعليق د . حسن جبى ، الهيئة العامة للكتاب سنة ٢٠٠٠ .
- الحركة الصليبية ، د . سعيد عبد الفتاح عاشور ، ط ٦ ، مكتبة الأنجلو المصرية .
- الحضارة ، ط ٢ ، د . حسين مؤنس ، عالم المعرفة - الكويت ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
- الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، د . أحمد أحمد بدوى ، ط - ٢ ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة ، القاهرة ١٩٧٩ .
- الحيوان ، عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر ، سنة الإيداع ٢٠٠٢ .
- الدارس في تاريخ المدارس ، عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (ت : ٩٧٨ هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٠ هـ ، ط ١ ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين .
- الذخائر ، مجلة فصلية محكمة تعنى بالآثار والتراث والمخخطوطات والوثائق ، العدد الثالث - السنة الأولى صيف ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .
- الذخائر ، مجلة فصلية محكمة تعنى بالآثار والتراث والمخخطوطات والوثائق ، العدد الرابع - خريف ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .
- الشعر والشعراء ، أبو محمد عبدالله ابن مسلم ابن قتيبة الدينوري (٢١٣ - ٢٧٦ هـ) ، القاهرة ، تحقيق : أحمد محمد شاكر .

- الشفاهية والكتابية ، تأليف : والتر ج . أونج ، ترجمة : د. حسن البنا عز الدين ، مراجعة : د. محمد عصفور . عالم المعرفة - الكويت / العدد ١٨٢ - فبراير ١٩٩٤ م .
- الصناعتين ، لأبي هلال العسكري ، علق عليه وفسّر غريب الفاظه محمد أمين الخانجي ، ط ٢ ، مطبوعات محمد على صنيع بالأزهر الشريف . بدون تاريخ طبع .
- العبر في خبر من غرب ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ) ، مطبعة حكومة الكويت - الكويت ١٩٤٨ م ، ط ٢ ، تحقيق : د. صلاح الدين المنجد .
- العبرية : تاريخ الفكرة ، تحرير : بنيلوبي مرئى ، ترجمة : محمد عبد الواحد محمد ، مراجعة : د. عبد الغفار مكاوى . سلسلة عالم المعرفة الكويت العدد ٢٠٨ ذو القعدة ١٤١٦ هـ - أبريل / نيسان ١٩٩٦
- العمدة لابن رشيق ، تحقيق : محمد محى الدين عبد الحميد ، ط ٥ / ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ، دار الجيل بيروت - لبنان .
- الفائق في غريب الحديث ، محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ) ، دار المعرفة - لبنان ، ط ٢ ، تحقيق : على محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم .
- الفهرست ، محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم (ت : ٣٨٥ هـ) ، دار المعرفة - بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
- القاموس الإسلامي ، وضع أحمد عطية الله .
- الكامل في التاريخ ، عز الدين على بن محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني بن الأثير (٥٥٥ - ٦٣٠ هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م ، ط ٢ ، تحقيق : أبو الفداء عبد الله القاضي .

- المازنى شاعرا ، للدكتور عبد اللطيف عبد الحليم ، ط ٣ ، ١٩٩٤ ، مكتبة النهضة المصرية .
- المتنبى و رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا ، للشيخ محمود محمد شاكر ، الناشر مطبعة المدنى بالقاهرة ١٤٠٧ ه = ١٩٨٧ م .
- المثل السائر ، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير (٥٥٨ - ٦٣٧ ه) ، المكتبة العصرية - بيروت ١٩٩٥ م ، تحقيق : محمد محى الدين عبد الحميد .
- المدهش لأبي الفرج جمال الدين بن على بن محمد بن جعفر الجوزى (٥٠٨ - ٥٩٧ ه) ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٥ ، ط ٢ ، تحقيق : د. مروان قباني .
- المرايا المحدبة من البنية إلى التفكيك ، د. عبد العزيز حمودة ، عالم المعرفة - الكويت ١٤١٨ ه - ١٩٩٨ م .
- المرايا المقررة : نحو نظرية نقدية عربية ، د. عبد العزيز حمودة ، سلسلة عالم المعرفة - الكويت - أغسطس ٢٠٠١ .
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، جلال الدين السيوطي (- ٩١١ ه) دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٩٩٨ م - ط ١ ، تحقيق فؤاد على منصور .
- المستطرف في كل فن مستطرف ، شهاب الدين محمد بن أحمد أبو الفتح الأ بشيهى (٧٩٠ - ٨٥٠ ه) ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٦ م ، ط ٢ ، تحقيق : د. مفید محمد قمیحة .
- المستقصى في أمثال العرب ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧ - ٥٣٨ ه) ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٧٨ م ، ط ٢ .
- المتنظم في تاريخ الملوك والأمم ، عبد الرحمن بن على بن محمد بن الجوزي ابو الفرج (ت : ٥٩٧ ه) ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٢ ه - ١٩٩٢ م ، ط ١ ، تحقيق : محمد ومصطفى عبد القادر عطا .

- النجوم الظاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن تغري بردى الأتابكي (٨١٣ - ٨٧٤ هـ) ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر - مصر .
- النظرية النقدية عند العرب ، د. هند حسين طه ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام - الجمهورية العراقية ١٩٨١ م . دار الرشيد للنشر ، سلسلة دراسات (٢٨٣) .
- النقد المنهجي عند العرب ، د. محمد مت دور ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة - القاهرة .
- النهاية في غريب الحديث ، أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزرى (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ) ، المكتبة العلمية - بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- الواقى بالوفيات للصفدى ، دار صادر - بيروت ١٩٦٩ ، باعتماد إحسان عباس .
- الوروش لأبي سعيد عبد الملك بن قریب الأصمی ، النادى الأدبى الثقافى بجدة ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م ، تحقيق : د. أيمن محمد على ميدان .
- الوفيات للقسطنطى ، أبو العباس أحمد بن جعفر بن الخطيب (٧٤٠ - ٨٠٩ هـ) ، دار الآفاق الجديدة - بيروت ١٩٧٨ م ، ط ٢ ، تحقيق : عادل نويهض .
- بدائع الزهور في وقائع الدهور ، لابن إياس الحنفى . ج ١ - القسم ١ ، حققها وكتب لها المقدمة والفهارس : محمد مصطفى . الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة .
- بغية الطلب في تاريخ حلب ، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جراده ، دار الفكر - بيروت ١٩٨٨ ، تحقيق : د. سهيل زكار .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، (٩١١ - ٨٤٩ هـ) ، المكتبة العصرية - بيروت - لبنان ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .

- بلاغة الخطاب وعلم النص ، صلاح فضل ، عالم المعرفة - الكويت
١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .
- بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية (٤٩٢ - ٦٤٨ هـ) ، د. عبد الجليل حسن عبد المهدى ، كلية الآداب - الجامعة الأردنية ، دارالبشير للنشر والتوزيع ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .
- بيت المقدس في شعر الحروب الصليبية ٤٩٢ - ٦٤٨ هـ ، جمعه وحققه وقدم له : د. عبد الجليل حسن عبد المهدى ، كلية الآداب - الجامعة الأردنية ، دارالبشير للنشر والتوزيع ١٩٨٨ .
- تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، نقله إلى العربية د. رمضان عبد التواب وراجع الترجمة د. السيد يعقوب بكر ، ط- ٣ ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٣
- تاريخ الأدب العربي من مطلع القرن الخامس الهجري إلى الفتح العثماني ، د. عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، ط- ٥ ، - أكتوبر ١٩٨٩
- تاريخ الخلفاء ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، (٨٤٩ - ٩١١ هـ) ، مطبعة السعادة - مصر (١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م) ، ط ١ ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد .
- تاريخ الطبرى ، محمد بن جرير الطبرى أبو جعفر (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٧ هـ ، ط ١
- تاريخ العالم الإسلامي ، د. إبراهيم أحمد العدوى ، الأنجلو المصرية ١٩٨٦ م .
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب : نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجرى ، د. إحسان عباس ، ط ٢ ، عمان - دار الشروق / ١٩٩٣ م .
- تاريخ بغداد ، أحمد بن على ابو بكر الخطيب البغدادى (٣٩٣ - ٤٦٣ هـ) ، مكتبة المخانجى - القاهرة .

- تاريخ دمشق الكبير وذكر فضلها وتبسيطه من حلها من الأمثل ، لابن عساكر ، دار الفكر - سوريا ، لبنان ١٩٩٧ ، تحقيق : محب الدين أبو سعيد عمر ابن غرامة العمروى .
- تجريد الأغانى تأليف ابن واصل الحموى ، تحقيق : د . طه حسين وإبراهيم الإبيارى الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر ، سنة الإيداع ١٩٩٧ .
- تحقيق التراث العربى منهجه وتطوره ، د . عبد المجيد دباب ، المركز العربى للصحافة - أهلا ١٩٨٣ م .
- تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل ، د. عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان ، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .
- ترجم إسلامية ، محمد عبد الله عنان ، القراءة للجميع ٢٠٠٠ م .
- تكملة إكمال الإكمال ، لابن الصابونى ، بغداد ١٩٥٧ م ، تحقيق : د . مصطفى جواد .
- ثقافتنا في مواجهة العصر ، د . زكي نجيب محمود ، القراءة للجميع ١٩٩٧ م .
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الشعالي النيسابوري (٣٥٠ - ٤٢٩ هـ) ، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٥ م ، ط ١ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .
- جولة مع ضياء الدين بن الأثير في كتابه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، أحمد محمد عنبر ، مطابع دار الكاتب العربي بمصر ، أغسطس ١٩٥٤ م .
- حسن التوصل إلى صناعة الترسل ، شهاب الدين محمود الحلبي ، ط هندية مصر ١٢١٥ هـ .
- حضارة الإسلام ، جوستاف إ . فون جرو نبياوم ، ترجمة : عبد العزيز توفيق ، القراءة للجميع ١٩٩٧ م .
- حلبة الكُميت في الأدب والنواذر والفكاهات المتعلقة بالخمريات ، لشمس الدين محمد بن الحسن النواجى . الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ١٩٩٨ م .

- حوليات كلية الآداب / ١٠ / الرسالة ٥٩ / الجاحظ والنقد الأدبي ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م .
- خزانة الأدب وغاية الأرب ، تقى الدين أبو بكر على بن عبد الله الحموي الأزرارى (٧٦٨ - ٨٣٧ هـ) ، دار ومكتبة الهلال - بيروت ١٩٧٨ م ، ط ١ ، تحقيق : عصام شعيتو .
- دراسة في مصادر الأدب ، للدكتور الطاهر أحمد مكى ، ط ٧ ، دار المعارف - القاهرة ١٩٩٣
- دراسات في الأدب والفن ، حنا نمر ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر - بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجانى ، قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجى - ١٩٨٨ القاهرة .
- ديوان أبي الطيب المتنبي ، تحقيق وتعليق : د. عبد الوهاب عزام ، سلسلة الذخائر ، طبع الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سنة الإيداع ١٩٩٥
- ديوان أبي العناية ، دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزى ، تحقيق : محمد عبد الله عزام ، ط ، دار المعارف ١٩٨٧
- ديوان أبي نواس ، دار صادر - بيروت .
- ديوان أوس بن حجر ، تحقيق وشرح : د. محمد يوسف نجم ، ط ٢ ، دار صادر - بيروت ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .
- ديوان ابن الخطاط الدمشقى ، حققه : خليل مردم بك ، المطبعة الهاشمية بدمشق ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م ، مطبوعات المجمع العلمي العربى بدمشق .
- ديوان ابن الرومى ، تحقيق : د. حسين نصار . الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- ديوان ابن الرومى ، تحقيق : عبد الأمير على مهنا ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .

- ديوان ابن زيدون لأبي الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون (٣٩٤ - ٥٤٦) ، معه رسائله وأخباره ، ط ٣ ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م ، شرح وتحقيق محمد سيد كيلاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر .
- ديوان الأرجاني ، تقديم قدرى مايو ، ط ١ ، دار الجيل - بيروت ، ١٩٩٨ م .
- ديوان الأرجاني ، بيروت سنة ١٣٠٧ هـ بتصحيح أحمد عباس الأزهري .
- ديوان الأرجاني ، تحقيق دراسة : محمد مصطفى قاسم ؛ رسالة دكتوراه بالمكتبة المركزية لجامعة القاهرة تحت رقم ٢٢٨٥ - ١٩٧٧ م إ . د . حسين نصار .
- ديوان الإمام الشافعى ، جمعه وحققه وعلق عليه : زهدى يكن ، دار الثقافة - بيروت .
- ديوان البحترى ، تحقيق : حسن كامل الصيرفى ، دار المعارف ١٩٧٧
- ديوان التهامى ، شرح وتحقيق د. على نجيب عطوى ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت - لبنان ١٩٨٦ م :
- ديوان الحماسة لأبي تمام برواية أبي منصور الجوالىقى ، تحقيق : د. عبد المنعم أحمد صالح ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر ، سنة الإيداع ١٩٩٦
- ديوان الشريف الرضى ، دار صادر - بيروت ١٩٩٤
- ديوان الشماخ بن ضرار الذبيانى ، حققه وشرحه : د. صلاح الدين الهادى ، دار المعارف ، سنة الإيداع ١٩٧٧ م ،
- ديوان الفرزدق ، نشرة الصاوى ، مصر .
- ديوان أمرى القيس ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٤ ، دار المعارف ١٩٨٤ .
- ديوان بشار بن برد ، اعنتى بجمعه السيد محمد بدر الدين العلوى أستاذ اللغة العربية سابقاً في الجامعة الإسلامية بعليكرا - الهند نشر وتوزيع دار الثقافة بيروت - لبنان .

- ديوان تاج الملوك الأيوبي ، ط ١ ، هجر للطباعة والنشر ، تحقيق : د. محمد عبد الحميد سالم ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- ديوان ديك الجن الحمصي جمعه وشرحه : عبد المعين الملوحي ومحيى الدين الدرويش مطبع الفجر الحديثة - حمص ١٤٦٠ / ١٢ / ١٠ .
- ديوان رسائل ضياء ابن الأثير ، ج - ٢ ، منشورات جامعة الموصل - كلية الآداب ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ، حرره وحققه وقدم له : هلال ناجي .
- ديوان كشاجم ، دراسة وشرح وتحقيق : د. النبوى عبد الواحد شعلان ، ط ١ ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .
- ديوان مجذون ليلي ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، مكتبة مصر سعيد جودة السحار ، دار مصر للطباعة ١٩٧٩ .
- ذيل الروضتين في أخبار الدولتين ، أبو شامة المقدسي ، القاهرة ، تحقيق : عزة العطار .
- ذيل تاريخ مولد العلماء ، عبد العزيز بن أحمد بن محمد الكتاني أبو محمد (٣٨٩ - ٤٦٦ هـ) ، دار العاصمة - الرياض ١٤٠٩ هـ ، ط ١ ، تحقيق د. عبد الله أحمد سليمان الحمد .
- ذيل ذيل تاريخ مولد العلماء ، هبة الله بن أحمد بن محمد بن هبة الله الأكفاني (٤٤٤ - ٥٢٤ هـ) ، دار العاصمة - الرياض ١٤٠٩ هـ ، ط ١ ، تحقيق د. عبد الله أحمد سليمان الحمد .
- ذيل مرآة الزمان من وقائع سنة ٦٥٤ - ٦٦٢ هـ ، الشيخ قطب الدين موسى ابن محمد اليونيني (٧٢٦ هـ - ١٣٢٦ م) ، ط ٢ ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر - القاهرة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .
- رحلة ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي أبو عبد الله (ولد ٧٠٣ هـ) ، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٥ هـ ، ط ٤ ، تحقيق : د. على المتصر الكتاني .

- رحلة ابن جبير ، محمد بن أحمد بن جبير الأندلسى أبو الحسين (٥٤٠ - ٦١٤ هـ) ، دار الكتاب اللبناني - دار الكتاب المصرى ، بيروت - مصر .
- رسائل ابن الأثير ، دراسة ، منشورات جامعة الموصل ، تحقيق : نورى القيسى وهلال ناجى .
- رسائل ابن الأثير حررها وحققتها أنيس المقدسى - بيروت ١٩٥٩ م .
- رسالة الأزهار ، ضياء ابن الأثير ، منشورات جامعة الموصل - كلية الآداب ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، تحقيق : هلال ناجى .
- روضة العقلاء ، محمد بن حبان البستى أبو حاتم (ت ٣٥٤ هـ) دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م ، تحقيق : محمد مجى الدين عبد الحميد .
- سلسلة رسالة الطالب ، العدد الأول ، جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، شذرات من علوم السنة ^(١) للدكتور محمد الأحمدى أبو النور .
- سير أعلام النبلاء ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبى أبو عبد الله ٦٧٣ - ٧٤٨ هـ) ، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤١٣ هـ ، ط ٩ ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط و محمد نعيم العرقوسى .
- سيرة صلاح الدين ، أو التوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية لبهاء الدين بن شداد ، تحقيق د. جمال الدين الشيال . الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر ٢٠٠٢ م .
- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، عبد الحى بن أحمد العكرى الدمشقى (١٠٣٢ - ١٠٨٩ هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- شرح ديوان صريح الغوانى مسلم بن الوليد الأنصارى ، عنى بتحقيقه والتعليق عليه : د. سامي الدهان عضو المجمع العلمى العربى بدمشق ؛ دار المعارف بمصر .
- شعر المتنبى قراءة أخرى ، د. محمد فتوح أحمد ، دار المعارف ١٩٨٣ م .
- شعر دعبل بن على الخزاعى ، جستنعة د. عبد الكريم الأشتر ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، دمشق ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

- صبح الأعشى في صناعة الإنسا ، أحمد بن على القلقشندي (ت : ٨٢١ هـ) ، دار الفكر - دمشق ١٩٨٧ ، ط ١ ، تحقيق : د. يوسف على طويل .
- صراع في الشرق ، د. على حية ، مكتبة الشباب ١٩٩٤ م .
- ضياء الدين بن الأثير : دراسة في تراثه الشري . د. عرفة حلمى عباس ص- ١٣ ، رسالة دكتوراه مخطوطة ، المكتبة المركزية تحت رقم ٧٤٥٤ .
- طبقات الحفاظ ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، (٨٤٩ - ٩١١ هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣ هـ ، ط ١
- طبقات الشافعية ، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة (٧٧٩ - ٨٥١ هـ) ، عالم الكتب - بيروت ١٤٠٧ هـ ، ط ١ ، تحقيق : د. الحافظ عبد العليم خان .
- طبقات الشافعية الكبرى ، أبو نصر عبد الوهاب بن على بن عبد الكافي السبكي (٧٢٧ - ٧٧١ هـ) ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - الجيزة ١٩٩٢ م ، ط ٢ ، تحقيق : د. عبد الفتاح محمد الحلو و د. محمود محمد الطناحي .
- طبقات المحدثين ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ) ، دار الفرقان ، عمان - الأردن ١٤٠٤ هـ ، ط ١ ، تحقيق : د. همام عبد الرحمن سعيد .
- طبقات المفسرين ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، (٩١١ - ٨٤٩ هـ) ، مكتبة وهبة - القاهرة ١٣٩٦ هـ ، ط ١ ، تحقيق : على محمد عمر .
- طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي (١٣٩ - ٢٣١ هـ) ، دار المدى - جدة ، تحقيق : محمود محمد شاكر .
- عالم الفكر ، المجلد ١٥ / العدد الرابع ، ينایر - فبراير - مارس ١٩٨٥ / بحث ديناميات العقبرية للدكتور محمد أحمد سلامة .
- عالم الفكر / المجلد ٣٠ / العدد ١ / يوليو - سبتمبر ٢٠٠١ م . البلاغة ومقوله الجنس الأدبي ، بحث للدكتور محمد مشبال .

- عالم الفكر ، المجلد ١٦ / العدد ٤ ، ١٩٨٦ ، تطور الفكر الترجمى لفوزى عطية .
- عالم الفكر ، المجلد ١٩ / العدد ٤ ، ١٩٨٩ « ترجمة النص الأدبى ، د . سامية أسعد
- عصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية - العراق - إيران) د. شوقى ضيف ، ط ٣ ، دار المعارف - القاهرة ١٩٩٠ .
- عيون الأنبياء فى طبقات الأطباء ، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس ، دار مكتبة الحياة - بيروت ، تحقيق : د. نزار رضا
- فتوح البلدان ، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت : ٢٧٩ هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣ هـ ، تحقيق رضوان محمد رضوان .
- فصل المقال فى شرح كتاب الأمثال ، أبو عبيد البكري ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٩٨٣ م - ط ٣ ، تحقيق د. إحسان عباس و د. عبد المجيد عابدين .
- فهرس المخطوطات المصورة بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية .
- فى نظرية الأدب ، تيرى إيجلتون - ترجمة : أحمد حسان ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٩٩١ م .
- فى الأدب الأندلسى ، د. جودت الركابى ، مكتبة الدراسات الأدبية (٢٢) ، دار المعارف ، ١٩٨٠ م.
- فى نظرية الأدب عند العرب ، د. حمادى صمود ، ط ١ ، النادى الأدبي الثقافى بجدة ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م .
- قرى الضيف ، عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس (٢٠٨ - ٢٨١ هـ) ، أضواء السلف - الرياض ١٩٩٧ م ، ط ١ ، تحقيق : عبد الله بن حمد المنصور .
- قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية ، ترجمتها وقدم لها أبو همام عبد اللطيف عبد الحليم ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٩٧ م .

- كتاب الأشباء والنظائر من أشعار المتقدمين والجالية والمخضرمين ، للخالدين أبي بكر محمد المتوفى ٣٨٠ هـ وأبي عثمان سعيد المتوفى ٣٩٠ - ٣٩١ هـ ابنى هاشم ، حقه وعلق عليه : د . السيد محمد يوسف ، تقديم د . سيد حنفى حسين ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر ، سنة الإيداع ٢٠٠٢ .
- كتاب الأغانى / أبو الفرج الأصفهانى ، الجزء الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مكتبة الأسرة ٢٠٠١ م .
- كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسى (٥٩٩ - ٦٦٥ هـ) ، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٩٧ ، ط ١ ، تحقيق : إبراهيم الزبيق .
- كتاب العصا ، أسامة بن منقذ (٤٨٨ - ٥٨٤ هـ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - فرع الإسكندرية ١٩٨١ م ، تحقيق : حسن عباس .
- كتاب القول فى البغال ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البابى الحلى - مصر ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م ، ط ١ ، حقن الكتاب وعلق عليه ووضع الفهارس : شارل بلا .
- كتاب الموعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروفة بالخطط المقريزية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن على المقريزى (ت : ٨٤٥ هـ) ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ١٩٩٩ م .
- كتاب الوزراء والكتاب ، أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهمي ، ط ٢ ، البابى الحلى - مصر ١٤٠١ هـ - ١٩٨٠ م ، حقنه ووضع فهارسه : مصطفى السقا و إبراهيم الإيارى و عبد الحفيظ شلبي .
- كتاب جمهرة الأمثال ، أبو هلال العسكرى ، دار الفكر ١٩٨٨ م ، ط ٢ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطامش .

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي (١٠١٧ - ١٠٦٧ هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .
- كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب ، ضياء الدين بن الأثير ، منشورات جامعة الموصل ، تحقيق : نوري حمودي القيسي و حاتم صالح الضامن و هلال ناجي .
- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (٦٣٠ - ٧١١ هـ) ، دار صادر - بيروت ، ط ١ .
- مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، أحمد بن عبد الله القلقشندى (ت : ٨٢١ هـ) ، مطبعة حكومة الكويت - الكويت ١٩٨٥ م ، ط ٢ ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج .
- مؤسسة يمانى الثقافية الخيرية - جائزة الشاعر محمد حسن فقى - الدورة الرابعة - ندوة الشعر العربي المعاصر والجمهور ١٤١٩ - ١٩٩٨ هـ .
- مجلة فصول / م ١٤ / العدد ٣ / خريف ١٩٩٥ م ، بحث الكلام على الكلام : قراءة في فكر أبي حيان الأدبي للدكتور عصام بهى .
- مجلة فصول / م ٨ / العدد ١ و ٢ / مايو ١٩٨٩ م ، دراسات في النقد التطبيقي « طراز التوسيع بين الانحراف والتناص » بحث للدكتور صلاح فضل .
- مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد الميدانى النيسابورى (ت : ٥١٨ هـ) ، دار المعرفة - بيروت ، تحقيق : محمد محى الدين عبد الحميد .
- مدارج السالكين ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعى أبو عبد الله ابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١) ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ١٣٩٣ - ١٩٧٣ ، ط ٢ ، تحقيق محمد حامد فقى .
- مداخل الشعر (باختين - لوتمان - كوندراتوف) ، ترجمة : أمينة رشيد و سيد البحراوى ، الهيئة العامة لقصور الثقافة - سلسلة آفاق الترجمة ، مايو ١٩٩٦ م .

- مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي مع محاضرة عن التصحيف والتحريف ، د. محمود محمد الطناحي ، ط ١ ، مكتبة الخانجي - القاهرة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م.
- مدخل إلى تحقيق النص الشعري ، د. عبد الرحمن محمد الوصيفي ، مطبوعات نادي المدينة المنورة الأدبي ١٤١٧ هـ .
- مرآة الجنان وعبرة اليقطان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، تأليف الإمام أبو أحمد عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان البافعي اليمني المكي المتوفى سنة ٧٦٨ هـ ، في وفيات سنة ٦٣٧ هـ ، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة ، ط ٢ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
- مصادر الدراسة الأدبية وفقاً لمنهج التعليم الرسمي من العصر الجاهلي إلى عصر النهضة ليونسون أسد داغر .
- مصر والشام والصلبيون ، د. محمد حلمي محمد أحمد ، ط ٢ ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٨٢ م.
- معتصر المختصر ، يوسف بن موسى الحنفي أبو المحاسن ، عالم الكتب / مكتبة المتنبي - بيروت - القاهرة .
- معجم البلدان ، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله (ت : ٦٢٦ هـ) ، دار الفكر - بيروت .
- معجم ما استعجم ، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي أبو عبيد (ت : ٤٨٧ هـ) ، عالم الكتب - بيروت ، ط ٣ ، تحقيق : مصطفى السقا .
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، تأليف أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زادة - دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
- مقامات ورسائل أندلسية ، لفرناندو دي لاجرانخا ، ترجمة د. عبد اللطيف عبد الحليم ، دار الثقافة العربية . سنة الإيداع ١٩٨٥
- مقدمة ابن خلدون ، ط ٥ ، دار القلم - بيروت ، ١٩٨٤ م .

- مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحديثين ، د . رمضان عبد التواب ، ط ١ ، مكتبة الخانجي - القاهرة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- موسوعة الحضارة الإسلامية ، المناهج الإسلامية ، د . أحمد شلبي ، ط ٨ ، مكتبة التهضة المصرية - القاهرة ١٩٩٢ م .
- نثر النظم وحل العقد ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الشافعى (٣٥٠ - ٤٢٩ هـ) ، دار الكتب والوثائق القومية تحت رقم ١٥٨٠ طبع حجر .
- نزهة الألباب في الألقاب ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعى (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) ، مكتبة الرشيد - الرياض ١٩٨٩ م ، ط ١ ، تحقيق عبد العزيز بن محمد بن صالح السديدى .
- نظرية الثقافة ، مجموعة من الكتاب ، ترجمة : د. على السيد الصاوي ، عالم المعرفة - الكويت ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .
- نهاية الأرب في فنون الأدب للنويرى ، دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٣٣ م .
- نواعي الفكر العربي ٣٦ - ضياء الدين بن الأثير ، د . محمد زغلول سلام ، ط ٢ ، دار المعارف ١٩٨١ م .
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن أبي بكر بن خلukan (٦٠٨ - ٦٨١ هـ) ، دار الثقافة - بيروت ١٩٦٨ م ، تحقيق د. إحسان عباس .

الفهارس العامة

أولاً : فهرس آيات القرآن الكريم .

ثانياً : فهرس الحديث الشريف .

ثالثاً : فهرس الشعر :

ا - الأبيات الكاملة .

ب - أنصاف الأبيات .

رابعاً : فهرس الأمثال .

خامساً : فهرس القبائل .

سادساً : فهرس الشعراء .

سابقاً : فهرس البلدان والأماكن .

ثامناً : فهرس الأعلام .

أولاً : - فهرس آيات القرآن الكريم

- **الذين إذا أصابتهم مُصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أزلتكم علنيهم صلواث من ربهم ورحمة . البقرة / ١٥٦ ، ص ٣٥١ :**
- **وإذا قيل له أنت الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم وليس المهد . البقرة / ٢٦ ، ص ٣٥٥ .**
- **فَلَمَّا فَصَلَ طَلْوُتُ بِالْجَنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ يَتَهَرَّبُونَ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنْهُ وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنْ إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ . البقرة / ٢٤٩ ، ص - ٣٤٠ .**
- **وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَخْيَاءَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . آل عمران / ١٦٩ . ص ٣٨٥ .**
- **وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُوا بِهِ وَالْأَرْحَامَ . النساء / ١ ، ص ٣٥٤ .**
- **لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهَرُ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ . النساء / ١٤٨ ، ص ٣٥٦ و ٣٥٧ .**
- **لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا . المائدة / ٤٨ ، ص ٣٦٧ .**
- **وَتَبَرِّئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ يَأْذِنُ . المائدة / ١١٠ ، ص ٣٤٣ .**
- **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمِرْ بِالْعُزْفِ وَأَغْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ . الأعراف / ١٩٩ ، ص ٣٤٢ .**
- **إِلَّا تَتَصْرُّوْهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذَا أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْتَنِي إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ . التوبه / ٤٠ ، ص ٣٤٧ .**
- **أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهارًا فَجَعَلْنَاها حَصِيدًا كَانَ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ . يومن / ٢٤ ، ص ٣٦٠ .**
- **فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مَمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلْ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ . يومن / ٩٤ ، ص ٣٦٥ و ٣٦٦ .**

- وَقَيْلَ يَا أَرْضُ الْبَلْعَى مَاءِكَ وَنَا سَمَاءُ أَقْلَعِي وَغَيْضَ الْمَاءِ وَقُضَى الْأَمْرُ وَانْسَوَتْ عَلَى الْجُودِي وَقَيْلَ بُعْدًا لِلنَّقْوَمِ الظَّالِمِينَ . هُود / ٤٤ ، ص ٣٥٨ .
- إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذَهِّبُنَ السَّيِّئَاتِ . هُود / ١١٤ ، ص ٢٩٤ .
- وَغَلَقْتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَنِئْ لَكَ . يُوسُف / ٢٣ ، ص ٣٥٩ .
- مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ . يُوسُف / ٣١ ، ص ١٩٢ و ٣٥٨ .
- يَا بَنِي اَدْهَبُوا فَتَخَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا يَنْأِسُوا مِنْ رَفْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَنْأِسُ مِنْ رَفْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ . يُوسُف / ٨٧ ، ٣٦٢ .
- أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أُودِيَةً بِقَدْرِهَا فَاخْتَمَلَ السَّيْنُلُ زَيْدًا رَأِيَا وَمِمَّا يُوَقِّدُونَ عَلَيْهِ فِي التَّارِيَخِ حِلْيَةً أَوْ مَتَاعً زَيْدًا مُثْلَهُ . الرَّعد / ١٧ ، ص ١٩٠ و ١٩٥ .
- وَمَثَلُ كَلِمَةٍ حَيَّيَةٍ كَشَجَرَةٍ حَيَّيَةٍ اجْتَسَثَ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَوَارِ . إِبْرَاهِيم / ٢٦ ، ص ٣٥٩ .
- أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ . النَّحْل / ١ ، ص ٣٦٠ .
- أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَّابًا . الْكَهْف / ٩ ، ص ٣٥٠ .
- وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءً أَنْزَلَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ تَبَاثُ الْأَرْضِ فَأَضَبَّحَ هَشِيمًا تَذَرُوَ الرِّيَاحُ . الْكَهْف / ٤٥ ، ص ١٩٠ ، ١٩٥ .
- لَوْ شَتَ لَا تَحْذَثَ عَلَيْهِ أَجْرًا . الْكَهْف / ٧٧ ، ص ١٩٢ .
- وَنَادَيْنَا مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَبَنَا تَجْيَأً . مُرِيم / ١٩٠ ، ص ٣٦٧ .
- يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوكُمْ وَوَاعْدَنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَئْ وَالسَّلْوَى . طه / ٨٠ ، ص ٣٦٧ .
- وَمَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَكَائِنًا خَرًّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهُوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ . الحِجَّ / ٣١ . ص ٣٨٢ .
- ثُمَّ أَرْسَلَنَا رُسُلَنَا تَتَرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةَ رَسُولُهَا كَذَبُوهُ فَاتَّبَعُنَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ بَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ . الْمُؤْمِنُون / ٤٤ ، ص ٣٦٦ .

- مَثُلُّ نُورِهِ كَمِشْكَاهَ فِيهَا مِضَبَّاحُ الْمِضَبَّاحِ فِي زُجَاجَةٍ . النور / ٣٥ ، ص ٣٤٩ .
- وَيَنْتَلُّ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ . النور / ٤٣ ، ص ٣٦١ .
- وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ سَبَّا وَصِهْرًا . الفرقان / ٥٤ ، ص ٣٦٦ و ٣٦٧ .
- وَأَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَانَهَا جَانٌ وَلَى مُذِيرًا وَلَمْ يَعْقِبْ . النمل / ١٠ ، ص ٣٤٨ .
- وَتَرَى الْجِبَالَ تَخْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ . النمل / ٨٨ ، ص ٣٥٢ .
- وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدِينَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ اثْرَاثَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا حَطْبُكُمَا قَالَا تَا لَا شَقِّيْ حَتَّى يُضْدِرَ الرُّعَاةُ وَأَبْوَا شَيْخَ كَبِيرَ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّ إِلَى الظَّلْلِ . القصص / ٢٣ و ٢٤ ، ص ٢٤٤ .
- فَجَاءَتُهُ إِخْدَاهُمَا ثَمَنِي عَلَى اسْتِخْيَاءِ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَنْجِيزِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْفَصَصَ قَالَ لَا تَخْفَ تَجْوِزَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ قَالَتْ إِخْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ حَيْزَرَ مِنْ اسْتَأْجِرْتِ الْقَوْيِ الْأَمِينِ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنِكِحَكَ إِخْدَى ابْنَتِي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَانِيَ حِجَاجَ فَإِنْ أَتَمْتَ عَشْرَأْ مِنْ عِنْدِكَ . القصص / ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ ، ص ٣٤٤ و ٣٤٥ .
- وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نُذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . القصص / ٤٦ ، ص ٣٦٩ .
- وَكَائِنَ مِنْ ذَائِبَةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاُكُمْ . العنکبوت / ٦٠ ، ص ٣٤٣ .
- يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسَرَاجًا مُنِيرًا . الأحزاب / ٤٥ و ٤٦ ، ص ٣٤٩ .

- وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّبَاحَ فَتَبَرُّ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدِ مَيْتٍ فَأَخْيَتْنَا بِهِ الْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْرِقَهَا كَذَلِكَ الشَّوْرُ . فاطر / ٩ ، ص ٣٦٠ .
- وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَتَسَيَّى خَلْفَهُ قَالَ مَنْ يُخْبِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . يس / ٧٨ ،
ص ٣٦٢ .
- إِنَّا رَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِرِزْنَةِ الْكَوَافِرِ وَحَفَظَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لَا يَسْمَعُونَ
إِلَى الْمَلَأِ الْأَغْلَى وَيُقْدِرُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُخُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبْرُ إِلَّا مَنْ خَطَفَ
الْحَاطِفَةَ فَأَتَبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ .
- الصفات / ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ ، ص ٣٦٤ .
- وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِينَ . الصفات / ٥٧ ، ص ٣٦٥ .
- فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ . الصفات / ٧٣ ، ص ٣٦٥ .
- فَكَذَبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُخْضَرُونَ إِلَّا عِبَادُ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ . الصفات / ١٢٧ و ١٢٨ ،
ص ٣٦٥ .
- فَالْقَنْمَةُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَّيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمٍ
يَعْثُونَ . الصفات / ١٤٢ و ١٤٣ و ١٤٤ ، ص ٣٦١ .
- وَجَعَلُوا يَتِيمَةً وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسْبَأْ وَلَقَدْ عَلِمْتَ الْجِنَّةَ إِنَّهُمْ لَمُخْضَرُونَ .
الصفات / ١٥٨ ، ص ٣٦٥ .
- أَفَبِعْدَ إِنِّي يَسْتَغْجِلُونَ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ .
الصفات / ١٧٦ و ١٧٧ ، ص ٣٦٦ .
- إِنَّ هَذَا أَخْيَ لَهُ تِسْعَ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلَيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً .
سورة ص / ٢٣ ، ص ٣٥٣ و ٣٥٤ .
- قَالَ رَبُّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يَعْثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ
الْمَغْلُومِ .
سورة ص / ٧٩ و ٨٠ و ٨١ ، ص ٣٦٥ .
- وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُنْ يَغْفِرُونَ . الشورى / ٣٧ ، ص ٣٢١ .

- وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَغْضًا سُخْرِيًّا .
الزخرف / ٣٢ ، ص ٢٧٧ .
- وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا . الزخرف / ٤٨ ، ص ٣٤٦ .
- أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهًا هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ . الجاثية / ٢٣ ، ص ٣٥٥ .
- يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ . الحجرات / ١٧ ،
ص ٣٤٦ .
- بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءُهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ . ق / ٥ ، ص ٣٦١ .
- وَالْأَرْضَ مَدَّنَاهَا وَأَقْيَنَا فِيهَا رَوَاسِيَّ وَأَبْيَنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَرْفٍ بَهِيجٍ .
ق / ٧ ، ص ٣٦١ .
- إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْشَمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ .
النجم / ٢٣ ، ص ٣٤١ .
- وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَذْعُوْهُ كَادُوا يَكُوْنُونَ عَلَيْهِ لِيَدًا . الجن / ١٩ ، ص
٣٥٢ .
- حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَغْلَمُونَ مِنْ أَضْعَافٍ نَاصِراً وَأَقْلُ عَدَداً .
الجن / ٢٤ ، ص ٣٥٢ .
- وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا . النَّبِيَا / ٨ ، ص ٣٦٧ .
- وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجَا . النَّبِيَا / ١٣ ، ص ٣٦٧ .
- وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَايِلَ تَزَمِّيْهِم بِحَجَازَةٍ مِنْ سِجَّيلِ . الفيل ٣ و ٤ ، ص
٣٥٧ .

ثانياً : - فهرس الحديث

١ - الحديث القدسى :

- وجبت محبتى للمتحابين فى ، والمتجالسين فى ، والمتوازرين فى ،
والمبادزين فى .
ص ١٩٤ .

٢ - الحديث النبوى الشريف :

- أحب الأسماء إلى الله : عبد الله وعبد الرحمن ، وأصدقها عنده الحارث
وهمام ، وأبغضها إليه حرب ومرة . ص ٤٠٠ .

- أرحننا بها يا بلال . أى عجل بها . ص ٤٠١ .

- أطع ولو عبدا حشيا مجدا ، ما أقام عليك كتاب الله . ص ٣٧٩ .

- ألا إن سلعة الله غالبة . ألا إن سلعة الله الجنة . ص ٣٨٤ .

- أن النبي ﷺ جاءت إليه امرأة فقالت له : إن ابنتي أمزق شعرها ؛ فأصله ؟ .
قال لعن الله الواسلة والمستوصلة ، والواشمة والمستوشمة ، والواشرة
والمستوشرة . ص ٣٩٧ .

- أن النبي ﷺ : ابتع من أعرابى فرسا ، واستبعده إلى منزله ليقبضه الثمن ،
وأسرع النبي ﷺ ، وأبطأ الأعرابى ، فطفق ناس يساومونه الفرس ، ولا يشعرون أن
رسول الله ﷺ ابتعه منه ، فنادى ، الأعرابى ، وقال : إن كنت مبتاعا هذا الفرس ؟
إلا بعنه . فخرج إليه رسول الله ﷺ ، وقال : ألم تعييه ؟ . فقال الأعرابى : لا .
قال رسول الله ﷺ : بلى . قد ابتعته منك .. قال : هل شاهدنا . فاجتاز خزيمة بن
ثابت فقال : أناأشهد . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بم تشهد ياخزيمة ؟ .
قال : بتصديقك يارسول الله . فجعل شهادته بشهادتين .

ص ٣٨١ و ٣٨٢ .

- أن النبي ﷺ رأى آلة حرف ؛ فقال : ما دخلت هذه دار قوم إلا ذلوا .

ص ٣٧٣ .

- أنه جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إن امرأتي لا ترد يد لامس ، فقال : طلقها . فقال : إني أحبها . فقال : أمسكها . ص ٣٩٢ .

- أنه جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ؛ فقالت : يا رسول الله إن هذا ابني كان ثديه له سقاء ، وبطنه له وعاء ، وحجرى له حواء ، وإن أبوه طلقنى ، ويريد أن يتزوجه مني . فقال لها النبي ﷺ : أنت أحق به منه ما لم تنكحى . ص ٣٩٦ و ٣٩٧ .

- أنه وقع رجل بأبي بكر الصديق رضى الله عنه ، فقال منه ؛ فسكت ، ثم نال منه ؛ فسكت ، ثم نال منه ؛ فانتصر في المرة الثالثة ، فقام رسول الله ﷺ . فقال له أبو بكر رضى الله عنه : أوجدت على يا رسول الله حيث انتصرت ؟ . فقال له كان كلما قال لك شيئاً كذبه الملك بما يقول . فلما انتصرت قام الملك ، وقعد الشيطان ، وما كنت لأقعد حيث قعد الشيطان . ص ٣٩١ و ٣٩٢ .

- أول بيت وضع للناس المسجد الحرام . فقيل يا رسول الله ثم أى ؟ قال : البيت المقدس . قيل : كم كان بينهما ؟ قال : أربعون سنة . ص ٣٥٧ .

- إذا كذب ابن آدم تباعد عنه الملك ميلاً من نتن ريحه . ص ٣٧٦ .

- إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده .

ص ٣٦٧ .

- إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً يتزوجه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالماً ، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً ؛ فاستلوا ؛ فأفتووا بغير علم ، فضلوا ، وأضلوا .

ص ٣٧٢ و ٣٧٣ .

- إن الله لا يقبل صلاة بغير ظهور . ص ٣٧٥ .

- إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض ؛ فهو حرام بحرمة الله

إلى يوم القيمة ، لا يعتصد شوكته ، ولا ينفر صيده ، ولا تلتقط لقطته إلا من عرفها ،
ولا يختلي خلاه .

ص ٣٩٤ .

- إنك لما لاعن رسول الله ﷺ بينه وبين زوجته ، وفرق بينهما قال : إن جاءت
به أئبج أصيهب أريصح حمش الساقين ، ناتي الإلتين ؛ فهو لهلال بن أمية ، وإن
جاءت به أورق جعدا جماليا خدلج الساقين ، سابع الإلتين ؛ فهو للذى رمي
به . فجاءت به أورق جعدا جماليا ، خدلج الساقين ، سابع الإلتين فقال رسول الله
ﷺ : لولا الأيمان لكان لى ولها شأن . ص ٣٧٨ و ٣٧٩ .

- ابغوني ضعفاءكم ؛ فإنما تنتصرون ، وترزقون بضعفائكم . ص ٣٧٧ .

- اغربوا لا تضروا . ص ٣٨٠ .

- الأيم أحق بنفسها من ولها ، والبكر تستأذن في نفسها ، وأذنها صماتها .
ص ٣٤٦ .

- القضاة ثلاثة : قاض في الجنة ، وقاضيان في النار . ص ٣٩٨ .

- اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه . ص ٣٩٥ .

- المسائل كدوح يكدر بها المرء وجهه ؛ إلا أن يسأل ذا سلطان أو في أمر لا
يجد منه بدا .

ص ٣٧٣ و ٣٧٤ .

- ثم يبعث الله ريحًا طيبة ؛ فتأخذ الناس من تحت إياتهم ؛ فتقبض روح كل
مؤمن ومسلم ، ويبقى شرار الناس يتهرجون تهارج الحمر ، فعليهم تقوم الساعة .
ص ٣٨٨ .

- جبلت القلوب على حب من أحسن إليها . ص ٣٩٦ .

- داواوا مرضاكم بالصدقة . ص ٣٨١ .

- رؤيا المؤمن جزء من أربعين جزءا من النبوة ، وهى على رجل طائر ؛ ما لم

يحدث بها ؛ فإذا حدث بها سقطت ، ولا يحدث بها إلا لبباً أو حبباً . ص ٣٨١ .
 - عينان لا تمسهما النار : عين يكت من خشية الله ، وعين بات تحرس في
 سبيل الله .

ص ٣٩٠ .

- فإنه جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : إن أخي استطلق بطنه . فقال رسول الله ﷺ : اسقنه عسلاً ، فسقاه ثم جاءه ؛ فقال إنني سقيته عسلاً فلم يزده إلا استطلاقاً . فقال له ثلاثة مرات . ثم جاء الرابعة فقال اسقنه عسلاً فقال لقد سقيته . فلم يزده إلا استطلاقاً . فقال رسول الله ﷺ صدق الله وكذبت بطن أخيك ؟ فسقاه فبرى . ص ٢٠٧ و ٢٠٨ .

- قلب المؤمن بين لمة ملك ، ولمة شيطان . ص ٣٨٦ .

- قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن ، يصرّفها حيث يشاء ؛ كقلب
 رجل واحد .

ص ٣٨٩ .

- قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض . فقال عمير بن الحمام : بخ بخ
 يارسول الله . فقال له : ما حملك على قوله : بخ بخ ؟ . قال : رجاء أن أكون من
 أهلها . فقال : أنت من أهلها ، فأخرج تمرات من قرنه ، وجعل يأكل ؛ ثم ألقاها
 من يده ؛ وقال : إن حيتك حتى أكل تمراتي هذه . إنها لحياة طويلة . ثم مشى إلى
 العدو ، وقاتل حتى قُتل . ص ٣٨٤ .

- كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو كاليد الجذماء . ص ٣٧٥ .

- لا ألفين أحداً منكم يجيء يوم القيمة ، وعلى رقبته جمل له رغاء . فيقول :
 يا رسول الله أغتنى ! ؛ فأقول : لا أملك لك شيئاً ؛ قد بلغتكم . لا ألفين أحداً منكم
 يجيء يوم القيمة ، وعلى رقبته شاة لها ثغاء . فيقول : يا رسول الله أغتنى ؛ فأقول :
 لا أملك لك شيئاً ؛ قد بلغتكم .

ص ٣٨٧ .

- لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقى ماءه زرع غيره . ص ١٨٩
و ١٩٠ .

- للمجاهد أجر الصائم القائم . ص ٣٩٠ .

- ليس المسكين من ترده اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان ؛ إنما المسكين من لا يجد غنى يغنى ، ولا يفطن به ؛ فيتصدق عليه ، ولا يقوم فيسأل الناس .
ص ٣٧٤ .

- ما أنت إلا كالرقة في ذراع الدابة ، أو كالشامة في جنب البعير . ص ١٧٠ .

- ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه كفاحا ، ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر تلقاء وجهه فلا يرى إلا النار . فاتقوا النار ولو بشق تمرة . ص ٣٧٧ .

- ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الملائكة ، وقرىنه من الشياطين .
قالوا : وأنت يا رسول الله ؟ . قال : وأنا ؟ إلا أن الله أعانتني عليه فأسلم . ص ٣٨٦ .

- مخلوق الله داء إلا وخلق له دواة إلا السام والهرم . ص ٢٠٧ .

- من اجتهد فأصاب ؛ فله أجران ، ومن اجتهد فأخطأ ؛ فله أجر . ص ٣٩١ .

- من كنت مولاه ؛ فعلى مولاه . ص ٣٩٨ .

- والذى نفس محمد بيده ما من كلام يكلم فى سبيل الله إلا جاء يوم القيمة لونه لون دم ، وريحه ريح مسك . ص ٣٨٥ .

- وذاك أن جارية لبعض الصحابة حضرت بين يديه ﷺ ؛ فقال لها : أين الله ؟ .
قالت : في السماء . فقال لسيدها : اعتقها ؛ فإنها مؤمنة . ص ٣٩٩ .

- وعليكم بسير الليل فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار . ص ٢٧٩ .

- يد الله على الجماعة ، ومن شد شد إلى النار ، وإنما للذئب من الغنم القاصية . ص ٣٧٥ .

- ٣ - الحديث الموضوع :
- من حفر لأخيه المؤمن قليا ؛ لقاء الله فيه قريبا . ص ٣٩٣ .
- ٤ - ما ليس له أصل :
- ابن آدم سر مكتون ، تظاهره القدرة ، ويخفيه العجز . ص ٣٩١ .



ثالثا : - فهرس أبيات الشعر :

١ - الأبيات الكاملة :

الصفحة	الشاعر	البحر	الشعر
٢٢٥	الحماسة	الوافر	اللحاء
٢٣١	أبو تمام	الوافر	سواء
٢٢٦	أبو تمام	الكامل	الأعداء
٢١٢	أبو تمام	الكامل	سماء
٢١٣	البحترى	الكامل	ماء
٣١٦	البحترى	الكامل	للأبناء
٢٢٥	ابن بناته السعدي	الكامل	أحسانه
٢٦٨	المتنبى	الوافر	عتاب
٢١٧	البحترى	البسيط	التعب
٢٩٦	الحماسة	الطويل	متعب
٢٤٢	أبو تمام	البسيط	الحقب
٣٣٥	ديك الجن	الطويل	المحارب
٢٧٨	المتنبى	الوافر	جينب
٢٤٣	أبو تمام	الطويل	عاذبه
٢٤٤	الحماسة	الطويل	ثاقبه
٢٩٠	البحترى	البسيط	واهبة
٣٢٧	ابن الخطاط	البسيط	سيبا
	الدمشقى		

٢٤٢	أبو تمام	البسيط	شهبا
٢٣٨	أبو تمام	الطوبل	واجا
٢٥٠	أبو تمام	الخفيف	الأتراك
٢٧٢	أبو تمام	الكامل	الجلباب
٢٧٥	ديك الجن	الخفيف	الخضاب
٢٩٥	أبو تمام	الكامل	عذاب
٣١٥	أبو تمام	الطوبل	خائب
٣٠٧	المتنبي	الطوبل	الجائب
٢٥٤	ديك الجن	البسيط	أدب
٢٨٧	أبو تمام	البسيط	كذب
٢٨٢	أبو تمام	البسيط	بالن شب
٢٥٥	المتنبي	البسيط	القصب
٢٦٨	أبو تمام	البسيط	الغضب
٢٨٧	أبو تمام	البسيط	منقلب
٢٥٤	ابن الرومي	البسيط	الذهب
٣٢٩	أبو تمام	الكامل	مهلب
٣٠٤	البحترى	الخفيف	للمغرب
٢٨٠	أبو تمام	الكامل	تلوب
٢٩٦	المتنبي	البسيط	مجلوب
٣١٥	البحترى	الكامل	الموهوب
٣٠٥	أبو تمام	الخفيف	نحبي
٢٧٠	البحترى	الكامل	بغريب

٣٢٤	أبو تمام	الخفيف	قضيب
٢٧٨	أبو الفضل الميكالي	الخفيف	بهرُث
٢٥٩	المتنبي	الكامل	اللوح
٣٠٧	أبو نواس	البسيط	جرحا
٢٣٩	أوس بن حجر	البسيط	بالراح
٢٦٠	البحترى	الكامل	الذابح
٢٥٦	القاضى الأرجانى	الكامل	بقبح
٣٢٥	أبو تمام	البسيط	مدائحتها
٣١٤	المتنبي	الطوبل	وفد
٢٩٤	الحماسة	الطوبل	الأبعد
٢٧٦	المتنبي	الطوبل	مراود
٢٨٤	الحماسة	الوافر	الأسود
٢٨٦		الوافر	يصيد
٢٩٥	المتنبي	الطربيل	اليدا
٢٢٢	البحترى	الخفيف	سودا
٢٣٧	أبو تمام	الكامل	خلودا
٢٩٧	البحترى	الخفيف	المعاد
٢٤٠	أبو تمام	الرجز	الأيادى
٢٠٤	البحترى	الطوبل	بالضد
٢٠٤	أبو تمام	الطوبل	عمد
٢١٩	البحترى	الكامل	للسؤدد
٣٠٣	الحماسة	الكامل	يولد

٣٣١	أبو تمام	الكامل	مقدود
٢٩٧	أبو نواس	البسيط	مودود
٢٤٩	البحترى	الخفيف	فريد
٣٠٠	المتنبى	الوافر	الفرار
٢٤٣	الحماسة	الوافر	يعار
٢١٤	المتنبى	الطوبل	الصبر
٢٦١	أبو تمام	الطوبل	الفكر
٢٣٦	المتنبى	الطوبل	الفقر
٢٣٤	-	البسيط	فتحذر
٢٩٨	المتنبى	المتقارب	تبصر
٢٦٦	المتنبى	البسيط	غساكره
٢٠٣	المتنبى	الكامل	والأعاصرا
٢٩٥	بشار بن برد	الخفيف	عار
٢٣٥	مسلم بن الوليد	الطوبل	بزاجر
٢٦٣	مسلم بن الوليد	الطوبل	القبر
٣٩٤	أبو تمام	البسيط	البشر
٢٤٩	البحترى	الطوبل	المتكسر
٢٦٢	أبو نواس	الخفيف	القبور
٢٥٣	ابن الرومى	الكامل	المتحرز
٣٤٩	أبو تمام	الكامل	والباس
٢٥٧	أبو تمام	البسيط	عيوض
٣٠٤	أبو تمام	المنسج	مرضه

٢٨٨	البحترى	الكامل	مرفضه
٣٢٨	أبو تمام	الطوبل	الصنائع
٢٩١ و ٢٨٩	منصور النمرى	البسيط	تبع
٣١٩	الشريف الرضى	الكامل	تطلع
٣٣٣	المتنبى	الطوبل	يسمع
١٩٩	أبو تمام	الطوبل	المجزع
٣٠١	ابن بابك	الكامل	تطلُّع
٢٠١	أبو تمام	الطوبل	وَقْع
١٨٨	أبو تمام	الطوبل	مولع
٢٩٨	الحماسة	الطوبل	جماعها
٢٥٧	المتنبى	الوافر	سريعاً
٢٣٤	المتنبى	الطوبل	ضعيف
٢٣٨	الإمام الشافعى	الكامل	ضعيف
٢٤٣	أبو تمام	الكامل	الغطريفا
٣٢٠	مسلم بن الوليد	الكامل	رجاكاً
٢٦٨	الشريف الرضى	الخفيف	سواكا
٢٣٠	البحترى	الكامل	نداكا
٢٣٠	المتنبى	الطوبل	نحوكا
٢٩٢	المتنبى	المنسرح	جبل
٢١٤	مسلم بن الوليد	البسيط	رجل
٢٧٦	المتنبى	المنسرح	كفل
٢٦٥	أبو تمام	البسيط	ستقتل

٣١٧	المتنبى	المنسخ	اعتقلا
٢٢٢	المتنبى	المتقارب	تعقل
٢٨١	المتنبى	الكامل	عوامل
٢٥٣	المتنبى	المتقارب	مقول
٢١٦	البحترى	الطوبل	باطله
٣١٨	أبو العتاهية	الهجز	خلخالا
٣٠٦	مسلم بن الوليد	الكامل	مقيلا
٣٠٦	المتنبى	الكامل	صهيلاء
٣٣٤	أبو تمام	الكامل	الأمل
٢١٠	امرأة القيس	الطوبل	البالي
٢٦٧	مسلم بن الوليد	الوافر	الرجال
٣٧١	أبو تمام	الكامل	بصقال
٢٩٩	أبو تمام	الكامل	والأوعال
٢٢٧	المتنبى	البسيط	بلا رجل
٢٣٣	أبو تمام	الطوبل	على رجل
٢٧١	المتنبى	البسيط	من يخل
٢٢٠	أبو تمام	البسيط	الجلل
١٨٩	المتنبى	البسيط	بالعلل
٢٥٠	المتنبى	البسيط	كالقتل
٣٢٦	المتنبى	البسيط	لا قبلى
٢٢٤	امرأة القيس	الطوبل	هيكل
٢٧٤	أبو العتاهية	الوافر	من فعاله

٢٦٠	أبو تمام	الوافر	المنيل
٣٩٣	المتنبى	الخفيف	مدام
٢٨٠	أبو تمام	الكامل	أكام
٢٨٤	المتنبى	الخفيف	الحمام
٣٢١	أبو تمام	الطوبل	حاكم
٣٢٢	أبو تمام	الطوبل	عالم
٢٠٣	المتنبى	الطوبل	الجوازمُ
٢٨٥	المتنبى	الطوبل	والقشاعم
٢٢٨	المتنبى	الطفبل	ويؤتم
٢٧٢	البحترى	الطوبل	المتهجمُ
٢٩٠	المتنبى	الكامل	الدم
٢٩٢	المتنبى	الطوبل	أيهم
٢٣٣	أبو تمام	الكامل	قديم
٣٢٤	أبو تمام	الخفيف	سلیما
٢٩١	المتنبى	الطوبل	بسالم
٢٨٩	المتنبى	الكامل	بسلام
٢٢٦	التهامى	البسيط	لم يدم
٢٢١	الغزى	البسيط	الظلمِ
٣٣٢ و ٢٣٦	ابن الرومى	الطوبل	لجسمه
٣٣٢	ابن الرومى	الطوبل	كحسمه
٢٠٩	دعلل الخزاعى	الوافر	المدان
٢٤٢	المتنبى	مجزوء الكامل	الميدان

٣٠٤	الحمسة	البسيط	وأوطان
٢٣١	أبو قطيفة	البسيط	جironون
٣٣٦	الشماخ	الوافر	الوتين
٢٦٤	العاهر الحلى	الوافر	معنتيه
١٦٤	أبو تمام	البسيط	يُحظى بها
٢٥٩	أبو نواس	البسيط	بما فيها
٣٢٣	كشاجم	الخفيف	الكأس فيها

٢ - أنصاف الأبيات :

٣٤١	----	الوافر	صما
٢٠٨	أبو تمام	الطوليل	رابض
٢٤٠	أبو تمام	الرجز	بالوهاد
٢٥١	المتنبي	البسيط	عن زحل
٢٥٩	امرؤ القيس	الطوليل	من معول

(

رابعاً - فهرس الأمثال

المثل	الصفحة
- إن ترد الماء بماء أكيس	ص. ١٩١ و ١٩٦ .
- إن تسلم الجلة فالنيل هدر	ص ١٩١ و ١٩٦
- إن كنت ريعا فقد لاقت إعصارا	ص ١٩١ و ١٩٧ .
- بيض قطة يحضره أجدل	ص ١٩١ و ١٩٨ .
- رب واثق. خجل	ص ١٩٤ .
- كل الصيد في جوف الفرا	ص ١٩١ و ١٩٨
- وذو النقص في الدنيا بذى الفضل مولع	ص ٢٠٠ .
- وربما صحت الأجساد بالعلل	ص ٢٠٠ .
- اليوم خمر ، وغداً أمر	ص ١٩١ و ١٩٨ .

خامساً : فهرس القبائل

- بنو نعل . ص ٢٠٩ .
- بنو عبد المدان . ص ٢١٠ .

سادساً - فهرس الشعراء

- ابن الخطيب الدمشقي ٣٢٦ .

- ابن الرومي ٢٥٢ .

- ابن بابك ٣٠١ .

- ابن نباتة السعدي ٢٢١ .

- امرؤ القيس ٢١٠ ، ٢٢٤ .

- أبو ، وأبي الطبيب المتنبي ١٨١ ، ١٨٣ ، ٢٠٠ ، ١٩٩ ، ١٨٨ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

- ، ٢٠٩ ، ٢٥٧ ، ٢٥٣ ، ٢٥٠ ، ٢٤١ ، ٢٣٦ ، ٢٣٤ ، ٢٣٠ ، ٢٢٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٨ ، ٢٢٧ .

- ، ٢٩١ ، ٢٩٠ ، ٢٨٩ ، ٢٨٥ ، ٢٨٤ ، ٢٨١ ، ٢٧٨ ، ٢٧٥ ، ٢٧١ ، ٢٦٩ ، ٢٦٨ ، ٢٦٧ .

- ، ٣٣٣ ، ٣٢٦ ، ٣١٧ ، ٣١٤ ، ٣٠٧ ، ٣٠٦ ، ٢٩٩ ، ٢٩٨ ، ٢٩٦ ، ٢٩٥ .

- أبو ، وأبي الطيب ١٨٣ ، ٢٣٤ ، ٢٥٠ ، ٢٥٤ .

- المتنبي ١٨٠ .

- أبو وأبي تمام ١٦٤ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، ١٩٩ ، ١٨١ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ .

- ، ٢٠٢ ، ٢٠٠ ، ١٩٩ ، ١٨٨ ، ١٨٣ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

- ، ٢٤٣ ، ٢٤٢ ، ٢٤٠ ، ٢٣٧ ، ٢٣٦ ، ٢٣٣ ، ٢٣١ ، ٢٢٦ ، ٢٢٠ ، ٢١٩ .

- ، ٢٦٠ ، ٢٦٥ ، ٢٦١ ، ٢٦٠ ، ٢٥٤ ، ٢٥٣ ، ٢٥٢ ، ٢٥٠ ، ٢٤٣ ، ٢٤٢ ، ٢٣٧ ، ٢٣٦ .

- ، ٣١٥ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٩ ، ٣٢٧ ، ٣٢٤ ، ٣٢١ ، ٣٢٩ .

- حبيب بن أوس ١٨١ .

- أبو وأبي عبادة البحتري ١٨١ ، ١٨٣ ، ٢١٣ ، ٢٠٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢٠ ، ٢٤٩ .

- ، ٣١٦ ، ٣١٥ ، ٣٠٤ ، ٢٩٧ ، ٢٩٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧١ ، ٢٧٠ .

- أبو عبادة ٢٩٠ .

- البحتري ٢٠٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ .

- أبو وأبي العתاهية ٢٧٣ ، ٣١٨ .

- أبو قطيفة ٢٣٠ .

- أبو نواس ١٨٣ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٩٦ ، ٣٠٧ .

- الحسن بن هانئ ١٨٣ .

- التهامي ٢٢٦ .

- الشريف الرضي ٢٦٨ ، ٣١٩ .

- الشمامي ٣٣٦ .

- الطائين ، ١٨٢ ، ١٨١ .
- العنصري ، ٣١٣ .
- الغزى ، ٢٢١ .
- الفرزدق ، ٢٠٩ .
- القاضي الأرجانى ، ٢٥٦ .
- أوس بن حجر ، ٢٣٩ .
- بشار ، ٢٩٥ .
- دعبل بن على الخزاعي ، ٢٠٩ .
- ديك الجن ، ٢٧٥ .
- عبد السلام بن رغبان المعروف بذيك الجن ، ٢٧٥ ، ٣٣٥ .
- كشاجم ، ٣٢٣ .
- مسلم بن الوليد ، ٢١٤ ، ٢٣٥ ، ٢٦٣ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٩١ ، ٣٥٦ ، ٣٢٠ .
- منصور النمرى ، ٢٨٩ .

سابعاً : فهرس البلدان والأماكن

- البلاد الفراتية . ٢٢٩ .
- البيت المقدس . ٣٥٦ .
- الديار المصرية : ١٨٠ .
- بلاد الروم ٢٢٧ ، ٣١٣ .
- حران . ٢٢٩ .
- دمشق ١٧٩ و ٣٥٣ .
- عسقلان . ١٨٠ .
- مصر ١٨٠ و ١٨٣ .
- ملطية . ٣١٣ .

ثامنًا - فهرس الأعلام

- ابن الخلال . ١٨٠ .
- ابن نباتة ١٧٢ .
- الحريري ١٧٢
- الخليفة الحافظ . ١٨٠ .
- الملك الأشرف موسى ٢٢٨ .
- الملك العادل أبو بكر بن أيوب ٣٥٦ .
- الملك العزيز عثمان ٣٥٣ .
- الملك الأفضل على ٢٢٨ ، ٣٥٣ .
- خزيمة بن ثابت ٣٥٠ ، ٣٨٢ .
- عبد الرحيم بن على اليساني ١٧٩ ، ١٨٣ .
- عمير بن الحمام ٣٨٣ و ٣٨٤ .
- محمود بن سبكتكين ٣١٢ .
- يوشع النبي ٢٠٢ .

محتوى الكتاب

أولاً : الدراسة

٩	مقدمة المحقق
١٣	تمهيد
١٩	الفصل الأول : ابن الأثير من المهد إلى اللحد
٩٥	الفصل الثاني : ابن الأثير والوشى المرقوم
١٣٧	الفصل الثالث : نسخ الكتاب

ثانياً : نص الكتاب

١٦٣	« مقدمة المؤلف »
١٧٧	الفصل الأول : في حلّ الشعر
٢٣٧	الفصل الثاني : في حلّ آيات القرآن العزيز
٣٦٩	الفصل الثالث : في حلّ الأخبار النبوية
٤٠٥	خاتمة المحقق
٤٠٩	ثبت المصادر والمراجع
٤٣٣	الفهارس العامة
٤٦٠	محتوى الكتاب

صدر من هذه السلسلة

- ١ - ديوان أبي الطيب المتنبي تحقيق د. عبد الوهاب عزام
- ٢ - الإشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي تحقيق د. عبد الرحمن بدوى
- ٣ - قصة الخلاج وما جرى له مع أهل بغداد تحقيق : سعيد عبد الفتاح
- ٤ - ديوان الحماسة لأبي تمام تحقيق : د. عبد المنعم أحد فرج
- ٥ - رسائل إخوان الصفا (المجلد الأول)
- ٦ - رسائل إخزان الصفا (المجلد الثاني)
- ٧ - رسائل إخوان الصفا (المجلد الثالث)
- ٨ - رسائل إخوان الصفا (المجلد الرابع)
- ٩ - رسائل إخوان الصفا (المجلد الرابع)
- ١٠ - كتاب التيجان في ملوك حمير
- ١١ - ألف ليلة وليلة (المجلد الأول)
- ١٢ - ألف ليلة وليلة (المجلد الثاني)
- ١٣ - ألف ليلة وليلة (المجلد الثالث)
- ١٤ - ألف ليلة وليلة (المجلد الرابع)
- ١٥ - ألف ليلة وليلة (المجلد الخامس)
- ١٦ - ألف ليلة وليلة (المجلد السادس)
- ١٧ - ألف ليلة وليلة (المجلد السابع)
- ١٨ - ألف ليلة وليلة (المجلد الثامن)
- ١٩ - تحرير الأغاني (المجلد الأول)
- ٢٠ - تحرير الأغاني (المجلد الثاني)
- ٢١ - تحرير الأغاني (المجلد الثالث)
- ٢٢ - تحرير الأغاني (المجلد الرابع)
- ٢٣ - تحرير الأغاني (المجلد الخامس)
- ٢٤ - تحرير الأغاني (المجلد السادس)
- ٢٥ - الحكايات العجيبة والأخبار الغريبة مج ١ تحقيق : هنس وبر

- ٢٦ - الحكايات العجيبة والأخبار الغريبة مج ٢ تحقيق : هنر وير
- ٢٧ - حلية الكميٰ للثواجي
- ٢٨ - البرصان والمرجان والعبيان والخلolan للجاحظ (المجلد الأول)
- ٢٩ - البرصان والمرجان والعبيان والخلolan للجاحظ (المجلد الثاني)
- ٣٠ - رسائل ابن عربى (المجلد الأول)
- ٣١ - رسائل ابن عربى (المجلد الثاني)
- ٣٢ - منامات الوهارنى . مراجعة د. عبد العزيز الأهوانى
- ٣٣ - الكشكول (المجلد الأول)
- ٣٤ - الكشكول (المجلد الثاني)
- ٣٥ - أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول
- ٤٨-٣٦ - بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس (في ثلاثة عشر مجلداً)
- ٤٩ - فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم (المجلد الأول)
- ٥٠ - فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم (المجلد الثاني)
- ٥٤-٥١ - الموعاظ والاعتبار (في أربعة مجلدات)
- ٥٥ - سيرة أحد بن طولون ، تحقيق : محمد كرد على
- ٥٦ - مجموعة مصنفات شيخ إشراق للسهروري (المجلد الأول)
- ٥٧ - مجموعة مصنفات شيخ إشراق للسهروري (المجلد الثاني)
- ٥٨ - اتعاظ الحنفأ للمقرئي (المجلد الأول)
- ٥٩ - اتعاظ الحنفأ للمقرئي (المجلد الثاني)
- ٦٠ - اتعاظ الحنفأ للمقرئي (المجلد الثالث)
- ٦١ - مقالات الإسلاميين للأشعرى ، صتححه هلموت ريتز
- ٦٥-٦٢ - ديوان أبي نواس (٤ مج) تحقيق : إيفالد فاغنر وغريغور شولر
- ٦٦ - ولادة مصر تأليف محمد بن يوسف الكندي ، تحقيق د. حسين نصار
- ٦٧ - المنتخب من أدب العرب (الجزء الأول)
- ٦٨ - الهوامل والشوامل لأبي حيان التوحيدي ، ومسكويه ،
تحقيق : أحد أمين والسيد أحد صقر

- ٦٩ - المتنخب من أدب العرب (الجزء الثاني) جمعه طه حسين وآخرون
- ٧٠ - نوادر المخطوطات تحقيق عبد السلام هارون (المجلد الأول)
- ٧١ - نوادر المخطوطات تحقيق عبد السلام هارون (المجلد الثاني)
- ٧٢ - طبقات فحول الشعراء لابن سلام (مج ١) تحقيق : محمود محمد شاكر
- ٧٣ - طبقات فحول الشعراء لابن سلام (مج ٢) تحقيق : محمود محمد شاكر
- ٧٤ - الحيوان (في سبعة مجلدات) تحقيق : عبد السلام هارون
- ٨٠-٨٤ - الأشباء والنظائر للخلالدين (جزآن في مجلد واحد)
- ٨١ - تحقيق د. السيد محمد يوسف
- ٨٢ - سيرة صلاح الدين لابن شداد تحقيق د. جمال الدين الشيشاني
- ٨٣ - الإمتناع والمزانسة (ثلاثة أجزاء في مجلد واحد) تحقيق أحد أمين وأحمد الزين
- ٨٤ - ديوان تميم بن المعز الدين الفاطمي تحقيق محمد حسن الأعظمي وآخرين
- ٨٨-٨٥ - البيان والتبيين (في أربعة مجلدات) تحقيق عبد السلام هارون
- ٨٩ - المغرب في حل المغرب لابن سعيد الأندلسي (القسم الخاص بالفسطاط) تحقيق د. شوقى ضيف وزميليه
- ٩٠ - الفتح القسى في الفتح القدسى للعماد الأصفهانى تحقيق محمد محمود صبح
- ٩١ - ديوان ابن سناء الملك تحقيق د. محمد إبراهيم نصر
- ٩٢ - السيف المهند في سيرة الملك المؤيد تحقيق : فهيم محمد شلتوت
- ٩٣ - معجم الشعراء للمرزبانى تحقيق عبد الستار أحمد فراج
- ٩٤ - فاكهة الخلفاء ومحاكمة الظرفاء تحقيق د. محمد رجب النجار
- ٩٥ - أساس البلاغة للزمخشري ج ١ عن طبعة مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية
- ٩٦ - أساس البلاغة للزمخشري ج ٢ عن طبعة مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية
- ٩٧ - مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهانى ج ١ تحقيق السيد أحد صقر
- ٩٨ - مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهانى ج ٢ تحقيق السيد أحد صقر
- ٩٩ - الصاحبى لابن فارس تحقيق السيد أحد صقر
- ١٠٠ - التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً تحقيق : محمد بن تاویت الطنجي
- ١٠١ - عيون الأخبار لابن قتيبة . المجلد الأول ، عن طبعة دار الكتب المصرية

- ١٠٢ - عيون الأخبار لابن قتيبة . المجلد الثاني ، عن طبعة دار الكتب المصرية
- ١٠٣ - عيون الأخبار لابن قتيبة . المجلد الثالث ، عن طبعة دار الكتب المصرية
- ١٠٤ - عيون الأخبار لابن قتيبة . المجلد الرابع ، عن طبعة دار الكتب المصرية
- ١٠٥ - الفلاكة والمفلوكون . تأليف : أحمد بن على الدجلي
- ١٠٦ - التحدث بنعمة الله . بلال الدين السيوطي
- ١٠٧ - الاقتباس من القرآن الكريم ج ١
- ١٠٨ - الاقتباس من القرآن الكريم ج ٢
- ١٠٩ - تحقيق مالهند من مقوله مقبولة في العقل أو مرذولة
- ١١٠ - جواهر الألفاظ محمد محي الدين عبد الحميد
- ١١١ - العقد الفريد تأليف أبي عمر أحد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي - الجزء الأول
- ١١٢ - العقد الفريد تأليف أبي عمر أحد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي - الجزء الثاني
- ١١٣ - العقد الفريد تأليف أبي عمر أحد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي - الجزء الثالث
- ١١٤ - العقد الفريد تأليف أبي عمر أحد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي - الجزء الرابع
- ١١٥ - العقد الفريد تأليف أبي عمر أحد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي - الجزء الخامس
- ١١٦ - العقد الفريد تأليف أبي عمر أحد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي - الجزء السادس
- ١١٧ - العقد الفريد تأليف أبي عمر أحد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي - الجزء السابع
- ١١٨ - مفاتيح العلوم للخوارزمي تحقيق د. فان فلوتن
- ١١٩ - المسالك والممالك للإصطخرى تحقيق د. محمد جابر عبد العال الحيني
- ١٢٠ - دار الطراز لابن سناه الملك تحقيق د. جودت الركابي



سلسلة نصف شهرية

الذخائر



هذا الكتاب



لأول مرة في مصر ينشر كتاب (الوشى المرقوم في حل المنظوم)، كاملاً ومحقاً تحقيقاً علمياً، من خلال سلسلة (الذخائر). الدافع إلى تقديم الكتاب أهميته الكبيرة في مجال النقد والدراسة الأدبية، يتضمن الكتاب طبيعة العلاقة الحتمية بين أجيال الأدباء، ويقوم - مع بقية المؤلفات القرية من الموضوع - على ضبط حركة اللاحق في تعامله مع التراث السابق وإفادته منه. لكنه حدد مجال بحثه في الإفادة من القرآن الكريم والحديث النبوى ونصوص الشعر. وبذلك يخالف تلك الكتب التي اقتصرت على معالجة الإفادة من التراث الشعري وحده، وكذلك تلك التي عالجت كيفية الإفادة من التراث الأدبى بصفة عامة.

الكتاب القادم : الجزء الأول من كتاب "الأوراق" للصولى
(أخبار الشعراء الخديجين)